

مدينة فاس في عصرى المرابطين والموحدين

١٠٥٦م إلى ١٢٦٨هـ / ١٢٦٩م

دراسة سياسية وحضارية

د. جمال أحمد طه

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

مدينة فاس في عصرى المرابطين
والموحدين

د. جمال أحمد طه

طباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ش ملك حقنى قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن درباله بلوك رقم (٣)

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - إسكندرية

رقم الإيداع: ٢٠٠١ / ١٥٨١٧

الترقم الدولى: 8 - 197 - 327 - 977

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وقد ربحي ز = نبي علما)

إهداء

إلى روح الإمام إدريس بن إدريس الذى أسس مدينة فاس
المعقل السياسى والفكرى للحضارة العربية الإسلامية فى المغرب
الأقصى .. وإلى روح والدى الذى روى فى نفسى بذور الخير والحب
والتسامح، وعلمنى العطاء، فأليهما فى مثواهما الأخير .. وإلى والدتى
التي علمتنى الأبجدية دون أن تتعلم، وأعطت دون انتظار لمقابل.
تحية إجلال وتقدير

... (اللهم إنك تعلم إنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة
ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك
وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما
أبقيت الدنيا)

المقدمة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمة

تكتسب مدينة فاس أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ المغرب الأقصى بصفة خاصة، ليس من موقعها كمدينة أسسها الإمام إدريس الثاني فحسب، لكن لأهميتها في العصرين المرابطي والموحدي، حيث كان لها أثر كبير في مجرى التطورات السياسية المهمة سواء في المغرب أو الأندلس، وإذا أضفنا إلى ذلك الخلفية التاريخية للمدينة منذ نهاية القرن الثاني الهجري كعاصمة للمغرب الأقصى لأدركنا أهمية الدور الذي شغلته فاس في هذه المنطقة عبر فترة اضطرابات هزت هذه المنطقة الواسعة وأفضت بها إلى منعطف تاريخي حاسم، سقطت معه المفاهيم القبلية القديمة وموازين الصراع التقليدي المسيطر على المدينة قبيل هذين العصرين.

ولابد من الاعتراف أن دراسات كثيرة جرت حول تاريخ مدينة فاس منذ تأسيسها إلى قبيل دخول المرابطين المدينة، ولكن الأبحاث المتصلة بتاريخ فاس في عصرى المرابطين والموحدين لم تحظ بالاهتمام الذي يتفق وتلك المدينة، ولم تأخذ هذه الدراسات الطابع التخصصي للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لهذه المدينة على نحو متكافئ مع تلك الفترة الدقيقة الفاصلة في تاريخ المغرب الأقصى. ومن ثم جاء اختياري لدراسة هذا الموضوع، حيث حرص كل من المرابطين والموحدين على أن يسود مدينة فاس الاستقرار والأمان، وعملوا على رعاية العلوم والآداب، فتألفت الحياة العلمية والأدبية في هذين العصرين تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبته فاس، كما شهدت المدينة توسعا عمرانيا ممثلا في المنشآت الجليلة التي أقيمت في هذين العصرين مثل المساجد والفنادق والحمامات، كما شهدت منشآت ذات نشاط اقتصادي مثل دور الصناعة والأسواق، فازدهرت تجارتها، ولقد لعب هذا كله دورا هاما في ارتفاع شأن المدينة، وبروز دورها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، مما جعل منها موضوعا جديرا بالبحث والدراسة.

فعندما قامت دولة المرابطين عام ٤٤٨ - ٥٤٠ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٥ م على يد مؤسسها يوسف بن تاشفين لفتت أهمية فاس نظر هذا المؤسس باعتبارها الإقليم

الذى إذا سيطر عليه فاتح استطاع أن يسطر على أقاليم المغرب الأقصى كله دون عناء، فدخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م وأفلح المرابطون فى القضاء على الإمارة الزناتية المسيطرة على منطقة فاس والجهات المحيطة بها، تلك الإمارة التى تدهورت على يديها أوضاع المدينة وشمل الخراب كل مناحى الحياة فيها، لكن ازدهرت مدينة فاس على أيدي المرابطين، وأصبحت بحق العاصمة الثانية للمغرب - بعد مراكش التى أسسها المرابطون - حيث أمر يوسف بن تاشفين ببناء المساجد فى شوارع فاس وأزقتها، كما أمر ببناء الحمامات والفنادق والأرجاء والأسواق، وبدأ المرابطون فى زيادة الأراضى المزروعة وإدخال المحاصيل الزراعية، والاهتمام بالصناعات وتأمين طرق المدينة، واستجلاب الخبرات الفنية لها.

وظلت مدينة فاس خاضعة للمرابطين إلى أن ظهر الموحدون الذين بدأوا سلسلة من الحملات الناجحة قام بها المهدي بن تومرت على معاقب المرابطين، تلك الحملات التى عملت على هدم أركان دولتهم، وحسم الموحدون الأمر بقيادة عبد المؤمن بن علي بإسقاط عاصمة المرابطين مراكش عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م وحاصروا مدينة فاس التى ظل أهلها يقاومون حتى عمده عبد المؤمن بن علي إلى وسيلة لإرغام أهل فاس على التسليم، فأستسلمت المدينة له، ودخلها فى الرابع عشر من ذى القعدة عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م.

واهتم الموحدون بفاس اهتماما خاصا، واعتنوا بأمرها حتى بلغت فى عهدهم درجة عالية من الانتعاش العمرانى والاقتصادى لم تبلغه مدينة أخرى من مدن المغرب، لاسيما فى زمن المنصور الموحدى وولده الناصر، حيث شيدت الأسوار بالمدينة، وشهدت المدينة تطورا زراعيا، فأدخلت حاصلات زراعية جديدة، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية.

وقد استمر ازدهار فاس عمرانيا واقتصاديا خلال عصر الموحدين الذى يعتبر امتدادا للفترة المرابطية، ورافق هذا الازدهار تحولات كبيرة فى حياة سكانها الاجتماعية، فدخلوا المدينة على نطاق واسع، واكتسبوا المعارف والخبرات الفنية، فهو ازدهار لم تشهده هذه المدينة من قبل، حيث تألفت تألقا جعلها من المدن الهامة بالمغرب الإسلامى، فكانت عن جدارة واستحقاق إحدى كبريات مدن المغرب.

وكانت كبرى المشاكل الأساسية التى واجهتنى فى إعداد هذا البحث ندرة المصادر والوثائق التى تمكننى من كشف النقاب عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين، ومن ثم الوقوف على الأوضاع الاقتصادية والفئات الاجتماعية وهى المحرك الأساسى لهذا التاريخ، وسبب ذلك يعزى دون شك إلى أن معظم هذه الوثائق والمصادر قد عفى عليها الدهر أو تم طمسها تحت تأثير خلافات مذهبية أو حزازات سياسية وهذا ما فعله الموحدون بالمصادر والكتب التى ألقت فى عصر الدولة المرابطية؛ وإذا كانت هذه المعضلة تعد من المسلمات التى اعترف بها كل من عرك هذا الميدان، فإن المشكلة تتعاضد وتزداد، حداثتها بالنسبة للحديث عن العناصر السكانية فى مدينة فاس والتى تباينت فيما بينها بين عرب وبربر وأهل ذمة وعناصر أخرى، وعن الفئات الاجتماعية لاسيما العامة منها والتى تهمش كطبقة اجتماعية - رغم خطورة دورها - فى دائرة الإهمال والنسيان بالنسبة لمؤلفينا من أهل التاريخ. فكل المصادر التى نستقى منها معلوماتنا لم تحفل فى الغالب سوى بالخلفاء والأمراء وحاشيتهم ووصف بلاطهم أو ذكر مناقبهم، ومن ثم كنت الصعوبة فى هذه الدراسة فرحت أستنطق كتب الفقه والتراجم والفهارس والبرامج والطبقات، وكتب الأدب والجغرافية لعلى أجد فيها بغيته.

والواقع أن هناك عدة أهداف أساسية حاولت من خلال بحثى أن أصل إليها كان من أهمها إبراز دور فاس السياسى وأهميته فى العصرين المرابطى والموحدى، وإجلاء الصورة الحضارية لمدينة فاس سواء على الصعيد الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى، متبعا فى ذلك المنهج العلمى القائم على تحليل النصوص واستنباط الحقائق والنتائج التى بنيت عليها دعائم رسالتى، مستعينا فى ذلك بالرسائل الرسمية والوثائق التى تخص الفترتين المرابطية والموحدية والمخطوطات والمؤلفات التاريخية وكتب التراجم والفهارس والبرامج والأدب والجغرافية وكتب الفقه، إلى جانب الدراسات العربية والأجنبية التى تعرضت من قريب أو بعيد لموضوع الدراسة.

وقسمت بحثى إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وذيلته بقائمة بالمخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية التى أطلعت عليها. فمهدت لهذه الدراسة بفصل خصصته لنشأة مدينة فاس منذ التأسيس حتى قيام دولة المرابطين أوضحت فيه تأسيس فاس وتخطيطها على يد الإمام إدريس بن

إدريس، تناولوا في هذا الفصل تاريخ فاس منذ إنشائها حتى دخولها في طاعة المرابطين.

أما الفصل الثانى، فأفردته لدراسة التاريخ السياسى لمدينة فاس فى العصرين المرابطى والموحدى، تناولوا الحديث عن كيفية دخول المرابطين فاس وفتحهم لها عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م وانها لهم للإمارة الزناتية التى كانت تسيطر على المدينة، متعرضا فيه لتوحيد فاس وتنظيمها على عهد المرابطين، والاضطرابات والفتن التى حدثت بفاس ضد دولة المرابطين، كما تناول هذا الفصل أيضا حصار الموحدين لمدينة فاس وفتحهم لها عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، وأوضحت من خلاله الدور السياسى الذى قام به أمراء فاس تجاه دولتى المرابطين والموحدين، وختمت هذا الفصل بمحاولات بنى مرين للسيطرة على فاس بدءا من عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م.

وخصصت الفصل الثالث لدراسة الحياة الاجتماعية بمدينة فاس فى العصرين المرابطى والموحدى، تناولت فيه سكان المدينة من بربر وعرب وأندلسيين وعبيد. كما تناول هذا الفصل الطبقات الاجتماعية بالمدينة، ومكانة المرأة فى المجتمع الفاسى والعادات والتقاليد التى سادت المجتمع الفاسى، إلى جانب دراسة الاحتفالات ومظاهر التسلية، وطعام أهل المدينة وزيتهم، ووصف دورهم.

وفى الفصل الرابع عالجت مظاهر الحياة الاقتصادية فى مدينة فاس فى العصرين المرابطى والموحدى. ففى مجال الزراعة تناول هذا الفصل سياسة الدولتين الزراعية فى المدينة وحاصلاتها الزراعية، ومدى اهتمام الدولتين بزراعة البساتين، موضحا الثروة الحيوانية التى تبعت العمليات الزراعية.

وفى مجال الصناعة تناول هذا الفصل صناعات النسيج والورق، وطحن الغلال، كما أوضحت الصناعات الجلدية والخشبية وصناعة الزيوت والصابون وصناعة ماء الورد، وصناعة السكة، والصناعات الفخارية والزجاجية.

أما فى مجال التجارة فقد أوضحت فى هذا الفصل سياسة الدولتين الضريبية وقياسية وأسواق فاس وتنظيمها وإدارتها وطرق التجارة من عملة ومكايل وموازين كما أوضحت تجارة فاس الداخلية وتجاراتها الخارجية مع الأندلس والسودان والمشرق.

أما الفصل الخامس والأخير فخصصته لدراسة الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس فى هذين العصرين، تناولوا أهم عوامل نمو الحياة الفكرية والعلمية بالمدينة، والمعلمين وطرق التعليم والمؤسسات التعليمية بالمدينة ثم تناول هذا

الفصل مبادئ الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس من علوم عقلية وعلوم عقلية، فأوضحت في العلوم العقلية علم القراءات والتجويد والتفسير وعلم الحديث وعلم أصول الفقه وعلم اللغة العربية والنحو والعلوم الأدبية من نثر وشعر، وعلم الكلام، وعلم التاريخ والتراجم والفهارس والوثائق، وعلم التصوف.

أما العلوم العقلية فتناول هذا الفصل علم الحساب والهندسة والطب وعلم الكيمياء. وختمت هذا الفصل بالحديث عن الدور الذي قامت به مدينة فاس في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

وفي الخاتمة أوجزت ما انتهيت إليه من نتائج تمخضت عن هذه الدراسة. ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى وعرفانى بالجميل إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور / أحمد محمد الطوخى أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط - الذى رعى خطوات هذا البحث فى جميع مراحله فكان تشجيعه أكبر عون لى على إنجاز هذه الدراسة فى الصورة التى أقدمها. فما جاء فى هذا البحث من فضل فأليه يعود، وما فيه من تقصير فألى ينسب.

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى الدكتور محمد محمود أبو زيد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بسوهاج على معاونته الصادقة وتشجيعه المستمر لى وتوجيهاته السديدة فله خير الجزاء.

ويعلم الله كم تكبدت من عناء وكم من جهد بذلت.

وأسأله التوفيق والسداد

دراسة لأهم المصادر

إن دراسة تاريخ مدينة من المدن في العصر الإسلامي يتطلب من الباحث الرجوع إلى مصادر متنوعة مثل المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم والبرامج والفهارس، وكتب السير والفقه والأدب، لأن المعلومات التي تتناول تاريخ المدينة السياسي والحضاري مبعثرة بين ثانيا تلك المصادر، وليس هناك مصنف واحد يجمع مثل هذه المعلومات خاصة إذا كان بعض مصادر تلك الفترة مفقود مما يضطر الباحث للرجوع إلى بعض المصادر المتأخرة عله يجد فيها شيئا يخدم بحثه.

وفي الفترة الزمنية لموضوع دراستي، فقدت كتب كثيرة كان قد صنفها رجال في المغرب عاشوا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أو تأخر تاريخ وفاة بعضهم إلى القرن السابع/ الثالث عشر الميلادي، مثل تاريخ القاضي عياض المتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م^(١). كما فقد كتاب خاص بتاريخ الدولة المرابطية وهو كتاب "الأنوار الجلية في الأخبار المرابطية" لابن الصيرفي المتوفى عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م^(٢)، وكتاب تاريخ خاص بدولة الموحدين صنفه ابن سمره المتوفى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م^(٣). وكتاب القاضي يوسف بن عمر عن دولة الموحدين أيضا^(٤).

أما الكتب المفقودة الخاصة بتاريخ مدينة فاس فمنها تاريخ فاس لأبي القاسم بن جنون، والمقباس في أخبار المغرب وفاس لعبد الملك بن الوراق الذي عاش في القرن السادس الهجري، والمقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس لمحمد بن حماد السبتي، وكتاب المستفاد بمناقب الصالحين والعباد من أهل فاس وما والاها من البلاد لمحمد بن عبد الكريم الفندلاوي المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م^(٥).

كذلك فقد كتاب "المسهب" لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري المتوفى في منتصف القرن السادس^(٦)، وكتاب خاص بتاريخ قبيلة ضهاجة أسمه "النبد المحتاجة من تاريخ ضهاجة" لابن حماد المتوفى عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م^(٧). كما ضاعت بعض الكتب الجغرافية مثل كتاب جغرافية ابن فاطمة الذي عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي^(٨). وفقدت أيضا بعض كتب البرامج مثل برنامج ابن الملقوم المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، وبرنامج ابن القطان المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، وكتاب تراجم ابن فرتون المتوفى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م^(٩).

ومن هنا كان على الباحث أن يحاول جمع مادة بحثه من مختلف المصادر سواء كانت معاصرة أو متأخرة مخطوطة أم مطبوعة، لاسيما وأن كثيراً من مصادر القرن السادس أو ما كتب بعده وصلت إلينا غير كاملة. وصنفت المصادر في مجموعات حسب طبيعة كل مصدر، وبينت الطريقة التي استفدت بها من كل مجموعة.

أولاً: الرسائل الرسمية المرابطية والموحدية:

اعتنى الأستاذ ليفي بروفنسال والدكتور حسين مؤنس والدكتور محمود على مكي، بنشر الرسائل الرسمية المرابطية والموحدية، فنشر بروفنسال سبعة وثلاثين رسالة موحدية صادرة عن الخلفاء الموحدين^(١٠) وحقق الدكتور حسين مؤنس رسالتين موحدتين أخريين.^(١١) كما حقق اثنين وعشرين رسالة من الرسائل المرابطية^(١٢). كما قام الدكتور محمود على مكي بتحقيق مجموعة وثائق عن الفترة المرابطية فحقق إحدى وعشرين رسالة.^(١٣) ونشر الأستاذ عبد القادر زمامة نصوص رسمية جديدة تتعلق بتاريخ الموحدين.^(١٤)

وقد اختصت الرسائل المرابطية جميعها بالأندلس، وما وصلنا منها يعتبر ضئيلاً جداً بالمقارنة بما عرف عن المرابطين من الاهتمام بالرسائل الرسمية إذ كانوا يتخذونها وسيلة للدعاية السياسية وبيعون بها إلى الولايات في كل مناسبة، ولذا لم أستفد من الرسائل المرابطية المنشورة على طول البحث.

أما عن الرسائل الموحدية فقد شملت المغرب والاندلس، وتركزت الرسائل المغربية الموحدية على مخاطبة الطلبة والشيوخ والأعيان، وقد استفدت بصفة خاصة من الرسالة الحادية عشر. في فصل الحياة السياسية بمدينة فاس، حيث قدمت تلك الرسالة معلومات قيمة عن التمرد الذي قام به أخوه المهدي ابن تومرت ضد الخليفة عبد المؤمن بن علي، وكيفية إنهاء الخلافة الموحدية لهذا التمرد^(١٥)، كما استفدت من الرسائل الصادرة عن الخلافة الموحدية إلى طلبة فاس^(١٦).

ثانياً: كتب التاريخ:

من المؤلفات التاريخية التي استفاد منها الباحث، كتاب أخبار المهدي للبليدق، المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(١٧). وهو كتاب من الكتب القليلة التي ألفت في بداية العصر الموحدى، وهو كتاب قيم جداً من الناحية التاريخية، وترجع أهميته إلى كون مؤلفه شارك بنفسه في صنع الوقائع التي وصفها، لأنه أحد تلاميذ المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين، ورفيق

من رفاق خليفته عبد المؤمن بن علي، وترجع أهمية هذا الكتاب أيضاً أن مؤلفه كان شاهد عيان وأسهم في تفويض أركان الدولة المرابطية وتأسيس الدولة الموحدية، فهو شارك في تأييد حركة المهدي بقلمه، مثلما شارك في النضال عنها في ميادين الحروب بحد سيفه^(١٨).

واستفاد الباحث من كتاب أخبار المهدي في الفصل الخاص بالتاريخ السياسي لمدينة فاس، فهو علاوة على الأخبار التي أوردها عن كيفية إنهاء الدولة المرابطية، أفدت منه في روايته عن الطريقة التي تم للموحدين بها حصار مدينة فاس، ومراسلات الجياني عامل المدينة من قبل المرابطين، للموحدين ومساعدته لهم على تمكينهم من المدينة.

كتاب المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، المتوفى عام ٥٩٤هـ / ١١٩٨م^(١٩)
عاش ابن صاحب الصلاة في ظل دولة الموحدين، وصحب مواكب خلفائهم، ونظراً للقيمة التي ينعم بها كتاب المن بالإمامة فقد كان مرجعاً لكثير من المؤرخين، حيث استقى صاحب الكتاب معلوماته من الرواة الذين تحدثوا إليه، كما أن الكثير من معلومات الكتاب قد شاهدها ابن صاحب الصلاة بنفسه، ولذلك نجده بين الحين والآخر يقول: قال المؤلف، كما أن هناك بعضاً آخر من المعلومات التي نقلها عن بعض المؤلفين لمعروفين مثل ابن حيان. أو من بعض الوثائق الرسمية لدولة الموحدين مما استأثر به عن سائر المؤرخين.^(٢٠) وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل السياسي الذي خصصته لتاريخ فاس في العصرين المرابطي والموحدي كما أمدني ابن صاحب الصلاة بمعلومات ولو أنها قليلة عن بعض النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

* كتاب نظم الجمان لابن القطان، توفي في منتصف القرن السابع الهجري^(٢١)
غطي كتاب نظم الجمان الأخبار المغربية من عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م إلى سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م، وهي فترة الثورة الموحدية، وقد استفدت منه في معرفة الأحداث السياسية في تلك الفترة، وكما اهتم ابن القطان بالمظاهر الاقتصادية في المدن المغربية، ولذا كانت أفادتني منه في الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في العصر المرابطي.

* كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي المتوفى
عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(٢٣)

ويعد كتاب المعجب مصدرًا أساسيًا عن دولة الموحدين، ولا يمكن لباحث الاستغناء عنه، وأوجز المراكشي روايات كثيرة عن تاريخ المغرب قبل عصر الموحدين، وقد أفادني هذا الكتاب في كثير من مواضع الدراسة، حيث رسم لنا عبد الواحد المراكشي الطرق التجارية التي تربط فاس مع المشرق، كما استفدت منه في الفصل الخاص بالحياة العلمية والفكرية.

• كتاب البيان المغرب، لابن عذارى المراكشي المتوفى ٦٩٥هـ /
١٢٩٥م^(٢٣):

يعد كتاب البيان المغرب من الكتب الهامة عن تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ويهمننا من هذا الكتاب الجزء الرابع، الذي يعد مصدرًا من مصادر تاريخ المرابطين، وهو لا يشمل تاريخ المرابطين كله، فقد سقطت منه الفترة ما بين عام ٤٦٩هـ / حتى عام ٤٩٥هـ من ١٠٧٦ حتى ١١٠١م، وقد حاول إحسان عباس استكمال هذا النقص عن طريق الملاحق التي وضعها في نهاية الجزء، ولهذا الجزء أهمية خاصة لما حواه من معلومات قيمة تتعلق بأحوال المرابطين السياسية والحضارية منذ النشأة حتى بداية سقوط الدولة. كما جاءت استفادتي من الجزء الخامس الخاص بالموحدين استفادة عظيمة حيث اعتمد ابن عذارى على الروايات المعاصرة للأحداث، كما أكثر النقل من ابن صاحب الصلاة وابن عبد الملك الوراق وأورد عددًا من الرسائل الرسمية لاسيما الموحدية منها، فأستفدت منه في الفصل الخاص بالحياة السياسية حيث انفرد ابن عذارى من بين المؤرخين بتوضيح إعراج الخلفاء الموحدين على مدينة فاس والإقامة فيها في كثير من الأحيان، واستقبال سفرائهم بها، كما أمدني ابن عذارى بمعلومات عن الحياة العلمية والأدبية بمدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي.

كتاب جمع تواريخ فاس، لمؤلف مجهول^(٢٤)

جاءت معلومات هذا الكتاب مختصرة جدًا، ولكن بالرغم من هذا فقد استفدت منها في الفصل الأول الذي خصص لتأسيس فاس وتاريخها حتى عصر المرابطين، كما أمدني هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن تاريخ المدينة في الفترة التي سبقت الدولة المرابطية.

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس لعلي بن أبي زرع المتوفى عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م^(٢٥)

موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا، كما يدل عليه اسمه، بداية من الدولة الإدريسية إلى سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٥م وطريقة ابن أبي زرع في الكتابة ليست طريقة الحوليات التي جرى عليها أغلب المؤرخين في العصر الإسلامي، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها، ثم يذكر في نهاية الكلام عن كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية، ووفيات الأعيان منها، ورخاء الأسعار، وغلوها، وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار وظهور النجوم. ويعتبر كتاب الأنيس المطرب على ما فيه من أخطاء من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره.^(٢٦) فقد نقل منه الجزنائي في جنى زهرة الآس، وابن خلدون في تاريخه وغير هؤلاء، وكان الأنيس المطرب من أهم الكتب التي استفدت منها في هذا البحث، لاسيما في فترة تأسيس المدينة، فقد ذكر ابن أبي زرع مراحل تأسيس فاس وأبوابها وبناء جامعها، كما أمدني بمعلومات وفيرة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها فاس قبيل دخول المرابطين، أما عن العصر المرابطي فقد جاءت استفادتي منه جلية حيث ذكر سيطرة المرابطين على المدينة واهتمامهم بها وإصلاحاتهم فيها. أما عن العصر الموحدى فقد أفدت منه بمعلومات وفيرة عن حصار الموحدين لفاس ودخولهم إياها، أما من الناحية الاقتصادية في العصرين المرابطي والموحدى فقد أمدني ابن أبي زرع بمعلومات وفيرة، وانفرد من بين المؤرخين السابقين له بتعداد مرافق مدينة فاس في العصر الموحدى، كما جاءت استفادتي منه في الحياة الاجتماعية، حيث ذكر بين ثنايا حديثه بعضا من القبائل التي كانت تقطن مدينة فاس في هذين العصرين.

كتاب جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، لعلي الجزنائي من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي:^(٢٧)

قصر الجزنائي مؤلفه هذا على تاريخ بناء مدينة فاس وذكر أسوارها وقناطرها، ووصف جامعها دون استطراد إلى ذكر الدول والملوك وما واكب أيامهم وصاحب عهودهم من وقائع وأحداث، ولكن الذي يؤسف له أننا لا نعلم كثيرا ولا قليلا عن شخصية المؤلف، وإذا كان العلماء والمؤرخون الذين أشاروا إلى الكتاب أو

نقلوا عنه مجمعين على أنه من تأليف ابن الحسن على الجزنائي، فإن أى واحد منهم لم يكلف نفسه هناء التعريف بأبى الحسن هذا والإشارة إلى شأنه وسنتي ولادته ومماته، فهو فى تلباس الحظ وسوء الطالع يشابه معاصرة ابن أبى زرع الذى أرخ مثله للناس ولم يؤرخ له أحد من الناس، ولكن يلاحظ أن الجزنائي يرى ينتمى إلى قبيلة كزناته الزينية الشهيرة المستقرة شمال تازة، ولكن نسبته إلى هذه القبيلة لا تفيد أنه ولد بها قبل انتقاله إلى فاس، فقد تكون أسرته انتقلت إليها واستقرت بها قبل ولادته بأجيال محتفظة بنسبتها إلى قبيلتها الأصلية، والجزنائي من أهل القرن الثامن الهجرى، وهم عاصر الأحداث والقوضى التى عمت بالمغرب بعد نكبة السلطان أبى الحسن المريني بالقيروان ويقف الكتاب عند سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م. ولا شك فى أن المؤلف ألف جنى زهرة الآس حوالى هذا التاريخ.^(٢٨)

ويحتوى جنى زهرة الآس على مقدمة وقسمين، قسم خُصص لذكر المغرب والثناء عليه وبيان شرفه وفتح المغرب ومجئ إدريس الأول إليه وتأسيس إدريس الثالث لفاس، أما القسم الثانى فقد خُصص لذكر من أدار فاس بالأسوار وزاد فيها الزيادات وإحصاء ما بها من المساكن والمتاجر والمرافق العمومية، وذكر جامعها، والحق أن هذا القسم مفيد جداً، ولا يشوبه إلا الإيجاز فى وصف جامع الأندلس والمدينة على العموم بالنسبة للأطناب الذى وصف به جامع القرويين.

وبالرغم من هذا جاءت معلومات جنى زهرة الآس فى أغلبها تكراراً لما أورده ابن أبى زرع فى كتابه الأنيس، ولذا خيب هذا الكتاب ظن الباحث فيه، فقد أغفل الجزنائي العديد من المنشآت والمؤسسات المهمة من بروج وحصون وقلاع ومؤسسات ومنشآت مهمة كقصة الموحدين، فالجزنائي الذى برهن على مقدرة فائقة وهو يصف لنا جامع القرويين ومرافقه كان أحرى به أن يصف لنا مباني فاس ومنشآتها، ولكن فى الواقع أنه زاد عمن كتبوا عن فاس زيادات كثيرة، وخاصة فى العصر المريني.

الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجرى:^(٣٠)

صنف هذا الكتاب فى سنو ٧٨٣هـ / ١٣٨١م ويتناول صاحب الكتاب تاريخ المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين بالتفصيل إلى حد ما، رغم أن اسم الكتاب يوحي بأنه مختص بتاريخ مدينة مراكش فقط. وقد اعتمد صاحبه على مصادر معاصرة، ذكر أسماء صاحبها منهم الصيرفى المتوفى عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م،

وابن القطان صاحب نظم الجمان ومنهم الجغرافى عبد الله البكرى، كما اعتمد فى عصر الموحدين على أبى بكر الصنهاجى الملقب بالبيذق، وعلى ابن صاحب الصلاة، وكتاب الحلل الموشية من الكتب الهامة التى لا يمكن الاستغناء عنها فى تاريخ دولتى المرابطين والموحدين ويمتاز بدقة أخباره التاريخية وصحتها خاصة فيما يختص بقيام دولة المرابطين كما يمتاز بمعالجته للنظام الحربى وأساليب القتال^(٣١). وقد استفدت من هذا الكتاب فى الفصل الخاص بالحياة السياسية بمدينة فاس، فهو من أهم الكتب التى أعانتنى على إلقاء الضوء على حصار الموحدين لمدينة فاس ودخولهم إياها.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م^(٣٢)

وقد عالج ابن خلدون تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى معالجة تفصيلية لاسيما فى القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد كانت مقدمة ابن خلدون من أهم ما اعتمدت عليه من مصادر فى هذه الدراسة، لما ظهر فيها من إشارات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية فى مدينة فاس خلال عصرى المرابطين والموحدين. كما جاءت استفادتى من الجزء السادس باللغة الأهمية حيث أمدنى بالكثير من المعلومات عن الحياة السياسية فى عصرى المرابطين والموحدين، كما أن هذا الجزء ضم معلومات مهمة عن مواطن العرب والبربر فى مدينة فاس ومن ثم فقد أفادنى إيماءة فى فصل الحياة الاجتماعية بمدينة فاس.

كتب التراجم والفهارس والبرامج:

ويقصد بكتب البرامج، الكتب التى سجل فيها العالم ما قرأه من مؤلفات فى مختلف العلوم، من عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذى قرأ عليه، وكتب البرامج تعتبر وثيقة هامة تجلوا ثقافة العصر الذى ألقت فيه ومادتها، وتتضمن أساليب التعليم وطرائق الأخذ والرواية، وتبين جانبا خطيرا من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية فى تلك العصور.

ويلاحظ أن كتب الفهارس والتراجم والبرامج العامة لمعاصرة كانت تتبع منهجا واحدا فهى تذكر اسم المترجم له وكنيته ونسبه، وبلده الذى ولد فيه أو الذى كان منه أصله إذا ما هاجر من بلد مولده إلى آخر. وتبين شيوخه وعلومه ومن أخذ عنه، ثم تختتم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها ما كان ذلك ميسورا.^(٣٣) وهذه هى طريقة القاضى عياض المتوفى عام ٥٤٤هـ / ١١٤٩م فى كتابة الغنية (فهرس شيوخ

القاضي عياض^(٣٤) وابن بشكوال المتوفى عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م فى كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم^(٣٥). وأحمد بن عمير الضبى المتوفى ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م فى بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس^(٣٦). ولا تختلف كتب التراجم المشرقية عن نظيرتها المغربية ما كتبه السلفى المتوفى عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م فى معجمه^(٣٧)، وشمس الدين محمد بن الجزرى فى كتابه غاية النهاية فى طبقات القراء^(٣٨).

وقد رجعت إلى العديد من كتب التراجم والفهارس والبرامج، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص. فمن كتب التراجم العامة، التكملة لكتاب الصلة، والمعجم فى أصحاب القاضي ابن على الصدفى، لابن الآبار المتوفى ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م^(٣٩) والذيل والتكملة لكتايب الموصلة والصلة لابن عبد الملك المراكشى المتوفى ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م^(٤٠). وصلة الصلة البشكوالية فى تراجم علماء الأندلس لأبى جعفر أحمد بن الزبير المتوفى عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م.^(٤١) وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد الذهبى المتوفى ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م^(٤٢). وكتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القنسطينى المتوفى ٨١٠هـ / ١٤٠٧م^(٤٣).

أما النوع الثانى فهو ما اختص بتراجم قوم دون غيرهم مثل كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول صنفه فى سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م^(٤٤).

والنوع الثالث من هذه الكتب يختص بتاريخ وأخبار مدينة واحدة مثل عنوان الدراية للفبرينى ت ٧١٤هـ / ١٣١٤م^(٤٥)، والإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م^(٤٦)، وكتاب بيوتات فاس الكبرى لاسماعيل بن الأحمر ت ٨٠٧هـ.^(٤٧) وهو كتاب مفيد للباحثين فى تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ويتناول التعريف ببعض البيوتات الفاسية النبيلة وأنسابها والإشارات الخفيفة إلى مشاهير كل بيت منها. وكتاب جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لابن القاضي المكناسى ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ / ١٥٠٣ - ١٦١٦م^(٤٨). وقد خص ابن القاضي مدينة فاس بالاهتمام الكبير والعناية الفائقة حيث أطلعنا على الكثير من معالمها التاريخية وخططها ومساجدها وعمرانها بالإضافة إلى تراجم أعلامها الذين نشأوا فيها أو حكموها أو حلوا بها وبذلك كان ابن القاضي مؤرخ فاس منذ نشأتها إلى أوائل القرن الحادى عشر / السابع عشر الميلادى، وكتاب جذوة الاقتباس مرآة ينعكس على صفحاتها اهتمام ابن القاضي بمسقط رأسه، وما بذله من جهد لجمع هذه المعلومات التى ما تزال مرجعاً هاماً فى تاريخ المدينة^(٤٩).

وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم^(٥٠). والإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الإعلام، للعباس إبراهيم المراكشي^(٥١). وأتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكناس لعبد الرحمن بن زيدان^(٥٢). وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء بمدينة فاس لمحمد جعفر الكتاني^(٥٣). وتميزت هذه الكتب المتأخرة بما نقلته عن مصادر مفقودة، وأيضاً بتراجمها المستفيضة، لأن مصنفها غالباً ما كانوا يعتمدون على كتب التاريخ والوثائق أو "التقايد" ولهذا أفادتني في إمدادي بإشارات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية بمدينة فاس، كما وضحت لي دور مدينة فاس العلمي في المدن المغربية المجاورة.

أما النوع الرابع من كتب التراجم، فهو ما اختص بتراجم شخصيات علمية معينة مثل ما اختص بتراجم القضاة ككتاب تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن النباهي كان حيا ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م^(٥٤)، وبرنامج التجيبي لأبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م^(٥٥). وبرنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن علي الرعيني المتوفى ٦٦٠هـ / ١٢٦١م^(٥٦). وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين بن محمد الجزري^(٥٧). والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م^(٥٨). ومنها ما اختص بتراجم النحاه مثل بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه للسيوطي ٩١١هـ / ١٥٠٥م^(٥٩).

كما أن هناك نوعاً من هذه الكتب تناول تراجم المتصوفة، ومنها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م^(٦٠). وكان لهذا الكتاب فائدة عظيمة في هذه الدراسة، وذلك لأن ابن الزيات كثيراً ما كان يذكر مهن من يترجم لهم وثوراتهم كما أنه أشار إلى بعض أسعار السلع في العصرين المرابطي والموحدي، هذا إلى جانب أنه المصدر الوحيد الذي تناول المتصوفة في القرن السادس الهجري. والروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس لأبي محمد بن عيشون الشراط المتوفى ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م^(٦١). الذي أمدنا بمعلومات وفيرة عن المتصوفة في مدينة فاس، وطعامهم وملبسهم. وكذلك مخطوط المعزى في مناقب سيدى أبو يعزى لأحمد بن أبي القاسم بن محمد الهروى التادلي، المتوفى ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م^(٦٢) وأفدت من هذا المخطوط في الدور الذي قام به المتصوفة في الحياة السياسية بمدينة فاس في هذين العصرين.

كتب الأدب:

قدمت المصادر الأدبية معلومات جلية تميظ اللثام عن الحياة العلمية، لاسيما فيما يخص الأدب بمدينة فاس. وكان من أهم هذه الكتب المطرب من أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب عمر بن حسين بن دحية ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م^(١٣). وقيمة هذا الكتاب ترجع إلى أنه وثيقة أدبية لدارسى الأدب فى تلك الفترة كما أنه يعرج فى حديثه فى بعض الأحيان على بعض الأخبار التى تتعلق بالمغرب. وكتاب الغصون الياينة فى شعراء المائة السابعة لابن سعيد المغربي المتوفى ٦٨٥هـ / ١٢٥٩م^(١٤). الذى أمدنى بمعلومات وفيرة عن بعض شعراء فاس فى العصر الموحدى. وكذلك كتاب زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لابن بحر بن صفوان بن إدريس التجيبى المتوفى عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م^(١٥). وترجمت هذه الكتب لبعض شعراء مدينة فاس كما ترجمت لآخرين جعلوا من فاس وطنا لهم ودار مقام، وقدمت بعضا من فنون شعرهم.

كتب الجغرافية والرحلات:

تكشف الكتب الجغرافية المعاصرة لفترة الدراسة موضوع البحث عن أوجه النشاط الاجتماعى والاقتصادى بمدينة فاس، نظرا لما تتضمنه من معلومات عن الصناعات الزراعية والطرق التجارية وعناصر السكان وأعمالهم وحياتهم. وكان من أهم الكتب الجغرافية التى رجعت إليها، كتاب المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب لأبى عبد الله البكرى المتوفى عام ٤٨٢هـ / ١٠٩٤م^(١٦) فقد ذكر البكرى وصفا لمدينة فاس فى بداية العصر المرابطى، وبعض الطرق التى تربط تلك المدينة بالمدن المغربية الأخرى، كما أمدنى بمعلومات عن المكاييل والموازين التى كان يستخدمها أهالى فاس فى بيعهم وشرائهم، هذا إلى جانب أنه ذكر تاريخ المدينة منذ تأسيسها وأبوابها وبعض ملامحها الرئيسية وكان البكرى أول من انفرد بتعداد حمامات فاس فى العصر المرابطى، ومن ثم كانت إفادتى من هذا كبيرة. كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجرى^(١٧):

وفهم مما جاء فى هذا الكتاب أن مؤلفه قد عاش فى عصر يعقوب المنصور، وتدل التفصيلات التى يمدنا بها عن فاس ومراكش ومكناسة عن معلوماته الغزيرة عن هذه المدن، فلا شك أنه عاش فيها، إن لم يكن أصله منها، فهو لا يكتفى بالوصف الدقيق للعواصم المغربية فى دولة الموحدين على عهده ولا بالأعمال الإنشائية التى

تمت على عهد يعقوب المنصور وسلفه، بل يقترح خططا عمرانية أخرى تهدف إلى نشر الرخاء في هذه المناطق، ويحتوى على معلوماته دقيقة وأخبار عامة، فهو مصدر لمعلومات متنوعة خاصة ما يخص منها مدينة فاس^(٢٨).

وفي الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية بمدينة فاس أفدت كثيرا من كتاب الجغرافية المنسوب لأبى عبد الله محمد الزهرى المتوفى حدود عام ٥٥٦هـ / ١١٦٠م^(٢٩). كما أمدنى كتاب الجغرافية لابن سعيد المغربي^(٣٠) بمعلومات عن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس فى العصر الموحدى.

وجاءت الفائدة جلية من كتابات ابن فضل الله العمرى فى وصفه للمغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى وهو مقتبس من كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار^(٣١). فمن بين المواضع التى تناولها هذا الوصف مدينة فاس العتيقة (موضوع الدراسة) الذى أمدنى بمعلومات ندر أن نعثر على كثير منها لو لم يدونها ابن فضل الله العمرى فى مسالكه^(٣٢). ويزيد من أهمية هذه المعلومات أن ابن فضل الله العمرى استقى كثيرا منها من مصدرين مهمين علاوة على مشاهدته الشخصية. المصدر الأول مشافهة السلاجى أحد سكان فاس الذى كان معاصرا لما دونه ابن فضل الله العمرى، وبالرغم من ذلك لم يتساهل ابن فضل الله العمرى فى النقل عن المحدث بل نراه يقول: "اعتمدت فى ذلك على تحقيق معرفتى له فيما رأيته بالمشاهدة وفيما لم أراه بالنقل ممن يعرف أحوال المملكة المنقول عن أخبارها، ومما أراه بعينى أو أسمع به أذنى". والمصدر الثانى لابن فضل الله العمرى "كتاب المغرب فى حلى المغرب" لابن سعيد المغربى المتوفى ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م فإن كثيرا مما ذكره فى وصف فاس العتيقة منقول من الجزء الخاص بالمغرب وهو أحد أجزاء كتاب المغرب فى حلى المغرب، وتظهر أهمية هذه المقتطفات عظيمة جدا إذا علمنا أن الجزء الخاص بالمغرب مفقود إلى الآن^(٣٣). لذا جاءت الفائدة عظيمة فى وصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس.

كما استفدت أيضا من مصدرين مهمين عن وصف المدن وتاريخها، أحدهما مشرقى المؤلف، ألف فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، ونعنى به كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموى^(٣٤). والآخر أندلسى ونعنى به كتاب "الروض المعطار فى خبر الأقطار" لابن عبد المنعم الحميرى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى^(٣٥). وفى التعريف بالمواقع التى وردت فى متن الرسالة.

ولكى أتمكن من رسم صورة واضحة لحضارة فاس فى هذين العصرين اضطررت للرجوع إلى كتب الرحلات المتأخرة عن فترة الدراسة مثل كتاب "وصف أفريقيا" لجان ليون الأفريقى المنوفى ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م^(٧٦) ولد ليون فى غرناطة عام ٨٩٥هـ / ١٤٧٩م، وقيل غير ذلك، وقام برحلات طويلة فى أقطار الإسلام وغرب أفريقيا، وسجل مشاهداته فى هذا الكتاب النفيس، وقد غادرت أسرة ليون غرناطة إلى فاس حيث اتصلت بحكامها، وهناك أتم الحسن الوزان "ليون" دراسته فى مدارسها، وفى جامع القرويين بالذات إلى جانب توليه بعض الأعمال الحكومية بها، وقد أفاض ليون فى وصف فاس التى سماها المدينة الكبرى، وجاء وصفه لها دقيقا للغاية ولعل السبب فى هذه الإفاضة أن المؤلف عرف فاس أكثر من غيرها.^(٧٧)

والواقع أن ليون الأفريقى بالإضافة إلى مشاهداته فى فاس نراه يستقى بعضا من معلوماته ممن كتبوا قبله أمثال ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار، كما أنه بحكم توليه بعض الأعمال الإدارية فى فاس تمكن من الإطلاع على بعض الكتب والتقاليد المهمة الخاصة بتاريخ فاس، لذا أمدنا ليون الأفريقى بمعلومات انفرد بها عن باقى المصادر الأخرى التى أطلعت عليها، حيث ذكر قيسارية وأسواق فاس فى شئ من التفصيل، كذلك أنواع المتاجر والسلع فى كل سوق، لذا جاءت الفائدة منه كبيرة فى الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية.

ولا يقل كتاب "أفريقيا" لمارمول كرفخال^(٧٨). أهمية وفائدة عن كتاب وصف أفريقيا. فهذا الكتاب يعد من المؤلفات المهمة التى كتبت فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى عن أفريقيا عامة، والمغرب الأقصى بصفة أخص، ويحتل هذا الكتاب الدرجة الثانية بعد وصف أفريقيا، حيث تعاصر هذان المؤلفان ولم يفصل بين كتابيهما سوى أربعين عاما^(٧٩). فكتاب أفريقيا يفيد الباحثين فى جغرافية أفريقية وتاريخها، وينفرد مارمول بما سجله من مشاهدات وصف بها بعض المواقع التى لم يصفها غيره.

كتب الفقه:

كانت لكتب الفقه فائدة كبرى بالنسبة لهذا البحث فإنه لا يمكن أن نفسر أى ظاهرة من تاريخ المغرب الإسلامى بغير أن نضع نصب أعيننا الأوضاع الفقهية فيها. والحقيقة أن هناك طائفة من كتب الفقه المالكى المغربى تستحق عناية خاصة، تلك هى كتب الفتاوى التى جمع مؤلفوها ما أجاب به كبار الفقهاء على أسئلة وجهت إليهم فى مشاكل معينة ولهذه الفتاوى قيمة عظيمة بغير شك لا من الناحية

الدينية فحسب، بل إنها تلقى ضوءاً باهراً على كثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهناك نوعان من كتب الفقه كانا ذا فائدة كبيرة في توضيح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس في هذين العصرين، وهما مصنفات النوازل وكتب الحسبة.

أما النوازل فهي عبارة عن القضايا التي رفعت إلى رجال القضاء والفتوى للنظر فيها، وعادة ما تذكر القضية كما حدثت بأشخاصها، ووقائعها مع ذكر من رفعت إليه، وكثير من هذه النوازل كانت تتعلق بالقضايا الدينية والاقتصادية والاجتماعية، فافدت منها في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية كما أفدت منها فائدة جلية في فصل الحياة الاجتماعية.

ولعلنا لا نسرف إذا قلنا أن أضخم مجموعة حفظت لنا كثيراً من هذا التراث التشريعي العظيم هي التي صنفها أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني الونشريسي ٨٣٤ - ٩١٤هـ / ١٤٣٠ - ١٥٠٨ م بعنوان "المعيار المنرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب" ^(٨٠) ولد الونشريسي ببجال ونشريس، ثم خرج إلى فاس، ولقى بها من حفاوة فقائها وإقبال طلبتها عليه الشئ الكثير، فشارك في كثير من فنون العلم. وبالرغم من أن هذا الكتاب يعد متأخراً عن فترة الدراسة، إلا أنه له أهمية خاصة لأن المفتون في المعيار كما قال المؤلف في المقدمة - هم من متقدمي الفقهاء ومتأخريهم - يعنى فقهاء المالكية في المغرب الإسلامى من تلاميذ الإمام مالك إلى شيوخ الونشريسي، وهناك أهمية ثانية نعول عليها في الاعتماد على هذا المصدر، وهي أن الونشريسي في جملة من أخذ عنه بمدينة فاس محمد بن محمد الغرديسي التغلبي، صاحب المكتبة العظيمة التي حوت من نفائس كتب المغرب والأندلس الشئ الكثير، لاسيما كتب الفقه المالكي من أصول وفروع، وشروح وحواشي وتعليق ونوازل وقواعد ووثائق، وقد شغل آل الغرديس بفاس أكثر من سبعة قرون إذ عمل علماؤهم مع أمراء مغراوة، كما عرف منهم آخرون مع المرابطين والموحدين والمرينيين، ففتح محمد الغرديس أبواب مكتبته في وجه شيخه الونشريسي ليختار منها ما يشاء فكانت مؤلفات هذه المكتبة المصدر الأساسى للمعيار فيما يتعلق بنوازل المغرب الأقصى والأندلس، خاصة مدينة فاس. ^(٨١)

وللمعيار جانب آخر قلما يلتفت إليه وهو الجانب الاجتماعى والتاريخى فقد حوى كثير من إشارات عن أحوال المجتمع الإسلامى في هذه المنطقة، من عادات

في الأفراح وأنواع الملبوسات والأطعمة، وحالات معينة في الحرب والسلام وال عمران، الأمر الذي يجعل منه مصدرا للمؤرخ مثلما هو مصدر للفقه.

وذكر النونشريسي في معياره نوازل كل مدينة من مدن المغرب والأندلس فكان من الميسور الرجوع إلى ذلك، ولكن تكمن الصعوبة في المعيار في عدم ذكر تاريخ وقوع هذه النوازل، لذا كانت طريقتي في الاستفادة من هذا المصدر فيما يخص نوازل فاس في العصرين المرابطي والموحدي، أن أرجح إلى ترجمة الفقيه الذي رفعت إليه القضية، فإن كان ممن عاش في هذين العصرين قيدها، وإن كان متقدما أو متأخرا تركتها، وذلك للوصول بقدر المستطاع إلى نقل الصورة الحقيقية التي كانت في هذين العصرين.

أما ثاني الكتب الفقهية أهمية فكان كتاب "المدخل" لابن الحاج المتوفى ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م^(٨٧)، الذي يمكن أن نعهده ضمن كتب الفقه التي اختصت بمعالجة الحياة الاجتماعية وجزء كبير من هذا الكتاب يمكن إدراجه ضمن كتب الحسبة. وتتجلى أهميته في مقارنة ابن الحاج بين ما كانت عليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي ومصر آنذاك، ناقلا في بعض سطور كتابه فتاوى بعض فقهاء فاس حول بعض المظاهر الاجتماعية التي بدأت تظهر في الشارع الفاسي في ذلك الوقت، ومن هنا كانت الفائدة من هذا الكتاب لتوضيحه بعض المظاهر الاجتماعية بفاس.

أما كتب الحسبة فأهم ما وصل إلينا منها ثلاث رسائل ترجع إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري، وهي رسالة ابن عبدون، وابن عبد الرؤوف، وابن عثمان الجرسيفي^(٨٨). ولكن كتب الحسبة هذه تختص بالأندلس دون المغرب، ويغلب عليها الجانب النظري فيما يجب أن تكون عليه الحياتين الاقتصادية والاجتماعية، وينقصها بذلك الجانب التطبيقي.

الدراسات الحديثة:

لا يمكن أن نغفل أهمية الدراسات الحديثة التي أمدتني بالكثير من المعلومات عن مدينة فاس في هذين العصرين، ومن هذه الكتب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى للناصرى السلاوي^(٨٩). وهو كتاب عام في تاريخ المغرب، ومن هذه الكتب ما اقتصر على تاريخ مدينة فاس مثل كتاب الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر خطب المغرب وتاريخ مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني^(٩٠) وكتاب بيوتات فاس في القديم والحديث لعبد السلام بن سوذه^(٩١). حيث اعتمد ابن سوذه على

مجموعة من التقاليد الخاصة بأسر من يترجم لهم، ويحتفظ هذا الكتاب بفائدة لصعوبة الرجوع إلى بعض مصادره.

كما أفدت من الدراسات التي تناولت تاريخ مدينة فاس في مرحلة التأسيس مثل الدراسة التي قام بها الأستاذ ليفي بروفنسال عن تأسيس مدينة فاس.^(٨٧) وما كتبه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد عن مدينة فاس في عصر الإدارة في كتابه تاريخ المغرب العربي^(٨٨). وأيضاً ما كتبه الدكتور السيد عبد العزيز سالم عن مدينة فاس في كتابه تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي^(٨٩) وأيضاً الدراسة التي قام بها إسماعيل العربي عن دولة الإدارة^(٩٠).

وأفدت أيضاً من الدراسات التي اهتمت بالتاريخ السياسي في العصرين المرابطي والموحدي، ومن هذه الدراسات ما كتبه الدكتور عبد الهادي شعيره عن "المرابطين وتاريخهم السياسي"^(٩١).

ومن هذه الدراسات ما أشار إلى جانب التاريخ السياسي وإلى بعض مظاهر الحضارة مثل ما كتبه الدكتور حسن أحمد محمود عن قيام دولة المرابطين^(٩٢).

ومن الدراسات ما اختص بدراسة نوع معين من النشاط، مثل ما كتبه عز الدين موسى، عن النشاط الاقتصادي بالمغرب الإسلامي في القرن السادس.^(٩٣) وما كتبه عبد العزيز العلوي عن صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط.^(٩٤) وما كتبه أيضاً عبد القادر زمامة عن صناعة فاس التقليدية.^(٩٥)

وأيضاً من الدراسات الحديثة، ما اختص بدراسة الحضارة بالمغرب الإسلامي والأندلس بصفة عامة في عصرى المرابطين والموحدين، مثل ما كتبه الدكتور حسن علي حسن^(٩٦). ومحمد المنوني عن العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين.^(٩٧) وهما في الحقيقة من أكثر الكتب التي استفدت منها وإن كانت المعلومات التي أوردها محمد المنوني تفتقر إلى التحليل والدراسة.

ومن هذه الدراسات أيضاً ما اختص بفئة معينة مثل كتاب الطب والأطباء بالمغرب لعبد العزيز بن عبد الله^(٩٨). وكتاب الأدب المغربي لمحمد بن تاووت ومحمد الصادق^(٩٩).

إن هذه المصادر والدراسات الحديثة وغيرها مما سوف نورد في نهاية البحث قد يسرت إبراز هذه الصورة السياسية والحضارية لمدينة فاس في عصرى المرابطين والموحدين، وإن تحكمت المادة المتيسرة في عدم وضوح الصورة حيناً أو غياب بعض الجزئيات أحياناً أخرى.

الهوامش

- ١- عبد السلام بن سوده: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٥، ج٢ ص ٢٧٢، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣ ص ١٣.
 - ٢- ابن الآبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق كوديرا، مدريد، ١٨٨٨، ١٨٨٩، ج٢ ص ٧٢٣، ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧، ص ١٨٢، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٣.
 - ٣- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، ج١ ص ١٣٥ - ١٣٦، عز الدين موسى، نفس المرجع والصفحة.
 - ٤- ابن أبي زرع: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص ٢٠٨.
 - ٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٧٠، على الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بين بن منصور، الرباط ١٩٦٧، ص ٧ - ٨.
 - ٦- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق دكتور شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ج٢ ص ٣٥ وانظر عنه كذلك الحاشية بنفس الصفحة، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٣.
 - ٧- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، ج١ ص ١٦٧، عز الدين موسى نفس المرجع والصفحة.
 - ٨- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، تطوان، المطبعة المهدية، ١٩٥٠، ص ٨٩.
 - ٩- ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣م، ج١ ص ١١٨، ٢٦٣، ج٢ ص ٤٧١.
 - ١٠- ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة الموحدية، الرباط، معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٤١،
- Levi Provencal: Unrecuell De Lettres Officielles Almohdes
etude Eiplomatique et Historique, Hesperis, Anne 1931 p. 1 -
70.

- ١١- حسين مؤنس: عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله الخليفة الناصر الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٠، المجلد الأول، العدد الثانى ١٤٧ - ١٧٣.
- ١٢- حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلس فى عهد المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، العدد الحادى عشر، العدد الثانى، ص ٩١ - ١٤٤، وسبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٤، المجلد الثانى العدد ١ - ٢، ص ٥٥ - ٨٤، ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصرى، مدريد، ١٩٥٥، المجلد الأول، العدد الأول ص ١٧.
- ١٣- محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين، صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٩ - ١٩٦٠، المجلد السابع والثامن، ص ١٠٩ - ١٩٨.
- ١٤- عبد القادر زمامة: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.
- ١٥- ليفى بروفنسال: مجموع رسائل موحدية، ص ٣٨ - ٤٧.
- ١٦- انظر ليفى بروفنسال: مجموعة رسائل موحدية، الرسالة الحادية والعشرون ص ١١٣ - ١٢١، الرسالة الخامسة والثلاثون ص ٢٢٨ - ٢٤١.
- ١٧- البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.
- ١٨- البيدق: المصدر السابق، مقدمة المحقق.
- ١٩- ابن صاحب الصلاة: (محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجى) تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، السفر الثانى، تحقيق عبد الهادى التازى، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٤.
- ٢٠- انظر مقدمة كتاب المن، ص ٤٣، ٤٦.
- ٢١- ابن القطان: نظم الجمان فى ترتيب ما سلف من أخبار الزمان تحقيق محمود على مكى، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ.
- ٢٢- تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٢٣- يقع هذا الكتاب فى خمسة أجزاء اعتمدنا فيها على الأربعة الأجزاء الأولى التى حققها الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية ١٩٨٠،

- والتي تخص تاريخ المغرب حتى العصر المرابطي، أما الجزء الخامس فهو خاص بتاريخ الموحدين حققه محمد بن تاويت، ومحمد إبراهيم الكتاني، ومحمد زنيير وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٥، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥ م.
- ٢٤- طبع هذا الكتاب بمدينة بالرم، مطاع برنارد وبرزي، بدون تاريخ.
- ٢٥- الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.
- ٢٦- الأنيس المطرب، ص ٨.
- ٢٧- تحقيق عبد الوهاب بن منصور، فاس، ١٩٦٧.
- ٢٨- انظر عبد الوهاب بن منصور في تقديمه لجنى زهرة الآس ص: ب، ج.
- ٢٩- نفسه، ص: و، ز.
- ٣٠- ينسب هذا الكتاب إلى عدد من رجال القرن الثامن الهجري، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج ١ ص ٥٥. وقام بتحقيق هذا الكتاب د/ سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩.
- ٣١- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص ٢٤.
- ٣٢- طبعة بولاق، ١٨٨٢ م.
- ٣٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٢٠ - ٢١.
- ٣٤- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨.
- ٣٥- جزآن اعتنى بنشرهما عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.
- ٣٦- مجريط، مطبعة روخس، ١٩٨٤.
- ٣٧- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السلفي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣.
- ٣٨- نشره برحشترير، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣.
- ٣٩- ابن الآبار القضاة: التكملة لكتاب الصلة، ثلاثة أجزاء نشرها عزت العطار، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٥٦، والمعجم في أصحاب القضاة ابن علي الصدفى، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥.
- ٤٠- بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفه، السفر الرابع والخامس، تحقيق إحسان عباس.

- ٤١- الجزء السابع، صححه ليفى بروفنسال، الرباط، مطبوعات معهد العلوم المغربية، المطبعة الجديدة، ١٩٣٧.
- ٤٢- ٢٣ جزءاً تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.
- ٤٣- حققه ليفى بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.
- ٤٤- مجهول: نبد تاريخه فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، منتخبة من كتاب مفاخر البربر، حققه ليفى بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.
- ٤٥- أبو العباس أحمد الفيرينى: عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة، بيجاية، بيروت، منشورات لجنة التأليف، ١٩٦٩.
- ٤٦- تحقيق عبد الله عنان، ٤ أجزاء، القاهرة، مطبعة الخانجى، الجزء الأول، ١٩٧٣، الجزء الثانى ١٩٧٤، الجزء الثالث، ١٩٧٥، الجزء الرابع ١٩٧٧.
- ٤٧- الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢.
- ٤٨- جزءان، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣.
- ٤٩- عبد القادر زمامة: أبو العباس ابن القاضى مؤرخ فاس، مجلة البحث العلمى السنة السادسة، العدد ١٤ - ١٥، عام ١٩٦٩.
- ٥٠- الجزائر، مطبعة الثعالبية، ١٩٠٨.
- ٥١- فاس، المطبعة الجديدة، ١٩٣٦.
- ٥٢- الرباط، المطبعة الوطنية، ١٩٢٩.
- ٥٣- طبعة حجرية، فاس، ١٣١٠هـ.
- ٥٤- حققه ليفى بروفنسال، القاهرة، دار الكتاب المصرى، ١٩٤٨م.
- ٥٥- حققه عبد الحفيظ منصور، تونس الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
- ٥٦- حققه إبراهيم شيوخ، دمشق، مطبوعات مديرية إحياء التراث، ١٩٦٢.
- ٥٧- نشره برجشترير، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣م.
- ٥٨- حقق الأجزاء الثلاثة الأولى منه مصطفى السقا وإبراهيم الإيبارى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٣٩م.
- ٥٩- حققه محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢.
- ٦٠- حققه أودلف فور، الرباط، ١٩٥٨م.
- ٦١- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢، تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ١٣٣٦٦.
- ٦٢- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٢٤٩، تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ٢٧٧٠٣.

- ٦٣- تحقيق إبراهيم الايبارى وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤.
- ٦٤- تحقيق إبراهيم الايبارى، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.
- ٦٥- تعليق عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربى، ١٩٧٠.
- ٦٦- تشرع دى سلان، الجزائر، ١٩١١، وذكر عز الدين موسى أن القسم الأندلسى من هذا الكتاب مفقود، انظر النشاط الاقتصادى، ص ٢٥، ولكن هذا القسم ليس مفقود كما ادعى عز الدين موسى، فقد حققه د. عبد الرحمن على الحجى تحت عنوان: جغرافية الأندلس وأوروبا، بيروت دار الرشاد للطباعة، ١٩٦٨.
- ٦٧- نشره دكتور سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨.
- ٦٨- انظر مقدمة الكتاب.
- ٦٩- حققه محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.
- ٧٠- حققه اسماعيل العربى، بيروت، منشورات المكتب التجارى، ١٩٧٠.
- ٧١- مقتبس من الباب العاشر من كتاب مسالك الأبصار، نشرها محمد المنونى لأول مرة فى مجلة البحث العلمى، الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤.
- ٧٢- نقل القلقشندى من هذه المعلومات فى الجزء الخامس عن كتابه، صبح الأعشى فى صناعة الانشا.
- ٧٣- محمد المنونى، وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرىنى ص ١٣١، ١٣٢.
- ٧٤- بيروت، دار صادر.
- ٧٥- تحقيق د. إحسان عباس، بيروت مطابع هيدليرخ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- ٧٦- الحسن الوزان "ليون الأفريقى" وصف أفريقيا، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة، الرياض، ١٩٧٨، ١٩٧٩.
- ٧٧- سامى الصقار: كتاب وصف أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض المجلد الثامن، ١٩٨١، ص ٤٤١-٤٤٢.
- ٧٨- ترجمة عن الفرنسية، محمد حجى، ومحمد زنيبر وآخرون، الرباط، اللجنة الحديثة للتأليف والنشر، مكتبة المعارف، ١٩٨٤ م.
- ٧٩- انظر مقدمة الكتاب، ص ٣.

- ٨٠- أخرجه جماعة من العلماء بأشراف الدكتور/ محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١.
- ٨١- الونشريس: المعيار، انظر مقدمة الناشر.
- ٨٢- محمد بن محمد العبدري الفاسي: المدخل: القاهرة، دار الحديث ١٩٨١.
- ٨٣- نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال بعنوان ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، إقاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥.
- ٨٤- طبعة القاهرة، ١٩٥٠.
- ٨٥- فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ.
- ٨٦- مجلة البحث العلمي، السنة السادسة، عدد ١٤ - ١٥، عام ١٩٦٩، وعدد ٢٢ - ٢٣، السنة الحادية عشر، عام ١٩٧٤.
- ٨٧- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور الأستاذ عبد العزيز سالم، والأستاذ محمد صلاح الدين القاهرة، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.
- ٨٨- الجزء الثاني، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
- ٨٩- الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ.
- ٩٠- بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.
- ٩١- القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة.
- ٩٢- القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- ٩٣- القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣.
- ٩٤- مقال بمجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد ٢ سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦.
- ٩٥- مقال بمجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.
- ٩٦- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية بالمغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٠.
- ٩٧- بدون تاريخ ومكان.
- ٩٨- الرباط، ١٩٦٠.
- ٩٩- بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠.

الفصل الأول

مدينة فاس منذ التأسيس حتى دخولها
في طاعة المرابطين

(١٩٢ هـ / ٤٥٥ م / ٨٠٨ هـ / ١٠٦٣ م)

بعد الهزيمة التي منى بها العلويون في موقعة فخ^(١)، تمكن الإمام إدريس ابن عبد الله من الفرار إلى بلاد المغرب التي وصلها في شهر ربيع الأول سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م، حيث نزل مدينة أوليلي^(٢). فاجتمعت إليه قبائل البربر وبايعوه على القيام بأمرهم^(٣). واستطاع الإمام إدريس بن عبد الله أن يقيم إمارة بالمغرب الأقصى^(٤). ولكنه سرعان ما توفي بمدينة أوليلي عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م. تاركاً زوجته البربرية حاملاً، فوضعت له بعد شهرين من وفاته طفلاً سمي بإدريس على اسم أبيه^(٥) "فكفله المولى راشد وبذل له الجهد في تأديبه وتدريبه وتعليمه، إلى أن بلغ إحدى عشر سنة، فأخذ له البيعة من قبائل البربر، حيث بويح له بجامع مدينة أوليلي في يوم الجمعة غرة شهر ربيع الأول عام ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م"^(٦). وأسرع الناس نحو الإمام إدريس بن إدريس من كل مكان، ووفدوا عليه من سائر البلدان، وكان ممن وفد عليه نحو الخمسمائة من أفريقية والأندلس من القيسية والأزد، وبنى يحصب وغيرهم، فسر الإمام إدريس بن إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم وقربهم، وجعلهم بطانته دون البربر، واستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي الملقب بالملجوم^(٧). "ولما رأى الإمام إدريس بن إدريس أن الأمر قد استقر له، وعظم ملكه وكثرت حاشيته، وضائق بهم مدينة أوليلي، عزم على الانتقال منها، وأراد أن يبنى مدينة لنفسه يسكنها. هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته"^(٨).

وهذا يوضح لنا أن الإمام إدريس بن إدريس وضع الاعتبار السياسي الذي يفرض عليه الخروج من محيط مدينة أوليلي الضيق، التي لم تتسع لهؤلاء العرب وغيرهم ممن يقصدون العاصمة .. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن تشيد العواصم وتعميرها .. كان دائماً من تقاليد الأسر الحاكمة في الإسلام^(٩).

أولاً: تأسيس فاس^(١٠) على يد الإمام إدريس بن إدريس:

في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ - ٨٠٦ م "ركب الإمام إدريس بن إدريس مع خاصة من قومه إلى أن بلغ جبل زانغ^(١١)، فعزم على أن يبنى به مدينة، فظهر له أن الهوام تسكن به زمن الفيض، فانتقل لوادي سبو^(١٢)، وعزم أيضاً أن يبنى به مدينة فظهر له أن المدود تصل إليها زمن المطر"^(١٣). وبذلك ظل تحديد موقع تلك المدينة مثار جدل وصعوبة^(١٤).

وفي شهر المحرم من عام ١٩١ هـ / نوفمبر ٨٠٦ م "خرج الإمام إدريس يختار لنفسه موضعاً يبنى فيه ما قدم عزم عليه، فوصل إلى وادي سبو حيث حمة خولان^(١٥). فأعجبه الموضع لقربه من الماء، فعزم على أن يبنى به المدينة، وشرع في حفر الأساس، وعمل الجير وقطع الخشب، وابتدأ البناء، ثم نظر لوادي سبو، وكثرة ما يأتي به من المدود العظيمة زمن الشتاء، فخاف على الناس الهلكة، فرفع يده عنها، ورجع إلى مدينة أوليلي"^(١٦).

وكانت المحاولة الثالثة عندما طلب الإمام إدريس الثانى من وزيره عمير بن مصعب الأزدي أن يتخير موضعاً لمدينته الجديدة، فسار عمير فى جماعة من قومه لينظر ما طلب، فأخترق النواحي، حتى وصل إلى العيون التى يخرج منها نهر فاس، فرأى عيوناً كثيرة .. فأستطاب الماء، ثم سار مع مسيل الوادى، حتى وصل إلى موضع مدينة فاس، فنظر إلى ما بين العدوتين، فرأى غضة ملتفه بالأشجار مطردة العيون والأنهار فى موضع خيام يسكنها قوم من زناتة، فرجع عمير إلى الإمام إدريس، وأعلمه بما رآه من الأرض، وما استحسنه من كثرة الماء وطيب التربة، ورطوبة واعتدال الهواء فعجب الإمام إدريس ما رأى من ذلك.. فسأل عن أصحاب الأرض، فقبل له قوم من زواغة يعرفون بنى برغش وبنى الخير، فبعث إليهم، واشترى منهم موضع المدينة .. وذلك فى سنة ١٩١هـ / ٨٠٦ - ٨٠٧م، وشرع الإمام فى البناء^(١٧). وهكذا تم الاتفاق بين الإمام إدريس الثانى ووزيره على اختيار الموضع المناسب لإقامة المدينة بصفة نهائية^(١٨).

ثانياً: تخطيط المدينة:

لم يكن العرب يقيمون المدن اعتباطاً، إنما يمارسون ذلك بعد أن يرسموا خططها التى على أساسها تنشأ، ويمكن أن نعد مدينة فاس نموذجاً جيداً لتخطيط المدن الإسلامية التى أنشأها العرب فى الأقطار المختلفة، فهى تجمع بين الأغراض المدنية، حيث الوحدات العمرانية المختلفة التى تؤدى الوظائف العديدة للسكان إلى جانب التحصينات العسكرية، وتمدنا المصادر المهمة بتاريخ فاس بتفصيلات مطولة عن تلك التحصينات، وعن الأعمال المدنية التى شيدت بها تأسيسها.

كان المسجد أول ما يختط من تكوينات معمارية، وهو من وجهة نظر فقهية من المميزات الحضرية للمدينة الإسلامية^(١٩). حيث يقام فى أكثر أجزاء المدينة سهولة فى الوصول، مما يشكل وظيفياً وعمرانياً نواة المدينة. "فما أن أسس الإمام إدريس الثانى عدوة الأندلس حتى بنى بها جامعاً برحبة البر وهو المعروف بجامع الأشياخ، وأقام فيه الخطبة، وبعد أن أسس عدوى القرويين، أخذ فى بناء جامعها، وهو المسجد المعروف بجامع الشرفاء، وأقام فيه الخطبة أيضاً"^(٢٠)، ثم ضرب الإمام أخبته وقيابه^(٢١) بالموضع المعروف بجرواوة^(٢٢). من عدوة الأندلس وأدار عليه حائطاً من الخشب، وعندما انتقل من عدوة الأندلس إلى عدوة القرويين، اختط داره بالموضع المعروف بالمقرمده، وأخذ فى بناء داره المعروفة بدار القيظون^(٢٣).

ومن أجل الإسراع بإنجاز مهمة بناء المدينة فقد أشرك الإمام إدريس المواطنين فى مهمة البناء، وحثهم على ذلك قائلاً: "من ابتنى موضعاً وغرسه فهو له هبة، فأبتنى الناس الديار، وأغترسوا الثمار فكثرت العمارة"^(٢٤).

ولا يمكن أن تقام تلك الوحدات العمرانية بدون استعمال مواد البناء المتعددة وقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التي وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء^(٢٥) "حيث كان الرجل يختط مكان داره وبستانه ويقطع منه الخشب ويبنى به دون أن يحتاج إلى خشب غيره"^(٢٦).

ثم قام الإمام إدريس الثاني بتقسيم الأراضى المحيطة بالمدينة مما يلي الأسوار مباشرة على قبائل العرب والبربر^(٢٧). فأنزل القبائل كل بناحية فنزلت العرب القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين من باب أفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم، ونزل الحصيون على الجهة المقابلة للقيسية أى بإزاء الأسوار الشمالية^(٢٨). ويجعل ابن أبى زرع هؤلاء العرب ثلاثمائة بيت من أهل القيروان، كانوا أول من نزل بالعدوة مع الإمام إدريس بن إدريس، فسميت بهم، ونسبت إليهم^(٢٩) أما قبائل البربر من صنهاجه ولواته وأشيخان فلم تحدد المصادر مواضعها، واكتفت بالقول أن كل قبيلة نزلت بناحيتهما^(٣٠). ومن ذلك نرى أن فاساً العربية كانت تقع فى عدوة القرويين حيث أنزل الإمام العرب معه^(٣١).

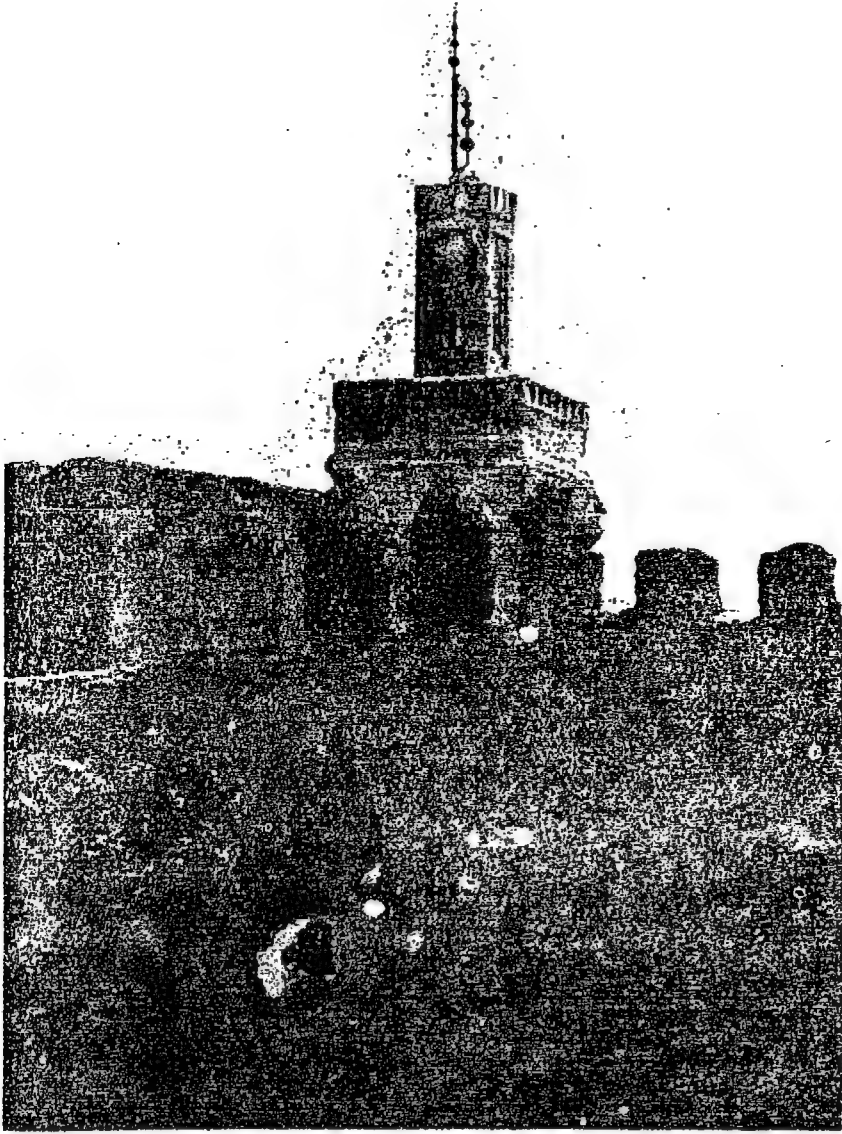
وإلى جانب المسلمين من العرب والبربر، حوت المدينة أيضاً أعداداً من اليهود^(٣٢). حيث أنزل الإمام إدريس الثانى بعدوة القرويين بناحية إعلان إلى باب حصن سعدون خلق كثير من اليهود وغيرهم، فبنوا البساتين والخوانيت والرباع ورتبهم الإمام أحسن ترتيب فى الإسكان^(٣٣).

أما عدوة الأندلس فأنزل الإمام إدريس بها جميع أجناده وقواده وجعل خيله وغنمه وأبله بأيدي ثقافته بها، ولم ينزل معه بعدوه القرويين غير موالية وحشمه وسائر رعيته من التجار والسوق^(٣٤). وهكذا جعل إدريس الثانى عدوة الأندلس سكناً لجندة البربر، ومناخاً للدواب وخيول الفرسان، أما حاشيته وخاصته من العرب فاستقرت معه بالقرويين^(٣٥).

ثم خصص الأراضى المجاورة للمسجد لتكون أسواقاً حسب تخصصها حيث بنى القيسارية^(٣٦). وهى سوق المدينة المركزى، كما أقيمت الأسواق والخوانيت حول الجامع من كل جانب^(٣٧). ورتب الإمام إدريس الأسواق أحسن ترتيب، وجعل كل سوق يختص بنوع لا يباع فيه سواه^(٣٨).

وبعد أن أسس الإمام إدريس الثانى عدوة الأندلس فى غرة ربيع الأول عام ١٩٢ هـ ٤ يناير ٨٠٨م أدار السور عليها مبتدئاً من جهة القبلة، وعندما أسس عدوة القرويين أدار عليهما السور وابتدأه من رأس عين علون^(٣٩). وتميزت أسوار مدينة فاس بالمناعة والارتفاع^(٤٠) حيث كانت تمثل حزاماً دفاعياً حول المدينة^(٤١).

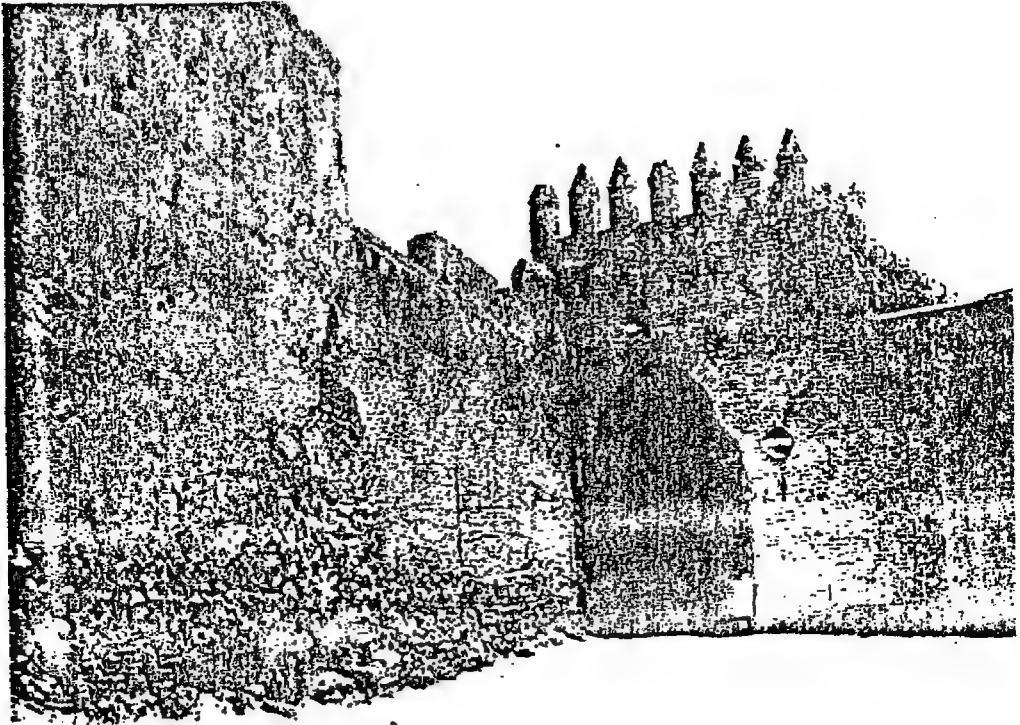
وفتح فى هذه الأسوار بعض الأبواب، وفى عدوة الأندلس، تذكر المصادر ستة أبواب لهذه العدوة زمن التأسيس هى: باب القبلة، باب الفوارة، باب



مثال من اسوار فاس وصوامعها العتيقة
نقلا عن الجزائى : جنى زهرة الاس

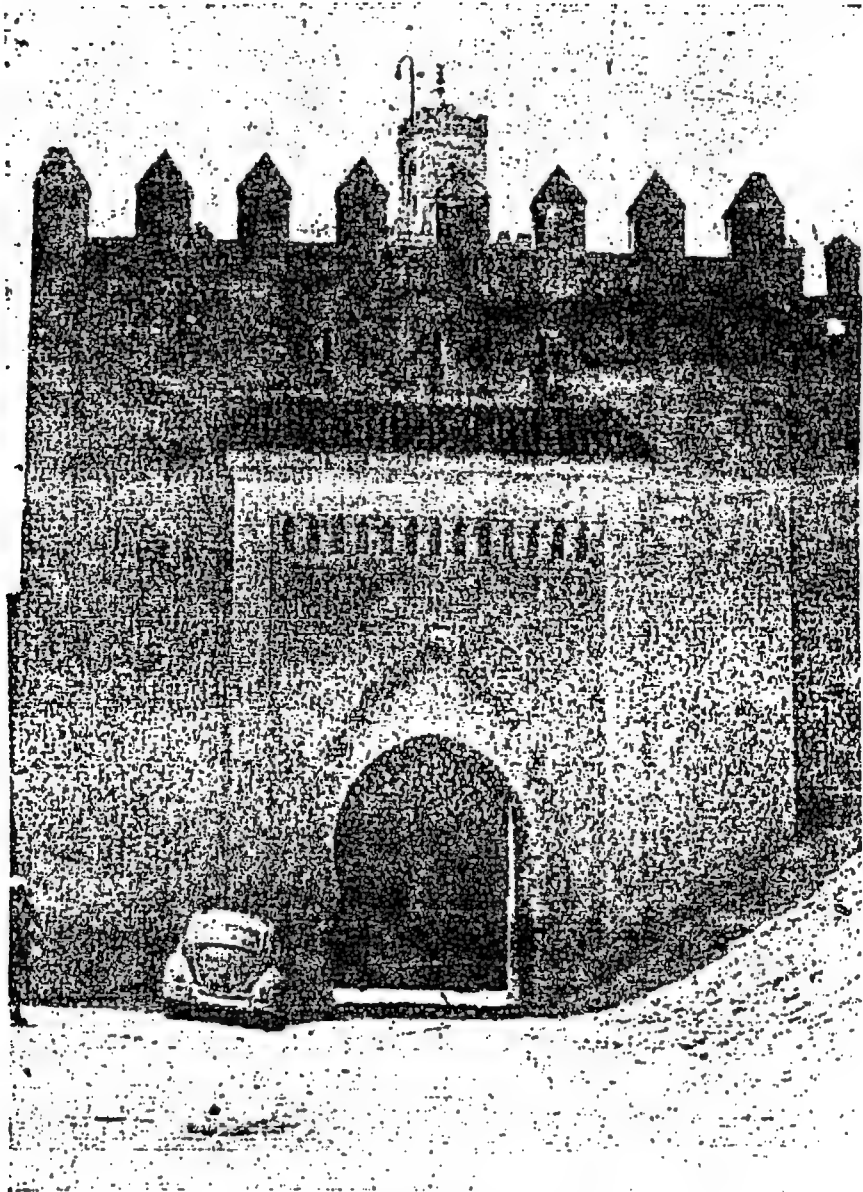
المخيفة، باب الشيبوبة، باب أبى سفيان، باب الكنيسة^(٤٦). كذلك فتحت فى أسوار
عدوة القرويين ستة أبواب هى: باب أفريقية، باب الفرس، باب الفيصل، باب الفرج،
باب الحديد، وباب القلعة^(٤٧). ويذكر كل من ابن أبى زرع وابن القاضى المكناسى.
أبواب عدوة القرويين فى شئ من الاختلاف اليسير، حيث اتفقا على أن أبواب
المدينة هى: باب أفريقية، باب حصن سعدون، باب الفرس، باب الفيصل، باب
الفرج، وباب القلعة.^(٤٨)

وكان الهدف من فتح الأبواب بسور المدينة تنظيم الاتصال مع مختلف
الجهات الخارجة عن نطاق السور^(٤٩). مثال ذلك أن باب الفيصل بعدوة القرويين
وباب الشيبوبة بعدوة الأندلس كانا ينظمان حركة الاتصال بين العدوتين، أما باب
الفوارة بعدوة الأندلس فكان ينظم عملية الاتصال بمدينة سجلماسة^(٥٠)، كما ينظم
باب أبى سفيان بنفس العدو حركة الاتصال مع بلاد غمارة



باب الحديد

نقل عن الجزائى : جنى زهرة الأسى



باب عجيسة (الكنيسة) الشهير
نقل عن الجزائى : جنى زهرة الاس

والريف^(٤٦) فى حين كان باب الكنيسة يؤدى إلى مدينة تلمسان^(٤٧).

مما سبق يتضح أن مدينة فاس كانت عبارة عن مدينتين مستقلتين تم تأسيسهما على يد الإمام إدريس الثانى فى فترة استغرقت ما يقرب من عام كامل، وفى يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول عام ١٩٢هـ / ٤ يناير ٨٠٨م أسس عدوة الأندلس، وبعدها بسنة أسس عدوة القرويين فى غرة ربيع الآخر عام ١٩٣هـ / ٨٠٩م^(٤٨).

لكن هذه الروايات السابقة التى تعزو تأسيس فاس على يد إدريس الثانى، كانت محلاً لدراسة قام بها المستشرق الفرنسى المعروف الأستاذ "ليفى بروفنسال" ونشر نتيجة أبحاثه فى كتيب عرض فيه نظرية مؤداها أن إدريس الأول، وليس إدريس الثانى هو الذى أسس مدينة فاس، وأن بناء المدينة حدث فى سنة ١٧٢هـ / ٧٨٩م فى الموضع الذى تقوم عليه عدوة الأندلس، وأن إدريس بن إدريس أسس عدوة القرويين فى سنة ١٩٢هـ / ٨٠٨م فى غرب مدينة أبيه على الضفة اليسرى من وادى فاس^(٤٩). واستند الأستاذ ليفى بروفنسال فى ذلك إلى بعض الروايات الجانبية التى وردت فى المصادر التى لا تعالج تاريخ مدينة فاس، أو تاريخ المغرب نفسه^(٥٠). ويذكر ليفى بروفنسال إنه من المحقق وقوع لبس بين إنشاء مدينة فاس وإنشاء مدينة "العالية" وأن هذا اللبس قد ظهر منذ أن أطلق اسم فاس على المدينتين معاً، ومما زاد هذا اللبس تشابه اسم المؤسسين، ويعتقد أن أساس هذا اللبس التاريخى يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمى سبعين وتسعين، وهو خطأ أدى إلى تحريف سنة ١٧٢هـ إلى سنة ١٩٢هـ^(٥١).

والذى دفع بروفنسال إلى تبني هذا الرأى هو وجود عملة مضروبة فى فاس ترجع إلى سنتى ١٨٥ هـ وسنة ١٨٩ هـ، أى قبل سنة ١٩٢ هـ وهو التاريخ المتواتر لبناء فاس، بينما تحمل النقود التى ضربها إدريس الثانى اسم مدينة "العالية" وليس اسم فاس^(٥٢).

ويذهب تراس إلى أن إدريس الأول قد أقام فى سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ هـ على نفس حى الأندلسيين مدينة صغيرة للبربر .. وفى عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م أقام إدريس الثانى على الشاطئ الآخر حى القرويين الحالى، حيث كان للأمير قصره الذى أعطاه اسم "العالية"^(٥٣).

وأيد نظرية بروفنسال هذه كثير من المستشرقين، فعلق "روجيه لوطورنو"^(٥٤) على هذه النظرية بقوله: إن هذه النظرية تستند على دلائل حقيقية لا يشوبها سوى عيب واحد - حسب البعض - وهو التضارب مع رواية الأنيس المطرب .. ولذلك يبدو من المعقول أنتردد فى الانحياز إلى استنتاجات بروفنسال، وقبول الترتيب التاريخى الذى يفترضه.

كما أيد هذه النظرية بعض المؤرخين العرب^(٥٥). فى حين عارضها إسماعيل العربى^(٥٦) بشده مناقشاً جميع الأخبار والروايات التى تتصل بالموضوع، مبيناً نواحي القوة والضعف فيها، مستبعداً تماماً الرأى القائل بأن إدريس الأول قد بنى مدينة فاس فى شهر رمضان عام ١٧٢ هـ.

وإسماعيل العربى وإن استطاع أن يناقش النصوص التاريخية التى اعتمد عليها بروفنسال فى إثبات نظريته ويقدم لنا وجهة نظرة سليمة، إلا أنه لم يستطع أن يقدم دليلاً قوياً فى مسألة الدراهم التى اعتمد عليها بروفنسال، وأنهى اعتراضه على نظرية بروفنسال مفترضاً ضرورة صياغة أخرى للقضية، حيث لم يتمكن بسبب نقص المعلومات فى المرحلة الحالية من إثبات سبب اعتراضه^(٥٧).

ويميل الباحث إلى الأخذ برأى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد^(٥٨) الذى يأخذ برأى بروفنسال - رغم أنه ليس نهائياً - فعلى فرض أن إدريس الأول بنى قرية فاس الأولى - وهذا أمر صعب خلال فترة إمامته القصيرة - فإن ذلك لا يقلل من أصالة وعظمة العمل الذى قام به إدريس الثانى بأنى فاس الحقيقية.

وقد تمتعت فاس بموقعها الجغرافى الممتاز وسط المدن والمراكز المختلفة فى المغرب، حيث تتقاطع فيها خطوط الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فهى تقع عند ملتقى طريقين رئيسيين حددتهما طبيعة الأرض هناك، فى

أقصى المضيق الجبلى الذى تحرس تازا مدخله الشرقى^(٥٩). كما أنها تقع فى النهاية الغربية لسهل السايى الغنى على موضع فى وادى فاس، ويشق فى وسطها نهر سبو الكثير الماء^(٦٠). وتحيط مدينة فاس مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية، وسجل ابن فضل الله العمرى هذه الحقيقة بقوله: "تكتنف الجبال مدينة فاس"^(٦١). وفى شرقها جبل مديونته الذى يمتد إلى الجنوب، ويتصل هذا الجبل بجنوبه بجبال درن، وفى شمالها يقع جبل زرهون وزالغ، وتقع جبال غماره فى الغرب من فاس^(٦٢).

وتدخل مدينة فاس ضمن المنطقة التى تقع بين خطى عرض ٢٨ درجة، ٣٦ درجة شمالاً، وخطى طول ١٢ درجة و ١١ درجة غرباً، وهى تتأثر إلى حد كبير بمؤثرات مناخ البحر المتوسط، الذى تتمثل فيه ثلاث صفات رئيسية وهى سقوط الأمطار فى فصل الشتاء ودفئه، وجفاف فصل الصيف، وارتفاع درجة حرارته، ووجود نسبة عالية من ساعات النهار المشمسة^(٦٣)، وتميزت فاس باعتدال حرها وبردها، كما يعتدل مناخها فى فصلى الخريف والربيع^(٦٤).

ثالثاً: تاريخ مدينة فاس منذ إنشائها حتى محاولات المرابطين الاستيلاء عليها:

فاس فى عصر الأدارسة:

لم تلبث عدوة الأندلس بفاس أن نمت عمرانها، وذلك عندما وصل أهل ضاحية الربض من مدينة قرطبة فى حوالى ٢٠٢هـ / ٨١٧م^(٦٥). بعد أن أوقع بهم الإمام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس، فنزل أغلبهم مدينة فاس، بعدوة الأندلس منها، وشرعوا فى البناء، فسميت بهم^(٦٦). وكان لهؤلاء الأندلسيين أثر كبير فى تنمية هذه العدو، فأعطوها طابعاً جديداً لمدينة منظمة لم يكن لها من قبل، فنمت هذه العدو على النمط الأندلسى^(٦٧).

وتذكر المصادر أن مدينة فاس نمت بسرعة حيث عمرت الأرض بالزراعة وكثرت الخيرات، وزادت العمارات، وقصدها الناس من جميع البلاد، مثل التجار وأهل الصناعات^(٦٨). وقد شارك هؤلاء المهاجرون من الأندلس ومن القيروان فى بناء فاس، بفضل ما حمله هؤلاء من تراث أهل الأندلس الشامى الأصل، ومن تراث أهل أفريقية الذى ظهرت فيه مؤثرات مصر والشام والعراق^(٦٩).

ولكن تمدن العاصمة الإدريسية كان محدوداً فى ذلك الوقت، فصحيح أن إدريس بن إدريس عاش عشرين عاماً بعد أن وضع حجر الأساس لمدينته العربية إذ توفى فى

عام ٢١٣هـ / ٨٢٨م، وأن تلك المدة كانت كافية لكي تتسع المدينة وتكبر، ولكنها لم تكن كافية بالصورة التي تصفها بها المصادر^(٧٠).

وبعد وفاة الإمام إدريس بن إدريس تولى الإمامه بعده ابنه محمد الذي قسم دولة الأدارسة بين أخوته، وأقام هو بمدينة فاس، إلى أن توفي في عام ٢٢١هـ / ٨٣٦ - ٢٣٨م، فبويغ لابنه علي بالولاية من بعده، وفي أيام علي بن محمد تمتعت فاس بالأمن، حتى توفي في شهر رجب ٢٣٤هـ / فبراير ٨٤٨م^(٧١). وقام بأمر الأدارسة من بعده يحيى بن محمد بن إدريس الذي كثرت في عهده العمارة بالمدينة، حيث اهتم بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة، فبنى بها الحمامات والفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم^(٧٢)، وبلغت المدينة أوجها من حيث البناء والعمران^(٧٣).

وعندما توفي يحيى بن محمد ولي بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد، في تاريخ لا تحدده لنا المصادر^(٧٤). وأساء هذا الأمير السيرة ولم يهتد بهدى آبائه فمات ندامة على سقطه حدثت منه^(٧٥). فبايع أهل فاس بالولاية لعلي بن عمر بن إدريس الذي لم يستقر له الأمر حيث خرج عليه عبد الرازق الفهري الخارجي الذي تمكن من الاستيلاء على عدوة الأندلس، في حيث امتنعت عليه عدوة القرويين، حيث بعث أهلها إلى يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بالعوام، فولوه على أنفسهم، وحارب يحيى بن القاسم عبد الرازق الفهري وتمكن من إخراجه من عدوة الأندلس، فبايعه أهلها، وظل يحيى بن القاسم أميراً على فاس وأعمالها إلى أن قتل سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤ - ٩٠٥م^(٧٦) فتولى بعده يحيى بن إدريس جميع أعمال المغرب، وحكم يحيى مدينة فاس من عام ٢٩٢هـ / ٩٠٥م إلى سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م^(٧٧).

الصراع بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية في المغرب حول فاس:

وفي عام ٣٠٥هـ / ٩٠٤ - ٩٠٥م امتدت أنظار الدولة الفاطمية بالمغرب إلى ملك الأدارسة بفاس، حيث تقدم مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي إلى مدينة فاس، فحاصرها مدة، إلى أن صالحه أميرها يحيى بن إدريس بمال، وكتب له بالبيعة لعبيد الله الشيعي صاحب أفريقية، ورجع مصالة إلى القيروان^(٧٨).

ثم أعاد قائد الفاطميين - مصالة بن حبوس - الكرة مرة ثانية حيث قام في عام ٣٠٩هـ / ٩٢١م بالإغارة على فاس ونجح في دخولها، وقبض على أميرها يحيى بن إدريس، وقدم عليها عاملاً من قبل الفاطميين يدعى ربحان المكناسي الذي ظل

عاملاً عليها مدة ثلاثة أعوام إلى أن قام عليه بها الحسن بن محمد بن القاسم ابن إدريس ونجح في إخراجه منها^(٣٩).

وفي عام ٣١١هـ / ٩٢٣م خرج الحسن بن محمد بن القاسم من فاس لقتال موسى ابن أبي العافية^(٤٠). واستطاع أن يوقع بعسكر ابن أبي العافية هزيمة نكراء، ولكن عند رجوع الأمير الإدريسي إلى مدينته، غدر به عامله على المدينة، حامد بن حمدان الذي استطاع أن يحكم لموسى بن أبي العافية على عدوتى فاس معاً^(٤١). وبذلك وقعت مدينة فاس تحت سيطرة موسى بن أبي العافية، الذي ملك عدوتى فاس عام ٣١٣هـ / ٩٢٥م وبايعه أهلها واستقام له الأمر فيها^(٤٢).

وبعد أن أصبح موسى بن أبي العافية أميراً على فاس، عمل على التحالف مع الدولة الأموية بالأندلس، فبايع لعبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس، وقام بدعوته وخطب له على جميع منابر عمله. أقلق هذا التحالف الفاطميين بالمغرب، فوجه عبيد الله المهدي أحد قواده وهو حميد بن يصى المكناسى فى سنة ٣٢١هـ / ٣٣٣م ومعه حامد بن حمدان الهمدانى فى جيش كثيف لقتال موسى بن أبي العافية، فكانت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها ابن أبي العافية ودخل حميد بن يصى فاس وولى عليها حامد بن حمدان ، وذلك فى سنة ٣٢١هـ / ٣٣٣م، وبذلك عادت مدينة فاس إلى سيطرة الفاطميين مرة أخرى، وقد ظل عامل الفاطميين على فاس إلى أن ثار عليه أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الذى قتل حامد وبعث برأسه وولده إلى موسى بن أبي العافية، فبعث بهم موسى إلى الخليفة الأموى الناصر لدين الله بقرطبة، وأصبح أحمد بن أبي بكر عاملاً على فاس لموسى بن أبي العافية^(٤٣).

وهكذا عادت الدعوة فى فاس إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر^(٤٤). ومنذ ذلك الوقت أصبحت فاس على مسرح الرهان، حيث تنافس على امتلاكها الفاطميون والأمويون. وأرسل الخليفة الفاطمى أبو القاسم عبيد الله المهدي قائده ميسور الفتى إلى المغرب فى عام ٣٢٣هـ / ٩٣٤م ليعيد مدينة فاس لحوزة الفاطميين، فتقدم ميسور وحاصر مدينة فاس أياماً إلى أن خرج إليه أحمد بن أبي بكر عاملها مبايعاً، ولكن ميسور قبض عليه وشخصه للمهدية، وهنا امتنع أهل مدينة فاس وسدوا مدينتهم فى وجه ميسور الفتى، ولم يمكنوه من دخولها، وقدموا على أنفسهم الحسن ابن القاسم اللواتى، فحاصره ميسور مدة حتى رغبوا إلى السلم، مشتطرين على

أنفسهم الطاعة والأتاوة، مبايعين لأبى القاسم المهدي، فتقبل ميسور منهم ذلك، وأقر الحسن بن القاسم اللواتي على ولاية فاس^(٨٥).

استمر الحسن اللواتي عاملا على فاس حتى عام ٣٤١هـ / ٩٥٢م، حيث ثار عليه أحمد بن أبي بكر - بعد أن أطلق الفاطميون سراحه، فتخلى الحسن اللواتي له عند مدينة فاس^(٨٦). وعادت الدعوة في فاس للأمويين بالأندلس حيث بايع أهلها الخليفة الناصر لدين الله، فولى عليهم محمد بن أبي الخير أميرا على عدوتى فاس، الذى استخلف عليهما ابن عمه أحمد بن أبي بكر بن عثمان الزناتى وارتحل هو إلى الأندلس^(٨٧).

غضب المعز لدين الله الفاطمي لخروج فاس عن طاعته وانضوائها تحت لواء الخلافة الأموية بالأندلس، فأرسل قائده جوهر الصقلي للإغارة على المغرب ونشر دعوته هناك^(٨٨). وقام جوهر بحصار مدينة فاس عام ٣٤٩هـ / ٩٦٠م، حيث جرت وقائع عظيمة مدة ثلاثة عشر يوما، انتهت بوقوع أمير فاس أحمد بن أبي بكر أسيرا، ونهب جوهر المدينة وسبى أهلها، وهدم سورها، وكان الحادث فيها عظيما، وذلك فى ٢٠ رمضان عام ٣٤٩هـ / ١٣ نوفمبر ٩٦٠م^(٨٩). ورجع جوهر الصقلي إلى القيروان بعد أن طرد عامل الأمويين من فاس وقطع عنها دعوتهم وردّها إلى الفاطميين^(٩٠). ظل النفوذ الفاطمي قائما بفاس حتى أرسل الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) قائده غالب^(٩١). إلى المغرب سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م الذى تكمن من الاستيلاء على فاس، واستعمل عليها محمد على بن قشوش فى عدوة القرويين، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس، وبذلك عادت فاس إلى حكم بنى أمية^(٩٢).

ولكن لم تمض سوى ست سنوات، حتى زحف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى إلى المغرب عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م^(٩٣). ونزل على مدينة فاس، وقتل عامليها واستعمل عليهما محمد بن عامر المكناسى، وبذلك عاد النفوذ الفاطمي إلى فاس حتى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م^(٩٤). حيث أرسل المنصور بن أبى عامر صاحب الأندلس ابن عمه عسكلاجة - أبا الحكم عمرو بن عبد الله - فزحف من الأندلس إلى مدينة فاس حيث دخل عدوة الأندلس منها، وخطب لبنى أمية، فى حين بقى محمد بن عامر عامل الفاطميين بعدوة القرويين إلى سنة ٣٧٦هـ / ٩٧٦م حيث دخلها "أبو بياش" من قبل الأمويين فقتل عاملها محمد بن عامر وخطب بهما أيضا لبنى أمية^(٩٥). فى عام ٣٧٧هـ / ٩٨٧م استطاع زيرى بن عطية المغراوى^(٩٦). أن يستولى على مدينة فاس، واستقام له الأمر فيها، وقوى سلطانه، فأسكن عشيرته فى أنحائها

وبالقرب منها، وفي عام ٣٨٢هـ / ٩٢٢م استدعى المنصور بن أبي عامر، زيرى ابن عطية إلى الأندلس، فرحل زيرى إليها مستخلفا ابنه المعز على المغرب^(٩٧). وفي هذه الأثناء انتهز الأمير يدو بن يعلى زعيم بنى يفرن^(٩٨). فرصة غياب زيرى بن عطية بالأندلس، وتوجه إلى مدينة فاس فدخل عدوة الأندلس منها وملكها، واتصل خبر سقوط عدوة الأندلس في يد يدو بن يعلى، بزيرى بن عطية أثناء قفوله من الأندلس فأسرع نحوه مستنفر قبيلة مغراوة لاسترداد فاس، ودارت الحرب سجلا بين الفريقين هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن، حتى تمكن الأمير زيرى بن عطية من هزيمة يدو بن يعلى، ودخول المدينة عنوة، حيث قتله ومثل به وبعث برأسه للمنصور بن أبي عامر، وذلك في عام ٣٨٣هـ / ٩٩٣م.^(٩٩)

واستمرت علاقة زيرى بن عطية بالمنصور بن أبي عامر حسنة، إلى أن ساء ما بينهما في عام ٣٨٦هـ / ٩٩٦ - ٩٩٧م، وذلك عندما ألقى زيرى بن عطية ذكر المنصور بن أبي عامر من الخطبة، وأقتصر على ذكر خليفته هشام، ولما وصل خبر ذلك إلى المنصور أرسل جيشا عظيما بقيادة مولاه واضح لمحاربته، إلا أن زيرى تمكن من هزيمة جيش واضح الذي فر إلى طنجة مستصرخا بالمنصور، طالبا منه أن يمدّه بالخيول والأموال والرجال، فأرسل إليه المنصور ابنه عبد الملك في جمع من عسكر الأندلس وقوادها، واستطاع هذا الجيش إنزال الهزيمة بجموع زناته بقيادة زيرى ابن عطية الذي فر إلى مدينة فاس في شرزمة من أصحابه وبنى عمه، ولكن أغلق أهل فاس أبواب مدينتهم في وجهه، في حين تمكن عبد الملك بن المنصور من دخول فاس في سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م فأستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن لقاءهم^(١٠٠).

وأقام عبد الملك بن المنصور مدة ستة أشهر بفاس فرأى الناس من عدله وفضله مالم يروه من قبل، ثم صرفه والده عنها إلى الأندلس، وبعث إليه عوضاً عنه عيسى ابن سعيد صاحب الشرطة الذي قام عليها والياً إلى شهر صفر من عام ٣٨٩هـ / ٩٩٨ - ٩٩٩م حيث عزله المنصور عنها، وولاهها واضحاً الفتى^(١٠١).

هذا وكان زيرى بن عطية قد اتجه إلى الصحراء هارباً بعد أن سد أهل فاس مدينتهم في وجهه، فنزل بلاد صنهاجة، حيث وجد أهلها قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه، فبعث زيرى إلى قبائل زناته، فأتى منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم، حيث اغتنم زيرى الفرصة، وزحف بهم إلى صنهاجة، وتمكن من هزيمة الجيوش الصنهاجية إلى أن توفي في عام ٣٩١هـ

١٠٠٠م^(١٠٣). فبايعت قبائل زناته ابنه المعز، الذي قام بملك أبيه، وضبط أمر زناته . وصالح المنصور بن أبي عامر، وقام بدعوته ورجع إلى طاعته، وعندما توفي المنصور بايع لابنه عبد الملك المظفر أيضاً، ودعى له على منابر، فعزل المظفر واضحاً الفتى عن ولاية فاس وسائر أعمال المغرب، وعهد بها في سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م إلى المعز بن زيرى، مشروطاً عليه أن يرسل إليه خيلاً في كل سنة وأن يسمله ولده معنصر رهيئة^(١٠٣).

ونعمت مدينة فاس في عهد المعز بن زيرى بالرخاء والأمن إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م^(١٠٤). فخلفه ابنه حمامه بن المعز^(١٠٥) الذي قام بأمر قبائل زناته واستوطن مدينة فاس^(١٠٦). وكانت الخلافة الأموية في قرطبة قد انقرضت في هذه السنة، مما أدى إلى استفحال أمر الدولة المغراوية بفاس والمغرب واستقلالها بالأمر.^(١٠٦)

صراع القوى الداخلية للسيطرة على فاس:

ولكن لم تكد مدينة فاس تنعم بالاستقرار حتى قام ثائر من ثوار بنى يفرن وهو تميم بن زيرى اليفرنى^(١٠٨) الذى زحف إلى مدينة فاس فى جموع قبائل بنى يفرن، ومن انضم إليهم من زناته، فخرج إليه حمامه بن المعز من فاس فى جموع قبائل مغراوة، حيث كانت بينهم حرب شديدة إنهمز فيها حمامة بن المعز وفر إلى مدينة وجدة^(١٠٩). وتمكن تميم اليفرنى من دخول مدينة فاس فى جمادى الآخرة عام ٤٢٤هـ / ١٠٣٣م، حيث قتل بها كثيراً من اليهود، وأخذ أموالهم وسبى نساءهم^(١١٠).

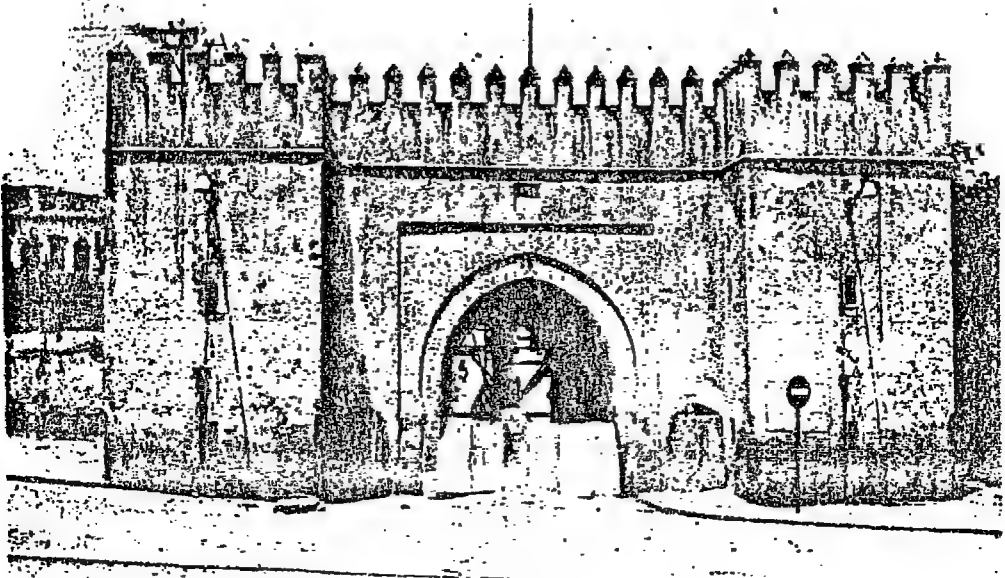
وأقام تميم اليفرنى بمدينة فاس قرابة السبعة أعوام، وفى خلال ذلك حاول حمامة بن المعز أن يجمع قواته ويعيد الكرة لاسترداد فاس فخرج من مدينة وجدة إلى تنس^(١١١)، واستجاش بقبائل مغراوة، حيث اجتمعوا عليه فزحف بهم إلى مدينة فاس ويبدو أن هذه الجيوش المغراوية كانت كبيرة، حيث فر تميم اليفرنى من فاس إلى مدينة شالة^(١١٢). دون مقاومة تذكر، وذلك فى عام ٤٣١هـ / ١٠٣٩م، وأقام حمامه بن المعز على ملك مدينة فاس، وكثير من أعمال المغرب، إلى أن توفي فى عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م^(١١٣).

هكذا تطلعت القوى الخارجية من الفاطميين والأمويين، والقوى المحلية متمثلة فى قبائل مكناسة ومغراوة وبنى يفرن للاستيلاء على مدينة فاس.

وخلف حمامة بن المعز ابنه دوناس على حكم مدينة فاس، وجميع ما كان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه، وفي أيامه عظمّت مدينة فاس، وعمرت بالبناء، حيث أدار دوناس السور على الأرباض وبنى المساجد والحمامات والفنادق فقصدها الناس من جميع النواحي^(١١٤).

وبعد وفاة دوناس بمدينة فاس في شهر شوال عام ٤٥٢هـ / ١٠٦١م خلفه ابنية الفتوح وعجيسة حيث استوطن الفتوح عدوة الأندلس، بينما ولي أخاه عدوة القرويين وبدأ الأميران عهديهما بتحصين المدينة، حيث بنى، حيث بنى الفتوح بعدوة الأندلس قصبة منيعة، وفتح بها باباً سماه باسمه، كذلك بنى عجيسة قصبة مثلها وباباً بعدوة القرويين^(١١٥).

لكن لم تنعم المدينة بحكم هذين الأميرين، إذ سرعان ما دبت العداوة بينهما، حيث نازع عجيسة أخاه الفتوح الأمر، وامتنع عليه بعدوة القرويين، فسار الفتوح لقتاله، ودارت رحى الحرب بين العدوتين، تلك الحرب التي لم يكن لأهل عدوتي فاس فيها شغل إلا القتال، إلى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله، وذلك في عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م وظل الفتوح أميراً على عدوتي فاس إلى أن حاصر المرابطون المدينة^(١١٦).



باب فتوح أكبر أبواب عدوة الأندلس
نقلا عن الجزائى : جنى زهرة الأس

وخلال سنوات تلك الحروب بلغت الفوضى والاضطرابات زروتها بمدينة فاس "فكثرت الخوف، وقويت الفتن، واشتدت المجاعة فقلت الأسعار" (١١٧). وبذلك تدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مدينة فاس في آخر حكم الزناتين، وقبيل دخول المرابطين المدينة، ويصور لنا المؤرخون مدى تدهور تلك الأوضاع بصور غريبة حيث "عدمت الأقوات في مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس، وابن عمه معنصر، إلى أن بلغ سعر الدقيق بفاس وغيرها أوقية بدرهم" (١١٨). "وكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس في ديارهم فيأخذون ما يجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم، ويأخذون أموال التجار، فلا يقدر أحد أن يصددهم عن ذلك، وكان عبيدهم يصعدون على جبل العرض، فينظرون إلى الديار التي بالمدينة فأى دار رأوا فيها دخاناً قصدوا إليها فدخلوها، وأخذوا ما بها من الطعام، وفي أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب، فاتخذ أهل فاس المطامير في بيوتهم وديارهم للخنز والطحن والطبخ لئلا يسمعون دوى الرحي، كما اتخذوا غرفاً لا أدراج لها فإذا كان الليل طلع الرجل فيها بسلم هو وحياله وأولاده، ثم رفع السلم لئلا يدخل عليه فجأة" (١١٩).

الهوامش

- ١- وقعة فخ: كانت هذه الوقعة عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م عندما خرج العلويون من مكة بزعامه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ضد الخليفة العباسي الهادي، حيث بايع العلويون له بالخلافة في المدينة، ثم سار إلى مكة، فالتقى مع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهو وادي في طريق مكة يبعد عنها حوالي ثلاثة أميال، فانهزم العلويون وكان قد اشترك في القتال مع الحسين عمه إدريس بن عبد الله بن الحسين، ويحيى اللذان نجحا في الإفلات، واتجه إدريس إلى بلاد المغرب، في حين فريحي إلى بلاد المشرق. عن أحداث وقعة فخ. انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ج ٨ ص ١٩٢ - ٢٠٤.
- ٢- أوليلي: تقع غرب مدينة فاس بطرف جبل زرهون، وهي مدينة قديمة، انظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، ١٩١١، ص ١١٨، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص ٦٠٩ - ٦١٠. ويرى الأستاذ ليفي بروفنسال أن كلمة أوليلي تقرب جدًا من الاسم اللاتيني Volubillis إلا أنه يجب تفضيل كلمة وليلة المكتوبة على جميع العملة المضروبة في هذه المنطقة، أنظر الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د/ السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص ٧ حاشية.
- ٣- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، طبعة بولاق، ١٢٨٤هـ، ج ٤ ص ١٢، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث (تاريخ المغرب في العصر الوسيط) تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤، ص ١٩١.
- ٤- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٥، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص ٣٨٤.
- ٥- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فارس، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم ١٠٨٨، ورقة ١٩، البكري: المصدر السابق ص ١٢٢، وقد اختلفت آراء المؤرخين في وفاة إدريس بن عبد الله، فنجد ابن الأبار يجعلها في سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م، انظر الحلة السيرة، تحقيق دكتور/ حسين مؤنس القاهرة، دار

المعارف ١٩٨٥، ج١، ص ٥٥. ويجعلها ابن القاضى المكناسى فى شهر ربيع الأول عام ١٧٦هـ / ٧٩٢م أو سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م. انظر: جذوة الاقتباس فيمن حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣م، ج١ ص ٢٣، فى حين ينقل محمد جعفر الكتانى عن كتاب الأنوار الجليلة أن وفاة الإمام إدريس بن عبد الله كانت أول ربيع الآخر عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م، انظر الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر الخطب، وتاريخ مدينة فاس، فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ، ص ٣٧.

٦- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ١٩ - ٢٠، مجهول: جمع تواريخ فاس طبع بمدينة بالروم، مطابع برنارد وبرزى، بدون تاريخ، ص ٣، وتذكر بعض المصادر أن بيعة الإمام إدريس بن إدريس كانت يوم الجمعة غرة ربيع الأول عام ١٨٨هـ / ٨٠٤م. انظر على بن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص ٢٧، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤ ص ١٣.

٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٩، الجزنائى: جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٧ ص ١٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٤ ص ١٣.

٨- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٢١ - ٢٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٩، السيوطى، كتاب فى نسب بعض الصحابة والأشرف الإدريسين وغيرهم من ملوك لمتونه والموحدين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٥٥١، ورقة ٢٩.

٩- إسماعيل العربى: دولة الأدارسة، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٣، ص ٧٧ - ٧٨، انظر كذلك:

Henriterrasse: Histoire du Maroc des Origines a l'etablissement du protectorat francais, casablanea 1949. P. 116.

١٠- من المفيد أن نعرض لآراء المؤرخين الذين بحثوا فى أصل تسمية فاس، فيرى بعضهم أن الإمام إدريس بن إدريس لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصانع والفعله، فصنع له بعض خدمته فأسأ من ذهب وفضة، فكان إدريس يعمل بها، فسميت فاس لأجل ذلك. ويقال أنه عندما شرع فى البناء وجد فى الحفير فأسأ كبيراً، فسميت به المدينة. انظر، مخطوط رسالة فى ذكر من أسس فاس،

ورق ٣٠ - ٣١، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٥، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٣.

وقيل إن الإمام إدريس لما شرع في البناء، قيل له كيف تسميها؟ قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم، فمر بهم رجل فسأله عن اسمه وكان الثغ قال: اسمي فارس، فأسقط الراء من اسمه لأجل اللثغة، فقال الإمام إدريس سموها كما نطق: فقالوا فاس، وقيل غير ذلك، انظر الأنيس المطرب، ص ٤٥.

وتذكرت بعض الروايات أنه قيل للإمام إدريس كيف تسميها، فقال نسميها باسم مدينة "ساف" التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني به الراهب، ولكن أقبلوا اسمها، فقلوبه فأتى منه فاس، فسميت بذلك. ويرجع ابن أبي زرع هذا الرأي بقوله هذا أصح ما يكون في تسميتها، انظر رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٣١، الأنيس المطرب، ص ٤٥، جنى زهرة الآس، ص ٢٤.

ويتضح فيما سبق عرضه إدخال الأسطورة والخيال على أسباب التسمية، ويظهر هذا من خلال قولهم يقال وقيل.

كذلك تضاربت آراء المؤرخين المحدثين أيضاً في تفسير كلمة فاس، وعللوها بتعليلات متنوعة، فذهب عبد الله العمراني مع أحد الباحثين الأسبان إلى أن كلمة فاس Phut وكلمة لوبيم Lubim الواردتين في التوراة، ما هما في الواقع إلا كلمتا "فاس" و"ليبيما" ويتسأل العمراني هل نستخلص من ذلك أن اسم المدينة غير مشتق من شيء، وأن المدينة عريقة في القدم. انظر عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد الثامن، سنة ١٩٦٦ ص ١٧٨. في حين ذهب محمد الفاسي أن فاس أصلها لفظة "أسيف" التي معناها النهر وتجمع على "أسافين" ومنه "ساف" التي قبلت وأعطت فاس.

انظر، محمد الفاسي: أصول الإعلام الجغرافية، مجلة البينة، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٢، ص ٥٢.

١١- زالغ: جبل يطل على فاس من الجهة الشمالية، حيث يبدأ من نهر سبو في اتجاه الشرق، انظر ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة، الرياض ١٩٧٨ - ١٧٩٧ م، ص ٢٩٤.

١٢- سبو: من أشهر أنهار بلاد المغرب، يمر على مدينة فاس، انظر الزهري: كتاب الجغرافيا: تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ، ص ١٤٠.

- ١٣- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٢٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩ - ٣٠، الجزئائي: المصدر السابق، ص ١٨.
- 14- Terrasse: Op. Cit, tome I, p; 117.
- ١٥- حمة خولان: الحمة هي كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به، وحمة خولان هي الحمة التي تعرف بسیدی حرازم، تقع على بعد ١٥ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة فاس، تنبع منها مياه غنية بالغاز الكربوني تبلغ حرارتها ٣٥ درجة، انظر عبد الوهاب بن منصور، في تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ٣٦.
- ١٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٠، الجزئائي: المصدر السابق، ص ١٨، السلاوي: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٥٠، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣، Terrasse: Op. Cit, Tome I, p. 117.
- ١٧- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٢٢ - ٢٣، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١، الجزئائي: المصدر السابق، ص ١٨ - ١٩، السلاوي: المرجع السابق، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣.
- ١٨- إبراهيم بركات: المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار السلمي للنشر، ١٩٦٠، ج ١ ص ١٢٦.
- ١٩- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٣، ١٩٨٨، ص ١١٣.
- ٢٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية رقم ١٠٥٥ تاريخ، ورقة ٢، البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٨.
- ٢١- الأخبية والقباب: الأخبية نوع من الأبنية (هي البيوت) والخباء: ما يعمل من صوف أو وبر، وقد يكون من شعر، ويكون على عمودين أو ثلاث وما فوق ذلك. أما القباب: فمن قباب الطعام أي جمع أكله، ومن الشراب امتلاء، والقبابة حشيشة ترعى. انظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ٦١.
- ٢٢- جراوة: قبيلة زناتية شهيرة لم يبق لها اليوم وجود بهذا الاسم، ولكن الأراضي التي كانت تسكن بها عند مجئ الإمام إدريس إلى فاس ما زالت تعرف بها. انظر عبد الوهاب بن منصور في تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ١٩.

- ٢٢- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ - ٣٣. البكري: المصدر السابق، ص ١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص ١٩.
- ٢٤- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٣، مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٨٩٣ تاريخ، ورق ٤٦٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٩، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٦.
- ٢٥- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية: منشأة المعارف بدون تاريخ، ج ٢ ص ٤٤٨.
- ٢٦- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ٣، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ٣٩.
- ٢٧- سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٤٩.
- ٢٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٥ - ٤٦، ابن القاضي المكاسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٣٧.
- ٢٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٧، ابن القاضي المكاسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٨.
- ٣٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٦، ابن القاضي المكاسي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧، سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٤٩.
- ٣١- سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٢.
- ٣٢- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص ٣٩، سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٥٣.
- ٣٣- مجهول: قصة البلديين، ورقة ٤٦٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٦.
- ٣٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٦.
- ٣٥- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص ٤٠.
- ٣٦- القيسارية: يتفق معظم الباحثين على أن مدلول كلمة القيسارية تعني السوق المعمارية في المدينة الإسلامية، ترجع إلى الأصل اللاتيني Caesarea بمعنى "السوق الامبراطوري أو القيصري" التي تقيمها الدولة، ويكون خاضعاً لإدارتها بخلاف الفندق الذي يقيمه الأفراد وتؤول ملكيته إليهم، في حين يفسرها بعض الدارسين بأنها "سوق التجار" ويرى بعض الباحثين أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية، والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق، تختلف نوعاً ما من مدينة إلى أخرى، وتتكون في بعض الأحيان من فناء مركزي فسيح تحيط به أروقة

مسقوفة تقام فيها الحوانيت والمصانع الصغيرة، والمخازن ومنازل الغرباء من التجار، وأحياناً تتخذ شكل شارع مسقوف بقبوات من الأجر أو بمعروشات العنب أو بأسقف الخشب أو يترك مكشوقاً، وتتوزع على جانبيه حوانيت الباعة .. وقد تكون ساحة في وسط المدينة تتوزع حولها المنشآت التجارية. انظر دكتور/ أحمد محمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس، فصله من مجلة كلية الآداب، جامعة إسكندرية، العدد ٢٨، عام ١٩٨١، ص ٦٧ - ٦٩. وما أشار إليه من مصادر.

٣٧- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٣٢ - ٣٣، البكري: المصدر السابق، ص ١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٨.

٣٨- مجهول: قصة البلديين، ورقة ٤٦٧ - ٤٦٨.

٣٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٨ - ٤٠، الجزنائي: المصدر السابق ص ٢٥ ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٢، وعين علون: عين شهيرة بفاس أسفل عقبة الشرايين وإليها ينسب الشارع الممتد منها إلى العطارين، وذكر المؤرخون أنها كانت عيناً تحيط بها الأشجار البرية، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحاشونها بسبب وجود عبد أسود اسمه علون يقطع الطريق بها، فلما انتهى إلى الإمام إدريس خبر علون هذا أمر بالقبض عليه، وقام بصلبه على شجرة كانت على رأس العين، فسميت العين باسمه منذ ذلك الحين. انظر الجزنائي: جني زهرة الأس ص ٢٥، ص ١١٢ - ١١٣.

٤٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٢.

٤١- فنان عبد القادر: أسوار مدينة فاس، أصالة أم حاجز، مجلة كلية الآداب بفاس العدد الخاص، سنة ١٩٨٥، ص ٨٨.

٤٢- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، وورقة ٣٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ٤٠ - ٤١، ويجعل البكري لعدوة الأندلس ستة أبواب ولكن مع اختلاف مسمى تلك الأبواب، انظر المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، ص ١١٦، في حين يجعلهم ابن القاضي في جدوة الاقتباس خمسة أبواب، ذاكراً الأبواب الأنفة الذكر عدا باب المخيفة، انظر ج ١ ص ٣٤ - ٣٥.

٤٣- الأنيس المطرب، ص ٣٩ - ٤٠، جدوة الاقتباس، ج ١ ص ٣٣. ويرى الأستاذ ليفي بروفنسال في مقاله الذي عقده للملاحظات على أسماء الأبواب وجعل

عنوانه ملاحظات على أسماء المواقع الأسبانية والمغربية. أنه ليس من الضروري أن يكون هناك اسم واحد لأحد أبواب أى مدينة، إذ ربما تعدد اسم باب من الأبواب التى أقيمت على حين يطلق عليه أسماء عدة فى وقت واحد، فالباب الواحد يمكن أن يكون له اسم رسمى واسم شعبى فى وقت واحد. انظر: الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ٥٦.

٤٤- فنان عبد القادر: المرجع السابق، ص ٨٩.

٤٥- سلجماسة: مدينة بالمغرب الأقصى فى أول الصحراء بنيت عام ١٤٠م، بينها وبين فاس ثلاثة عشر مرحلة، وهى مدينة سهلية مبنية على نهريْن، حولها أرباض كثيرة، تشتهر بكثرة الفواكه ويربطها طريق تجارى ببلاد السودان وغانة. انظر البكرى: المصدر السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٤٦- غمارة والريف: نسبة إلى جبل غمارة المعروف فى شمال المغرب الأقصى، وغمارة شعب من البربر البرانس سموا باسم والدهم غمارة بن مصمودة، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمار. انظر ابن خلدون: تاريخ بن خلدون ج ٦ ص ٢١.

٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٠، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤. أما تلمسان فهى قاعدة بلاد المغرب الأوسط، وهى مدينة عظيمة قديمة فيها آثار الأول بينها وبين وهران مرحلتان، وكانت تلمسان دار مملكة زناته، ويقطن حولها كثير من قبائل البربر، وهى كثيرة الخصب والرخاء، يقصدها كثير من التجار ومنها يسافرون إلى مدينة سلجماسة وبين فاس وتلمسان مسيرة ثمانية أيام. انظر البكرى: المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧، الزهرى، كتاب الجغرافيا، ص ٥١، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٣٥ - ١٣٦.

٤٨- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ - ٣٣، البكرى: المصدر السابق، ص ١١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٢٤ - ٢٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ج ٤ ص ٢١٣.

Terrasse: Histoire du Maroc, Tome, I p. 117.

٤٩- ليفى بروفنسال: المرجع السابق، ص ٢٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص ٤٠٦ - ٤٠٧، إسماعيل العربى، دولة الأدارسة، ص ٨٧.

- ٥٠- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٤٥٠.
- ٥١- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص ٢٩ - ٣٠، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٤١٥.
- ٥٢- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص ١٥ - ١٩، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٤٠٧، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٥٠ - ٤٥١.
- 53- Terrasse: Op. Cit, Tome I, pp. 117 - 118.
- ٥٤- فاس قبل الحماية، ترجمة دكتور / محمد صبحي، د / محمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦، ج١ ص ٦٢.
- ٥٥- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٤٠٦ - ٤١٥، عبد الله العمراني في مقال له بعنوان فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد ٨، عام ١٩٦٦، ص ١٨٦، ١٨٧.
- ٥٦- دولة الأدارسة، ص ٩٠.
- ٥٧- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ١٠٢.
- ٥٨- المرجع السابق، ج٢ ص ٤٥١.
- ٥٩- ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الخاص بوصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، نشره الأستاذ محمد المنونى، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، سنة ١٩٦٤، ص ٤١، روجيه لوطورنو: فاس في عصر بنى مرين، ترجمة د / نقولا زيادة، بيروت: مؤسسة مرتكبين للنشر، ١٩٦٧، ص ١٥، وعند تقدير المسافات بين فاس وغيرها من المدن المغربية، انظر الإدريسي وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه هنرى بيبرس الجزائر، ١٩٥٧، ص ٥١، ٥٣، ١١٠، الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ٥١.
- ٦٠- الزهرى: المصدر السابق، ص ١٤٠، عبد الواحد المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣، ص ٤٤٩، حسان عوض، جغرافية المدن المغربية، مطبوعات المركز الجامعى، بدون تاريخ، ص ٦٣.
- ٦١- ابن فضل الله العمرى: المصدر السابق، ص ١٤١.

٦٢- ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، تطوان، ١٩٥٨، ص ٢٥٧، الزهري: المصدر السابق، ص ١١٥، ويطلق الزهري على جبل مديونه اسم جبل غياشه، عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، باريس دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠ م، ص ٦٦.

٦٣- يسرى الجوهري: شمال أفريقية، الإسكندرية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، بدون تاريخ، ص ١٨٥ - ١٨٦، ص ٢٠١.

٦٤- الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٣٦.

٦٥- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٥٢، وانظر Terrasse: Histoire du Maroc, Tome I, p. 118.

الذى يجعل تاريخ وصولهم عام ٨١٤ م.

٦٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٧، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج ١ ص ٣٨. هذا وتذكر المصادر أن هؤلاء الأندلسيين هم سكان ربض شقنده الذين ثاروا ضد الحكم الرضى أمير الأندلس، ولما كان مصير هذه الثورة الفشل اضطر عدد كبير منهم إلى مغادرة الأندلس، حيث اتجه بعضهم إلى دولة الأدارسة التي رحبت بهم، فنزلوا فيما عرف بعدوة الأندلسيين، بينما لجأ البعض إلى الإسكندرية حيث نزلوها في أوائل عهد الخليفة العباسي المأمون، حيث أسسوا هناك إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية، دامت أكثر من عشر سنوات، حتى تمكن المأمون من إرسال جيش بقيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى قام بإخراجهم من الإسكندرية، فلبأوا إلى جزيرة أقيطلش. انظر د/ أحمد محمد الطوخى: مصر والأندلس، الإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة ١٩٨٨، ص ٢٠، هامش وما ورد به من مصادر.

٦٧- ليفى بروفنسال: للمرجع السابق ص ٢٨، سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٢.

٦٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٨.

٦٩- سعد زغلول: نفس المرجع، ج ٢ ص ٥١١.

٧٠- سعد زغلول: نفس المرجع، ج ٢ ص ٤٥٣، وتذكر بعض المصادر أن وفاة إدريس الثانى كانت بفاس عام ٢١٣ هـ وهو ابن ست وثلاثين عاماً، ثم تورد هذه المصادر بعد ذلك رواية البرنسى الذى يحدد وفاة إدريس بمدينة أوليلي في جمادى

الآخر سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة. انظر مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٤، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٠، ابن القاضي المكناسي: جذرة الاقتباس، ج ١ ص ٤١، ويرى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن رواية البرنسي هي أقرب للحقيقة من حيث التاريخ، وهي تتفق مع الرواية التي أوردها البكري. انظر البكري: المغرب، ص ١١٦، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج ٢ ص ٤٥٦.

٧١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥١، ٥٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٤ ص ١٤ - ١٥.

٧٢- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١١ - ١٢، مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥٣ - ٥٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٥.

٧٣- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ج ١ ص ٤٩.

٧٤- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٧٧، سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٦٧.

٧٥- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٧٧ - ٧٨، السلاوي: الاستقصا، ج ١ ص ٧٨.

٧٦- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٦، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ٧٨ - ٧٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٥٥٥، السلاوي: المرجع السابق، ج ١ ص ٧٨.

٧٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٠، سعد زغلول: المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٧٨.

٧٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٠، ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس تحقيق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثالثة ١٩٦٧، ص ١٠٣، Terrasse: Op. Cit, Tome I, p. 126.

٧٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٧، ابن أبي زراع: المصدر السابق، ص ٨١ - ٨٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٢٦، ويجعل ابن خلدون خروج عامل الفاطميين على فاس في عام ٣١٣هـ، انظر كذلك

Terrasse: Op. Cit, Tome I, p. 126.

- ٨٠- موسى بن أبي العافية: هو زعيم مكناسة إحدى بطون زناته، وأميرها بنواحي مليلة وتازا وتسول، استفحل أمره وعظم سلطانه وتغلب على كثير من قبائل البربر وكانت بينه وبين الأدارسة بالمغرب فتن وحروب كثيرة، وكان موسى بن أبي العافية مرة يوالى الدولة الفاطمية بالمغرب فتن وحروب كثيرة، وكان موسى بن أبي العافية مرة يوالى الدولة الفاطمية بالمغرب، ومرة يوالى الأمويين بالأندلس، واستطاع أن يستولى على فاس وبعض أعمال المغرب، وأجلى الأدارسة عن مناطق نفوذهم حتى الجاهم إلى حصنهم بقلعة حجر النسر مما يلي مدينة البصرة. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ١٣٤ - ١٣٥.
- ٨١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٨، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٢، السلاوي: الاستقصا، ج ١ ص ٨٠، عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨، ج ١ ص ١٢٠.
- ٨٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٣.
- ٨٣- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٥، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٣٥، السلاوي: المرجع السابق، ج ١ ص ٨٢.
- ٨٤- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٤١٩.
- ٨٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٨٥ - ٨٦، ابن خلدون: المصدر السابق ج ٦ ص ١٣٥، السلاوي، المرجع السابق، ج ١ ص ٨٢،
- Terrasse: Historie du Maroc, Tome I, p. 185, L. Goluin: Le Magrib Central al' epoque Des Zirides, Paris, 1957, p. 69.
- ٨٦- مجهول: جمع وتواريخ فاس، ص ١٠.
- ٨٧- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٨، السلاوي: المرجع السابق، ج ١ ص ٨٥.
- ٨٨- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٦، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٤٢٠.
- ٨٩- مجهول: نبذ تاريخه جامعة لأخبار المغرب الأقصى في القرون الوسطى، تحقيق ليفي بروفنسال، رباط الفتاح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤، ص ٥، ابن أبي زرع: الانبيس المطرب، ص ٩٠، السلاوي: المرجع السابق، ج ١، ص ٨٦.
- ٩٠- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧.

٩١- غالب: هو القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري من أشهر قواد الأمويين في الأندلس كان في غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والإقدام، وجهة الحكم المستنصر إلى المغرب لمحاربة الفاطميين عام ٣٦٢هـ / ٩٧٢م فانتصر على الفاطميين نهائياً وطردهم من المغرب الأقصى. انظر ابن حيان: المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٣. ص ٢١، ٦٩، ١٢٤، ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ج ٢، ص ٣٤٦، ابن القاضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

٩٢- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ١٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٩٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢١٨، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٤٢١.

٩٣- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٦، وبلكين بن زيرى بن مناد، هو زعيم قبائل صنهاجة الذى اختاره الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لولاية أمر أفريقية والمغرب والقيام بأمر الفاطميين بالمغرب بعد رحيلهم إلى مصر، لما له من رسوخ قدم وغناء وتشجيع للفاطميين، حيث أطلق المعز لدين الله يد بلكين بن زيرى فى الجيش، والمال والأعمال. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٥٥.

٩٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٩٢، ص ١٠١.

٩٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢،

Terrasse, Op. Cit, Tome I, p. 188.

٩٦- زيرى بن عطية المغراوي: كان أميراً على بن خزر من مغراوة إحدى بطون زناته كانت محلاتهم تقع بالمغرب الأوسط، وهو الذى مهد لقبائل زناته سيطرتهم على فاس والمغرب الأقصى حيث توارث بنية الملك إلى بداية دولة المرابطين. انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٤، ٢٨.

٩٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٠٢ - ١٠٣، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ١٥٥ - ١٥٧.

٩٨- يدوين يعلى: زعيم بنى يفرن بسلاكان قد لحق بالمغرب الأقصى بعد أن أوقع جوهر الصقلى بأبيه عام ٣٤٧هـ / ٩٥٨م حيث تفرقت جموع بنى يفرن، فاستقر بدون بمدينة سلا، وكان يدو هذا من أمراء زناته كثير الاضطراب على الأمويين

بالأندلس، والمراوغة لهم بالطاعة، وكان المنصور بن أبي عامر يضرب بينه وبين
فرينة زيرى ابن عطية.

انظر لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٦٤ - ١٦٥، ابن خلدون:
المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٠.

٩٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥، لسان الدين بن الخطيب:
المصدر السابق، ص ١٥٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢١، السلاوى
الاستقصا، ج ١ ص ٩٢.

١٠٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٨، لسان الدين بن الخطيب:
المصدر السابق، ص ١٥٨، ويجعل لسان الدين بن الخطيب دخول عبد الملك
فاس عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٢ - ٣٣،
السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ٩٢.

١٠١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٧، لسان الدين بن الخطيب: المصدر
السابق، ص ١٥٩ - ١٦٠.

١٠٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٧ - ١٠٨.

١٠٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:
ج ٧، ص ٣٣ - ٣٤، ويجعل لسان الدين بن الخطيب ولاية المعز بن زيرى فى عام
٣٩٧هـ / ١٠٠٦م. انظر إعلام الإعلام، القسم الثالث، ص ١٦٠.

١٠٤- مجهول: نبذ تاريخية فى مفاخر البربر، ص ٤٢، ويجعل وفاة المعز بن زيرى فى
عام ٤١٧هـ / ١٠٢٦م. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٠٨، ابن القاضى
المكناسى: جدوه الاقتباس ج ١ ص ٣٧٧، السلاوى: المرجع السابق ج ١ ص ٩٥.

١٠٥- تذكر أغلب المصادر التاريخية أن حمامه هو ابن المعز بن زيرى بن عطية،
انظر نبذ تاريخية ص ٤٢، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٦١،
ولكن ابن أبي زرع وابن خلدون يجعلاه ابن عمه، ويفندا رواية المؤرخين،
ويدكران أنها ليست صحيحة، حيث وقع اللبس بسبب الاتفاق فى الأسماء فنشأ
الغلط، انظر الأنيس المطرب، ص ١٠٨ - ١٠٩، تاريخ ابن خلدون، ج ٧ ص ٣٥.
ويعلق سنوسى إبراهيم على ذلك بقوله: إن قول ابن زرع مردود عليه لأنه كان
للمعز ولدين هما حمامه ومعنصر، كما ذكر صاحب مفاخر البربر نقلاً عن ابن
حيان وعبد الملك بن الوراق، وقد عاصر ابن حيان الفترة وكان أقرب للأحداث،
ذلك إلى جانب أنه ليس هناك سابقة ولا لاحقة فى تاريخ الإمارات الزناتية

عنوانه ملاحظات على أسماء المواقع الأسبانية والمغربية. أنه ليس من الضروري أن يكون هناك اسم واحد لأحد أبواب أى مدينة، إذ ربما تعدد اسم باب من الأبواب التى أقيمت على حين يطلق عليه أسماء عدة فى وقت واحد، فالباب الواحد يمكن أن يكون له اسم رسمى واسم شعبى فى وقت واحد. انظر: الإسلام فى المغرب والأندلس، ص ٥٦.

٤٤- فنان عبد القادر: المرجع السابق، ص ٨٩.

٤٥- سلجماسة: مدينة بالمغرب الأقصى فى أول الصحراء بنيت عام ١٤٠ م، بينها وبين فاس ثلاثة عشر مرحلة، وهى مدينة سهلية مبنية على نهريْن، حولها أرباض كثيرة، تشتهر بكثرة الفواكه ويربطها طريق تجارى ببلاد السودان وغانة. انظر البكرى: المصدر السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٤٦- غمارة والريف: نسبة إلى جبل غمارة المعروف فى شمال المغرب الأقصى، وغمارة شعب من البربر البرانس سموا باسم والدهم غمارة بن مصمودة، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمار. انظر ابن خلدون: تاريخ بن خلدون ج ٦ ص ٢١.

٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٠، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤. أما تلمسان فهى قاعدة بلاد المغرب الأوسط، وهى مدينة عظيمة قديمة فيها آثار الأول بينها وبين وهران مرحلتان، وكانت تلمسان دار مملكة زناته، ويقطن حولها كثير من قبائل البربر، وهى كثيرة الخصب والرخاء، يقصدها كثير من التجار ومنها يسافرون إلى مدينة سبلماسة وبين فاس وتلمسان مسيرة ثمانية أيام. انظر البكرى: المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧، الزهرى، كتاب الجغرافيا، ص ٥١، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٣٥ - ١٣٦.

٤٨- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ - ٣٣، البكرى: المصدر السابق، ص ١١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق،

انتزعها منهم موسى بن أبي العافية سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، ثم صارت عاصمة لبنى
يفرن فى أواخر القرن الرابع الهجرى، وفى بداية دولة المرابطين خربت شالاه
بسبب الحرب بين برغواطه والمرابطين، وحاول بنو مرين تجديد بناء مدينة شالة
فأداروا عليها الأسوار وبنو بها مدارس ومساجد، كما اتخذوا بها مدافن لملوكهم
وأعيانهم. انظر الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، عن كتاب نزهة المشتاق فى
اختراق الآفاق، ص ١٧، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث
ص ١٨٤، عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ١٣، وانظر:
Henri Basset et Lévi Provencal: Chelia, Une Nécropole
Merenide, Paris, 1922, p; 157.

١١٣- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١١،
لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٦١، ابن خلدون: المصدر السابق
ج ٢ ص ٢١.

١١٤- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١١١،
الجزنائى: جنى زهرة الآس، ص ٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٥،
ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤.

١١٥- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢٠، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٠ - ٤١،
ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٥، ظل الباب الذى فتحه عجيسة بعدوة
القرويين على حاله حتى أيام الخليفة الموحدى الناصر بن يعقوب المنصور
الذى أمر بإعادة بناء سور مدينة فاس الذى كان جده الخليفة عبد المؤمن بن
على قد هدمه أثناء فتحه لمدينة فاس، وصنع فى هذا السور بابا كبيرا فوق باب
عجيزة القديم، ثم أمر بتغيير اسم الباب فأسقط الناس حرف العين من عجيزة،
وجعلوا الألف واللام عوضا عنها فقالوا باب الجيسة. قيل أن الذى أمر بتغيير الاسم
الأمير فتوح عندما ظفر بأخيه عجيسة.
انظر الجزنائى: المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٦.

١١٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١١١ - ١١٢، الجزنائى: المصدر السابق،
ص ٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٥، ابن القاضى المكناسى جدوة
الاقتباس، ج ١ ص ٤٩.

- ١١٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١١٢،
الجزنائي، المصدر السابق، ص ٤١، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١
ص ١١٤.
- ١١٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١١٣ - ١١٤.
- ١١٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١١٤.
حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون
تاريخ، ص ٨٩.

الفصل الثانى

الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصرى

المرابطين والموحدين

(١٢٦٩هـ / ١٠٦٣م إلى ٦٦٨هـ / ١٢٦٩)

أولاً: الحياة السياسية بفاس في عصر المرابطين:

شهد المغرب الأقصى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين فترة مزدهرة حتى أصبحت بحق من أخصب فتراته فى العصر الإسلامى، حيث نشأت على أرضه أضخم دولتين عرفتهما هذه المنطقة خلال تاريخه الإسلامى، هما دولتا المرابطين والموحدين^(١). وينتمى المرابطون إلى قبائل كدالة ولمتونة وجدالة ولمطة ومسوفة، وهذه القبائل منتسبة إلى صنهاجة الجنوب الضاربة فى الصحراء^(٢) وقد انتهت رئاسة تلك القبائل إلى يحيى بن إبراهيم الكدالى الذى ارتحل إلى المشرق من أجل الحج فى عام ٤٢٧هـ / ١٠٣٥ - ١٠٣٦^(٣)، فلما قضى حجة قفل إلى بلاده، فمر فى طريق عودته بالقبروان، حيث أتيح ليحيى سماع عالمها وفقيها أبا عمران الفاسى^(٤). وتأثر يحيى بن إبراهيم بتعاليم هذا الفقيه، فرغب أن يبعث معه من طلبته من يثق فيه قائلاً: "فينا أقوام يحرسون على تعاليم القرآن وطلب العلم، ويرغبون فى التفقه فى الدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فعسى يا سيدنا أن تنظر لنا من طلبتك من يتوجه معنا إلى بلادنا ليعلمنا ديننا"^(٥). فوجد من الفقيه أبا عمران قبولاً واستجابة، حيث كتب الشيخ أبو عمران إلى وجاج بن زللو اللمطى^(٦) من أهل السوق الأقصى كتاباً ليرسل من طلبته من يبعثه مع يحيى ابن إبراهيم الكدالى إلى بلاد الصحراء^(٧).

وما إن وصل يحيى بن إبراهيم بكتابه إلى وجاج بن زللو بمدينة نفيس^(٨) فى عام ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م حتى انتدب له عبد الله بن ياسين الجزولى وكان موصوفاً بالعلم والخير من حذاق طلبته من أهل الدين الورع والسياسة، فخرج مع يحيى بن إبراهيم إلى بلاد الصحراء^(٩). موافقاً على هذه المهمة الشاقة^(١٠). فتلقنهم قبائل كدالة ولمتونة وفرحوا بقدميهما، فشرع الفقيه عبد الله بن ياسين يعلمهم القرآن ويقيم لهم دروس الدين ويسوسهم بآداب الشرع، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومشتداً عليهم فى إقامة الحدود^(١١) ولكن كان اشتداده فى تطبيق أحكام الدين وإقامة الحدود، أن استصعبت هذه القبائل عمله، وتركوا الأخذ عنه. ثم عزم ابن ياسين على الرحيل عنهم إلى جزيرة فى البحر ومعه سبعة نفر من كدالة حيث ابتنى رباطه هناك فكثر عليه الواردون، فلم تمر إلا مدة يسيرة حتى اجتمع عليه من التلاميذ نحو ألف رجل^(١٢).

واكتسب رباطه شهرة عظيمة كمركز للجهاد وللأتباع الجدد^(١٣) وأطلق عبد الله بن ياسين على أتباعه اسم المرابطين^(١٤). نسبة إلى رباطه الذى تلقوا فيه

تكوينهم الروحي والحربي، كما عرفوا أيضاً بالملتزمين لاتخاذهم ثاماً يستر الوجه كله، فلا تبدو إلا محاجر العينين، كما عرفوا أيضاً بالملتزمين نسبة إلى قبيلة لمتونة التي كانت تتولى الرئاسة على سائر قبائل صنهاجة^(١٥).

واستطاع عبد الله بن ياسين في أمد وجيز أن يؤلف جيشاً محارباً جعل على قيادته صاحبة يحيى بن عمر، وعندئذ شرع في نشر تعاليمه بين قبائل صنهاجة، ولكن توفي يحيى بن عمر سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م فقدم مكانه أخاه أبو بكر بن عمر، حيث قلده أمر الحرب والجهاد وذلك في المحرم ٤٤٨هـ / مارس ١٠٥٦م^(١٦). وخضعت أكثر قبائل الصحراء مثل كدالة وملتونه وجدالة ومسوفة للمرابطين، فقويت شوكتهم، واستولوا على مضارب تلك القبائل بالصحراء، وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة والسوس بعد حروب كثيرة^(١٧).

وبعد أن تم للمرابطين بسط سيادتهم على الصحراء واطمأنوا من ناحية الجنوب بدأت جموعهم تطرق أبواب المغرب، حيث اتجهت أنظار ابن ياسين إليه ليضع حداً للمظالم التي كانت منتشرة ببعض المدن المغربية^(١٨). فأمر عبد الله بن ياسين أتباعه بالخروج من الصحراء إلى بلاد سجلماسة ودرعه^(١٩) وأهلها يومئذ تحت طاعة أمراء مفراوة وزناته.. فغزاهم في جيش كثيف حتى غلبوا عليهم، ودخل المرابطون المدينتين^(٢٠). ثم تدفق المرابطون في موجات كاسحة إلى الواحات المغربية الواقعة بين نهر درعة الأوسط وتافيليت^(٢١). إلا أن زناته لم تحتمل غزو صنهاجة فثارت تافيليت، وخرجت سجلماسة على المرابطين، فأعلن عبد الله ياسين الجهاد وسار لقتال زناته^(٢٢). ففتح المرابطون بجيش في مقدمته يوسف ابن تاشفين اللمتوني مدينة ماسة^(٢٣) وتارودانت^(٢٤). قاعدة بلاد السوس، وبعث أبو بكر بن عمر، ابن عمه يوسف بن تاشقين إلى واحات درعة فنجح في استردادها فيما بين عامي ٤٤٨ - ٤٤٩هـ / ١٠٥٦ - ١٠٥٧م^(٢٥). ثم اتجه المرابطون نحو أغمات^(٢٦)، فدخلوا المدينة وما يليها سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، ومال المرابطون غرباً إلى إقليم تامسنا^(٢٧)، لمحاربة برغواطه^(٢٨)، حيث غزاهم عبد الله بن ياسين مع أبي بكر بن عمر في جمع عظيم، فقاتلهم قتالاً شديداً، واستشهد ابن ياسين في جهادهم وذلك في عام ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م^(٢٩).

وبعد ذلك نازل أبو بكر بن عمر مدينة لواته^(٣٠) وافتتحها عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م غير أن هذه الفتوحات لم يكتب لها الاستمرار، فقد حدث في هذه السنة شقاق بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء، فخشى أبو بكر بن عمر أن تفترق كلمتهم،

وتنشت جموعهم فرأى ضرورة التوجه إلى الصحراء ليصلح بين القبليتين ويربأ الصدع، فأستخلف ابن عمه يوسف ابن تاشفين فى قيادة جيوش المرابطين، وولاه بلاد المغرب مكانه نيابه عنه، وقسم الجيش حيث ترك له الثلث من لمتونة، وشرع هو فى التوجه إلى بلاد الصحراء^(٣١).

ثم انطلق المرابطون إلى شمال الأطلس الكبير، تحت قيادة رئيسهم يوسف بن تاشفين الذى غزا المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط^(٣٢) فكشفت قيادته للمرابطين عن عظمتهم^(٣٣). وأصبح يوسف بن تاشفين أميراً على البلاد منذ عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م وكانت عزمته قوية ونظره بعيد، فاخترت مدينة مراكش^(٣٤) عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م لتكون عاصمة لملكه، ثم أنشأ جيشاً كبيراً من قبائل صنهاجة وزناتة والمصادمة وزحف بهم من مراكش لفتح ما تبقى من حواضر المغرب^(٣٥). فكان اتجاه المرابطين نحو الشمال هو الذى حدد مستقبل دولتهم، حيث فتحوا فى تاريخ المغرب على الخصوص وتاريخ العالم الإسلامى على العموم صفحة جديدة^(٣٦).

محاولات المرابطين لفتح فاس:

نجح المرابطون فى القضاء على الإمارات الزناتية فى إقليم الجنوب ولم
يبقى أمامهم لتعلوا كلمتهم وتتم لهم الغلبة على الشعب الزناتى إلا أن يقضوا على الإمارة المسيطرة على منطقة فاس، والجهات المحيطة بها^(٣٧) حيث كانت تحكم هذه المنطقة قبائل زناته وهى قبائل مدمومة سيئة السيرة على غاية من الظلم ونهاية من الجور والتعدى^(٣٨). وكانت مدينة فاس ما زال يسيطر على الفتوح بن دوناس بعد تغلبه على أخيه عجيسة^(٣٩).

أدرك المرابطون أهمية هذا الإقليم الذى إذا سيطر عليه فاتح استطاع أن يسيطر على أقاليم المغرب الأقصى كلها دون عناء^(٤٠). وأعد ابن تاشفين جيشه إعداداً حسناً يتناسب مع أهمية الدور الذى سيقوم به فى هذه المرحلة، وقدر المرابطون خطورة اتجاههم نحو الشمال وصعوبته حيث سيواجهون خصماً عنيداً طالما نازعهم العداء من قبل، ذلك الخصم هو قبائل زناته بحشودها الجرارة الذين وقفوا يتربصون لذلك الحلف الذى قام فى الصحراء يريدون الإجهاز عليه، وإنهاء دعوته التى تتهدد ديارهم وملكهم^(٤١). لذلك عنى المرابطون بالجيش عناية فائقة، وأمنوا فى تنظيمه وتسليحه^(٤٢). وفى عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م جند يوسف بن تاشفين الأجناد واستكثر القواد، واتخذ كثيراً من الطبول، وأخرج العمال وكتب العهود، كما جعل

فى جيشة الاغزاز والرماة، كل ذلك إرهاباً لقبائل المغرب، فكمّل له من الجيش فى تلك السنة ما يزيد عن مائة ألف فارس، فخرج بهم من مراكش قاصداً مدينة فاس^(٤٣). كان ابن تاشفين يدرك أن مدينة فاس من المعاقل الحصينة التى يتطلب فتحها مثل هذه الأعداد الغفيرة، وبالفعل تلقته القبائل الفاسية من زواغة ولماية ولواته وصدينة وسدارته ومقيلة وبهلولة ومديونة فى خلق عظيم وعدد كثير، فكانت بينهم وبينه حرب عظيمة انهزموا فيها وانحصروا بمدينة صدينة^(٤٤). فدخل عليهم بالسيف وهدم سورها وخرّبها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف رجل، وفتح استيلاء يوسف بن تاشفين على مدينة صدينة الطريق إلى مدينة فاس التى ارتحل إليها يوسف لأن قلوب المرابطين لم تكن لتطمئن وعدوهم جائم بمدينة فاس، خاصة وأن الوادى الذى تقع فيه كان مركز الثقل فى المغرب الأقصى كله، كما أن من يسيطر على فاس يستطيع دون عناء إذا توفرت له القوة أن يتحكم فى السهول الشمالية كلها، لذلك قرر المرابطون التقدم صوب فاس مهما كلفهم ذلك من تضحيات^(٤٥).

وهنا خيم الخوف والذعر على المغراويين بفاس حين توجه إليها يوسف بن تاشفين لحصارها^(٤٦). فخشى الفتوح بن دوناس عاقبة الأمر فرحل متخلياً عن ملك مدينة فاس لابن عمه معنصر بن حماد الذى بايعته قبائل مغراوة بفاس^(٤٧). وازداد هذا الخوف عندما تحالف صاحب مكناسة^(٤٨) (مهدي بن يوسف الكزنائى) الذى كان عدواً لمعنصر المغراوى صاحب فاس مع يوسف بن تاشفين^(٤٩). وسوف يكون لهذا التحالف أثره فى تسهيل مهمة الاستيلاء على مدينة فاس^(٥٠). ومن ثم بدأ الصراع بين يوسف بن تاشفين وبين الفرع الأكبر من زناته وهو الذى يحكم فاس. فى هذه الأثناء دب النزاع بين فاس ومكناسة، واستنجدت مكناسة بيوسف بن تاشفين، وكان أمير فاس يحارب على طريقة زناته حرب كروفر، فيفر من المرابطين ثم يعود فاراً على حين غره، وكان أمير فاس يعتمد أيضاً على حلف بينه وبين صاحب سبته وطنجة^(٥١). الحاجب سكوت البرغواطى^(٥٢). وعلى قرية من منازل مفراوية فى الريف وتازا^(٥٣) ونكور^(٥٤) وتلمسان^(٥٥).

ويبدو أن المرابطين قد جمعوا بين نظامى الكر والفر، ونظام الزحف فى حروبهم الأولى ضد أمراء المغرب، وكان هذا نظاماً أملت عليه طبيعة المرحلة التى ظهروا فيها وطبيعة الأرض التى يحاربون عليها^(٥٦) وقد دخل المرابطون حرب فاس بأسلوب الكر والفر، واستخدم فيها يوسف ابن تاشفين طريقة جديدة فى الحرب

وهي أسلوب التقرى^(٥٧) حيث تقرى منازلها، وفتح جميع الحصون المحيطة بها^(٥٨) وهو أسلوب طبقة ابن تاشفين على فاس وما حولها من حصون صغيرة وكبيرة، وعلى المشارف الجنوبية لجبال غمارة^(٥٩). ثم وجه إلى فاس فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها وذلك آخر سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م، ثم أقام يوسف على فاس أياماً، فظفر بعاملها بكار بن إبراهيم، فقتله، وارتحل عنها إلى مدينة صفرو^(٦٠) فدخلها عنوة^(٦١). ثم رجع ابن تاشفين بعد ذلك إلى مدينة فاس فحاصرها حتى فتحها صلحاً، وهو الفتح الأول وذلك عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م، وأقام يوسف أياماً بفاس واستخلف عليها عاملاً من لمتونة وخرج هو إلى بلاد غمارة^(٦٢). وكان الفتح الأول لفاس فتحاً مشروطاً، وهو يختلف عن فتح العنوة، ففتح الصلح يتضمن قيوداً لصالح البلد المفتوح تحد من تصرفات الفاتح، بينما يخلو فتح العنوة منها^(٦٣). ورغم صمت المصادر التاريخية عن الأسباب التي دفعت بابن تاشفين لقبوله فتح فاس صلحاً، فإن هذا يجعلنا ظن أنه لقي من مقاومة الزناتيين بفاس ما أضطره إلى قبول الصلح، كما أن ابن تاشفين اكتفى بفتح الصلح كي يوجه جيوشه إلى مشارف غمارة^(٦٤).

وبالرغم من انعقاد هذا الصلح فإن فاس لم تستسلم ليوسف بن تاشفين الاستسلام النهائي^(٦٥). حيث استغل تميم بن معنصر - بعد مهلك معنصر المغراوي - خروج يوسف بن تاشفين إلى بلاد غماره وبعده عن فاس، فدخل تميم المدينة، وقتل عامل يوسف الذي كان بها، ومثل بالمرابطين حرقاً وصلباً، وثار زناته بفاس ضد المرابطين فأزعجهم، وتولى أمر المدينة تميم بن معنصر في عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م^(٦٦). وهكذا تمكن تميم من استرداد فاس، وطرد أعداءه ملحقاً أول هزيمة بيوسف بن تاشفين^(٦٧). ولم يكن في إمكان يوسف بن تاشفين أن يعود إلى فاس، وهو لم يثبت أقدامه بعد في جهات غمارة^(٦٨).

وعلى أثر سقوط فاس طلب يوسف من حليفه "مهدي الكزنائي" أن يتجهز لقتال مغراوة، فخرج مهدي من مكناسة وأتجه نحو فاس، وخاف تميم بن معنصر أن يتقوى المرابطون عليه إذا وصل حليفهم الكزنائي، فتقدم في أجناد مغراوة وقبائل زناته نحو مكناسة قاصداً صاحبها الكزنائي، حيث لحق به في بعض الطريق، فكان بينهما قتال شديد تمكن فيه تميم من هزيمة الكزنائي، وفض جموعه، وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب سكوت البرغواطى^(٦٩).

وهكذا أصبحت مدن المغرب الشمالية في قبضة تميم، ونال ما أراد من عدوة الكزنائي ثم أخذ تميم يعمل على تطهير فاس من كل من يشتم منه الميل إلى

المرابطين^(٧٠). وعددئذ بعث أهل مكناسة إلى يوسف بن تاشفين يستصرخونه ويستغيثون به ضد صاحب فاس، واعطوه بلادهم، وبذلوا له الطاعة، ولم تطل فرحة تميم بالنصر، فقد تدارك المرابطون الأمر في سرعة وثبات، فلم يكد تميم بن معنصر يستقل بأمره حتى وجه ابن تاشفين عسكرة لحصار فاس التي قامت بحصار المدينة وتضييق الخناق عليها، وقطع الموارد عنها، فلما رأى صاحب فاس أن الأمر قد اشتد عليه وانقطعت عنه المواد والموارد، وعدمت الأقوات بفاس، جمع جيشاً عظيماً من مغراوة وبنى يفرن وخرج إلى قتال المرابطين، ولكنه يبدو أن حصار المرابطين للمدينة قد أتى ثماره، فكانت الهزيمة على تميم حيث قُتل وقتل معه خلق كثير^(٧١). ودخل ابن تاشفين مدينة فاس هذه المرة عنوة فقتل بها من زناته ما يزيد عن عشرين ألفاً وذلك عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م^(٧٢).

وكان على قبائل زناته بفاس أن تعمل على صد الخطر المرابطي وفعلاً التفت زناته حول بيت زناتي آخر كانت له الرئاسة قبل بيت زيري هو بيت موسى ابن أبي العافية^(٧٣). حيث اجتمعت زناته بعد مقتل تميم على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن أبي العافية، الذين كانوا ملوكاً بتازا وتسول^(٧٤)، وزحفوا إلى عساكر المرابطين حيث التقوا معهم في وادي سيمر^(٧٥)، فكان بينهم قتال شديد انهزم فيه المرابطون، وقتل جماعة من فرسانهم، وفي هذه الأثناء كان يوسف بن تاشفين يحاصر قلعة فازاز^(٧٦) حيث وصلته أنباء خبر هزيمة المرابطين، فأرتحل عن القلعة تاركاً جيشاً من المرابطين محاصراً لها^(٧٧). وهكذا نجحت زناته في حربها ضد المرابطين هذه المرة، كما نجحت في المرة الأولى، بل انتصر جيش القاسم بن أبي العافية على جيش المرابطين، الذين أصبح موقفهم في غاية الصعوبة، وكادت تضيع جميع جهودهم التي بذلت في فتح فاس، كما خشوا أن تنتشر أخبار تلك الهزائم، وتتألب القبائل التي حالفت المرابطين، فأضطر قائدهم أن يعود مرة أخرى إلى مدينة فاس، ليعمل على معالجة الأمور بسرعة، خاصة وأنها الهزيمة الثانية التي تصيب المرابطين في مواجهة عسكرية مع قبائل زناته بفاس^(٧٨).

ويبدو أن يوسف بن تاشفين اختص نفسه بمنطقة فاس وما جاورها لأنها قلب المقاومة ومركز ذلك الصراع^(٧٩). فتقدم جيش المرابطين نحو فاس، وفي هذه المرة لجأ ابن تاشفين إلى أسلوب التقري التماساً لفرصة من زعيم بنى مراسن وفتح بلادهم وسار إلى بلاد فندلاوة وورغة فغزاهما، وفتح جميع تلك الجهات^(٨٠). وبذلك أحاط ابن تاشفين بمدينة فاس إحاطة السوار بالمعصم، عازلاً لها عن الجهات

المجاورة^(٨١) غير أن القاسم بن أبي العافية لم يمكنه من نفسه، وفضل الانتظار لفرصة إن أمكن، ولكن لم يقدر لزنااته أن تعود مرة أخرى إلى الكر، وظل ابن تاشفين متمسكاً بأسلوب التقري تمهيداً للدخول في مرحلة رئيسية للاستيلاء على المدينة^(٨٢). وبعد أن تم ليوسف فتح البلاد المحيطة بفاس، زحف على المدينة بجميع جيوشه وشدّد عليها الحصار، حتى دخلها عنوة بالسيف، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة، وقبائل زنااته خلقاً كثيراً حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وأعوزت مدافنهم فرادى، فأخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات فقتل منهم بجامعي القرويين والأندلسيين ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل، وفر من بقى منهم إلى أحواز تلمسان، وهو الفتح الثالث لفاس، وكان دخول يوسف بن تاشفين إياها في يوم الخميس جمادى الآخرة عام ٤٦٢هـ / ١٨ مارس ١٠٧٠م^(٨٣) ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م^(٨٤)، ولكن هذا تاريخ عما تذكره المصادر الأخرى.

هكذا فوجئت قبائل زنااته بيوسف بن تاشفين، ولم يستطع الزناتيون بفاس قتال ابن تاشفين، بل تخلوا عن البلاد، وانسحبوا مع أميرهم آلمين في الحصول على نجده، ولكن يوسف بن تاشفين انتقم من الهزائم السابقة التي حلت به من الزناتيين دون أن يجد أية مقاومة. ويبدو أن سكان فاس أمام هذا القتل فقدوا أى أمل من الزناتيين، فبدلاً من مساعدتهم قاموا بمطاردتهم وكأنهم رعايا ثائرون عليهم ثم التقوا بهم على وادى أبى رقراق بأمتعتهم وعائلاتهم مجهدين يكادون يموتون من الجوع، فأثخنوا فيهم ولم يفلت من أيديهم إلا من غرق أو قفز إلى أسفل الصخور، فتلك هي الصورة التي هلكت بها قبائل زنااته^(٨٥). ويتضح لنا من خلال هذا مدى انحياز أهل فاس إلى قوات ابن تاشفين بعد أن تملكهم اليأس من نصرة الزناتيين، وهكذا شهدت مدينة فاس صراعاً مريعاً ومعارك مستمرة قرابة الثمان سنوات، إلى أن استولى المرابطون عليها.

وبسقوط فاس في يد المرابطين تنتهى الحلقة الأخيرة من حلقات ذلك الصراع العنيف الذى احتدم بين زنااته وبين صنهاجة الجنوب، وقد تفرق شمل زنااته ولم تعد لها بالمغرب الأقصى قوة تذكر.. وكان لاستيلاء المرابطين على فاس أهمية بالغة الأثر، فقد فتح الطريق أمامهم ليتموا فتح المغرب الأقصى كله، ويستولوا على السهول الساحلية، كما أنه يمثل بدء احتكاك المرابطين بالحضارة المغربية الأندلسية التى كانت مزدهرة بفاس وبالسّهول الساحلية من إقليم الريف^(٨٦).

– توحيد فاس وتنظيمها في عهد المرابطين:

لم تكن مدينة فاس عاصمة للمرابطين، ولكن كانت إحدى مدنها الرئيسية فهي وإن كانت مدينة لإدريس الثاني بنشأتها الأولى، فإن يوسف بن تاشفين هو مؤسسها الثاني، حيث اهتم ابن تاشفين بمدينة فاس على الرغم من اتخاذ مدينة مراكش عاصمة لدولته.^(٨٧) فلم يكده يستقر بفاس حتى أدرك الوضعية المتناقضة للمدينتين المتلاحقتين^(٨٨). تلك الوضعية التي كانت تشعر سكان العدوتين بضيقهما، ولا شك أن يوسف بن تاشفين استجاب لهذا الإحساس^(٨٩). فأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين القرويين والأندلسيين من عدوتها، وربطهما بعدة قنوات، وصيرهما مدينة واحدة^(٩٠).

ولا شك أن هذا القرار كان صائباً... لكنه لم يستطع أن يقضى على الخلافات القائمة بين المدينتين دفعة واحدة، وما زلنا نذكر أن سكان المدينتين كانوا من عناصر مختلفة.. فكان توحيد المدينة يواجه مصالح معنوية ومادية، لا يمكن أن يوقفها عند حدها أقل من يوسف بن تاشفين.^(٩١) الذي "أقر العامة بها، ونفى البربر والجند بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوى شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه"^(٩٢). في نفس الوقت قام يوسف بن تاشفين بإدارة الأسوار على مدينة فاس، جاعلها سوراً واحداً، وأصلح أسوارها^(٩٣) والتي نعتقد أنها تهدمت في فترة الاضطرابات السياسية التي شهدتها فاس قبيل دخول المرابطين، وأثناء محاولاتهم للاستيلاء على المدينة. حيث أصلح ابن تاشفين السور الذي بأعلى الوادي الكبير بقرب حوض السفرجل، والسور الذي أسفله حيث هي الرميلا الذي كان بناءه دوناس حين أدار الأسوار على سائر أرباض المدينة^(٩٤). ولا شك أن ابن تاشفين أراد من ذلك أن يتخذ صيغة الجدار الدفاعي، والتحصين العسكري خوفاً من مباغرات زنايته مفاجئة.

وعمل يوسف بن تاشفين على تحويل فاس إلى قاعدة عسكرية، إذ كانت إلى ذلك الحين – على ما يبدو – لا تحتوي سوى حاميات متواضعة. فأصبحت فاس مع ابن تاشفين القاعدة الرئيسية لعمليات المرابطين، سواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق نحو تازا وملوية^(٩٥) وتلمسان وحتى الجزائر أو أراد يوسف إخضاع قبائل الريف وجباله، أو ذهب بعد قليل لفتح بلاد الأندلس، فكان يتخذ فاساً دائماً قاعدة أساسية لغزواته^(٩٦). لأن المرابطين على حد قول هوبكنز قد اهتموا بالشؤون العسكرية أكثر من اهتمامهم بالشؤون المدنية^(٩٧). لهذا الغرض بنى القصبة التي يمكن

التعرف عليها بالحي الذي ما زال يسمى "بوجلود" أو القصبة القديمة.^(٩٨) التي تقع في غرب المدينة، في مكان مرتفع، مفصولة تمامًا عن باقي المدينة لكنها تشرف عليها إشرافاً مباشراً، وعلى ما يبدو أن مساحة هذه القصبة كانت كبيرة، حيث وُصفت بأنها تكاد تكون مساحة مدنية^(٩٩). وكانت هذه القصبة مقر سكان حكام مدينة فاس وأمرائها خلال عصرى المرابطين والموحدين. حيث احتوت على كثير من القصور التي كان يسكنها الحكام والأمراء، كما احتوت على الأبنية الأخرى التي كانت تسكنها بعض أسرهم وضمت سجنًا شيد على شكل كهف^(١٠٠).

إلى جانب ذلك أسس ابن تاشفين بمدينة فاس "القلعة" داخل أسوار المدينة، وفي وسطها، وقلعة المرابطين هذه كانت في أعلى الحي الذي يسمى "القطانيين" كما يوجد السجن الذي كان يسمى بسجن القلعة، مضافاً إليهما البرج الذي كان من توابع القلعة المرابطية.^(١٠١)

كما اهتم ابن تاشفين ببناء المساجد في فارس، مؤكداً على زيادتها حاملاً أهل فاس على الاستكثار منها^(١٠٢). وبذلك حقق ابن تاشفين عملاً سياسياً ودينياً، فالمرابطون لم يخرجوا من الصحراء للفتوح والغنائم فقط، إنما كانوا يتزعمون إسلاماً مستمداً من ينابيع المذهب المالكي.^(١٠٣) لهذا اتجه ابن تاشفين منذ اللحظة التي دخل فيها فاس إلى بناء المساجد، لأن الدين يدعو إلى الاهتمام بإنشائها. وتطلبت عملية الإنشاء أن يقيم ابن تاشفين بفاس منذ فتحها في جمادى الآخرة عام ٤٦٢هـ/ مارس ١٠٧٠م إلى شهر صفر من عام ٤٦٣هـ/ نوفمبر ١٠٧٠م^(١٠٤). وبهذا ندرك أن العاهل المرابطي الأول كان أحد الرواد الكبار لتنمية فاس سياسياً.

هذا ولقد شهد المغرب الأقصى تقسيماً إدارياً لأقاليمه منذ بداية دولة المرابطين، ففي عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م قسم ابن تاشفين المغرب إلى أعمال ووزعها على بنيه وأمرائه وقومه وذويه، فولى عمر بن سليمان على مدينة فاس وأحوازها^(١٠٥). وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يعين هؤلاء الأمراء لفترات محدودة، ويضعهم تحت الاختبار، حتى إذا ظهرت صلاحيتهم ورضى عنهم العامة ثبتهم في مراكزهم، ومنحهم سلطة الأمير كاملة غير منقوصة^(١٠٦). وهذا وكان نائب أمير المسلمين في إقليم مراكش الساحلية يتخذ مدينة فاس قاعدة لحكومته ويسمى سلطان المغرب^(١٠٧).

وأدرك ابن تاشفين أهمية استقطاب أهل فاس في عبوره للعمليات العسكرية بالأندلس، فعندما تواترت عليه الكتب بالاستصراخ لنصرة المسلمين هناك، قدم إلى

مدينة فاس عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م ناظرًا في أمر الجهاد مستنفرًا له قبائل المغرب، ثم خرج من فاس إلى سبته ليعبر منها إلى الأندلس، فلحقت به العساكر والجنود^(١٠٨).

الفتن والاضطرابات في فاس في عصر المرابطين:

في حوالي ٤٧٨هـ / ١٠٩٤م عاشت طائفة من أهل فاس فسادًا وطغيانًا في المدينة، وقاموا باحراق منازلها، وتطور الأمر إلى حد تلقب أحدهم بالإمارة. وتدارك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين خطورة هذه الحركة، فعمل على إخمادها، ولما نجح في هذا الأمر أبعد القائمين عليها عن مدينة فاس، وقام بوضعهم في سجن أغمات^(١٠٩). ويبدو أن هذه الحركة كانت تضم عناصر مختلفة بينهم طائفة من الشعراء، الذين وضعوا في السجن مع المعتمد بن عباد^(١١٠). فكان المعتمد يتسلى بمجالستهم ومؤانستهم ويستريح إليهم، ويبوح لهم بسرهم ونجواه. وبعد أن هدأت الأمور بمدينة فاس بعد القضاء على هذه الحركة، أطلق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سراح السجناء فأنطلقوا من وثاقهم^(١١١).

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين في المحرم سنة ٥٠٠هـ / سبتمبر ١١٠٦م، كتب ابنه علي بن يوسف إلى جميع بلاد المغرب والأندلس يعلمهم بموت أبيه، واستخلافه من بعده، ويأمرهم بالبيعة^(١١٢) فأثته البيعة من جميع البلاد، وأقبلت نحوه الوفود من جميع مدن المغرب والأندلس للتغزية والتهنئة، إلا مدينة فاس، فإن ابن أخيه يحيى بن إبراهيم بن أبي بكر بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان أميرًا عليها من قبل جده يوسف، فلما وصله الخبر بموت جده، وولاية عمه عظم ذلك عليه، وأنف من بيعته^(١١٣). وأبى الاعتراف بسلطان علي بن يوسف^(١١٤).

وتكمن أسباب عدم الاعتراف في حقد يحيى بن أبي بكر، علي بن يوسف لتوليهِ الإمارة بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين^(١١٥). حيث صار يحيى بن أبي بكر يصرح بأنه خير من علي بن يوسف، وأحق بالأمر منه، ممتنعًا عن بيعته، معللًا عصيانه وتمرده، وخروجه عن طاعة عمه، محاولاً أن يستقل بمدينة فاس استقلالاً تاماً^(١١٦).

وبذلك قامت في مدينة فاس العاصمة الدينية للمغرب ثورة محلية محدودة، ولكنها كانت في الحقيقة أول مظاهر التصدع الذي أصاب دولة المرابطين، حيث وافق الأمير يحيى بن أبي بكر في ثورته جماعة من قواد لمتونة^(١١٧). وهنا اضطر علي بن يوسف أن يعجل بالقضاء على هذه الثورة وتأديب ابن أخيه، فبادر بالتحرك في قوة من عسكره حتى اقترب من مدينة فاس. ونزل بأحوازها وكتب لابن أخيه

كتاباً يعاتبه فيه على ما ارتكبه من الخلاف، ويدعوه إلى الدخول في طاعته، كما دخل كل الناس وكتب في نفس الوقت إلى شيوخ فاس، وفقهاءها كتباً أخرى يدعوهم فيها إلى بيعته، ويتهددهم ويتوعددهم، محذراً إياهم من مغبة الخروج عن طاعته، ووقعت هذه الكتب في يد أمير فاس يحيى بن أبي بكر، فخشى أن يسلمها لشيوخ فاس، فيستجيبوا لنداء عمه، ويبادروا ببذل الطاعة له، فيخرج الأمر من يده، وعلى هذا أثر الأمير يحيى أن يجمع فقهاء المدينة وأشياخها، حيث قرأ الكتاب على أهل البلد مستشيراً إياهم في أمر الحصار، وكيفية دفاعه عن المدينة، والتصدى لقوات عمه، ولكن لم يوافقهم الفقهاء وشيوخ المدينة على هذا الأمر، ونصحوه أن يبادر على الفور بمبايعة عمه، ولا سيما وأن الظروف الداخلية في فاس لم تكن موافقة لمثل هذا العصيان فأكثر أهل فاس كانوا غير راضين على هذه الحركة، بل كانوا يؤيدون الأمير على بن يوسف، فلما أدرك يحيى بن أبي بكر أمير فاس استحالة وقوف أهل فاس معه ويئس من تأييدهم قرر ترك المدينة^(١١٨). وخرج الأمير يحيى بن أبي بكر فاراً إلى "مزدلي بن تيلكان" العامل وقتئذ على تلمسان، فلقبه مزدلي بوادى ملوية^(١١٩)، حيث كان مزدلي متوجهاً إلى المغرب الأقصى ليبيع الأمير المسلمين على بن يوسف، فأعلمه يحيى بما كان من شأنه وطلب من مزدلي أن يتوسط له عند عمه ليعفو عنه فضمن له زولي من عمه العفو والصفح، ساعياً له في ذلك، وهماً رجع يحيى بن أبي بكر مع مزدلي عامل تلمسان حتى وصلا إلى مدينة فاس، فاتفق مزدلي مع يحيى أن يختفى عن الأنظار في حومة بأحواز فاس، ودخل مزدلي مدينة فاس مبايعاً للأمير المسلمين، وسلم عليه، فرأى منه قبولاً وإكراماً، وهنا فاتح مزدلي أمير المسلمين على بن يوسف في أمر يحيى، وبما ضمنه له عند أمير المسلمين من العفو والصفح، فأجابه إلى ذلك وعفى عنه وأمنه، فأتى يحيى وبايع للأمير المسلمين على بن يوسف^(١٢٠).

وبعد مبايعة يحيى لعلى بن يوسف خيره بين الإقامة في جزيرة ميورقة^(١٢١). أو ينصرف إلى بلاد الصحراء، واختار يحيى بلاد الصحراء، حيث سار من هناك إلى بلاد الحجاز ففرض فريضة الحج، ورجع مرة ثانية للمغرب، حيث ذهب إلى عمه مستأذاً إياه أن يكون من أحد حماته وأن تكون إقامته بمراكش العاصمة فأذن له في ذلك، وأقام فيها مدة من الزمن^(١٢٢).

وهكذا انتهت هذه الثورة حيث تمكن على بن يوسف من القضاء على حركة ابن أخيه في مهدها. وكان من أهم نتائج هذه الثورة أن أمراء المرابطين قد

أدركوا أهمية مدينة فاس لدولتهم فأخذوا يعملون على إحكام قبضتهم عليها، ولم يتيحوا لأمرء فاس بعد ذلك فرصة البقاء في إمارتهم مدة طويلة خشية أن يستقلوا بالأمر.

كذلك زعزعت هذه الثورة أيضاً ثقة علي بن يوسف في أقرب أقربائه علي رأسهم أخيه أبي الطاهر تميم الذي لم يمكث طويلاً في أي منصب من المناصب التي كان يتولاها سواء في المغرب أو الأندلس^(١٢٣). حيث عزله عن ولاية المغرب في عام ٥٠١هـ/١١٠٢م، وولى مكانه القائد أبا عبد الله ابن الحاج، الذي أقام والياً على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ثم عُزل^(١٢٤). وفي عام ٥٠٤هـ/١١١٠م عين أمير المسلمين علي بن يوسف، عبد الله بن فاطمة، على مدينة فاس حيث بقي بها عدة سنوات إلى المحرم سنة ٥٠٩هـ/مايو ١١١٥م ثم عاد ابن فاطمة إلى الأندلس عاملاً على إشبيلية^(١٢٥).

وتصمت المصادر التاريخية عن ذكر ولاية فاس من قبل المرابطين باستثناء ابن عذارى الذي يذكر أن "أبو العلا زهر" كان قائماً بالأمر في فاس وذلك بعد عام ٥١١هـ/١١١٧م^(١٢٦). ولكن لم تحدد المصادر تلك المدة، ويذكر ابن القطان وابن عذارى أن تميم بن يوسف بن تاشفين كان والياً على فاس في عام ٥٢٣هـ/١١٢٩م، فعزله أخوه عنها، حيث وليها في عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م عمر بن علي بن يوسف^(١٢٧). لكن هذا الوالي تجاوز حدود ولايته فعزل، فوليها يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ابن أخت علي بن يوسف، وكان يحيى والياً على تلمسان وما وراءها، فجمع بين الولايتين حيث أناب لفاس موسى بن هارون^(١٢٨). هكذا حرص أمير المسلمين علي بن يوسف على مراقبة ولاته على الأقاليم مراقبة دقيقة، كما كان يرقب سير الأمور عن كثب خشية استبدادهم بالأمر وإساءتهم السيرة.

هكذا وقامت مدينة فاس بدورها الجهادي ضد نصارى الأندلس في عهد علي بن يوسف فحين عزم على جهاده ألزم مدينة فاس بثلاثمائة غلام من العبيد السود الذين يملكونهم أهالي فاس لينغزون في العساكر، على أن يتكلف الأهالي برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، ويخرجون ذلك من أموالهم^(١٢٩). كما اهتم علي بن يوسف بمدينة فاس، ولا سيما وأن الدولة المرابطية كانت قد بدأت حروبها مع الدعوة الموحدية فعمل علي بن يوسف على إصلاح أسوار فاس، وزاد فيها أبراجاً، ووزع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش^(١٣٠).

وباستثناء حركتى ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وعام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م يظهر أن فاساً لم تعرف طوال عهد الدولة المرابطية تقلبات خطيرة، بل كانت هذه الفترة بالنسبة لها فترة سلم ونمو سريع منتظم^(١٣١).

ثانياً: الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصر المرابطين بداية الدولة الموحدية وصراعها مع المرابطين:

لم يكذب ينعم المغرب الأقصى ومدينة فاس بالاستقرار فى ظل دولة المرابطين حتى ظهر على مسرح الأحداث داعية دينى قام بحركة تجديدية سرت فى أعماق نفوس كثيرة، سقطت على أثرها دولة المرابطين، وبنيت على أساسها دولة الموحدين.

كانت بداية هذه الدعوة عندما ظهر المهدي بن تومرت^(١٣٢)، فى عام ٥١٤هـ / ١١٢٠م بعد عودته من المشرق، فقهياً مشغلاً بالعلم والفتيا والتدريس أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر^(١٣٣) ونزل المهدي فى بداية دعوته بمدينة بجاية^(١٣٤) فى قرية منها تعرف بملالة، ولقيه بهذه القرية عبد المؤمن بن على^(١٣٥). الذى انضم إلى خدمته وأخذ عنه العلم وعلم بما يقصد إليه من طلب الخلافة^(١٣٦). وبقي المهدي بقرية ملالة إلى أن خرج إلى ونشريس^(١٣٧)، فصحبه بها محمد بن البشير^(١٣٨).

أخذ ابن تومرت منذ اللحظات الأولى لدعوته يستنقص المرابطين أمراء المغرب وينسبهم إلى الكفر، ويدعو إلى خلع طاعتهم، ويمشى فى الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكسر المزامير والآلات اللهو، ويريق الخمر حيثما وجده، يفعل ذلك فى أى بلد حل به وأى موضع نزله، إلى أن وصل مدينة فاس^(١٣٩). ولما دخل المهدي بن تومرت مدينة فاس نزل بمسجد ابن الغنام، ثم رحل منه إلى مسجد ابن الملقوم^(١٤٠)، ثم منه إلى مسجد يعرف بطريانه^(١٤١). حيث قام به يدرس العلم ويحيى تعاليم الدين الصحيح التى كانت قد بدأت تتغير ويقف بصراحة فى وجه فقهاء المالكية، فهرع إليه طلبة فاس من كل مكان^(١٤٢) وأراد ابن تومرت أن يخدم البدع التى كانت تتفشى فى بعض الأماكن بفاس حيث خرج بسبعة نفر من طلبته يحملون المقارع (المتخذة من شجر التين الذى لا ينتفع به) إلى زقاق بزقاله، ففرقهم على الحوانيت، أمراً إياهم بتكسير ما كان فيها من آلات اللهو^(١٤٣).

وبطبيعة الحال كان لأعمال ابن تومرت هذه ردود فعل مختلفة تراوحت ما بين الامتنان بالمصلح، وبين الحقده عليه^(١٤٤). ففى فاس قام أرباب الحوانيت بالصراخ، وساروا شاكين نحو قاضيهم عبد الحق بن معيشة ووقف القاضى من ابن

تومرت موقفاً متزناً وقال لهم: "لولا ما رأى فى السنة ما كسرهما، مروا فإنكم مخالفون للحق^(١٤٥)". وجمع والى المدينة نفر من فقهاء فاس لمناظرة المهدي بن تومرت، فظهر عليهم وفاقهم، فأشار الفقهاء على الوالى بإخراجه من المدينة، فأخرجه الوالى حتى لا يفسد عقول العوام^(١٤٦).

ارتحل ابن تومرت بعد ذلك إلى مراكش، عاصمة المرابطين، لعلمه أنه لا يظهر أمره إلا منها^(١٤٧). وفعل بمراكش ما فعل بغيرها من المدن^(١٤٨) ولكن لم يكن لتترك حركة ابن تومرت لتنمو فى مراكش إذ حضر الأمير على بن يوسف فقهاء مراكش لمناظرة ابن تومرت الذى أقحم خصومه، وحينئذ أشار علماء مراكش على أمير المسلمين على بن يوسف بإخراجه من المدينة خشية أن يفسد عقائد أهلها، فخرج من مراكش وابتنى له خيمة بين القبور قرب المدينة، وقعد بها حيث كثر أتباعه وتكاثر عليه الناس^(١٤٩) وفى أثناء ذلك كان يأمر بخلع طاعة المرابطين فتبعه على ذلك خلق كثير، حتى هم على بن يوسف بقتله، فخرج إلى تينمل^(١٥٠) وذلك فى شهر شوال سنة ٥١٤هـ / يناير ١١٢١م حيث بلده هرغة من مصادمة السوس الأقصى^(١٥١).

وفى تينمل توافد عليه الناس، فلما رأى ذلك أظهر دعوته، ودعا الناس إلى بيعته، فبايعوه بها، وكان أول من بايع المهدي، عبد المؤمن بن على، وباقي العشرة، ثم سائر الموحدنين وبايعه بعد ذلك كثير من القبائل، وذلك فى شهر رمضان ٥١٥هـ / نوفمبر ١١٢١م، ولقب بالمهدي بالمهدي، وكان لقب ذلك الإمام^(١٥٢). وأعلن ابن تومرت الحرب ضد دولة المرابطين، وأخذ المرابطون يعملون على إخماد هذه الدعوة فى مهدها، فجهز على بن يوسف جيشاً لمحاربة المهدي وأتباعه^(١٥٣). ولكن توالى الهزائم على جيوش المرابطين مرة تلو الأخرى^(١٥٤).

ويذكر لنا البيهقي ثمانى غزوات للمهدي بن تومرت ضد القوات المرابطية لا مجال لذكرها هنا. لكن كان من أهمها الغزوة الثامنة، وهى المعروفة بوقعة "البحيرة"^(١٥٥). تلك الغزوة التى استعد لها الموحدون غاية الاستعداد، حتى بلغت قواتهم على حد قول صاحب الحلل الموشية أربعين ألفاً يتقدمهم أبو محمد البشير أحد أصحاب المهدي العشرة، حيث نزلت القوات الموحدية "بالبحيرة" ومكثت بها أربعين يوماً ثم أقيمت بعدها عساكرهم نحو العاصمة المرابطية مراكش، فخرج إليهم المرابطون فى أزيد من مائة ألف ما بين فارس وراجل^(١٥٦). وانتهت هذه الغزوة بهزيمة الموحدنين هزيمة منكرة^(١٥٧) حيث اتبعهم المرابطون من مراكش إلى أغمات

فأمعنوا القتل فيهم ولم ينج منهم إلا اليسير، وقتل في هذه الموقعة البشير قائد الموحدين، كما خسر الموحدون أكثر أصحاب المهدي العشرة^(١٥٨). وفقد فيها زهرة الجيش الموحدى الناشئ، وتعتبر موقعة البحيرة من أعنف المعارك التى وقعت بين المرابطين والموحدين^(١٥٩).

وبعد هذه الموقعة بأيام قلائل توفى المهدي بن تومرت فى ٢٥ رمضان ٥٢٤هـ/ سبتمبر ١١٣٠م وبويع بعده عبد المؤمن بن على خليفة للموحدين، الذى قاد المرحلة الثانية من الصراع بين المرابطين والموحدين^(١٦٠). واستمرت الحرب بين عبد المؤمن بن على والمرابطين منذ أن بويع إلى أن توفى على بن يوسف فى ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م وكانت أمور دولته قد اضطربت منذ ظهور المهدي، وعبد المؤمن من بعده فلم يستقر للأمير المرابطى أمر حتى مات .. وبسبب هذه الحروب غلت الأسعار وتوالت الفتن، وعم الجذب، وقلت المجابى، وكثرت على أهل المغرب المحن^(١٦١).

وفى خلال ذلك نمت أحوال الموحدين، وعظم شأنهم فاستولوا على كثير من مدن المغرب التى كانت تحت سيطرة المرابطين^(١٦٢). وفى عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م حدث فى الصراع بين المرابطين والموحدين تحول خطير إذ تولى قيادة الجيش المرابطى الأمير تاشفين ولى العهد، الذى أخذ على عاتقه مطاردة الموحدين، واستنصال دعوتهم "مقتنعا أنه يهزم كل من ناهضه، ويغلب كل من عارضه"^(١٦٣). فوقعت بينه وبين الموحدين حروب ووقائع كان للموحدين فيها الظهور عليه^(١٦٤).

كانت تلمسان وفاس من المواقع الحصينة والمعازل المهمة التى تمثل قاعدة لانطلاق القوات المرابطية فى حربها ضد الموحدين، لذا عمل عبد المؤمن بن على، على السيطرة عليهما واتخاذهما قاعدتين تنطلق منهما جيوشه للدفاع أو للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس "فعزم عبد المؤمن أن يخرج بجمعه إلى جهة فاس وتلمسان لحشد أهل طاعته وجلبهم من كل مكان، وبلغت الجيوش الموحدية فى سيرها الجبال المجاورة لفاس"^(١٦٥). إزاء ذلك جند تاشفين جنوده وحشد حشوده وخرج لمواجهة عبد المؤمن بن على، فاتجه بالقوات المرابطية إلى مدينة فاس - المعقل المرابطى الحصين - فاستقر بها بعضا من الوقت، وحوله رجال قيادته ليدرسوا خطة حاسمة ونهائية للقضاء على الموحدين، ولكن ذلك لم يتحقق للمرابطين، وقد نقصت عنهم القوات والميرة^(١٦٦) فأقاموا بهذا الحصن شهورا دون حطب ولا فحم حتى ألجأتهم الضرورة لحرق أوتاد أخيبتهم وخشب أبينتهم^(١٦٧).

إن أمكن، ولكن لم يقدر لزناته أن تعود مرة أخرى إلى الكر، وظل ابن تاشفين متمسكاً بأسلوب التقرى تمهيداً للدخول في مرحلة رئيسية للاستيلاء على المدينة^(٨٢). وبعد أن تم ليوسف فتح البلاد المحيطة بفاس، زحف على المدينة بجميع جيوشه وشدّد عليها الحصار، حتى دخلها عنوة بالسيف، فقتل بها من مفراوة وبنى يفرن ومكناسة، وقبائل زناته خلقاً كثيراً حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وأعوزت مدافنهم فرادى، فأتخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات فقتل منهم بجامعى القرويين والأندلسيين ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل، وفر من بقى منهم إلى أحواز تلمسان، وهو الفتح الثالث لفاس، وكان دخول يوسف ابن تاشفين إياها في يوم الخميس جمادى الأخرى عام ٤٦٢هـ / ١٨ مارس ١٠٧٠م^(٨٣) ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م^(٨٤)، ولكن هذا تاريخ عما تذكره المصادر الأخرى.

هكذا فوجئت قبائل زناته بيوسف بن تاشفين، ولم يستطع الزناتيون بفاس قتال ابن تاشفين، بل تخلوا عن البلاد، وانسحبوا مع أميرهم آلمين في الحصول على نجده، ولكن يوسف بن تاشفين انتقم من الهزائم السابقة التى حلت به من الزناتيين دون أن يجد أية مقاومة. ويبدو أن سكان فاس أمام هذا القتل فقدوا أى أمل من الزناتيين، فبدلاً من مساعدتهم قاموا بمطاردتهم وكأنهم رعايا ثائرون عليهم ثم التقوا بهم على وادى أبى رقرق بامتعتهم وعائلاتهم مجهدين يكادون يموتون من الجوع، فأنخنوا فيهم ولم يفلت من أيديهم إلا من غرق أو قفز إلى أسفل الصخور، فتلكت هى الصورة التى هلكت بها قبائل زناته^(٨٥). ويتضح لنا من خلال هذا مدى انحياز أهل فاس إلى قوات ابن تاشفين بعد أن تملكهم اليأس من نصرة الزناتيين، وهكذا شهدت مدينة فاس صراعاً مريعاً ومعارك مستمرة قرابة الثمان سنوات، إلى أن استولى المرابطون عليها.

وبسقوط فاس فى يد المرابطين تنتهى الحلقة الأخيرة من حلقات ذلك الصراع العنيف الذى احتدم بين زناته وبين صنهاجة الجنوب، وقد تفرق شمل زناته ولم تعد لها بالمغرب الأقصى قوة تذكر .. وكان الاستيلاء المرابطين على فاس أهمية بالغة الأثر، فقد فتح الطريق أمامهم ليتموا فتح المغرب الأقصى كله، ويستولوا على

الموحيدين أراد أن يستقل حماس الوفود والحشود المجتمعة عليه من كل جهة ومكان في فتح مدينة فاس^(١٧٨).

ونزلت القوات الموحدية بالمقرمدة^(١٧٩)، بادئة الحصار^(١٨٠) ولما علم الأمير يحيى بن أبي بكر الصحراوى باقتراب الموحيدين من مدينة فاس، أخذ ينظم خطط المقاومة والدفاع عن المدينة، ولكن عبد المؤمن لم يمهلهم فمئذ اللحظات الأولى أخذ فى بث عيونه ليتعرف على مدى حجم القوات المرابطية التابعة بفاس، مدركاً أنها من أكبر المعازل الدفاعية للمرابطين، فأمر الخليفة الموحدى جماعة من أصحابه أن يسيروا إلى فاس ليعرفوا إن كان الصحراوى فى قوة أم لا^(١٨١). "مقدمًا جمعًا من الرجال للحرب والنزال وليعلم ما عند الصحراوى من خيل ورجال، وعلى رأس هؤلاء العيون أبو بكر بن الجير بألف رجل من هسكورة وصنهاجة، كانوا رجالاً دون خيل، فسار بهم أبو بكر على طريق الساحل، وجاز بهم نهر سبو، فصعدت عيون الموحيدين ليلاً إلى جبل زلاغ"^(١٨٢).

وأوقد ابن الجير النيران فوق هذا الجبل ليهرب بها المرابطين، فلما رأى أهل فاس ذلك، وقع فى قلوبهم الذعر، وعلموا أن القوات الموحدية تنزل بالقرب من المدينة بجبل زلاغ، فخرج الصحراوى من فاس ومعه أهل المدينة لقتال الموحيدين وبلغت القوات المرابطية الخارجة لقتالهم قرابة الألف وخمسمائة فارس ما بين أهل المدينة ولمتونة، واشتبك الجيشان من الصباح حتى العصر ثم رجع الصحراوى إلى فاس، فى حين أشعل الموحدون النيران إلى منتصف الليلة، ثم رجعوا إلى عبد المؤمن^(١٨٣).

كانت هذه السرية - إن جاز لنا أن نطلق عليها هذا التعبير - بمثابة جس النبض للقوات المرابطية بفاس، وأدرك منها عبد المؤمن قوتهم، وعرف أنهم يلجأون إلى خطة لكسب الوقت.

ثم انتقل عبد المؤمن بن على بالقوات الموحدية من المقرمدة إلى محلته بعقبة البقر^(١٨٤). ولا شك أن انتقال عبد المؤمن بن على إلى هذا المكان كان لأسباب استراتيجية يتميز بها هذا الموضع الجديد، والذى فيه ازدادت القوات الموحدية حتى ملأت السهل والوعر، وقام عبد المؤمن بن على بعملية التنظيمات الحربية لجيوشه حيث ميزهم^(١٨٥) فى ثمانين ساقه على عدد القبائل والوفود، فنشروا ما معهم من البنود^(١٨٦)، ووضع الخليفة الموحدى خطته من أجل إحكام قبضته على

مدينة فاس فجاز بقواته عبر وادى فاس ساقا بعد ساقا، حتى وصلت القوات الموحدية فى جوازها إلى منزل الحجاج بفاس^(١٨٧).

هكذا تقدمت الجيوش الموحدية الجرارة إلى مدينة فاس، فى حين عسكت القوات المرابطية بقيادة الصحراوى بالقصبة بجبل العرض - فى الشمال الغربى من فاس - لا يفصل بينها وبين القوات الموحدية سوى وادى يسمى سد زواغ، وخرج الصحراوى وأهل فاس ينظرون إلى مدى حجم القوات الموحدية فارتجوا عندما شاهدوا كل هذه الأعداد الغفيرة التى تحاصر فاس، وبقيت القوات الموحدية على أهبة الاستعداد لتنفيذ خطة هجومها فبدأوا بالقتال خيالة ورجالة، واستطاعت القوات الموحدية الاستيلاء على جبل العرض واستخلاصه من الصحراوى، الذى أسرع بجيشه لدخول مدينة فاس والتحصن بها، فى حين نشر عبد المؤمن بن على علمه المنصور على جبل العرض^(١٨٨).

بعد هذا الهجوم المفاجئ من جانب القوات الموحدية، لم يشأ عبد المؤمن أن يجازف بجيوشه لدخول فاس فى محاولة لا يعلم نتيجتها، فأصدر أوامره لقواته بالرجوع إلى المحلة، فى حين بقى هو فى منزل الحجاج فى ثلاثة آلاف وخمسمائة من عسكره يؤمن جواز قواته حتى جازوا ساقا بعد ساقا^(١٨٩). وذلك خشية أن تباغتهم القوات المرابطية فجأة.

وفى صباح اليوم التالى قسم عبد المؤمن جيشه إلى قسمين، فسار أبو بكر بن الجير إلى صنهاجة وهسكورة، وطلع الخليفة عبد المؤمن بباقى عسكره إلى جبل العرض، حيث اجتمع الجيشان بالجبل المذكور^(١٩٠) وأدرك عبد المؤمن أن حصار فاس قد يطول أمده، لذا رأى أن يحصن محلته، فأمر بقطع الأشجار، فقطعت وعمل منها زروب لخيله احتياطاً على أهل محلته، واتقاء من الحرب وخدعة، فى نفس الوقت أمر عبد المؤمن بعض قواده أن يبنوا الحوائط خلف زروب خيله^(١٩١).

ويبدو أن الذى دفع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى ذلك العمل سببان مهمان: أولهما تأمين محلته واستعراض قوته أمام المرابطين، أما ثانيهما فهو نظريته فى إمكانية الاستغناء عن خشب هذه الدروب بعد إكمال الحائط، والاستفادة منها مستقبلاً فى أعمال عسكرية أخرى، وسوف نرى بعد قليل كيف استفاد الخليفة الموحدى من هذه الأخشاب.

وبالغ الموحدون فى حصار فاس^(١٩٢). حيث خرج عبد المؤمن بن على إلى سور المدينة وهدم باب السلسلة، فى محاولة منه لدخول المدينة، ولكن خرج إليه

الصحراوي مع أهل فاس واستطاع بناء ما تهدم من السور^(١٩٣) وبذلك تحطمت في البداية كل جهود المحاصرين أمام ثبات الحامية المرابطية والسكان^(١٩٤). لكن لم يعد الصحراوي يخرج ليحارب الموحدين ثم يعود لمدينته، بل أمسى حبيسًا بالمدينة هو وجيشه، فرأى عبد المؤمن بن علي أن الفرصة قد سحقت للقضاء على الدولة المرابطية المحتضرة، وأنه من الخطأ أن ينتظر سقوط فاس - المنيع - بخطة الحصار الذي قد يطول أمده، والذي ربما يعطى الدولة المترنحة فرصة استعادة قوتها من جديد^(١٩٥). لذا ميز الخليفة عبد المؤمن عسكره، فخرج هو بعسكره إلى مدينة مكناسة لفتحها، وترك على فاس أبا بكر بن الجير بمحلته من الموحدين، وكان خروج الخليفة عبد المؤمن من محلته بالليل حتى لا يعلم أهل فاس بخروجه^(١٩٦).

تابع الخليفة الموحدي وهو بمكناسة حصار قواته لمدينة فاس، فوجه من مكناسة أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاني ليكون مع إبراهيم^(١٩٧). وأبا بكر الجير على حصار فاس، وطالت مدة الحصار على فاس حتى أنها بلغت تسعة أشهر، قاوم خلالها أهل فاس القوات الموحدية المحاصرة لمدينتهم^(١٩٨). كما برع خلالها الموحدون في فن الحصار، حيث فاقوا المرابطين في هذا المضمار، واستعمل الموحدون أسلحة متنوعة في حصارهم^(١٩٩).

فبعد الحصار الشديد حول فاس، قطع الموحدون عنها النهر الداخلى إليها بالألواح والخشب - الذي كان قد استخدمه الموحدون من قبل في عمل ذرائب لخیلهم وفى البناء - ورفعوا التراب على ذلك، وفعل ذلك سدًا بعد آخر حتى احتبس الماء، فصار بحيرة تسير السفن فيها، واستعان فى صنع تلك السدود بكثرة الآلات والعلم واتساع الفحص^(٢٠٠). وأدار المحاصرون أيديهم على الوادى خارقين هذا البناء فهبط الماء دفعة واحدة، فهدم سور المدينة، وهدم من دورها ما يزيد على ألفى دار، وهلك فيه خلق كثير، وكاد الماء أن يأتى على أكثرها^(٢٠١).

هكذا تقنن الموحدون فى حصارهم من أجل أن يتمكنوا من دخول تلك المدينة المنيعه التى استعصى عليهم فتحها. أملين أن يساعدهم التخريب الذى يحدثه الماء على اقتحام المدينة، ولكن عمق الماء حال بين الموحدين وبين دخولها، واستطاع المحصورون إصلاح ما تصدع من الجدران^(٢٠٢). فدفع عنها الضرر، ووقف أهل فاس على متهدم السور يقاتلون القوات الموحدية^(٢٠٣).

وكان يتولى مهمة الدفاع عن فاس الأمير يحيى بن على المرابطى، ومشرف المدينة والمدير لأمرها أبو محمد عبد الله بن خيار الجيانى الأندلسى^(٢٠٤). وكان

الأمير والمشرف يعملان سوياً من أجل إنقاذ مدينتهم ولكن يبدو أن طول مدة الحصار المضروب على المدينة من قبل القوات الموحدية قد أتى ثماره، ولاسيما من الناحية الاقتصادية. فنتيجة لتدهور الأحوال الاقتصادية احتاج أمير فاس لبعض المال فطلب من الجياني - مشرف المدينة - أن يعطيه ما يحتاج إليه، فأعطاه ما طلب. ولكن يبدو أن ما أعطاه الجياني من أموال لأمر المدينة لم يكن ليكفي حاجة الأمير ومتطلبات مدينته، فطلب منه المزيد وضيق عليه، ولم يكن في وسع الجياني أن يعطيه أموالاً أخرى^(٢٠٥). هكذا تدهورت الأحوال الاقتصادية بالمدينة، ولم يعد في وسع الجياني مشرفها أن يفي بحاجات المدينة الأساسية.

ومن ثم بدأت الخلافات تدب بينه وبين الأمير المرابطي يحيى بن علي، حتى وصلت إلى مداها، فأزمع الجياني الانتقام منه^(٢٠٦). وأدرك الجياني أنه لا مناص من دخول الموحدين المدينة، فرغب في أن يؤمن نفسه من شرهم. "فأتفق هو وجماعة من أعيان البلد، على دخول الموحدين فاس سراً، فكتب إلى قائد الموحدين أبو بكر بن الجير - واعدًا إياه أن يملكه البلد، قائلاً له: ميز عسكرك أفتح لك الباب، وكانت مفاتيح المدينة بيد الجياني"^(٢٠٧).

على أساس هذا المكتوب تم الاتفاق بين مشرف فاس من قبل المرابطين أبو عبد الله الجياني وبين قائد القوات الموحدية المحاصرة لفاس على "دخول الموحدين فاس وخروج صاحبها منها، وتم الاتفاق على أن تدخل القوات الموحدية ليلاً"^(٢٠٨). كان على الجياني والموحدين أن يتخيروا الوقت المناسب لدخول المدينة، وجاءت هذه الفرصة عندما تزوج الأمير المرابطي الصحراوي بامرأة من قومه ليلة الخامس عشر من ذي القعدة عام ٥٤٠هـ / ١١٤٦م، فاستغل الجياني ليلة العرس هذه في تمكين الموحدين من دخول فاس، ولاسيما وأنه شغل الأمير المرابطي بكثرة ما أهدى له عن النظر لنفسه^(٢٠٩). واستعد الموحدون لدخول المدينة فميز أبو بكر قائد الموحدين عسكره، ولم يشعر الأمير المرابطي بشئ من ذلك حتى رأى رجال الموحدين على السور، وفي الصباح الباكر خرج الجياني إلى الموحدين وفتح أبواب مدينة فاس ليتمكنهم من دخولها^(٢١٠).

وما أن رأى الصحراوي ذلك حتى أدرك أنه لا مجال للمقاومة، فلم يكن أمامه من محيص إلا الفرار والنجاة بنفسه^(٢١١)، فركب في ثلة من جنوده يريد الفرار فصار إلى باب الفتوح، فوجده مغلقاً، فضرب طبله هناك، فاجتمع عليه بعض عسكره،

فكسر قفل باب الفتوح وخرج منه، وهبط بوادى سبوهارباً هو وعمر بن يثتان، ويحيى بن سير وكدال بن موسى، وشيوخ لمطة^(٢١٣).

وبذلك تمكن الموحدون من دخول فاس بعد حصارها تسعة أشهر بقيادة عبد المؤمن بن علي وذلك فى شهر ذى القعدة عام ٥٤٠هـ/ مايو ١١٤٦م^(٢١٣). وأمن عبد المؤمن أهلها إلا من كان بها من المرابطين فإنه لم يمض لهم أمان وقتلهم قتلة كفر^(٢١٤). وعلى أثر المعاناة التى عاناها الموحدون فى اقتحام مناعة أسوار مدينة فاس جاء قرار الخليفة الموحدى السريع بهدم أسوار فاس حيث "أمر بهدم السور فهدمت فيه ثلمات كثيرة ومسافات؟ وردد مزهواً هذه العبارة: "أننا لا نحتاج إلى سور، إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا"^(٢١٥). وذلك لشدة غضبه من المقاومة التى واجها من أهل فاس وتحصنهم بأسوار المدينة^(٢١٦). وهكذا استسلمت مدينة فاس على يد مشرفها الجياني^(٢١٧).

وأقام الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي بفاس بعد فتحها مدة أربعة أيام^(٢١٨). لا شك أنه حطم خلالها القصة المرابطية^(٢١٩). فى حين تابع قائده أبو بكر المرابطين الفارين بقيادة الصحراوى والذين كانوا قد وصلوا إلى بنى تاودا^(٢٢٠). حيث تحصنوا بها، على أن الصحراوى لم يدخل معهم ذلك الحصن خوفاً من الموحدين، حيث مضى هارباً إلى طنجة، ثم إلى بلاد الأندلس، وبقي بقية الهاريين فى حصن أمركو، حتى أدركهم قائد الموحدين فساقهم كلهم إلى فاس إلا عمر بن يثتان^(٢٢١) أما الجياني فقد انضوى تحت لواء الموحدين .. وهكذا حققت خيانة الجياني للمرابطين وللأمير المرابطى، مالم تحققه القوة، وذللت مالم تقو القوى على تذليله^(٢٢٢) فيها سيطر الموحدون على فاس أكبر المعاقل المرابطية.

كانت مدينة فاس قد أفل نجمها بعض الشئ بسبب الحروب التى شنها عليها الموحدون^(٢٢٣). وما أن دخلها الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي حتى بدأ بجمع أسلحة أهلها من أيديهم منادياً فى أهلها من وجد عنده سلاحاً وعدة وقتال حل دمه، فحمل أهل المدينة ما عندهم من سلاح إليه^(٢٢٤). هكذا بدأ الخليفة الموحدى عمله بالمدينة بهذا الإجراء التأمينى خشية الانقضاض المفاجئ من أهالى فاس على الموحدين.

ومكث الخليفة الموحدى بعض الوقت فى فاس ينظم شئونها على النسق الموحدى، فعين عليها والياً من قبله وهو محمد بن يحيى الكدميوى فى حين ظل

عبد الله بن خييار الجياتي مشرفاً على فاس، مكافأه له، وقد تحسنت أحواله بعد ذلك فكان له في دولة الموحدين مكانة مرموقة^(٢٢٥).

كان سقوط فاس في يد الموحدين الضربة القاسمة لقوى الدولة المرابطية، فقد توالى بعد ذلك سقوط باقي المدن المغربية، سلا^(٢٢٦) ومكناسة وسبتة ومراكش عاصمة المرابطين عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م والتي بسقوطها زالت الدولة المرابطية^(٢٢٧).
فاس في عصر الموحدين:

لم يتخذ الموحدون - كسابقهم المرابطون - مدينة فاس حاضرة لهم، إنما جعلوا من مراكش دار مقام لهم، وقاعدة لدولتهم، لكنهم أدركوا مثل المرابطين أهمية أن يجعلوا من فاس إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية، لاسيما أعمالهم الحربية في الأندلس، وليحصلوا منها على الميرة لجيوشهم^(٢٢٨). وظلت فاس في العصر الموحدى تشهد وفود الأمراء والقضاء والعلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والأطباء جينة ورجوعاً^(٢٢٩). واهتم الموحدون بفاس اهتماماً كبيراً، والذي من بعض مظاهره اهتمامهم بمنصب عاملها خاصاً فكان هذا المنصب لا ينوب به إلا لأفراد أسرة عبد المؤمن بن علي، أو من أخص الموحدين.

فكان عامل مدينة فاس بمثابة وزير للإقليم، له نائب خاص، يليه كتاب موظفون أصغر منه رتبة^(٢٣٠). ففي عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م عين أبو الحسن علي بن عبد المؤمن عاملاً على فاس، ومعه وزيره أبو يعقوب بن سليمان لتدريبه، ومعه من الكتاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقرأ عليه^(٢٣١). وعليه فالنظام الأقليمي في الدولة الموحدية كان نسخة من النظام المركزي، كما كان هذا النظام يشبه إلى حد ما نظام العمالات في عهد المرابطين. وكان هؤلاء الولاة والموظفون الكبار يتلقون تكويناً ثقافياً وعلمياً قبل أن يعهد إليهم بتدبير شؤون الإدارة والأقاليم فكانوا يختارون من بين طبقة الحفاظ^(٢٣٢). وكان الخلفاء الموحدون يحثون عمالهم وولاتهم على إقامة العدل والتسوية بين الناس جميعاً^(٢٣٣).

وفي نفس العام عهد عبد المؤمن بن علي بولاية العهد لابنه محمد وأمر بذكره في الخطبة بعده^(٢٣٤). ولكن توليته لابنه لم ترض أخوة الخليفة المهدي بن تومرت، وهما عبد العزيز وعيسى اللذين عزموا على نقد العهد وخلع طاعة عبد المؤمن، ففشى سرهما هذا، واستشعر الخليفة عبد المؤمن ذلك، فسرهم إلى مدينة فاس^(٢٣٥). وفي فاس نمت حركة المعارضة لصالح أخوة المهدي ضد الخليفة عبد المؤمن بن علي.

فعندما اكتملت البيعة لمحمد بن عبد المؤمن، ووصل خبر تلك البيعة إلى الولايات، ازداد عيسى وعبد العزيز وأصحابهما حسداً على عبد المؤمن وهم بمقرهم بمدينة فاس^(٢٣٦). وفي فاس نما حركة المعارضة لصالح أخوة المهدي ضد الخليفة عبد المؤمن بن علي.

فعندما اكتملت البيعة لمحمد بن عبد المؤمن، ووصل خبر تلك البيعة إلى الولايات، ازداد عيسى وعبد العزيز وأصحابهما حسداً على عبد المؤمن وهم بمقرهم بمدينة فاس^(٢٣٧). ورأوا أن الثورة بفاس لا تجدى فيما كانوا يأملون إليه لذا "بدأت المكاتبات بينهم وبين كثير من أشياعهم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ليكون ورودهم على مراكش بغته تفاجأها على حين لا تمهلها"^(٢٣٨). لذلك شدوا رحالهم إلى مدينة مراكش لينقضوا بيعة محمد بن عبد المؤمن، وتواعدوا مع أصحابهم على الاجتماع في جامع على بن يوسف، وما أن وصل خبر خروجهم من فاس للخليفة عبد المؤمن بن علي، حتى أسرع بتوصية وزيره أحمد بن عطية^(٢٣٩) ليصدهم عما عزموا عليه، ويردهم عن التغيير الذي يأملوه، ولكن تمكن أخوة المهدي من دخول مراكش وقتلوا عاملها. وهنا بادر الخليفة الموحد بالإسراع من مدينة سلا متوجهاً إلى عاصمته مراكش كي يقضى على هذه المؤامرة، وأخيراً نجح في القبض عليهما حيث "قتلوا وصلبوا"^(٢٤٠) وبذلك انتهت هذه المؤامرة ضد عبد المؤمن بن علي، والتي كان مركز تجمعها الأول مدينة فاس، ونستطيع القول أن أخوة المهدي لم يدبروا للأمر خطة محكمة، لذا جاء الانتهاء السريع لمؤامرتهم.

وبلغ من أهمية وإلى فاس في عصر الموحدين أنه كان من الممكن أن ينوط إليه الاستخلاف في غياب الخليفة عن مراكش. فعندنا تحرك الخليفة عبد المؤمن في نهاية عام ٥٥٣هـ / ١١٥٨م استخلف على فاس وأعمالها يوسف بن سليمان بدلاً من ابنه أبي الحسن الذي كلفه بحكم مراكش مع أبي حفص بن عمر أثناء غيابه^(٢٤١).

كان الخلفاء والأمراء الموحدين يتعمدون المرور بفاس جيئة وذهاباً أثناء جوازهم للأندلس، أو أثناء فتوحاتهم في أفريقية، بالرغم من وجود طرق ثانوية أخرى^(٢٤٢). ففي عام ٥٦٠هـ / ١١٦٤م مر بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مع السيدين أبو حفص وأبو سعيد وكثير من خاصة رجاله وذلك أثناء مسيرهم إلى مراكش، كما عرج إليها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عقب عودته من القضاء على ثورة قصبة إفريقية^(٢٤٣). حيث وصل فاس في شهر صفر عام ٥٧٦هـ / يوليو ١١٨٠م^(٢٤٤).

وعندما جاز الخليفة يوسف جوازه الثانى للجهاد بالأندلس فى نهاية عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م أقام بمدينة فاس شهر ذى الحجة من السنة المذكورة حتى أول عام ٥٨٠هـ / أبريل ١١٨٤م، وفى خلال ذلك استنفر قبائل فاس للجهاد معه بالأندلس، حيث جازت معه قبائل هناته وتنيمل وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر^(٢٤٥).

وتابع الخليفة الموحدى بنفسه خلال مدة إقامته بفاس مهمة القضاء على المفسدين من العمال والولاة الذين تبين له أنهم يستغلون مناصبهم فأوقع بعبد الرحمن بن يحيى المشرف بمدينة فاس حيث صح عند الخليفة أنه خانه، وحمل على الرعية وأذاهم كثيراً، فأنزل الخليفة به العقاب، وهو ومن تبعه فى هذا الظلم، مثل إبراهيم بن عبد الله الجيانى الخازن على المال الذهبى، كما ألحق العقاب أيضاً بالخازن على الطعام. وكانت خطة الخلافة فى القضاء على مثل هؤلاء المفسدين أن تصدر أموالهم ودورهم وتدخل إلى خزنة الدولة^(٢٤٦).

ولم تقتصر حركة التصفية هذه على عمال فاس فقط، بل شملت ثمانى عشر عاملاً وخازناً كان أولهم مشرف فاس، تمت مصادرة أموالهم وديارهم، ولم تترك الخلافة الموحدية سوى دار واحدة لكل منهم. وقد بلغ جملة ما انتهبه هؤلاء من أموال الرعايا ما قدره أربعمائة ألف دينار وستين ألفاً، أرغمهم الخليفة بدفعها، فتعهدوا بأن يقسطوها على أنفسهم وأشهدوا العدول بذلك^(٢٤٧).

وفى الثامن عشر من ربيع الآخر من عام ٥٨٠هـ / يوليو ١١٨٤م توفى الخليفة الثالث للموحدين يوسف بن عبد المؤمن، وبويع لابنه يعقوب المنصور بالخلافة فى التاسع عشر ربيع الآخر من نفس العام^(٢٤٨). وقد نعمت بلاد المغرب ومدينة فاس فى عهده بسياسة قوامها العدل، فأطلق سراح من فى السجون، ورد المظالم التى فعلها العمال فى أيام أبيه، وأكرم الفقهاء ورعى الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال، كما أوصى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاء وتفقد الخليفة أحوال الرعية، وعمل على ضبط الثغور وشحنها بالخيول والرجال^(٢٤٩).

واتخذ الخليفة يعقوب المنصور مدينة فاس، كما أتخذها الخلفاء الموحدون من قبل - قاعدة لجنوده. "فعندما امتنعت مدينة قفصة على الموحدين واستولى عليها ابن غانية، تحرك الخليفة من مراكش فى شوال عام ٥٨٢هـ / يناير ١١٨٧م، ووصل إلى مدينة فاس فأراح بها جنوده أياماً عديدة وبرهه من الزمان مديدة،

وذلك لأن فاس كانت قاعدة المغرب، وأم القرى، وكان عاملها إذ ذاك أبا موسى بن مزين^(٢٥٠).

وكان عمال فاس وأهالي المدينة يقدمون خير ما عندهم من مؤن لهذه الجيوش حتى كان الرعايا يتنافسون في ذلك، فيجدد المحاربون من فاس أزودتهم، وتكون لهم فرصة يتفقدون فيها أسلحتهم وعدتهم^(٢٥١). هكذا كانت مدينة فاس تقوم بدور هام في عمليات الموحدين العسكرية سواء تعلق الأمر بأفريقية أو فتوحاتهم في الأندلس.

وكان أهالي فاس يجدون في مدة إقامة الخليفة في فاس متنفساً يتنفسون منه الصعداء، حيث كانوا يرفعون إلى الخلفاء الموحدين شكواهم تلك التي يبدو أن العامل على المدينة لا يستطيع حلها، أو أنه لم يتخذ فيها الإجراء المناسب لحلها. ومن تلك الشكاوى التي طرحت أمام الخليفة، ما رفعه أهل فاس إليه من أن القاسم ابن الملجوم بنى غرفه في داره يشرف منها على بعض جيرانه، وجعلها منتزهاً له ولإخوانه، فعلى الفور أمر الخليفة بعض خاصته بالوقوف على تلك الغرفة، فوجدوها تشرف على بعض أقوام، فأمر المنصور بهدمها وتغيير رسمها، فكان الخليفة يتبع بالعدل قضايا العباد ويمشي بالبحث على المتظلمين بكل منزل وواد^(٢٥٢).

كان الموحدون لا يسمحون بأي حركة دينية تنموا أو تتغلغل في دولتهم، فعندما ظهر الثائر الجزيري^(٢٥٣) عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م بمراكش حافظاً للمتشابهات من العلوم، أمر الخليفة يعقوب بن يوسف، السيد أبو الحسن حفص بالبحث عنه في أنحاء المدينة، ولكن الجزيري كان قد اختفى وخرج فاراً إلى مدينة فاس لعله تترعرع فيها دعوته وسط المجتمع الفاسي، وبالفعل امتزجت دعوته ببعض من أهل فاس، وتسامح خبر ذلك والى فاس آنذاك (ابن ومازير) فعمل جهوده في القبض على من يعثر عليه من أتباع هذا الثائر، فأستأصلهم قتلاً ونفيًا، ولكن الجزيري أفلت من محاولة القبض عليه، حيث كان قد جاز إلى الأندلس^(٢٥٤).

وقد شهدت مدينة فاس في أيام يعقوب المنصور الموحدي أكبر السفارات من الدول الأخرى، ففي عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م وصل أسامة بن منقذ (أبو الحارث عبد الرحمن بن منقذ) رسولاً عن صاحب الشام ومصر صلاح الدين الأيوبي^(٢٥٥) الذي استصرخ الخليفة يعقوب المنصور يطلب إعانتة بالأساطيل البحرية الموحدية لاستخدامها ضد النصارى الذين كانوا يستعدون لغزو الشام^(٢٥٦).

خرجت هذه السفارة من الإسكندرية متجهة إلى المغرب، فوصل ابن منقذ أولاً إلى أفريقية، ثم إلى بجاية، وذلك في شهر رجب عام ٥٨٦هـ أغسطس ١١٩٠م، فوصلت مكاتبات من والي أفريقية - أبي زيد - ووالي بجاية - أبي الحسن - تفيد ما يشير إلى وصول ابن منقذ إلى تلك البلاد، ومبالغته في الحرص على كتمان خبر وصوله^(٢٥٧).

وبالرغم من التكتّم الشديد الذي لزم رسول صلاح الدين بشأن الغرض من سفارته، فإنه قوبل بمقابلة طيبة من ولاية وعمال وممثلي يعقوب المنصور في أفريقية والمغرب^(٢٥٨). وذلك لأن المخاطبات وردت من الخليفة يعقوب المنصور إلى ولاية المغرب بالتوسعة له في نزوله والاحتفال به، على أن يستقر في مدينة فاس انتظاراً لوصول الخليفة^(٢٥٩). الذي كان إذ ذاك ببلاد الأندلس بغرض الجهاد^(٢٦٠). وكان على رأس المسؤولين المكلفين بمصاحبة أسامة بن منقذ الشاعر الفاسي أبو العباس الجراوي^(٢٦١).

وقدم الخليفة المنصور الموحدى إلى مدينة فاس في أول المحرم ٥٨٨هـ/يناير ١١٩٢م واستدعى سفير صلاح الدين فقابلته على اختصاص وانفراد، فدفع له ابن منقذ كتاب صلاح الدين، وقدم له هديته^(٢٦٢). وأوضح ابن منقذ للخليفة الموحدى الغرض من سفارته عارضاً له طلب صلاح الدين بالاستعانة بالبحرية المغربية لقرقة المسيحيين في المغرب، وعدم تمكينهم من إرسال المدد لإخوانهم في الشام^(٢٦٣).

وتلقى ابن منقذ الجواب من الخليفة مجملاً، معتذراً له عن عدم إرسال الأسطول، وأحال الخليفة تفسير الأسباب التي دفعته إلى الاعتذار عن ذلك إلى الوزراء ليوضحوها لابن منقذ، وهم السفير الأيوبي بالعودة إلى بلاده، بعد أن حصل على ما تمكن عليه من الجواب، وأفاض عليه الخليفة الموحدى من الإحسان وضروب النعم حيث عوضه عن هداياه بأئمن منها^(٢٦٤). هكذا شهدت مدينة فاس هذه السفارة الأيوبية التي دامت مدة إقامة سفيرها قرابة العام ونصف العام.

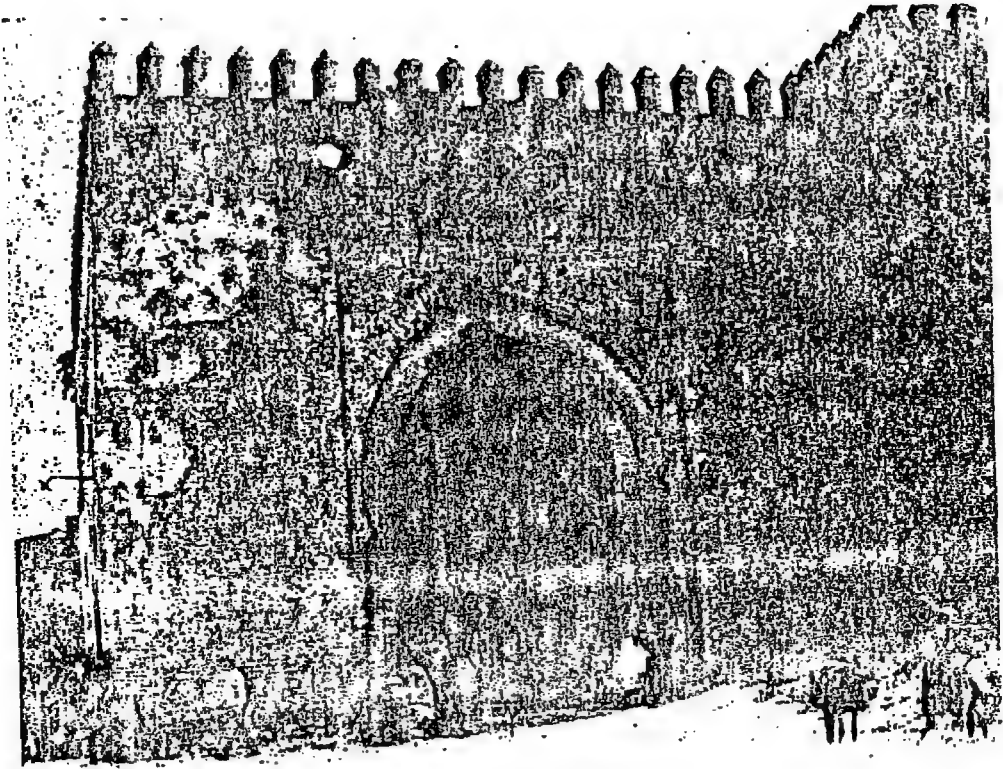
وفى إطار تلقى الخليفة الموحدى للوفود بمدينة فاس، أنه في عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م أقام الخليفة يعقوب المنصور بفاس لينظر في أشغال أفريقية، وما يجب أن يقدمه لها من الاعتناء لإنهاء ثوراتها ضد الدولة الموحدية، فالتقى بمدينة فاس برؤساء قبائل العرب من السلميين والرياحين، الذين تعهدوا على أنفسهم في لقاءهم مع الخليفة بالالتزام^(٢٦٥). وتوفى الخليفة يعقوب المنصور في ١٢ ربيع الأول عام

٥٩٥هـ/ يناير ١٩١٩م وبويح لابنه أبى عبد الله الناصر فى العشر الأخير من ربيع الأول من نفس العام^(٢٦٦). وما أن تمت له البيعة من سائر الأقطار حتى خرج إلى مدينة فاس للإقامة بها فى جمادى الأولى من عام بيعته، ويبدو أن مدة إقامة الخليفة قد طالت حتى بلغت عامين، أمر خلالها ببناء أسوار مدينة فاس، وبناء قصبة الوادى^(٢٦٧). وجعل لها أبواباً بعضها فخم عظيم^(٢٦٨) هكذا أعاد الموحدون بناء أسوار فاس تلك التى كانوا قد حطموها عند فتحها. وقام بتلك الأعمال الخليفة الموحدى الرابع محمد الناصر، الذى أحاطها بأسوار منيعة بعضها قائم إلى اليوم^(٢٦٩).

وفى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م اشتعلت نار الفتنة بأكثر جهات إفريقية وكثر عن العرب إشاعة المكروه والمجاهرة بالسيئات، ووردت الأخبار للخليفة الموحدة بأن يحيى الميورقى قد غلب على كثير من بلادها، فخرج الناصر فى جمادى الآخرة عام ٥٩٩هـ/ مارس ١٢٠٣م من مراكش، ووصل إلى مدينة فاس، فأقام بها مدة ثلاثة أشهر، تفقد خلالها مصالح البلاد، وما يجب عمله من حماية للأهالى، كما عمل على تأمين الطرقات عاملاً على حسم علل المفسدين بها، وفى خلال ذلك جهز عساكر الموحدين والمجاهدين الذين وصلوا إلى قصر الخليفة حيث خرج بهم الناصر من مدينة فاس قاصداً إلى إفريقية^(٢٧٠).

وفي عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م انبعثت حركة جديدة من أحد الجبال بأحواز، فاس تختفي وراء دعوة الفاطميين، حيث ثار رجل منهم اسمه محمد بن عبد الله بن المعاضد، آخر خلفاء الفاطميين بمصر، ظهر بعد مدة ثلاث وثلاثين سنة من قضاء صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية بمصر في ٥٦٧هـ / ١١٧١م، لكي يعيد لها نفوذها القديم بالمغرب، معتمداً على بقايا العناصر العربية المتبقية من الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى في مدينة فاس وما حولها، والفاطميين وأتباعهم الذين سبق لهم الخروج من مصر بسبب الصراع الدامي بين الجند المغاربة والسودانيين. مستقلاً انتماؤه إلى آل البيت^(٢٧١). وتصدى الخليفة لهذه الدعوة^(٢٧٢). حيث بهذا الداعي وقتل، وعلقت رأسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس، كما أحرق جسده في وسط هذا الباب المذكور، وكان يوم حرقه يوافق اليوم الذي كمل فيه بناء سور فاس، وبابها المذكور، حيث كان يتم تركيب مصارعيه فسمى الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة^(٢٧٣). وأصبحت من العادة أن تجرى هناك عمليات العقوبات والإعدام^(٢٧٤).

وفي المحرم من عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م نزل الخليفة الناصر بمدينة فاس مجدداً النظر في أشغال العمال، ممحصاً فيما أمرهم به من أعمال^(٢٧٥).



باب الشريعة (المحروق) بمدوة القرويين
نقلًا عن الجزائيس : جنى زهرة الآس

وفى خلال إقامته بفاس وردت شكاوى قبائل المدينة وأهلها للخليفة ضد عامل المدينة أبى الحسن بن أبى بكر، فنكبه الخليفة، وصادر ما وجد لديه من أموال وأثاث، وتم حبسه^(٢٣٦).

فى عام ٦٠٢هـ / ١٢١٠م وصلت الأخبار للخليفة الموحدى محمد الناصر أن الفونسو الثامن Alfonso VIII ملك قشتاله قام بالهجوم على الأندلس، فخرج الخليفة من مراكش، بغرض الدفاع عنه^(٢٣٧). وكانت الحالة فى بلاد المغرب الأقصى على أشدها من الضيق، وانتشار المجاعة وانعدام القوات بما لم يعهده الناس، مما أدى إلى بطء تحرك القوات الموحدية بقيادة الخليفة محمد الناصر، الذى وصل فى سيره إلى مدينة فاس، تلك المدينة التى كانت الجيوش الموحدية تستمد منها المؤن "وتحتقب منها الحقائق ويدخر منها الزاد للمقيم والذاهب، فوجدها الخليفة قد جف معينها، ولم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر، ووجد العمال قد استولوا على عموم المحلة، فتأثر الخليفة الناصر لما رأى من هذا الإهمال، وشدة إغفال المكلفين بالأعمال فاتخذ قراره بتوقيع العقوبة على المستهترين منهم، وأنزل السطوة على كل من تبين له أنه له يد فى وقوع هذا الضرر^(٢٣٨). حيث أنفذ الخليفة أوامره إلى الشيخ أبى محمد بن أبى على بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه بالأشغال العلمية، ليتقصى تلك الحقائق، ويقبض على عامل فاس (عبد الحق بن أبى داود) أكبر عمال الدولة الموحدية، ومن أحد أصحاب المنزل والحظوة عند الخليفة الموحدى، فقبض عليه فى دار الإشراف، ولم يكتف بذلك بل توجه إلى منزله لاستصفاء أمواله، كما أمر بالقبض على كافة أصحاب هذا العامل وعماله، وأرسلت الكتب إلى سائر الجهات بتثقيف كل من خدم مع هذا العامل وغمس يده فى أشغاله^(٢٣٩).

ووجه الخليفة الناصر عقابه هذا إلى كل من كانت تطابق أحواله أحوال صاحب فاس، فتم القبض على عامل قصر كتامة^(٢٤٠) محمد بن يحيى المسوفى، كما قبض على أصحابه حيث وجهوا مصفدين لرئيس الأعمال بفاس^(٢٤١) وكان الخليفة محمد الناصر قد جاز للأندلس لمحاربة الفونس الثامن Alfonso VIII، فوصلت الأوامر من الأندلس إلى ابن مثنى بقتل كل هؤلاء العمال والمفسدين، وذلك فى آخر عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢هـ فأخرج ابن مثنى المذكورين يوم الجمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس فُضربت أعناقهم، عبرة للمفسدين وذكري للعافلين^(٢٤٢).

هكذا وقع العقاب على كل من كانت تسول له نفسه فى أكل أموال الدولة والرعايا وإحداث الضرر بالبلاد.

وعلى أثر هزيمة الموحدين فى موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م رجع الخليفة محمد الناصر إلى مراكش وأخذ البيعة لابنه يوسف الملقب بالمنتصر، وبايعه كافة الموحدين، وفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م توفى الخليفة محمد الناصر وتولى ابنه الخلافة^(٢٨٣). الذى ولى فى عام ٦١١هـ / ١٢١٤م السيد أبا حفص إبراهيم بن إسحاق الملقب بالأبى المظفر بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، على مدينة فاس، وكان قبل ذلك يتولى أعمال غرناطة^(٢٨٤).

محاولات بنى مرين للسيطرة على فاس:

بدأ الوهن والضعف يدب فى جسم الدولة الموحدية بعد هزيمتهم فى موقعة العقاب، وفى عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م بدأ بنو مرين^(٢٨٥). يشنون هجماتهم على مدن الدولة الموحدية، حيث وصلت عساكر من قبائلهم إلى جهة فاس، فخرج إليهم وإليها السيد أبو إبراهيم بمن كان معه من أجناد الموحدين بفاس، ولكن القوات الموحدية منيت بالهزيمة أمام بنى مرين، حتى وصل الأمر بالقبض على والى المدينة، ولكن أطلق بنو مرين سراحه بعد ذلك، فتأكدت بينه وبينهم المودة^(٢٨٦). وسمى هذا العام بعام المشعلة، لأن بنو مرين عندما انتصروا على عامل الموحدين بفاس سلبوا ثياب أهل المدينة وأخذوا دوابهم، وبالحق المرينيون فى تجريدهم حتى كان الأهالى يسترون عوراتهم بالمشعلة^(٢٨٧).

هكذا ظهر بنو مرين على أيام الخليفة المستنصر، "وأخذ والى فاس يعدهم بالإكرام ويقدم لهم الاحترام، ويعظمهم ويقدم لهم الأموال" واستمر على ذلك حتى عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٢م^(٢٨٨).

وبوفاة الخليفة الموحدى المستنصر فى عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٢م بدأت الخلافات تدب فى الأسرة الموحدية، وبدأ الخلفاء ينازع بعضهم البعض على تولى الخلافة، فما أن بويع لأبى محمد عبد الواحد بالخلافة فى مراكش فى ١٣ ذى الحجة عام ٦٢٠هـ / سبتمبر ١٢٢٣م، وخلص الأمر لمحمد العادل الذى بويع بمدينة مرسية^(٢٨٩). ووصلته أيضا بيعة الموحدين من مراكش، وقد ظل يتربع على عرش الخلافة حتى عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م. حيث بويع ليحيى الناصر الذى استمرت خلافته حتى عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م هذا فى الوقت الذى بويع فيه لأبى العلاء المأمون

بأشيبيليه منذ عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م، الذى بايعه أهل مدينة فاس فكانت خلافة المأمون مع خلافة يحيى^(٢٩٠).

وعندما توفى الخليفة المأمون، اجتمعت قبائل الموحدين على بيعة ابنه الرشيد بيعة خاصة لا عامة، وذلك فى المحرم عام ٦٣٠هـ / أكتوبر ١٢٣٢م، فى حين خرج الناصر بجيش من الموحدين وبمن كان معه من العرب والمجندين، لمنع هذه البيعة وإثناء صاحبها عن الخلافة ودارت بينهما الحرب، فكانت الهزيمة على جيش يحيى الناصر، حيث دخل الرشيد مراكش منتصراً، واستطاع الرشيد تجديد دولة الموحدين وتمهيد البلاد^(٢٩١).

وفى خلافة الرشيد ظهر حرب الخلط بإفريقية وعظم أمرهم وأعلنوا رفض طاعتهم للموحدين، مما أدى إلى توجيه الرشيد إليهم، فهابوا قدومه وتفرقوا فى البلاد والقبائل، ثم توجه الخليفة إلى الغرب، قاصداً مدينة فاس التى كانت الأوضاع بها سيئة للغاية، حيث وافق وصول الخليفة الرشيد لفاس أزمة شديدة، والمدينة على حد قول ابن عذارى تقشعر جلود أهلها من ارتفاع السعر بها، فأستقبله أهلها بنفوس تشاق إلى لقاء حاكمها، داعين له بالنصر، فعمل الخليفة على جلاء غمة أهلها فى وقت قريب^(٢٩٢). وفى خلال إقامة الخليفة بمدينة فاس نظر فى أمور جنده، وأكد الطلب على المجابى من البلاد، ناظراً فى أمور المدينة .. فجلبت له من قبائل غمارة وفازاز جبابة عظيمة حصل منها الأجناد على مال كثير^(٢٩٣).

فى هذه الأوقات كانت قبائل بنى مرين تشتد وطأتها، وكان الخلفاء الموحدون يهبونهم العطاء لإرضائهم وعدم قيامهم بأعمال ضد دولتهم، فعندما توجه الخليفة الرشيد إلى مدينة فاس فى عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م، واستقر بها وصلته رسائل من بنى مرين، دعت الخليفة إلى استضافتهم بفاس حيث وصلهم بالإحسان وكثير من الكسوات الفاخرة^(٢٩٤). ولكن كان بنو مرين قد انتشروا بالمغرب، واشتدت شوكتهم به، فزحف إليهم الرشيد بجند الموحدين فهزموه أكثر من مرة^(٢٩٥).

ولم يطل الوقت بالخليفة الرشيد، إذ توفى فى جمادى الآخرة عام ٦٤٠هـ / ديسمبر ١٢٤٢م وتولى خلافة الموحدين من بعده أخوه أبو الحسن المعتضد المدعو بالسعيد، وذلك فى العاشر من جمادى الآخرة عام ٦٤٠هـ / ديسمبر ١٢٤٢م^(٢٩٦). ومنذ ذلك الوقت بدأ نفوذ القبائل المرينية بالمغرب الأقصى يزداد قوة، لاسيما بعد تولية الأمير أبى يحيى بن عبد الحق فى عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م والذى بايعته القبائل المرينية وبعض القبائل الزناتية وغيرهم من القبائل، فأنقادوا لأوامره بالسمع والطاعة،

فمعظم أمر بنى مريـن بالمغرب^(٢٩٧). فبدأوا بالاستيلاء على بلاد المغرب، وفرض الإتاوة على مدنه^(٢٩٨).

وبذل الخليفة الموحدى جهداً كبيراً لإنقاذ دولته من ضغط القبائل المـرينية عليها، فتحرك من مراكش فى عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م قاصداً مواطن بنى مريـن مستعداً لحربهم وقتالهم، وتقدم فى تحركه هذا حتى وصل إلى مدينة فاس، فاستقر بها أياماً قام خلالها بعزل بعض العمال على المدينة ووضع آخزين مكانهم، ونظر فى أمور المدينة وأحوالها^(٢٩٩).

وأدرك الخليفة الموحدى السعيد أن تأمين مدينة فاس وإصلاح أحوالها قد يحول دون تقدم القوات المـرينية إليها، لذلك رحل من مدينة فاس بعساكر الموحدين إلى المقرمدة، حتى يستطيع التعرف على أحوال بنى مريـن. ويبدو أن قوة القبائل المـرينية وبأسها دفع الخليفة الموحدى إلى مهادنتهم، حيث عاد من محلته هذه دون أى قتال يذكر معهم، ثم قفل بعد ذلك إلى عاصمة مراكش^(٣٠٠).

وتوفى الخليفة الموحدى أبو الحسن المعتضد (السعيد) فى شهر صفر عام ٦٤٦هـ / يوليو ١٢٤٨م^(٣٠١). الذى فى عهده بدأ بنو مريـن فى توجيه ضربات قاسية للدولة الموحدية عاملين على الاستيلاء على بعض المدن الموحدية، واستحوادها وتملكها. ففي عام ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م أستولى أبو يحيى بن عبد الحق المـرينى على رباط تازا مما سهل لهم مهمة الاستيلاء على مدينة فاس^(٣٠٢) التى تحركت القوات المـرينية للسيطرة عليها بعد شهر من فتحهم تازا، ونجحت فى الاستيلاء عليها حيث كانت الحامية الموحدية بالمدينة قليلة لا تقوى على مدافعة القبائل المـرينية، فلم يكن بفاس حينئذ سوى نحو مائتى فارس من أجناد الدولة الموحدية تحت قيادة قائدهم المسمى شديد الرومى، فانحصروا بفاس وهلكت منهم أعداد غفيرة، ودخل بنو مريـن فاس فى ١٨ ربيع الآخر عام ٦٤٦هـ / أغسطس ١٢٤٨م وطاعت لهم المدينة^(٣٠٣). وكان يحيى بن عبد الحق المـرينى قد ضمن لأهل فاس كف الأذى عنهم وحمايتهم فوثقوا بعهده ورغبوا فى الطاعة له، ونبذ طاعة الموحدين بعد أن ينسوا من نصرتهم^(٣٠٤). هكذا دخل المـرينيون فاس صلحاً عن رضا أهلها الذين بايعوا بالرابطة بخارج باب المحروق (باب الشريعة) وكان أول من بايعهم الفقيه الصالح عبد الله القشتالى^(٣٠٥) وعين المـرينيون عاملاً على فاس من قبلهم وهو المسعود بن خربش الحشمى الذى أحكم قبضته مع جملة من المـرينين على المدينة، فحبس من تبقى من الحامية الموحدية، وأدخل البعض منهم فى جملة أجناده^(٣٠٦).

ولكن يبدو أن من بين أهل فاس من كان لا يزال يشايح الموحدين فقد عمل بعض الأهالي على مساعدة قائد الموحدين على قتل العامل المريني (مسعود) فتمكن من الغدر به، وسر أهل فاس بقتل العامل المريني، وخاطب شيوخ المدينة وأهل عقدها وحلها الخليفة الموحد المرتضى مجدددين بيعتهم له، مواعدينه على نصرته، وهنا وردت مكاتبات الخليفة الموحدى بقرب وصول العساكر الموحدية لمدينة فاس لإنقاذها من سيطرة المرينين^(٣٠٧).

ظل أهل فاس يقاومون ضغط بني مرين نحو تسعة أشهر أملاً في انتظار المدد العسكري الموحدى^(٣٠٨)، ولكن كانت ظروف الخلافة الموحدية قد تدنت بحيث لم تستطع إرسال قواتها لإنقاذ أهم مدينة من مدن الدولة الموحدية وقعت في براثن القبائل المرينية.

وعندما رأى أهل فاس أن أحوالهم قد ضاقت بالجوع وطول مدة الحصار، واشتداد الضرر عليهم، دون وصول نجده الموحدين لهم طلبوا العفو من الأمير يحيى المريني، الذي أصدر قراره بالعفو عن العامة من أهل فاس في حين أوقع العقاب على خاصة أهلها، حيث أغرمهم أموالاً وبلغ جملة خاصة فاس الذين وقع بهم الضرر على حد تقدير ابن عذارى ثلاث مائة رجل، أغرمهم الأمير المريني على خطئهم ثلاثمائة ألف دينار، ولم يكتف بذلك بل ضرب أعناق ستة رجال من أعيانهم، وذلك في عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(٣٠٩). وبذلك استقرت أقدام بني مرين بفاس، واستولوا عليها وعلى أعمالها في هذه السنة^(٣١٠).

وبدأ المرينيون يستقرون بفاس، ويتخذونها مقراً لهم، ويبدو أن المرينين عملوا على إصلاح أحوال فاس، حيث هدأت الأحوال من الفتن، وصار ملك تلك البلاد للأمير أبي يحيى بن عبد الحق المريني الذي استقر بفاس في عام ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م فاجتمعت القبائل عليه^(٣١١).

وحاول الخليفة الموحدى المرتضى القضاء على قوة بني مرين هذه، فجدد في السير من مراكش، متأهباً لقتالهم، وأعد عدده وفرسانه وأجناده مجدداً الحركة للحرب معهم، واستعد بنو مرين للقاءه أيضاً، وتقابلت القوات الموحدية والمرينية في موضع يعرف ببني بهلول، من نواحي فاس كان الغلبة فيه لبني مرين الذين هزموا القوات الموحدية حيث قاتلوهم واستأصلوهم أعظم استئصال مستولين على مضاربهم^(٣١٢).

.. وبهزيمة الموحدين هذه استولى بنو مرين بصفة نهائية على مدينة فاس حيث دخلها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق فملكها في عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م وطاعت له بلاد المغرب ما بين نهر ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر مكناس^(٣١٣). هكذا سقطت تلك المدينة التي هيأها المرابطون ومن بعدهم الموحدون لتكون قاعدة لهم في أيدي الدولة المرينية، وتبوأ مركزها كعاصمة سياسية للمغرب الأقصى في ظل تلك الدولة^(٣١٤).

الهوامش

- ١- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠، ص ٣.
- ٢- تعددت قبائل المرابطين من كدالة ولمتونة ومسوفة وورتيكه وفناوكا، وزوغاه ثم لمطه أخوة صنهاجة، وتقع منازل قبائلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب وواحة غدامس. عن قبائل المرابطين، انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨١، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٩ - ٤٠، وعن مضارهم انظر نفس المرجع ص ٤٤ - ٤٥.
- ٣- اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي التقى فيها يحيى بن إبراهيم بالفييه أبي عمران الفاسي فيذكر كلام ابن عذارى، البيان ج ٤ ص ٧، وصاحب الحلل الموشية، ص ١٩، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨٢، والقلقشندي: صبح الأعشى، في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩١٥ م، ج ٥ ص ١٨٩، أنها عام ٤٤٠ هـ، في حين يذكر ابن الأثير أنها في عام ٤٤٧ هـ. الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨ م، ج ٩ ص ٢٥٨، وتنص المصادر على أن أبا عمران الفاسي توفي سنة ٤٣٠ هـ، فلا بد أن يكون هذا اللقاء تم حسب رواية ابن أبي زرع عام ٤٢٧ هـ، انظر الأنيس المطرب، ص ١٢٢.
- ٤- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ج ٤ ص ٧ مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق د/ سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩، ص ١٧ - ١٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨١ - ١٨٢.
- L. Goluin: Le Magrib Central, p. 116.
- ٥- مجهول: الحلل الموشية، ص ٢٠، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص ٦٠٦.
- Terrasse: Histoire du Maroc, tome I, p. 214.
- ٦- وجاج بن زللو هو فقيه تقي ورع حاذق من أهل السوس الأقصى، لقي الشيخ أبا عمران الفاسي بالقيروان وأخذ عنه علماً كثيراً، وكان يتعبد بمدينة نفيس ويدرس

العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط له هناك، وله تلاميذ جمة يدرسون على يده العلم، انظر ابن أبي زرع: الأئیس المطرب، ص ١٢٣.

٧- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٢، السلاوى: الاستقصا، ج١ ص ٩٩.

٨- مدينة نفيس: تقع بالجنوب الغربى من مدينة مراكش، وهى مدينة قديمة صغيرة، غزاها عقبة بن نافع وحاصر بها الروم ونصارى البربر عندما اجتمعوا بها بسبب حصانتها، فضيق عليهم الحصار حتى فتحها عام ٦٢هـ / ٦٨١م وبنى بها مسجداً معروفاً به، وبين نفيس والبحر المحيط مسيرة يوم واحد، ويسكن المدينة قبائل من البربر أكثرهم من مصموده، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٦٠، الحميرى: الروض المعطار ص ٥٧٨.

٩- القاضى عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، وتحقيق د/ أحمد بكير محمود، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٧، المجلد الثانى، ج٤ ص ٧٨١ مجهول: الحل الموشية، ص ٢٠.

10- L. Goluin: Op. Cit., p. 116.

١١- القاضى عياض: المصدر السابق، المجلد الثانى، ج٤ ص ٧٨١، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤ ص ٨، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٢.

١٢- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٣، السلاوى: المرجع السابق، ج١ ص ١٠٠.

13- J. Spencer (trimingham): History of islam in west Africa, Oxford University, Preespaper book, 1978, p. 23.

١٤- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٣، محمد الفاسى: التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العربية، مطبوعات لجنة البيان المغربى، ١٩٦١، ص ٤١.

١٥- البكرى: المصدر السابق، ص ١٦٤، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤٩.

١٦- القاضى عياض: المصدر السابق، المجلد الثانى، ج٤ ص ٧٨١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٨، ابن خلدون: ج٦، ص ١٨٣، السلاوى: المرجع السابق، ج١ ص ١٠٢.

١٧- مجهول: نبد تاريخية فى مفاخر البربر، ص ٥٢. مجهول الحل الموشية، ص ٢١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٢٦ - ١٢٨.

- ١٨- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ١٨٦، محمد عبد الهادى شعيره:
المرايطون وتاريخهم السياسى، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩، ص ٥٥.
- ١٩- درعة: تقع فى جهة سجماسة بينهما ثلاثة مراحل وتعرف باسم واديهما حيث
يجرى نهر درعة من الشرق إلى الغرب منبعثًا من جبل درن، وهى من المدن
العامة. انظر الحميرى: المصدر السابق، ص ٢٣٥، ٢٣٦.
- ٢٠- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ١٣ - ١٤، مجهول: الحلل الموشية،
ص ٢٢، ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٣.
- ٢١- تافيليت: مدينة بالمغرب الأقصى تقع فى منطقة السوق الأقصى انظر، الزهرى:
كتاب الجغرافيا، ص ١١٨.
- ٢٢- البكرى: المغرب، ص ١٦٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر
الإسلامى، ص ٦١١.
- ٢٣- ماسة: تقع بالسوس الأقصى، وهى رابطة عظيمة الشأن، نُسبت للمدينة التى
فتحها المسلمون، وهدموها عند فتحهم للسوس الأقصى، وهى تامست. انظر،
الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٧.
- ٢٤- تارودانت: قاعدة اقليم السوس فى جنوب مدينة مراكش، على مسيرة مائة ميل
من الجنوب الغربى من مراكش، تقع على نهر وادى سوس، وهى من أكثر بلاد
المغرب زراعة لقصب السكر. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٧، الحميرى:
المصدر السابق، ص ٣٣٠.
- ٢٥- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٢٨ - ١٢٩، السيد عبد العزيز سالم:
المرجع السابق، ص ٦١١.
- ٢٦- أغمات: مدينة مغربية قديمة تقع بقرب وادى درعة جنوب مدينة مراكش، وهى
عبارة عن مدينتين أحدهما تسمى أغمات وريكة، والأخرى أغمات هيلانة بينهما
نحو ست أميال، وكان أغلب أهل أغمات تجار تربطهم علاقات تجارية ببلاد
السودان، حيث كانت المدينة قاعدة للتجهز لبلاد الصحراء. وبالمدينة يوجد قبر
المعتمد بن عباد الذى دفن بها بعد أن توفى بسجنها عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥. انظر
الحميرى: الروض المعطار ص ٤٦.
- ٢٧- تامسنا: مدينة فى غرب فاس بالمغرب الأقصى، يخترقها نهر أم الربيع، وكذلك
نهر أبو الرجراج "أبو الرقاق" الذى يصب فى المحيط بين مدينة سلا والرباط.

- انظر أحمد مختار العبادي في تحقيقه لمشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣، ص ١٥٦.
- ٢٨- برغواطه: اتسم تاريخهم في المغرب الأقصى بالغموض، فقد اختلف المؤرخون حول أصل البرغواطيين، فقال البعض أنهم كانوا قومًا جهلاً من زناته، ورأى البعض الآخر أنهم اخلاطاً شتى من قبائل البربر، واعتبر البعض الآخر أن أباهم يهودى أندلسي، ورأى آخرون أنهم مجوس أهل ضلال وكفر لهم ديانة خسيصة. وكانت مضارب قبائل برغواطه تقع في إقليم تافسنا. عنهم انظر البكري: المصدر السابق ص ١٣٤ - ١٤١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٠ - ١٣٣، ابن خلدون: المصدر السابق ج٦، ص ٢٠٧ - ٢١٠، وانظر كذلك محمود إسماعيل في مقاله حقيقة المسألة البرغواطية، منشور ضمن كتاب مغربيات، فاس، ١٩٢٢، ص ١٥ - ٥٣.
- ٢٩- القاضي عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ٧٨٢، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤ ص ١٦، ويجعل ذلك في عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٠، ١٣١.
- ٣٠- لواته: مدينة مغربية أخذت اسمها من قبيلة لواته التي أسستها وسكنتها، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صفرو على نهر سبو، وكانت قصبة منيعة على بعد مرحلة من فاس. انظر: البكري: المصدر السابق، ص ١٤٧.
- ٣١- مجهول: نبد تاريخه في مفاخر البربر، ص ٥٢، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤ ص ٢٠ - ٢١، الذي يجعل ذلك عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م وهو تاريخ متأخر لا يتوافق مع ما ورد في المصادر الأخرى، كما أنه لا يتوافق مع سير الأحداث، مجهول: الحلل الموشية، ص ٢٣ - ٢٤.
- ٣٢- عن تلك الغزوات، انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، صفحات ١٣٩، ١٤٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٦ ص ١٨٤ - ١٨٦.
- ٣٣- عبد الوهاب منصور: قبائل المغرب، ج١ ص ١٢٤،
terrasse: Op. Cit., Tome I, p. 233.
- ٣٤- مراکش: تقع جنوب نهر أم الربيع بالمغرب الأقصى، واستمرت هذه المدينة عاصمة للدولة المرابطية ثم للدولة الموحدية حيث أصلح الموحدون كثيراً من أمورها، انظر الزهري: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥ - ١١٦. لكن قلت مكانة مراکش السياسية في عهد بن مرين عندما صارت مدينة فاس عاصمة لدولتهم. ويذكر ابن

- عذارى وعبد الواحد المراكشى أن مراكش أسسها يوسف بن تاشفين عام ٤٦٢هـ/ ٤٦٣هـ، انظر البيان المغرب، ج٤ ص ١٩- ٢٠، المتجيب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ١٥٧.
- ٣٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٨ - ١٣٩، عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٤.
- ٣٦- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ١٨٦، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٥٥.
- ٣٧- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ١٩٨.
- ٣٨- مجهول: نبذ تاريخه فى مفاخر البربر، ص ٥٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨ ص ٧٦.
- ٣٩- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ١٦٢.
- ٤٠- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ١٩٥.
- ٤١- محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهدى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢ ص ١٠.
- ٤٢- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٠١.
- ٤٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩، قارن كذلك لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ٢١٥. ويرى الدكتور حسن أحمد محمود فى زيادة عدد الجيش على مائة ألف فارس قول مبالغ فيه، ولكنه يدل على أن الطابع البدوى الذى كان من سمات القوات المرابطية الأولى قد بدأ يختفى، وبدأت الجيوش المرابطة تنظم على أساس حديث، انظر قيام دولة المرابطين، ص ٢٠١.
- ٤٤- صدينه: كانت مدينة صدينه واقعة إلى الشمال من فاس قرب نهر سبو. انظر دار المنصور للطباعة فى تحقيقها للأئيس المطرب، ص ٨٤.
- ٤٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩، السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ١٠٨، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
- ٤٦- محمد بن تاويت الطنجى: سبته الأسيرة، مجلة البحث العلمى، السنة الثالثة عشر، العدد ٢٥، يناير، يونيو ١٩٧٦، ص ١٢٣، تاريخ سبته، الدار البيضاء، دار الثقافة للطباعة ١٩٨٢ ص ٤٩.
- ٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١١٢.

٤٨- مكناسة: تقع غرب مدينة فاس، بينهما أربعون ميلاً في جهة الغرب، وهى أربع مدن وقرى متصلة، وهى مدينة كثيرة الخير جلييلة حافلة مشتهرة بكثرة الزيتون. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥، الحميرى الروض المعطار، ص ٥٤٤.

٤٩- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨٤،
Terrasse: Op; cit., Tome I, p. 224.

٥٠- محمد بن تاويت: تاريخ سبته، ص ٤٩.

٥١- طنجه: مدينة قديمة بالمغرب، فهى تقع مكان مدينة أوليلي القديمة التى افتتحها عقبة بن نافع، والتى تقع على شاطئ بحر الزقاق، وهى بذلك آخر حدود إفريقية من المغرب، بينها وبين مدينة القيروان نحو ألف ميل، كما أن بين مدينة طنجه وسبته ثلاثون ميلاً فى البر، انظر الحميرى: المصدر السابق، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

٥٢- الحاجب سكوت البرغواطى: ويكتب أيضاً سكوت أصله من قبيلة برغواطه، أسر فى حرب غمارة وبرغواطه، وانتهى أمره إلى أن صار عبداً لشيخ من غمارة ثم صار لعللى بن حمود الإدريسي، وبفضل قومه وصل إلى الخلافة فولاه على طنجه وسبته، وأطاعته غمارة وبعد سقوط دولة الحموريين ظل سكوت يحكم طنجه وسبت، ولما قامت دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين إلى شمال المغرب توجه إلى طنجه واستولى عليها من يد سكوت الذى قتل فى الحرب. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

٥٣- تازا: تقع فى شرق مدينة فاس بنحو ١٢٧ كم تفصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وتمتاز هذه المدينة بموقع استراتيجى ممتاز جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حريئاً له خطورته. انظر الحميرى: المصدر السابق، ١٢٨، أحمد مختار العبادى: فى تحقيقه لمشاهدات لسان الديك بن الخطيب، ص ١١٤.

٥٤- نكور: مدينة قديمة بالمغرب الأقصى قرب مدينة مليلة تبعد عن البحر المحيط بنحو من خمسة إلى عشرة أميال فتحها سعيد بن إدريس ابن صالح الحميرى الذى دخل أرض المغرب فى أيام الوليد بن عبد الملك ابن مروان فى الافتتاح الأول للمغرب قيل موسى بن نصير. انظر البكرى: المغرب، ص ٩٠ - ٩١، الحميرى: المصدر السابق، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

٥٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، محمد عبد الهادى شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسى، ص ٨٧.

- ٥٦- محمد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٩٤.
- ٥٧- أسلوب التقرى: التقرى فى اللغة، استقرى البلاد أى تتبعها يخرج من أرض إلى أرض، انظر مادة تقار واقت، المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٢٢٥.
- وهو عبارة عن أسلوب فى الحرب توجه به الجيوش إلى منطقة معينة على ألا تقف محاصرة لمدينة معينة، مكتفية بحرب الجيوش التى تخرج إليها فقط، ومكتفية بما يمكن أن تحصل عليه من مكاسب. وأسلوب التقرى من الأساليب التى تطول فيها العمليات العسكرية. انظر عبد الهادى شعيرة، المرجع السابق، ص ٨٨.
- ٥٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨٤.
- ٥٩- عبد الهادى شعيرة: المرجع السابق، ص ٨٨، محمد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٩٥.
- ٦٠- صفرو: مدينة بالمغرب الأقصى تقع جنوب مدينة فاس، تشتهر بطيب الماء والهواء، وكثرة الفاكهة. انظر الزهرى: كتابه الجغرافيا، ص ١٥٥.
- ٦١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩، لسان الدين بن الخطيب المصدر السابق، ص ٢٣٥.
- ٦٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٣٩ - ١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٤، السلاوى، الاستقصا، ج ١، ص ١٠٨. ويذكر صاحب جمع تواريخ فاس أن هذا الفتح تم عام ٤٦٠هـ، انظر ص ٢٠. ويرى الدكتور حسن أحمد محمود أنه خلط بين الحملة الأولى والثانية، وأن تحديد الفتح بعام ٤٥٥هـ مقبول إلى حد ما. فى حين يرى الدكتور عبد الهادى شعيرة أن الفتح الأول لفاس كان عام ٤٥٦هـ وليس عام ٤٥٥هـ حيث قبل يوسف بن تاشفين الصلح بعد فرار معنصر عنها، والذى كان قد استبسل فى المقاومة، ويهمل فاس قرابة عامين كاملين من منازلته إياها فى آخر عام ٤٥٤هـ ليعود إليها فى عام ٤٥٦هـ وهو فى حاجة لتثبيت فتوحاته، هذا إلى جانب أن المصادر لا تذكر خلال تلك الفترة سوى أنه توجه إلى مدينة صفرو حيث تم فتحها عنوه.
- انظر حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٠٢، عبد الهادى شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسى، ص ٩٠.

٦٣- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩٠، سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٥، ص ٤٥.

٦٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، عبد الهادى شعيره: ص ٩٠.

٦٥- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩٠.

٦٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٣٧، ١٨٥، ج ٧، ص ٣٦، ويجعل ابن خلدون معنصراً هو الذى دخل فاس وقتل عامل المرابطين، فى حين تذكر المصادر الأخرى أن تميمًا هو الذى فعل ذلك، انظر لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعمال، القسم الثالث، ص ١٦٧.

A bun Nasr (Gamal): History of The Magrib, combridse, Secand edition, 1977, p. 97.

67- L. Goluin: Le Magrib Central, p. 40.

٦٨- محمد بن تاويت: المرجع السابق، ص ٥٠.

٦٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٥.

٧٠- عبد الهادى شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسى، ص ٩٠.

٧١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، لسان الدين بن الخطيب المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨٥ السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ١٠٩، عبد الهادى شعيره، المرجع السابق، ص ٩١.

٧٢- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٦٣، ويذكر ابن الخطيب إن ذلك الفتح كان عام ٤٦١ هـ ولكن هذا لا يتفق مع ما ذكره الآخرون الذين يجعلون ذلك عام ٤٦٠ هـ. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧ ص ٣٦، الذى يذكر أن ذلك الفتح قد تم فى عهد معنصر.

٧٣- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩١، سعدون عباس: المرجع السابق، ص ٤٦.

٧٤- تسول: تعرف بعين أسحف كانت قاعدة لموسى بن أبى العافية وهى على ثلاثة أميال من مدينة فاس، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص ١٤٢.

٧٥- وادى سيمر: على ما يبدو واسم الوادى نهر اسمير الذى يصب فى البحر المحيط بالموضع المسمى قصر بنى تاورده. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥.

٧٦- قلعة فازاز: تقع جنوب سهل سايس بين وادى ملوية ووادى العبيد وفازاز من الجبال المشهورة فى بلاد المغرب تسكنه أمم كثيرة من البربر. انظر مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١٨٧، الحميرى: الروض المعطار، ص ٤٣٥.

٧٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٤٠، ١٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٥.

A bun Nasr (Gamal) Op. Cit., p. 97. \

٧٨- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٠٤، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩١، سعدون عباس: المرجع السابق، ص ٤٧.

٧٩- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

٨٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٤١، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩١.

٨١- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٨٢- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص ٩٢.

٨٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٥، القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، ج ٥، ص ١٨٨، السلاوى الاستقصاء، ج ١، ص ١٠٩.

ج ١ ص ١٠٩، ويذكر كل من: ابن عذارى: البيان، ج ٤ ص ٢٨، وصاحب الحلل الموشية، ص ٢٨، واسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى ص ٣٠، أن فتح مدينة فاس كان عام ٤٦٧، وكان أميرها الفتوح بن دوناس ولعلمهم جميعاً نقلوا من مصدر واحد، وواضح أنه تاريخ مضطرب حيث من المعروف أن الفتوح بن دوناس تخلى عن مدينة فاس قبل عام ٤٥٧ هـ ويذكر أن أبى زرع فى موضع آخر من الأنيس أن عدد القتلى من قبائل زناته فى جوامع فاس وأزقتها ما يزيد عن عشرين ألفاً، انظر ص ١١٣، فى حين يذكر لسان الدين بن الخطيب فى أعلام الإعلام، القسم الثالث: أن عدد القتلى من القبائل الزناتية بفاس ثلاث وأربعون ألفاً، انظر ص ٢٣٦.

وهو وأن كان رقمًا مبالغًا فيه إلا أنه يوضح لنا مدى انتقام المرابطين من المقاومة الزناتية، كان يعطى لنا صورة واضحة عن مدى انهيار الحلف الزناتى أمام ضربات يوسف بن تاشفين.

٨٤- ابن عذارى: البيان، ج٤ ص ١٢٤، ويجدر أن نذكر أن ابن عذارى قدم لنا تاريخين مضطربين فى تحديده لاستيلاء المرابطين على مدينة فاس.

٨٥- مارمول كرفخال: أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد صبحى، ومحمد زنيبر وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف، ١٩٨٤، ج١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

٨٦- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٨٧- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٤٤٤، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص ٤٣١، روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين، ترجمة د/ نقولا زياده، بيروت، مؤسسة مرتكبين، ١٩٦٧ ص ٢٣، عبد القادر زمامة: معالم وإعلام من فاس القديم، مجلة البحث العلمى، عدد ١٦، سنة ١٩٧٠، ص ٨٧. واتخذ المرابطون ثم الموحدون من بعدهم مراكش عاصمة لهم وذلك لقربها من جبال المصامدة، وصحراء لمتونة.

٨٨- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج١، ص ٨٢ - ٨٣.

٨٩- ليفى بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١، ص ١٠٦.

٩٠- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٤، ابن أبى زرع المصدر السابق، ص ١٤١، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ١٨٥.

٩١- لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج١ ص ٨٣.

٩٢- ابن عذارى: البيان، ج٤ ص ١٢٤.

٩٣- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٤، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١٨٥، ابن القاضى المكناسى: جدوة الاقتباس، ج١ ص ٥٠.

٩٤- مجهول: رسالة فى ذكر من أس فاس، ورقة ٥٥، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤١ - ٤٢.

٩٥- ملوية: مدينة تقع بالمغرب الأوسط على نهر ملوية المشهور. انظر مجهول: الاستبصار، ص ١٩٣.

٩٦- انظر مثال ذلك ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨٥، لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج ١ ص ٨٤،

L. Goluin: Le Magrib central, p. 125.

٩٧- هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية د/ أمين توفيق، تونس، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ، ص ٣٩.

٩٨- لوطورنو: المرجع السابق، ج ١ ص ٨٤، عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص ٨٨.

٩٩- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الخاص بوصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٣٨ - ١٣٩، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ٢٥٢، لوطورنو: المرجع السابق ج ١ ص ٨٥.

١٠٠- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ٢٥٢.

١٠١- عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص ٨٨، ويعرف هذا الضرب الآن باسم درب البرج.

١٠٢- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٥، ابن أبي زرع الأنيس المطرب: ص ١٤١، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٤٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨٥.

١٠٣- كانت التعاليم الدينية التي تلقاها عبد الله بن ياسين من أستاذه وجاج بن زللو المتأثر بتعاليم الفقيه أبا عمران الفاسي المالكي المذهب أثرها في أن يكون المذهب الفقهي المرابطي مذهباً مالكيًا. انظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، المجلد الثاني، ج ٤ ص ٧٨١، ابن عذاري: المصدر السابق ج ٤ ص ٧ - ٩، مجهول: الحلل الموشية، ص ٢٠.

وكان الغالب على أهل المغرب في العهد الأول للإسلام مذهب الكوفيين إلى أن دخل على بن زياد التونسي وابن أشرش والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات وغيرهم من الحفاظ بمذهب الإمام مالك إلى المغرب، فأخذه كثير من الناس فظهر وانتشر إلى أن جاء سخنون فاستقر المذهب بصفة رسمية، وتأثر أهل فاس بالمذهب المالكي أكثر من غيرهم في بلاد المغرب نتيجة تعاليم العالم دراس بن إسماعيل الفاسي المتوفى عام ٣٥٧هـ / ٩٦٧ - ٩٦٨م، والذي كان له الدور الكبير في إدخال مذهب الإمام مالك لمدينة فاس وأخذ الناس عنه.

- انظر الجزنائي: جنى زهرة الاس، ص ٢٠ - ٢١، ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٥ - ٣٧٦، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ١٩٤ - ١٩٥.
- ١٠٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤١.
- ١٠٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦ ص ١٨٥، حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص ١٢٥.
- ١٠٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٧، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ١٣٦.
- ١٠٧- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٣٥٤.
- ١٠٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٦.
- ١٠٩- المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨، ج٤ ص ٢٢٠.
- ١١٠- المعتمد بن عباد: أحد ملوك دول الطوائف بالأندلس، كان أميراً على أشبيلية وقرطبة، كان قد استعان بالمرابطين لنصرة الإسلام في الأندلس، لكن فيما بين عامي ٤٨٦ - ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ - ١٠٩٦ م اعتقله المرابطون بسجن مدينة أغمات بالمغرب، وتوفي المعتمد بن عباد بالسجن، ودفن بالمدينة ومازال قبره معروفاً هناك. انظر نفح الطيب، ج٤ ص ٢١٣ - ٢٢٤ ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص ١٦٩.
- ١١١- المقرئ: المصدر السابق، ج٤ ص ٢٢١، وقد ظل المعتمد بن عباد في سجنه بمدينة أغمات، وعندما دخل عليه سجناء فاس مودعين إياه قال المعتمد:
- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| أما لاسكاب الدمع في الخد راحة | لقد آن أن يفنى ويغنى به الخد |
| هبوا دعوة يا آل فاس لميتلى | بما منه قد عفاكم الصمد الفرد |
| فخلصتم من سجن أغمات والتوت | على قيود لم يحن فكها بعد |
- ١١٢- مجهول: نبذ تاريخية في مفاخر البربر، ص ٥٨، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج٤ ص ٢٤٨، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٥٨، الذهبي: سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ج٢ ص ١٢٤ - ١٢٥.
- ١١٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨.

١١٤- يوسف أشباح: تاريخ المغرب فى عصر المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٤٠، ص ١٢١.

١١٥- حمدى عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس فى عهد على بن يوسف، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦، ص ١٣٦.

١١٦- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ٢٥٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٤، ص ٢٥٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٤، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٨ - ١٣٠.

١١٧- حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٩.

١١٨- ابن أبى زرع: الأئیس المطرب، ص ١٥٨ - ١٥٩، لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ٢٥٣، السلاوى: ص ٢٥٣، الاستقصا، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤، يوسف أشباح: المرجع السابق، ص ١٢١، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٣١.

١١٩- وادى ملوية: وهو وادى نهر ملوية الكبير الذى ينبع من ملتقى جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، ثم تخرج مياهه فى اتجاه شمال شرق حتى يصب فى البحر المتوسط، طوله مائة وعشرون فرسخا. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠.

١٢٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨ - ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٤، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٣١. وتذكر المصادر رواية أخرى لإحداث هذه الثورة، فتروى أنه عندما علم يحيى بن أبى بكر أمير فاس بخروج عمه إليه من مراكش قبل أن يتخذ أهبطه فت ذلك فى عضده، فخاف على نفسه، وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه، وأثر أن يولى الأدبار، فخرج من فاس خائفا يترقب مسلما المدينة لعمه فدخلها أمير المسلمين على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأخرى عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وعلى هذا النحو تمكن على بن يوسف من دخول فاس، حيث استقام له ملكها. انظر ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ٢٥٣، السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ١٢٣.

١٢١- ميورقه: جزيرة فى بحر الزقاق بير العدو المغربية تقع جنوبها مدينة بجاية، ومن الجوف برشلونه بينهما مجرى واحد ومن الشرق إحدى جزيرتها منرقة

بينهما أربعون ميلا، كما تقع فى شرق ميورقه جزيرة سرادنية وفى غربها جزيرة يابسه، وقد فتح المسلمون هذه الجزيرة عام ٢٩٢هـ ٩٠٤م ولكن تقلبت عليها قوات برشلونه عام ٥٠٨هـ / ١١٤م لأول مرة، ثم استولى المرابطون على هذه الجزيرة ووليها محمد بن غانية المسوفى وهو أول ولاة بنى غانية الذين تعاقبوا على ولايتها إلى أن كان آخرهم عبد الله ابن إسحاق الذى رفض فى البداية بيعته الخليفة يعقوب المنصور الموحدى، مما دعى الأخير إلى التوجه إليه بقواته لاسترداد المدينة وغيرها من المدن التى استولى عليها عبد الله بن إسحاق. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

١٢٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٤.

١٢٣- حمدى عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس فى عهد على بن يوسف، ص ١٣٣.

١٢٤- ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٤٩. ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٤.

١٢٥- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٦٢، محمود على مكى، وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩ - ١٩٦٠، ص ١٥٤، وإشبيلية مدينة جليلة بالأندلس، بينها وبين مدينة قرطبة قرابة الثمانون ميلا، تقع على الوادى الكبير، وهى عروس مدينة الأندلس كبيرة عامرة لها أسوار حصينة، وأسواق عامرة، بنى سورها وجامعها الإمام عبد الرحمن بن الحكم انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ٨٨ - ٨٩، الحميرى: الروض المعطار ص ٥٨ - ٥٩.

١٢٦- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٦٥.

١٢٧- ابن القطان: جزء من كتاب الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د/ محمود على مكى، الرباط منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ، ص ١٢٢، ١٨٣، ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٣.

١٢٨- ابن القطان: المصدر السابق، ص ١٨٣.

١٢٩- ابن القطان: نفس المصدر، ص ١٠٩، انظر أيضًا دور عسكر مدينة فاس بقيادة يناله المتونى فى محاربة ابن ردمير بواى أش بالأندلس عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م. ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٧٢.

١٣٠- ابن القطان: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

١٣١- لوطورنو: فاس قبل الحماية ج١ ص ٨٦.

١٣٢- المهدي بن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن شعبان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن على أبى طالب، ولد عام ٤٨٩هـ، وكنيته أبو عبد الله، وكان يقال لوالده تومرت، وأمغار، وأسافو، ومعناه بلسان البربر الصنياء لا يقادره الضياء فى المسجد، وينتمى إلى قبيلة هرغة المصمودية التى كانت تنزل فى السوق الأقصى، كانت للمهدى رحلة إلى المشرق، حصل فيها أطرافًا من العلم، وكان من جملة من لقيه بالمشرق الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥هـ، ثم عاد المهدي إلى المغرب، عن نسب المهدي وبعض أخباره. انظر البيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور: الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١، ص ١٠ - ١٥، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٧٢ - ١٧٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

١٣٣- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٢ ص ٢٩٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩٩.

١٣٤- بجاية: مدينة بالجزائر على شاطئ البحر تابعة لإقليم قسطينيه، ولا يعرف إلا القليل عن تاريخ بجاية خلال القرون الثلاث الأولى التى أعقبت الفتح الإسلامى، ولم يكن لها شأن هام فى تاريخ البربر إلا فى عهد بنى حماد، وذلك عندما رأى سلاطين القلعة أنهم مهددون بغزوات العرب الهلاليين فرغبوا أن يكونوا على مقربة من الشاطئ، وبذلك فهى محدثة البناء، يسافر إليها عن طريق البر والبحر، وعلى نحو ميل منها نهر عظيم، يأتى إليها من جهة المغرب، وهى قطب لكثير من البلاد، انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٨١ - ٨٢.

١٣٥- عبد المؤمن بن على: هو أبو محمد عبد المؤمن بن على القيسى الكومى، أول خلفاء دولة الموحدين، وقاهر دولة المرابطين ومبدد شملها وفتح تونس ومراكش والأندلس، ولد عام ٤٩٠هـ / وقيل عام ٤٩٥هـ أو عام ٥٠٠هـ بقرية تاجرة

بساحل البحر من أعمال تلمسان في قبيلة صغيرة يقال لها كومية، وإليها نسبته، توفي عام ٥٥٨هـ بعد أن تولى الخلافة ببلاد المغرب ثلاثة وعشرون سنة، انظر عبد الواحد المراكشي: المعجب ص ٢٦٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٨٣.

١٣٦- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٤٧ - ٢٤٨، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ١٧٣، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢٧.

١٣٧- وتشريس: بلد بإفريقية من أعمال بجاية بين باجه وقسطنطينة المغرب، تقع إلى الشرق من جبل المصامدة. انظر محمد سعيد العريان في تحقيقه لكتاب المعجب، ص ٢٤٨.

١٣٨- مجهول: الحلل الموشية، ص ١٠٦، ومحمد بن البشير كان من أول التابعين للمهدي بن تومرت وأحد أصحابه العشرة.

١٣٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٣.

١٤٠- مسجد ابن الملجوم: ينسب إلى بيت بنى المجلوم أحد الأسر الشهيرة بفاس على أيام المرابطين والموحدين، ينسب إليها عدد من الفقهاء والعلماء والقضاة، عن هذه الأسرة انظر إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص ١٠ - ١٤، وانظر أيضًا الترجمات العديدة التي أوردها ابن القاضي المكناسي في جذوة الاقتباس لهذه الأسرة.

١٤١- مسجد طريانه: هو المسجد الذي آوى إليه المهدي بن تومرت أثناء مقامة بفاس، وكان يعرف هذا المسجد باسم "جامع المهديّة" بحى الطالعة الكبرى، ولهذا المسجد بابان، الأول بحى طريانه المنسوب إليه المسجد، والثاني بباب درب بن سالم، وبين البابين يوجد الساباط (سقيفة بين دارين جمعها سباطات) الكبير الذي بنى المسجد فوقه، ويعرف هذا الساباط باسم ساباط المهدي من عصر الموحدين إلى الآن تخليدًا لذكرى إقامة المهدي بهذا المسجد، انظر محمد الفاسي: معالم وأعلام من فاس القديم، مجلة البحث العلمي، عدد ١٦، عام ١٩٧٠، ص ٨٩.

١٤٢- البيذق: أخبار المهدي، ص ٢٣، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥١، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٧٣، سعد زغلول عبد الحميد: محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب، بيروت، دار الأحد، ١٩٧٣، ص ١٦، Terrasse, Histoire du Maroc, Tome I, p. 270، وعن أسماء الطلبة

- الذين كانوا يتلقون العلوم على يدى المهدي بهذا المسجد، انظر أخبار المهدي، ص ٢٣.
- ١٤٣- البيذق: المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤، سعد زغلول: المرجع السابق، ص ١٧، Terrasse: Op. Cit., p. 270.
- ١٤٤- سعد زغلول: المرجع السابق، ص ١٨.
- ١٤٥- البيذق: المصدر السابق، ص ٢٤.
- ١٤٦- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ص ٥٤٨، سعد زغلول المرجع السابق، ص ١٩، حمدي عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، ص ٩٣.
- ١٤٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٣، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٠٦.
- ١٤٨- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٣٢.
- ١٤٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٣٢، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥٢-٢٥٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٥ ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٩، وعن تلك المناظرة انظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٧٤-١٧٥.
- ١٥٠- تينمل: موضع بالسوس الأقصى، وكتب تينملل أو تأنمللت، وقد رسمها أحياناً ابن صاحب الصلاة كلمتين: تين ملل، وهى مؤلفة بالبربرية من: تين بمعنى ذات، وإيمل بمعنى الحواجز "الصرايم" وبنى بها الإمام داره ومسجده ومدنها ثم حصنها الخليفة حتى غدت أمنع وأحصن، هذا إلى جانب وعورة مسالكها الأمر الذى يجعل الوصول إليها من أصعب المحاولات. انظر عبد الهادي التازى فى تحقيقه: لكتاب المن بالإمامة ص ٢١٥.
- ١٥١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٣٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٦، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٠٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٩.
- ١٥٢- البيذق: أخبار المهدي، ص ٣٤-٣٥، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحديّة، والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٦٦/ ص ٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٦، مجهول: الحلل الموشية ص ١٠٨-١٠٩. ورتب المهدي أصحابه مراتب. فالأولى أهل العشرة، وهم أشرف أصحابه والثانية آية خمسين وهم دون الطبقة الأولى، وهم جماعة من رؤساء القبائل، والثالثة آية سبعين وهم

دون الذين قبلهم فى الرتبة السابقة، وسمى عامة أصحابه الداخلين فى طاعته بالموحدين.

عن هذا الترتيب انظر: أخبار المهدي، ص ٣٤ - ٣٥، الكامل فى التاريخ، ج ٨ ص ٣٩٨، المعجب، ص ٢٥٥، الحلل الموشية، ص ١٠٨، ونهاية الأرب، بالقاهرة، تحقيق د/ حسين نصار، الهيئة العامة ج ٢٤ ص ٢٨٧.

١٥٣- عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٠٧، لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ٢٧٠، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٠٩ - ١١٠.

١٥٤- مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٤.

١٥٥- البحيرة: تعرف أيضاً ببحيرة الرقائى، وهى بسيط أو سهل كان أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش، جرت بها هذه الواقعة وكانت يوم السبت ١٢ أبريل ١١٣٠م / ٢ جمادى الآخرة ٥٢٤هـ. انظر: عبد الوهاب بن منصور فى تحقيقه لأخبار المهدي، ص ٤٠.

١٥٦- البيدق: المصدر السابق ص ٣٩ - ٤٠، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨ ص ٢٩٨، مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٤.

١٥٧- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٦٠.

١٥٨- مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٦.

١٥٩- عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على مصر، دار المعارف، ١٩٧١، ص ٧٩ - ٨٠.

١٦٠- البيدق: المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤، ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٢٦،

ويجعل هو وصاحب الحلل الموشية. وفاة المهدي فى ١٤ رمضان، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٨٩، بويج عبد المؤمن بن على البيعة الخاصة من أصحاب المهدي عام ٥٢٤هـ، وبويج البيعة عامة عقب إعلان وفاته المهدي عام ٥٢٦هـ، انظر الأنيس المطرب، ص ١٨٦، فى حين يجعل ابن القطان فى نظم الجمان أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت عام ٥٢٩هـ، ولكن هذا تاريخ متأخر فليس من المعقول أن يستطيع عبد المؤمن بن على إخفاء موت المهدي قرابة الخمس سنوات، انظر نظم الجمان، ص ١٦٨.

١٦١- عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٦١ - ٢٦٢، ٢٧٠ - ٢٧١، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٩ - ٢٠.

- ١٦٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٦ - ١٨٧.
- ١٦٣- ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت وآخرين، ص ١٦، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ١١٥.
- ١٦٤- مجهول: الحلل الموشية، ص ١٢١.
- ١٦٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٦.
- ١٦٦- الميره: من الفعل مير، وهو الطعام يمتاره الإنسان، ومار أهله من باب باع. انظر محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، القاهرة، دار المعارف، مادة مير، ص ٦٤٠.
- ١٦٧- الريريتر: Reverter قائد رومي كان في البداية نصرانيًا من قواد أمير لشبونه وأرجون، ثم وقع في أسر الأمير على بن ميمون قائد وأبلى البلاء الحسن في محاربة الموحدين، وقتل هذا القائد في أحد حروبه مع الموحدين عام ٥٣٩هـ. انظر، ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٣، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٩٦، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، إسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص ٣٥٥.
- ١٦٨- البيذق: أخبار المهدي، ص ٥١.
- ١٦٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٣، قسم الموحدين، ص ١٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٨٧.
- ١٧٠- وهران: مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر أقرب المدن إلى المغرب الأقصى، أسست في حوالي عام ٢٩٠هـ حيث بناها جماعة من الأندلسيين البحرين، ولكن خرب وهران بسبب فتنة بعض القبائل البربرية بها، وبقيت على الخراب سنين، ثم دب العمران فيها بعد أن هدأت تلك الفتن، فعادت أحسن مما كانت حيث وصفت بالحصانة والارحاء والبساتين، انظر: البكري: المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، ص ٧٠ - ٧١، الزهري: كتاب الجغرافيا، ص ١١٣، الحميري: الروض المعطار، ص ٦١٢.
- ١٧١- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٤، ١٢٦.
- ١٧٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٩٩، عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٧١، ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٤، ص ١٢٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٨٧ - ١٨٨.

- ويجعل ابن الأثير عمر الهناتى قائد الحامية الموحدية التى سارت لفتح مدينة
وهران وليس عبد المؤمن بن على.
- ١٧٣- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ج ١ ص ٢١١
- ١٧٤- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج ١ ص ٨٦.
- ١٧٥- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٣٠٠، ابن عذارى البيان المغرب
قسم الموحدين، ص ٢٣، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٥، ابن خلدون: تاريخ
ابن خلدون، ج ٦، ص ٢٣١.
- فى الواقع اختلف المؤرخون فى تحديد المكان الذى فر منه الأمير يحيى بن
أبى بكر إلى فاس فيجعله ابن الأثير من تاجررت. انظر المصدر السابق ج ٨
ص ٣٠٠، فى حين يجعلها كل من ابن عذارى وهو ينقل من ابن بجير، وابن
خلدون من تلمسان، انظر البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٣، تاريخ ابن
خلدون، ج ٦ ص ٢٣١.
- ١٧٦- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٣٣، السلاوى: الاستقصا ج ١ ص ١٤٢،
عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ١٣٣.
- ١٧٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٣، مجهول الحلل
الموشية، ص ١٣٥.
- ١٧٨- المقرمده: اسم لموضع بمدينة فاس بعدوة الأندلس منها، به ضريح الإمام
إدريس بن إدريس، انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٨، ابن القاضى
المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٣٢.
- ١٧٩- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٠،
terrasse: Histoire du Maroc, Tome I, p. 289.
- ١٨٠- البيدق: المصدر السابق، ص ٦٠.
- ١٨١- البيدق: المصدر السابق، ص ٦٠، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم
الموحدين، ص ٢٣.
- ١٨٢- البيدق: المصدر السابق، ص ٦١، ابن عذارى: المصدر قسم الموحدين،
ص ٢٣، عبد الله علام: المرجع السابق، ص ١٣٣.
- ١٨٣- عقبة البقر: تقع فى طريق الخارج من باب الفتوح من عدوة الأندلس على
مسافة تزيد على أربعة أميال، انظر البكرى: المغرب فى ذكر أفريقيا والمغرب،
ص ١٤١، والمحلة: فى الاصطلاح العسكرى المغربى القديم تعنى الجيش

- المستقر، وعكسها الحركة أى الجيش الضارب، وقد تعنى المحلة مجرد الجيش، انظر عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لأخبار المهدي ص ٦١.
- ١٨٤- يأتى التمييز هنا بمعنى تمييز الموحد من المنافق فى القوات الموحدية، كما يأتى بمعنى التطهير، انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٢٨ وكانت أول عملية تمييز فى الدولة الموحدية التى قام بها المهدي بن تومرت على يد البشير الونشريسي عام ٥١٩هـ، حيث عُرض الموحدون عليه فأخرج منهم قومًا على يمينه زعم أنهم من أهل الجنة، كما أخرج قومًا على يساره زعم أنهم من أهل النار حيث أنهم يشكون فى عصمة الإمام المهدي ابن تومرت. عن التمييز فى العصر الموحدي: انظر ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٠٢ - ١٠٤، البيدق: أخبار المهدي ص ٧٨، ابن عذارى البيان المغرب، ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩.
- ١٨٥- البنود: مفرد بند، وهو العلم الكبير، والكلمة فارسية معربة انظر محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، مادة بند ص ٦٥.
- ١٨٦- البيدق: المصدر السابق، ٦١، ابن عذارى: المصدر السابق قسم الموحدين، ص ٢٣، ومنزل الحجاج هو المكان الذى يجتمع فيه حجاج مدن المغرب الأقصى تأهبًا لرحلة الحج. انظر محمد المنونى: ركب الحاج المغربى، تطوان: مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص ١٥.
- ١٨٧- البيدق: أخبار المهدي: ص ٦١، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٣.
- ١٨٨- ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.
- ١٨٩- البيدق: المصدر السابق، ص ٦١.
- ١٩٠- البيدق: المصدر السابق، ص ٦١، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤.
- ١٩١- مجهول: الحل الموشية، ص ١٣٦.
- ١٩٢- البيدق: المصدر السابق، ص ٦١.
- ١٩٣- يوسف أشباح: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ج ١ ص ٢١١.
- ١٩٤- عبد الله علام: المرجع السابق، ص ١٣٤.
- ١٩٥- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٤.
- ١٩٦- يبدو أنه أحد قواد الموحدين ولم تذكر المصادر التى أطلع عليها الباحث اسمه كاملاً.

- ١٩٧- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٣٠٠، ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤، الذى يذكر أن مدة الحصار كانت سبعة أشهر، مجهول، الحلل الموشية، ص ١٣٦.
- ١٩٨- محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهد المرابطين والموحدين، ص ١١٧ - ١١٨.
- ١٩٩- ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ٣٠٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٩، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ج١ ص ٢١١.
- ٢٠٠- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص ٤١ - ٤٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٨٥، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦.
- ٢٠١- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج١ ص ٢١١.
- ٢٠٢- مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦.
- ٢٠٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤، مجهول الحلل الموشية، ص ١٣٥.
- ٢٠٤- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢، ابن عذارى: البيان قسم الموحدين، ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦.
- ٢٠٥- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج١ ص ٢١١.
- ٢٠٦- البيدق: المصدر السابق، ص ٦٢، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦، النويرى: نهاية الإرب، ج٤، ص ٢٩٥، ويذكر كلا من صاحب الحلل الموشية والنويرى أن هذا الاتفاق تم بين الجياني وعبد المؤمن بن على.
- ٢٠٧- مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٢٣٢.
- ٢٠٨- ابن الآبار: الحلة السراء، ج٢ ص ٢٣٦.
- ٢٠٩- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢.
- ٢١٠- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص ٢٣٦.
- ٢١١- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٤.
- ٢١٢- مجهول: نبذة تاريخية فى مفاخر البربر، ص ٥٩، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤.

- ٢١٣- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٩.
- ٢١٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٨٩، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج ١ ص ٨٧.
- ٢١٥- روجيه لوطورنو: المرجع السابق، ج ١ ص ٨٧.
- ٢١٦- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣٥.
- ٢١٧- ابن عداري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤، ذكر ابن خلدون أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي كان وقت فتح فاس محاصراً لمدينة مكناسة، فلما علم بخبر الفتح رجع إليها. انظر: تاريخ ابن خلدون، ص ٢٣٢. وأخذ بهذا عبد الله علام الذي يذكر أن عبد المؤمن بن علي لم يشهد فتح مدينة فاس وأن القائد الموحدي ابن الجير هو الذي تمكن من الاستيلاء على المدينة، مستبعداً ما ذكره صاحب الحل الموشية من أن الجياني اتصل بالخليفة عبد المؤمن وأنه أدخله المدينة من باب الفتوح. انظر عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ١٣٦. والباحث لا يؤيد ما ذهب إليه عبد الله علام، فإن كانت المفاوضات في بدايتها تمت بين الجياني مشرف فاس، وكبير قواد الموحدين، فلا يمنع هذا من أن يرسل ابن الجير إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي يعلمه بهذا الاتفاق ويطلب منه سرعة القدوم إلى فاس ليشهد فتحها مع القوات الموحدية. لاسيما أن بعض المؤرخين يذكرون أن الجياني طلب الأمان لأهل فاس من الخليفة الموحدي الذي أجابه إلى ذلك. انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٠٠ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٩، مجهول: الحل الموشية ص ١٣٦، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٢٩٥.
- ٢١٨- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج ١ ص ٨٧.
- ٢١٩- تاودا: تقع شمال مدينة فاس، حيث تقع مدينة صفرو في جنوبها، ويصفها الزهري بأنها صحيحة الماء والهواء كثيرة الفواكه، انظر: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. وقد بنى المرابطون تاودا لتكون حصناً لمراقبة سكان جبال غماره، ولما ثار أمير هذه المدينة على الخليفة عبد المؤمن بن علي عام ٥٥٩/١١٦٣ م سار إليه الخليفة الموحدي واستولى على البلد وضرب الحصن وقتل كثيراً من السكان فاندثرت البلدة منذ ذلك الحين، وعرفت باسم فاس البالي الذي ما زالت تسمى به إلى اليوم. انظر عبد الوهاب بن منصور: في تحقيقه لأخبار المهدي ص ٢٤.

- ٢٢٠- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢ - ٦٣، قارن terrace: Op. Cit., Tome I, p. 289.
- ٢٢١- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج ١، ص ٢١١.
- ٢٢٢- روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين، ص ٢٣.
- ٢٢٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨ ص ٣٠٠، النويري: نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٩٦.
- ٢٢٤- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين ص ٢٤. الذي يذكر أن أول والٍ على فاس من قبل الموحدين كان أبو اسحاق بن جامع.
- ٢٢٥- سلا "Slae": مدينة قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلنطي بأقصى المغرب، بينها وبين مراكش تسع مراحل على ساحل البحر، أحدث الموحدون بها عمائر كثيرة. انظر الحميري: الروض المعطار ص ٣١٩.
- وللمزيد من المعلومات عن سلا انظر لسان الدين بن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، رسالته في المفارقات بين مالقة وسلا ص ٥٢ - ٦٦.
- ٢٢٦- مجهول: نبذ تاريخية في مفاخر البربر، ص ٥٩، مجهول: الحلل الموسوية، ص ١٣٧.
- ٢٢٧- لوطورنو: فاس في عصر بني مرين، ص ٢٣، فاس قبل الحماية ج ١ ص ٨٧.
- ٢٢٨- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٠٨.
- ٢٢٩- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٣٦.
- ٢٣٠- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٥٠، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٣٣٦، بدر الدين العيني: عقد الجمان في تاريخ الزمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣٤ / ك ج ١٢ أحداث عام ٥٥١، عبد القادر زمامه: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، مجلة كلية الآداب جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس ١٩٨٠ - ١٩٨١، ص ٣١٨ - ٣١٩.
- وبجعل كلا من بدر الدين العيني وابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٥٠، والنويري نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣٠٨. ذلك التعيين في عام ٥٥١هـ / ١١٥٦م ورجح الأستاذ ليفي برونسفال رأى ابن الأثير. انظر:

- Leviprovençal: Delettres officielles Almohades, et de diplomatique et historou, Hesperis, anne, 1941, p. 38.

ويجعل السلاوى ذلك بعد عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م. انظر الاستقصا، ج١ ص ١٤٩، إلا أننا نرجح رأى ابن عذارى وابن خلدون اللذان يجعلان ذلك عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م. فهو أقرب للصح.

٢٣١- غبراهيم خركات: المرجع السابق، ج١ ص ٣٣٦.

٢٣٢- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٧، منى حسن أحمد محمود: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة بمراكش فى عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤ ص ٢٥١.

٢٣٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٥٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج١ ص ٢٣٦، ويجعل ابن أبى زرع تلك الولاية عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م. انظر: الأنيس المطرب، ص ١٩٤.

٢٣٤- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتابه الدولة المؤمنية، نشرها ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا، ١٩٤١، ص ٤٣، ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين ص ٤٧ - ٤٨. عبد القادر زمامه: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، ص ٣١٥.

Provonçal: De Lettres of officille Almohdes, p. 32.

٢٣٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٥٠، عبد القادر زمامه: المرجع السابق، ص ٣١٨،

Provançal: Op. Cit., p. 32.

٢٣٦- مجموع رسائل موحدية، ص ٤٤.

٢٣٧- أحمد بن عطية ثانى وزير للخليفة عبد المؤمن بن على بعد وزيره الأول، أبو حفص عمر، وقد جمع أحمد بن عطية بين الوزارة والكتابة، واستمر فى هذا المنصب إلى أن قتله عبد المؤمن بن على فى شهور عام ٥٥٣هـ / ١١٥٨م. انظر عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

٢٣٨- رسائل موحديه: ص ٤٤، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٥٠ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٩٥، عبد القادر زمامه: المرجع السابق، ص ٣١٨.

٢٣٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٩٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٢٣٧.

- ٢٤٠- عبد الهادي التازي: في تحقيقه للمن بالإمامة، السفر الثاني، ص ١٤٤.
- ٢٤١- قفصه: إحدى مدن أفريقية (بلاد الجريد) وهي مدينة كبيرة قديمة تقع بين مدينة القيروان وقابس وبينها وبين الأخيرة ثلاث مراحل. انظر الحميري: المصدر السابق، ص ٤٤٧. وكان والي قفصه من قبل الموحدين علي بن المعز بن المعتز المعروف بالطويل من أعقاب بني الرند قد ثار عليهم عندما رأى غلبة الغز المصريين على طائفة من بلاد أفريقية وانقياد العرب لهم فحدث له طمع في الاستقلال ببلده وخاطب العرب على ذلك فتوجه إليه الخليفة الموحد يوسف ابن عبد المؤمن فنزل قفصه محاصراً لها، على ابن المعز على أمره. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٤٠ - ٢٤١.
- ٢٤٢- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، السفر الثاني، ص ٢٥٩، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٨٦، ١٤٣، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٢.
- ٢٤٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٥٨، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ٢١٣، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٤١.
- ٢٤٤- ابن عذارى: المصدر السابق قسم الموحدين، ص ١٥٨.
- ٢٤٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٥٨.
- ٢٤٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٦٢، ١٧٠، ابن أبي زرع: الأئیس المطرب، ص ٢١٥ - ٢١٦.
- ٢٤٧- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٧.
- ٢٤٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٨٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٨، ابن خلدون: المصدر السابق ج ٦ ص ٢٢٤، السلاوي: الاستقصا، ج ١ ص ١٦٥.
- ٢٤٩- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٨٦.
- ٢٥٠- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٨٦ - ١٨٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ١٦٧.
- ٢٥١- هو محمد بن رزين المعروف بالجزيري، وترجع حركته إلى مذهب الخوارج الأزارقة في تكفير جميع المسلمين، وقد أیده قوم من البربر كانوا يتعلمون على يده هذا المذهب، فشاخ خبره ومذهبه منذ عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، ويبدو أن

- الموحدين عرفوا ما يدعو إليه فاضطر إلى الهروب من مراكش في العام المذكور، ولكنه عاد إليها في عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م فعمل الموحدون للقضاء على حركته.
- انظر ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ١٥٥.
- ٢٥٢- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٠٧.
- ٢٥٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٠٩، المقرئ: نفح الطيب، ج ١ ص ٤٤٤، ويجعل المقرئ ذلط في عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م.
- ٢٥٤- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٤٦، سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢، ص ٨٩.
- ٢٥٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٠٩، ابتسام مرعي: العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٥، ص ١٥٨.
- ٢٥٦- سعد زغلول: المرجع السابق، ص ٩٠.
- ٢٥٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٠٩.
- ٢٥٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٤٦.
- ٢٥٩- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، عهد الموحدين، المهدية، مطابع فاضله، ١٩٨٢، ص ٣١١.
- ٢٦٠- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٠٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٤٦. سعد زغلول: المرجع السابق، ص ٩٠، وعن هدية صلاح الدين للمنصور الموحدي، انظر ابن خلدون، ج ٦ ص ٤٦. وابتسام مرعي: المرجع السابق، ص ١٥٩.
- ٢٦١- سعد زغلول: المرجع السابق، ص ٩١، ابتسام مرعي: المرجع السابق، ص ١٥٩.
- ٢٦٢- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٠٩، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٤٦، المقرئ: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٤٤ ويفسر المقرئ رفض الخليفة المنصور لطلب صلاح الدين لأنه لم يخاطبه باسم أمير المؤمنين، ولم يوفيه حقه في الخطاب، أنظر أيضًا عن هذه الأحداث القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٥٥.
- ٢٦٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢١٤.

- ٢٦٤- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٣٠ - ٢٣١.
- ٢٦٥- قصة الوادى: كانت هذه القصة موجودة بباب بوجلود الحالى، ولا يزال أحد أبراجها ماثلاً حتى الآن للعيان، وهو ملاصق لجامع بوجلود انظر عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ٤٣.
- ٢٦٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٣١ - ٢٣٢، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٤٢، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٥٠.
- ٢٦٧- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج ١ ص ٨٧.
- ٢٦٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٣٢.
- ٢٦٩- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٦٦، ويجعل ابن عذارى ذلك عام ١٢١٢هـ / ١٢١٥م، السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ١٩١، مصطفى أبو ضيف: أثر العرب فى تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢ ص ٩٩ - ١٠٠، عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب، عهد الموحدين، ص ٢٨٧.
- ٢٧٠- عبد الهادى التازى: المرجع السابق، ص ٢٨٨.
- ٢٧١- الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٣، المقرئ: نفح الطيب، ج ٥ ص ١٥٦، السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ١٩١.
- ٢٧٢- روجيه لوطورنو: المرجع السابق، ج ١ ص ٨٧.
- ٢٧٣- كان الخليفة الناصى الموحدى قد أمر بإقامة بعض المشروعات العمرانية فى المدينة سوف نذكرها فى الفصل الخاص بذلك.
- ٢٧٤- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٤٩.
- ٢٧٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٥٩، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.
- ٢٧٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٥٩.
- ٢٧٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.
- ٢٧٨- قصر كتامه: هو اليوم القصر الكبير ويسمى أيضاً قصر عبد الكريم، وهى بلدة معروفة بالمنطقة الخليفية بالمغرب الأقصى، وتبعد عن ساحل المحيط بنحو ٣٦

ك.م. انظر أحمد المختار العبادى فى تحقيقه لمشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ١٥٦.

٢٧٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٦٠.

٢٨٠- ابن عذارى: نفس المصدر، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

٢٨١- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٦٥، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٤٠ - ٢٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٢٥٠.

٢٨٢- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٦٥، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٠، السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ١٩٤.

٢٨٣- بنو مريـن فخذ من قبائل زناته من بنى واسين من ولد مريـن بن ورتاجين وهم أخوة بنى يلومى ومديونه، كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة ينتقلون فى تلك البلاد لا يؤذن لا مير درهمًا ولا دينارًا ولا يدخلون تحت حكم سلطان، وكان أغلبهم يعمل بالصيد وطرده الخيل والفارة، وكانت جل أموالهم الخيل والإبل - عن قبائل بنى مريـن انظر أبى زرع: الأنيس المطرب ص ٣٧٨ - ٣٨٤، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٧ ص ١٦٦.

٢٨٤- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٦٦، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥١.

٢٨٥- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٦٦، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧ ص ١٦٩، السلاوى: المرجع السابق ج ١ ص ١٩٤ والمشكلة نوع من الثياب معروفة عند أهل المغرب. انظر تاريخ ابن خلدون، ج ٧ ص ١٦٧.

٢٨٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٦٩.

٢٨٧- مرسية: مدينة بالأندلس، هى قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذها دار للعمال وقرار للقواد وذلك فى عام ٢١٦هـ / ٨٣١م وتقع على نهر كبير يسقى جميعها، لها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، رخيصة الفواكه، كما يوجد بها معادن للفضة، وتقع مرسية فى سهل من الأرض على خفته ذلك النهر. ويشق الماء ربضا حيث يجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب وتنتقل من موضع إلى موضع. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٩.

٢٨٨- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٤١٥ - ٤١٦، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٦٥، ٢٧٠، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢٥٢ - ٢٥٣، الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٢٢.

٢٨٩- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٤١٦-٤١٨، ابن عذارى المصدر السابق، قسم الموحدين ص ٢٩٨.

٢٩٠- عرب الخلط: هم بنو المنتفق من بنى عامر بن عقيل بن كعب كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين، ولما ضعف أمر القرامطة واستولى بنو أبي الحسين من بطون تغلب على البحرين وشايعوا للدولة العباسية ارتحل بنو المنتفق من المسمون بالخلط إلى أفريقية، وهم في المغرب منسوبون إلى جشم تخليطاً في النسب ممن يحققه من العامة، وقد أدخلهم المنصور إلى المغرب فأستقروا في سهول تامسنا فكانوا أولى عدد وقوة وكان شيخهم هلال يناصر المأمون إلى أن توفي وبويح لابنه الرشيد ورفض طاعته. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٩.

٢٩١- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٢٣٥-٢٣٦، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٥.

٢٩٢- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٣٦.

٢٩٣- السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ٢٠٢-٢٠٣.

٢٩٤- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٤١٨، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٥٨-٣٥٩، السلاوى: المرجع السابق، ج ١ ص ٢٠٢-٢٠٣.

٢٩٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٦٦، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٩١-٢٩٢.

٢٩٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٩٥.

٢٩٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٦٦.

٢٩٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٦٦، السلاوى: الاستقصا، ج ١ ص ٢٠٣.

٢٩٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٣٥٩، ٣٨٢، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٥٨، ابن أبي دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، ص ١٢٨-١٢٩.

٣٠٠- ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٣٥٩، ٣٨٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٢، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٦٨، القلقشندى: مآثر الأناقة فى معالم

- الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص ١٠١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ١٠٤.
- ٣٠١- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٩١، ٣٩٦.
- ٣٠٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤.
- ٣٠٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٣، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٤.
- ٣٠٤- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٣٩٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٤ - ١٧٥.
- ٣٠٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٩٦ - ٣٩٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٤ - ١٧٥.
- ٣٠٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٩٥.
- ٣٠٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٩٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٥، ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٥، ويجعل كلا من ابن أبي زرع وابن خلدون قتل أعيان فاس في شهر رجب عام ٦٤٨هـ / أكتوبر ١٢٥٢م، كما يذكر أن أهل فاس دفعوا مائة ألف دينار للأمير المريني كانوا قد انتهبوا من قصره.
- ٣٠٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩٦، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٥، القلقشندي: مآثر الأناقة، ص ١٠١.
- ٣٠٩- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٧٤.
- ٣١٠- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٤٠٦ - ٤٠٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٥٨، ابن أبي دينار القرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ص ١٢٩.
- ٣١١- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٧٧.
- ٣١٢- روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين، ص ٢٤.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية بمدينة فاس فى عصرى
المرابطين والموحدين

أولاً: السكان:

تكون المجتمع الفاسي في عصرى المرابطين والموحدين من عناصر مختلفة هي: البربر والعرب إلى جانب العناصر الأخرى من العبيد وأهل الذمة^(١).

البربر

يعد البربر العنصر الأغلب من عناصر السكان في بلاد المغرب، فمنهم وعلى أكتافهم تأسست دولة المرابطين ثم الموحدين، ومن ثم فمن الطبيعي أن يشكل البربر أهم عناصر السكان في مدينة فاس، وخاصة قبائل صنهاجة وقبائل المصامدة، فقد تبادلت القبيلتان المواقع في عهد كل من الدولتين، وكان لهما دور كبير في توجيه تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.

ويقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة، فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت تعيش على الريادة^(٢) والغزو، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأغنام، وتتركب القبيلة البربرية من عشائر وأسر لأفرادها من الولاء لها والتعلق بها أكثر من القبيلة نفسها، فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع، وتضعف كلما اتسع فهم يشبهون في ذلك العرب، ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله سلطان مطلق عليها، وهو أعلى مقاماً وأشد احتراماً من الأم أو الزوجة^(٣).

ومنذ تأسيس مدينة فاس قطنت العناصر البربرية من صنهاجة ولواته ومصمودة في مختلف أحياء المدينة، كما توافد بربر التل والجبال وبربر الصحراء من لمطة وغيرها إلى المدينة^(٤). وبذلك حوت فاس صنفى البربر البرانس والبتري، وتنتمي طائفة البربر البتري إلى مادغيس، ومنهم بطنان: نفزاوة وهم بنو لوا الأكبرا، ولواته بنو لوا الأصفر المسمى باسم أبيه، وانتشرت بطون وفروع قبيلة لواته بفاس^(٥) ويذكر ابن أبي زرع^(٦) أن قبيلة لواته كانت بين القبائل البربرية التي خرجت لقتال يوسف بن تاشفين عندما توجه لحصار مدينة فاس عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م كما كان لهذه القبيلة ذكر بمدينة فاس في عصر الموحدين^(٧).

ومن قبائل البربر البتري التي قطنت مدينة فاس، شعب أداسه^(٨) الذين من أشهر قبائلهم وشتاته، حيث استقرت فرقة منه بجبل زالغ المشرف على فاس، وإلى هذه القبيلة يُنسب الموضع المسمى باب وشتاته^(٩) ومن قبائل ضريسة البتريّة التي استقرت بفاس قبيلة مطغرة، وهي أوفر قبائل ضريسه المنسبون إلى ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتري^(١٠).

ومن بين القبائل البترية التي قطنت مدينة فاس، والتي كان لها وجود في عصر المرابطين والموحدين، قبيلة مغيلة^(١١). أخوة مطماطة ولماية وكان جمهورهم بالمغرب الأقصى، وهذه القبيلة إحدى القبائل التي قامت بنصرة الإمام إدريس بن عبد الله أثناء دخوله بالمغرب، وحملت البربر على طاعته والدخول في أمره، وكانت أيضاً من القبائل التي خرجت من فاس لقتال يوسف بن تاشفين^(١٢)، ويحدد ابن خلدون مواطنهم بين فاس وصفرو ومكناسة^(١٣). وورد ذكر قبيلة مغيلة في هذين العهدين في ييوتات فاس الكبرى، حيث كان منها بيت بنى المغيلي^(١٤) ومن خلال الترجمات التي أوردها ابن القاضي المكناسي^(١٥) لأعلام هذه القبيلة يصفهم بأنهم من البربر، بيتهم بيت علم وترف، ولهم زقاق بفاس يقال له وطاة المغيلي.

ومن القبائل البترية بفاس قبيلة صدينة^(١٦) وهي إحدى القبائل التي قامت مع مغيلة لنصرة الإمام إدريس بن عبد الله، ومنها بطن مندرج في قبيلة شراكة قرب فاس، وكان موطن قبيلة صدينة قريباً من فاس حيث كان لهم مدينة يقال لها مدينة صدينة على اسم القبيلة قبيل دخول المرابطين مدينة فاس^(١٧)، وبقيت أعقاب هذه القبيلة بفاس خلال عهدي المرابطين والموحدين، حيث برع البعض منهم في ميدان العلم^(١٨).

وكانت لقبيلة مطماطة، مواطنها المعروفة بها بين فاس وصفرو، كما كانت قبيلة مضجرة التي ركدريحها بعد دولة الأدارسة وافترق جمعها، وإن بقيت منهن جماعة بين فاس وتلمسان وصفرو، يتصلون بكومية ويدخلون حلفهم، وكان من تلك القبيلة جماعة بجبل فاس يعرف بهم^(١٩).

كما قطنت المدينة في هذين العهدين بعض من بقايا قبائل زناته الذين استولوا على السلطة في فاس مرات عديدة، وتنضوي تحتهم قبائل كثيرة وبطون عديدة^(٢٠). ومن المعروف أن المرابطين قد تخلصوا من الزناتيين الذين كانوا بمنطقة فاس، لكن بقيت بقايا منهم تقطن المدينة مثل بيت بنى دبوس من بنى يفرن الزناتيين، وكان لهم زقاق بفاس يقال له عقبة بنى دبوس، كما كان منهم بنى حمد^(٢١).

وكانت قبيلة زواغة، وهي من بطون البربر من ولد شمعان بن يحيى بن ضريس بن مادغيس الأبتري، من ضمن القبائل الفاسية الخارجة لقتال يوسف بن تاشفين أثناء محاولاته لدخول فاس^(٢٢) واستمر وجود هذه القبيلة بفاس في عصر المرابطين والموحدين حيث يذكر ابن خلدون وجودهم بالمدينة^(٢٣).

أما البربر البرانس، فقد نزلت منهم بفاس قبائل مصموده وشنهاجة ولمطة وهسكورة وكزولة وأوربة، وأوربة هم بنو أورب بن برنس، ومن قبائلهم رغيوة التي لا تزال معروفة بهذا الاسم شمال فاس، ولجاية الموجودة شمال فاس، ومزياته ومواطنها قرب وادي ورغة شمال فاس^(٢٤). كذلك. كما أن هناك فرقة من قبائل أوربة تنزل بجبل زرهون بفاس^(٢٥) واشتهر بيتهم في عهد المرابطين والموحدين بالعلم والصلاح^(٢٦).

أما شنهاجة فهو بنو شنهاج بن برنس، وهم شعب كبير جداً موجودين في كل مكان بالمغرب لا يكاد يخلو منهم جبل ولا سهل^(٢٧) وترجع قبائل شنهاجة في فاس إلى أصليين: أحدهما شنهاجة الشمال، والأخرى شنهاجة الجنوب - أي الصحراء - ويبدو أن وجود الشنهاجين الصحراويين في فاس يرجع إلى أيام الدولة المرابطية، وذلك عندما تقدمت القبائل الشنهاجية من الصحراء إلى المغرب الأقصى، وانتشرت واستقرت في مدنه المختلفة، ومنها مدينة فاس^(٢٨). ومن قبائل شنهاجة وبطونها بني زروال^(٢٩). ومنهم فرقة استقرت على عدوتى وادي ورغة شمال فاس^(٣٠). وإن كانت هذه القبيلة بربرية الأصل، إلا أنها تعربت تماماً وانعدمت منها البربرية ولم يبق منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب، ويرجع سبب تعريبها موقعها قرب فاس حيث كانت على اتصال تام بها، وكثيراً ما كان كثير من أبنائها يشدون الرحلة للتجارة وللاخذ عن شيوخ القرويين، كما أن المرابطين والموحدين نقلوا قبائل عربية رحالة، وأسكنوها مع بني زروال لأغراض سياسية^(٣١).

ومن البربر البرانس قبيل لمطة - أخوة شنهاجة - وهم قبائل وبطون أكثرهم أهل وبر ويضعنون مع قبائل المرابطين وقيمون معهم، ومنهم فرقة مستقرة بجبل زانغ المطل على فاس^(٣٢). ومن القبائل الشنهاجية، قبيلة مليلة، وهم من شعب أوريقية من أكبر القبائل المغربية ولها فروع في جميع الجهات مستقلة بنفسها أو مندمجة في غيرها، وينسب إليها عدة مواضع^(٣٣). وسكنت مليلة فاس، ولا شك أن أعداد أفرادها تزايدت مع دخول المرابطين، واستمرت أعقاب هذه القبيلة حتى عهد الموحدين فيذكر اسماعيل بن الأحمر^(٣٤)، أن بربر بني المليلى من شنهاجة كانوا على عهد الموحدين. ويصفهم ابن القاضي المكناسي^(٣٥) في عصر الموحدين بأنهم بيت فقه.

ولا شك أن أعداد كبيرة من قبيلة شنهاجة سكنت بفاس مع دخول المرابطين المدينة حيث وردت ترجمات عديدة لشخصيات فاسية منتسبة لهذه

القبيلة^(٣٦). كما أن من البيوتات الصنهاجية التي قطنت فاس في هذا العهد بيت بنى ياسين، المنتسبون إلى عبد الله بن ياسين اللمتونى الصنهاجي^(٣٧). ويذكر ابن القاضي المكناسي^(٣٨). أن قبيلة لمتونة كانت إحدى القبائل القاطنة بفاس. وكانت قبيلة بريولة وقبيلة البوبراهيمي الذين يرجع أصلهم إلى تافيليت والمنتسبون إلى المرابطين من بين القبائل الصنهاجية التي سكنت فاس في هذين العهدين^(٣٩).

ولما قامت الدولة الموحدية، وسيطرت على ما في قبضة المرابطين من سهول، دفعتهم نزعتهم للاستقرار إلى استيطان المدن، ويبدو أن سياسة الموحدين اتجهت إلى توطين قبائلهم البادية مثل هسكورة وصنهاجة في المدن، وبوضع الهجرة المصمودية من الريف إلى المدن النهج الذي سلكه الموحدون في تعيين أئمة فاس وخطبائها من العناصر المتقنة للغة البربرية^(٤٠). فمع دخول الموحدين فاس بدأت القبائل المصمودية تقطن المدينة، حيث كانت الإدارة في المدينة تقوم بها عناصر موحدية، فاشتهرت البيوتات المصمودية بسكنى مدينة فاس في هذا العهد فبيت بنى خنوسة من مصامدة السوس كانت لهم شهرة كبيرة بفاس في العصر الموحدى، وكان لهم درب يقال له درب خلوف من حومة الكدان^(٤١). كما قطنت قبيلة هزميرة المنتسبة إلى مصامدة السوس مدينة فاس في العصر الموحدى، كذلك اشتهر بيت الموحدين بمدينة فاس، وهم ينتسبون إلى المصامدة الذين اجتمعوا على المهدي بن تومرت^(٤٢). وورد ذكر سكنى قبيلة غمارة، وهم من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود بمدينة فاس في العصر الموحدى^(٤٣).

ومن القبائل البربرية التي سكنت فاس في هذين العهدين، والتي ورد ذكرها في بعض المصادر لكن دون الإشارة إلى نسبها، قبيلة بهلول^(٤٤) وكانت من بين القبائل التي خرجت لقتال يوسف بن تاشفين أثناء محاولاته لدخول فاس^(٤٥). وورد ذكر هذه القبيلة في عصرى المرابطين والموحدين حيث ذكرها الشريف الإدريسي^(٤٦). بين القبائل البربرية القاطنة حول مدينة فاس. كما ذكرت أيضا من خلال الترجمات التي وردت لأفرادها^(٤٧).

ومن الأسر البربرية التي ورد ذكرها في بيوتات فاس في هذين العهدين، لكن دون ذكر نسبها أيضا، بيت بنى المزدغى وهم قبيلة من البربر^(٤٨). وبيت بنى الزرهونى من بربر جبل زرهون، وبيت بنى الفضل، وبيت بنى على، وبيت بنى هشام، وبيت بنى عبد الحق، وهم من البربر الذين كانوا على عهد الموحدين^(٤٩).

ومن الأسر البربرية مجهولة النسب، التى سكنت فاس فى هذين العهدين، أغزوان وكان لهم جنان خارج باب الفتوح، وأغلان الذين كان لهم ذكر بفاس وعز ومال، ولهم مسجد أسفل درب الطويل ينسب إليهم^(٥٠) وبنو برقوقة وهم من أقدم العائلات بفاس، ينسب إليهم شارع برقوقة وبه مسجد كان يسمى بهم، وأيضاً بنو البطان الذين كان لهم ذكر بفاس^(٥١).

ولاحظ الجغرافى العربى الإدريسى (فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) بعضاً من القبائل البربرية التى كانت تسكن حول مدينة فاس، منهم بنو يوسف، وفندلاوة وزواوة ومجاصة وخياته^(٥٢). ومن القبائل البربرية التى قطنت فاس فى هذين العهدين أيضاً قبيلة أزقور وهم من أقدم بيوتات فاس، وكانت لهم زنقة^(٥٣) باسمهم قرب رأس الجنان، وكان حيهم أهلاً بالسكان مشهوراً على عهد المرابطين، ومن أجل ذلك نجد يوسف بن تاشفين يؤسس المسجد الذى يدعى مسجد الصابرين هناك^(٥٤).

العرب

كان العنصر العربى من العناصر المؤسسة لمدينة فاس، فعلاوة على مؤسسها العربى العلوى إدريس بن إدريس، وفدت على المدينة وفود العرب من بلاد أفريقية والقيروان والأندلس والعراق، من القيسية والأزد، ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم، فاسكنهم الإمام إدريس بن إدريس بالمدينة وجعلهم بطانته دون البربر^(٥٥). بيد أن هذا الاستقطاب لم يؤثر كثيراً فى التركيب السكانى الفاسى، فلم يكن للعرب تأثير كبير فى المغرب الأقصى إلا بعد منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، مع الغزوة الهلالية التى بفضلها انتشر العرب فى البوادي والأرياف^(٥٦). وكانت ظاهرة الهجرة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى مستمرة خلال قرن من الزمان منذ خراب القيروان عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م حتى الفتح الموحدى للبلاد الشرقية، هى هجرة جماعية ولكنها لم تكن قبلية وربما يرجع ذلك إلى أنها هجرة أهل مدن لا أهل بادية، فمنذ أن اجتاحت العرب الهلاليون بلاد أفريقية هاجر أهلها وتفرقوا فى كل مكان، فمنهم قصد المغرب الأقصى. ويوضح عبد الواحد المراكشى أن أكثرهم قصد مدينة فاس وذلك فى قوله: كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بعبث العرب فيها فر منها أهلها، ونزل أكثرهم مدينة فاس^(٥٧). وأكد الزهرى ذلك بقوله "ما انتقضت سنتان من تفرق أهل القيروان إلى البلدان حتى كان منهم طائفة بكل بلاد المسلمين .. واستقرت منهم أمة كبيرة بفاس"^(٥٨).

وفى كتب التراجم ما يؤكد هذه الروايات ويفصلها، حيث يتضح أن الهجرة من مدن المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى حظيت فيها فاس بكثير من المهاجرين. ويدل على كثرتهم فى فاس تأثيرهم الحضارى، فأهل فاس تصاهروا مع أهل القيروان وتعلموا الطرب منهم^(٩١). وبذلك كان العرب عند ظهور المرابطين يشكلون جزءا من سكان فاس.

ولما خلى أمر المغرب للموحدين عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م، ودخل الخلفاء الموحدون فى وقائع كثيرة مع العرب الهلالية وأدرك الخلفاء الموحدون أن الغريزة الحربية متأصلة فى العرب لا يمكن تخليهم عنها فرأوا أن يستغلوا طبيعتهم وطاقاتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها، فاستجلبوا عددا كبيرا من هذه القبائل العربية إلى المغرب الأقصى^(٩٢).

ويذكر ابن صاحب الصلاة^(٩٣) أن بأحواز مدينة فاس من عرب بنى رباح وبنى جشم وبنى عدى وقبائلهم ما يضيق به القضاء على عدد الدباب وعدد الحصى". ويؤكد ذلك ابن خلدون حيث يذكر أن عرب الخلط وسفيان وبنى جابر وهم من بطون جشم انتهت رئاستهم إلى قبيلة سفيان سائر أيام الموحدين، وعندما دب الوهن فى جسد الدولة الموحدية كانت لهذه الجموع الغلبة على مقاليد الأمور فى الدولة وذلك لكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة، ولما حاول بنو مرين الاستيلاء على فاس لم تكن فيها حامية أشد منهم بأسا ومن قبيلة رباح أيضا، حيث كانت لهم مع بنى مرين وقائع وحروب^(٩٤).

ومن تصفحنا لكتاب ييوتات فاس يمكن أن نتبين أن البيوتات العربية المؤلفة من اثنين وعشرين عائلة، والتى ذكر منها فى عهد المرابطين والموحدين سبع ييوتات تضم أسرا قحطانية وعدنانية، فالأسر القحطانية معظمها من الأزد والخزرج، والأسر العدنانية أغلبها من قريش وكنانة وقيس وتغلب^(٩٥). أما الأزد، فمنهم بيت بنى الملجوم، وهو بنو عمير ابن مصعب الأزدي بن خالد بن هرثمة بن الأمير يزيد بن المهلب بن أبى صفرة.. الذى قدم أبوه مصعب وأهله على موسى بن نصير لما فتح الأندلس فاستقروا بالأندلس.. ولما بويع الإمام إدريس بن إدريس واستقرت له الأمور بالمغرب، وقدمت عليه الوفود قدم عليه عمير بن مصعب مع قوم من الأزد فيمن قدم عليه من وفود الأندلس، حيث استوزره الإمام إدريس. وعمير بن مصعب هو جد بنى الملجوم المذكورون أعلام فاس والذين تداولوا القضاء والفتوى والشهادة بها^(٩٦). ووردت ترجمات لشخصيات عديدة من هذه الأسرة خلال عهدي

المرابطين والموحدين^(٦٩). وكانت الخزرج من الأسر القحطانية التي سكنت مدينة فاس في هذين العصرين^(٧٠).

ومن العرب العدنانيين بفاس بيت بنى حنين من عرب كنانة^(٧١) ولهم زقاق بفاس يقال له ميزاب ابن حنين^(٧٢). وبيت بنى بكار القيسيين، وبيتهم بيت علم وثروة، وهم من بنى كلاب جدهم راشد من عرب كنانة^(٧٣). وبيت بنى يشكر وهم من عرب كنانة أيضا، ممن وفدوا على الإمام إدريس بن إدريس، وبقي عقبهم إلى أيام الموحدين^(٧٤).

ومن عرب قریش كان بيت بنى حاج الذين لهم درب بفاس يقال له درب أبى حاج، وتولى القضاء بعضهم بفاس وغيرها من مدن المغرب فى أيام المرابطين. كما قطن بيت بنى السلاجى وهم من عرب قبيلة قيس القرشيين بمدينة فاس^(٧٥). ومن القبائل العربية التى ورد ذكرها فى كتب التراجم، والتي قطنت مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين قبيلة تجيب، وقبيلة سليم، وبيت بنى وشتوت، وبيت بنى اللبانة، كما سكن الأمويين وهم من عرب قریش بمدينة فاس^(٧٦). ومنهم بنو باق من بنى أمية، ومنهم على بن محمد بن باق من علماء فاس أيام الموحدين^(٧٧). وقبيلة لخم^(٧٨). وتميم^(٧٩). وكذلك عرب بنى اللبلى^(٨٠). والأوس الذين كان لهم ذكر قديم بالمدينة، وكان منهم على بن عمر الأوسى المشرف على البناء أيام الموحدين^(٨١). ومن القبائل العربية التى ورد ذكرها بفاس وكانت لها منازلها بالقرب منها عرب الكعوب، وهم من بطن سليم وبعدها تبدأ منازل بنى هلال بن عامر بن صعصعة خصوصا بطنهم الأشهر رياح الذى لعب الدور الأكبر فى الفتح الثانى لأفريقية والمغرب فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، إذ كانت قبيلة رياح من أكبر المشاركين فيه عدداً وأشدّهم سطوة^(٨٢). وكان عرب المعقل من القبائل القاطنة بمدينة فاس ومن حولها^(٨٣) وكانت مواطنهم بالمغرب الأقصى مجاورة لبنى عامر، وينقسم عرب المعقل إلى ثلاثة بطون هم ذوى عبد الله، وذوى منصور، وذى حسان، وكان دخولهم المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل .. ويرجع ابن خلدون عرب المعقل إلى عرب اليمن^(٨٤).

ومن القبائل العربية التى سكنت حول فاس بنو المنتفق الذين ينتمون إلى عامر بن عقيل من الاثيج، الذين دخلوا المغرب مع الغزوة الهلالية، ويعرفون بالخلط، وتقع مواطنهم بين فاس ومراكش فى سهول إقليم أزغار^(٨٥).

هذا وامتازت مدينة فاس بسكنى ذرية المولى إدريس بن إدريس الذى أجلى أكثرهم موسى بن أبى العافية عن فاس، ولكن عاد البعض منهم إلى سكنى فاس فى أزمنة مختلفة وفى مراحل متعددة كما ورد فى المصادر^(٨٢)، وعرفت البيوتات المنتسبة إلى هذه الأسرة باسم الشرفاء، ووردت ترجمات فى العهدين المرابطى والموحدى توضح أن منهم من كان يسكن فاس فى ذلك الوقت^(٨٣).

وضم كتاب "بيوتات فاس" بين طياته إشارات خفيفة عن طبيعة اللقاء العربى البربرى الذى تم فى مدينة فاس، وما نتج عنه من اختلاط وتزاوج بين سكان المدينة من عرب وبربر، ومن الجدير بالملاحظة أن هذا الاختلاط كان عميقا وطويلا بحيث لم يمض وقت طويل حتى ظهرت نتائج هذا الاختلاط للعيان^(٨٤). فالإدريسي لاحظ أنه "كان يسكن حول فاس قبائل من البربر لكنهم يتكلمون العربية، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول وخياته وزواوة ومجاصته"^(٨٥).

ومن دراسة دقيقة لهذا النص يمكن القول: إن اختلاط القبائل العربية والبربرية فى منطقة فاس واضح وأكيد. أما ما يذكره الإدريسي من أن قبيلة سلالجيون قبيلة بربرية متعربة^(٨٦)، فهذا خلط منه. فمنهم فى الحقيقة كانوا عربا قيسيين قطنوا مدينة فاس منذ أيام الأدارسة، كما يوضح ذلك إسماعيل بن الأحمر^(٨٧) بقوله: "بيت بن السلالجى بيتهم بيت ثروة وجاه وفقه، وهم من العرب القيسيين، ومنهم الفقيه المعروف بالسالجى المتوفى بفاس عام ٥٩٤هـ - ١١٩٧م".

وعلى أية حال فإن اندماج القبائل العربية مع القبائل البربرية فى المنطقة لمدة طويلة كان السبب فى عدم تمكن الإدريسي فى تمييز نسبهم القيسى العربى، علاوة على ذلك يتضح أيضا التأثير العميق للاختلاط العربى البربرى فى فاس، والذى انعكس بصورة واضحة فى انتشار اللغة العربية بين القبائل البربرية، فقبيلة بنى بهلول التى كانت تتكلم العربية على أيام الإدريسي فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى هى فى الحقيقة كما يذكر ابن أبى زرع، وإسماعيل بن الأحمر قبيلة بربرية عاشت مع العرب الأزد منذ أيام الأدارسة، ودخلت فى علاقات زواج مع القبائل العربية الموجودة هناك^(٨٨).

وبذلك كان للزحف العربى الثانى على بلاد المغرب آثارا بعيدة المدى فى حياة تلك المنطقة، فإن كانت هذه الآثار سلبية فى النصف الشرقى من البلاد فإن نتائجها الإيجابية فى المغرب الأقصى أخذت شكلها القومى الجديد، فصارت للبلاد لغة جديدة يتخاطب بها العوام بعد أن كان استعمال اللغة العربية قاصرا على

الدواوين، وبعض الحواجز التي أنشأها عرب الفتح، وترعرعت في حضن العروبة، فمن الثابت تاريخياً أن اللغة البربرية بقيت هي السائدة في المغرب الأقصى والأوسط إلى الزحف العربى الثانى، وأن خطب الجمع في حاضرة عربية مثل فاس، وفوق منبر جامع إسلامى كبير مثل القرويين كانت تلقى باللغة البربرية، إلى ما بعد قيام دولة الموحدين، ولكن دخول العرب هذه المرة جعل السيادة للغة العربية على جميع بلاد المغرب^(٨٩).

ويبدو أن هذا الامتزاج العربى - البربرى فى فاس أصبح بمرور الزمن أكثر اتساعاً وأكثر تعقيداً بحيث أن مؤلف "كتاب بيوتات فاس" فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى، وجد صعوبة كبيرة فى تمييز نسب عدد من البيوتات الشهيرة فى فاس فهو فى كثير من الأحيان لم يسجل نسبها^(٩٠).

الأندلسيون:

وإلى جانب البربر والعرب وجدت عناصر أخرى سكنت المدينة فى هذين العهدين، منهم "الأندلسيون" ويطلق لفظ "الأندلسيين" على المسلمين من أهل الأندلس باستثناء البربر الطارئين كقوة سياسية مهيمنة مرابطة كانت أم موحدية، وبصرف النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربية كانت أم بربرية، أم من السكان الأصليين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم فى المسلمين، أم العبيد الذين اعتقوا فغدوا جزءاً من مجتمع أسيادهم الأولين بالولاء^(٩١). ويذكر عبد الواحد المراكشى^(٩٢): أنه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بنى أمية بعد موت محمد بن أبى عامر وابنه رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فراراً من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس. وقد اتسمت حياة الأندلسيين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين / الثانى والثالث عشر الميلاديين بالهجرة إلى بلاد المغرب. ويتضح هذا من خلال التراجم العديدة التى وردت لشخصيات من مختلف المدن الأندلسية هاجرت إلى مدينة فاس بقصد الاستيطان، وبلغ عدد هذه الهجرات الاستيطانية قرابة الثمانين هجرة من مختلف المدن الأندلسية^(٩٣). وإن كانت المصادر قد أشارت إلى أعلام المهاجرين، فلا شك أن هناك أعداداً كثيرة هاجرت ولكن دون أن تذكرها المصادر.

وشهدت مدينة فاس سكن مهاجرين صقلية الذين استقروا بها بعد الفتنة التى حدثت بصقلية بعد استيلاء روجار الأول عليها فى ١٠٩٢ هـ / ١٠٩٢ م، حيث هاجر عدد

كبير من العرب إلى المغرب، ومنهم الشرفاء المستقر بعضهم بفاس الذين عرفوا بالصياقلة^(٩٤).

العنصر السوداني:

كان العنصر السوداني من العناصر السكانية التي قطنت مدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي، وقد كان يتم جلب هذا العنصر من مختلف بلاد السودان (جنوب الصحراء) وكانت أعدادهم بمدينة فاس كثيرة، حتى أنهم شكلوا عنصراً من عناصر سكانها، فمن المعروف أن المرابطين استخدموا العناصر السودانية في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية، وصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش، وتزايدت أعدادهم بالمدن المغربية، حتى أن أمير المسلمين على بن يوسف حين عزم على تجهيز حملة للعبور للأندلس فرض على المدن المغربية عدداً من أبناء السودان للاشتراك في الحرب، وكان ما فرض على أهل مدينة فاس ثلاثمائة غلام من سودانهم بنفقاتهم وسلاحهم^(٩٥).

ثانياً: طبقات المجتمع في مدينة فاس:

شهد مجتمع مدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين تنوعاً في طبقاته وطوائفه نتيجة للظروف السياسية والاتجاهات الدينية والفكرية التي مرت بها المدينة ومنطقة المغرب الأقصى، يضاف إلى ذلك تنوع النشاط السكاني الذي أسفر عنه تعدد في أصحاب المهن والحرف التي قامت بهذا النشاط، مما جعل المدينة تجمع بين أسوارها فئات متباينة من الناس، يشكلون طبقات متعددة تشكل كل منها لبنة في البناء الاجتماعي للمدينة، فانقسم مجتمع مدينة فاس في هذين العهدين، إلى أربع طبقات رئيسية هي: الطبقة الحاكمة، وطبقة الفقهاء، والقضاة والطلبة، وطبقة العامة وطبقة أهل الدمة.

الطبقة الحاكمة

انحصرت السلطة في دولة المرابطين في يوسف بن تاشفين وأولاده، حيث قسم ابن تاشفين المغرب إلى أعمال ووزعه على بنيهِ وقومه وزويه^(٩٦). واستمر ذلك الوضع إلى نهاية دولة المرابطين، فكان صاحب فاس عند دخول الموحدين المدينة هو الأمير يحيى بن علي المرابطي^(٩٧). ومن المعروف أن الدولة المرابطية قامت على أكتاف قبائل صنهاجة، فقد استأثر أفراد هذه القبائل، وعلى رأسهم قبيلة لمتونه بالمناصب الإدارية الهامة. فبعد أن دُون يوسف بن تاشفين الدواوين ورتب

الأجناد استدعاهم لتولى الأعمال واعدًا إياهم بالخير الجزيل^(٩٨). وبذلك تمتع أبناء هذه القبائل بوضع السيادة في المدن^(٩٩).

وانحصرت السلطة في دولة الموحدين أيضًا في عبد المؤمن بن علي وأولاده^(١٠٠). وبذلك اتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بأعمال المدن، كما أن قبيلة كومية، وهى القبيلة التى ينتسب إليها عبد المؤمن بن علي، صارت بطانة للخليفة، يعتد بأبنائها، وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين، واحتلت مكان الصدارة، وذلك لانتماء ولاية الأمر لها^(١٠١). وعلى ذلك تمتعت الأسرتان - لمتونه وكومية - بمكان السيادة والرياسة في المجتمع المغربى.

ومنذ بداية العصر المرابطى أخذت الحياة في المدينة تتخلى تدريجيًا عن بساطتها التى كانت عليها قبل ذلك، حيث أخذت مساحة من الترف تملو حياة الولاة والعمال على المدينة، فاتخذوا دارًا خاصة بالإشراف لها نظمها^(١٠٢). كما اتخذوا الوزراء والكتاب^(١٠٣). وأمعن الخلفاء والعمال في حياة الترف فأنشأوا لأنفسهم القصور والبساتين الخاصة بهم^(١٠٤). فكان للطبقة الحاكمة دور نشيط في الحياة الاجتماعية التى حفلت بها المدينة، حيث كانوا في حياتهم الخاصة والعامة صورة مصغرة لما كان عليه الخلفاء وكبار الأمراء في الحاضرة^(١٠٥).

طبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة:

حفلت مدينة فاس في عصرى المرابطين والموحدين بعدد كبير من رجال العلم والدين من الفقهاء والعلماء والقضاة، فقد قامت كل من الدولتين على أساس دينى ودعوة إصلاحية واتسمتا بمسحة دينية واضحة، جعلت للفكر الدينى وأهله مكانة ممتازة في قلوب الخاصة والعامة. فمن المعروف أن المبدأ الدينى هو الأساس الذى قامت عليه دولتى المرابطين والموحدين وبالتالي تمتع القائمون على شئون الدين بمكانة عالية.

ومنذ بداية دولة المرابطين، ظهر للعلماء نفوذ في مجريات الأمور حيث تحالف الفقهاء المالكية مع المرابطين منذ قيام دولتهم^(١٠٦). ذلك فضلاً عن الاحترام والتقدير، من جانب أمراء المرابطين، فيوسف بن تاشفين كان مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهدم، منصراً الأمور إليهم، آخذاً فيها برأيهم، قاضياً على نفسه بفتواهم، محباً ومقرباً ومكرماً لهم مجرياً عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه^(١٠٧). واتبع نفس هذه السياسة الأمير على بن يوسف، فيقول عبد الواحد المراكشى^(١٠٨) "أشدت إثارة لأهل الفقه والدين، فكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته

دون مشاورة الفقهاء، وكان إذا ولى أحداً من قضاة كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا يبت حكمه في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في أياماً مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم "هكذا كان إحساس الحكام دائماً بأنهم في حاجة إلى دعامة يستندون إليها في حكمهم ويستعينون بها في إرضاء الشعب، كفيلاً بحرصهم على استرضاء رجال الدين بحكم ما للدين ورجاله من قوة وسطوة في النفوس"^(١٠٩). فهذه المكانة الخاصة التي أولاهها أمراء المرابطين للفقهاء والعلماء جعلت منهم طبقة مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة، وأصبح لهم دوراً بارزاً في السياسة العامة للدولة المرابطية، ولعل سيطرتهم على مقاليد الأمور في دولة المرابطين هي التي جعلت ابن تومرت يهاجمهم ويحارب جمودهم الفكري^(١١٠).

واختلف وضع الفقهاء والعلماء في بداية دولة الموحدين، فقد عمد ابن تومرت إلى محاربة تسلط الفقهاء على مقاليد الأمور في دولته، فعمد منذ البداية إلى توزيع السلطات والمسؤوليات على هيئة الطبقات^(١١١) التي ابتكرها، ولم يدع فرصة للعلماء أو لغيرهم للسيطرة على الدعوة الموحدية^(١١٢).

ولكن لما كانت الدولة الموحدية قد قامت على أكتاف داعية ديني، وهو المهدي بن تومرت، وأن البرامج الدينية والمبادئ الموحدية كان لها دوراً بارزاً في حياة الموحدين، فقد تمتع المشتغلون بمذهب الدولة بمكانة رفيعة وهم الذين عرفوا في سلم الفئات أو الطبقات الحاكمة باسم "الطلبة"^(١١٣). وهي طبقة مستحدثة أيام الموحدين، لم تكن موجودة من قبل في الدولة المرابطية^(١١٤). وتنقسم هذه الطبقة إلى طائفتين: طلبة الموحدين وهم من المصامدة، وطلبة الحضر، وهم يكثرون في بعض الأحيان ويقلون^(١١٥)، ويبدو أن طلبة الموحدين هم الذين كانوا يرافقون الخليفة في أسفاره، كما أن ما يسترعى الانتباه بهذا الخصوص أن الرسائل الرسمية الموحدية موجهة كلها تقريباً بدون استثناء إلى الطلبة والشيوخ والأعيان وكان سلطة الموحدين في الأقاليم كان يمثلها الطلبة بصورة رئيسية^(١١٦) حيث كان لا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة من حضور هؤلاء الطلبة، وبلغت هذه الطبقة من الطلبة شأواً عظيماً في عهد أبي يعقوب يوسف المنصور الموحدي^(١١٧).

على أية حال فإن المصادر تشير إلى أن خلفاء الموحدين كانوا يولون رعايتهم لعلماء الموحدين وينزلونهم المنزلة اللائقة بهم، فالخليفة عبد المؤمن بن علي كان "مؤثراً لأهل العلم محباً لهم محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"^(١١٨). كما أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يقرب إليه العلماء والفقهاء ويسأل عن أحوالهم وأحوال بلادهم، ويمنحهم المنح، ويكتب إليهم ما يحتاجون إليه من أمور. والخليفة الموحدى يعقوب المنصور أكرم الفقهاء وراعى الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال. وكان يبحث عن العلماء فاجتمع له منهم مالم يجتمع لخليفة قبله^(١١٩).

لذلك كله احتل الفقهاء والعلماء والطلبة منزلة مرموقة فى مدينة فاس خلال حكم المرابطين والموحدين، ومما وطدت تلك المكانة ودعمها تلك الأموال التى كان يقدمها ولاية الأمر من المرابطين والموحدين للفقهاء والعلماء فتحول حال الكثير منهم من الفقر والضعف إلى اليسر والرخاء نتيجة اتصالهم بالخلفاء والأمراء^(١٢٠). فالعالم الفقيه أبو بكر بن خلف الأنصارى المتوفى بفاس عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م جمع أموالاً كثيرة نتيجة اتصاله بولاية الأمر فى مراكش^(١٢١). كما منح الخليفة محمد الناصر أثناء وجوده بفاس فى عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م جملة من الثياب وألف دينار لعبد الله بن موسى خطيب وإمام جامع القرويين^(١٢٢).

ويتصل بطبقة الفقهاء والعلماء ورجال الدين فئة القضاة، إذ كانوا يختارون من العلماء ورجال الدين، وكانوا يشكلون معهم طبقة متميزة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية^(١٢٣) فيوسف بن تاشفين رد أحكام البلاد إلى القضاة، لذلك اكتسب القضاء نفوذاً أو سيادة فى المجتمع الفاسى وصارت كلمتهم مسموعة لدى ولاية الأمر. وأوصى الخليفة يعقوب المنصور الموحدى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاة. ومما دعم تلك المكانة لفئة القضاة تلك الأموال الكثيرة التى كانوا يحصلون عليها من ولاية الأمر، مما حفظ مكانتهم وهيبتهم فى المجتمع بالإضافة إلى المرتبات التى كانوا يحصلون عليها، مما هيا لهم حياة كريمة^(١٢٤). فالقاضى عيسى بن عمران أحد قضاة فاس فى العصر الموحدى نال حظوة ومكانة عند الخليفة أبى يعقوب المنصور الموحدى، كما أن القاضى محمد بن عبد الله بن طاهر الفاسى كان ذا حظوة لدى الخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور،

حتى أنه بلغ جملة ما منحه الخليفة له منذ عرفه عام ٥٨٧هـ إلى سنة ٦٠٨هـ تسعة عشر ألف دينار، غير الخلع والإقطاع^(١٢٥).
طبقة العامة (أصحاب المهن):

ويرجع سبب تسمية العامة بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم الإحاطة بهم، وبذلك اختلفوا عن الخاصة.. ولم يكن اختلافهم عن الخاصة بكثرة عددهم فقط بل يكونهم ليسوا من أصحاب السلطة^(١٢٦). وتشكلت طبقة العامة من جميع القبائل القاطنة بفاس في عصر المرابطين ثم الموحيدين من غير قبائل الصدارة أو الرئاسة. وكانت التجارة من أهم المهن التي وجدت في مدينة فاس، فقد زحرت المدينة بالمشتغلين بها سواء منهم تجار الجملة أم تجار التجزئة الذين يبيعون بضائعهم في متاجرهم، أو عن طريق التجول لسد حاجة السكان. وكوّن هؤلاء الأفراد طبقة اجتماعية كانت همزة الوصل بين الإنتاج والاستهلاك، فمن طريقهم يتم البيع والشراء، ويجد السكان حاجاتهم عندهم^(١٢٧). ويضاف إلى هؤلاء التجار باعة الطعام والجزارين وباعة الدقيق، الذين يبيعون ما يحتاجه الناس من اللحوم والقمح وغير ذلك^(١٢٨).

وكان هؤلاء التجار يصابون في بعض الأحيان بكموارث تقضى على تجارتهم وتبدل أحوال الكثيرين منهم من الرخاء واليسر إلى الفقر والاحتياج ومن ذلك ما حدث لأسواق مدينة فاس عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨ عندما وقع حريق كبير بسوق المدينة أتت فيه النيران على كثير من أقسام السوق، مما نتج عنه افتقار أصحاب المتاجر التي احترقت، حيث لتفت فيه أموال كثيرة^(١٢٩).

ومع اتساع المدينة وازدهارها، وكثرة سكانها ومرافقها، اكتظت بعدد كبير من الصانع وأصحاب الحرف للنهوض بمتطلبات ذلك المجتمع، حيث قام هذا الازدهار على أكتاف طائفة الصانع الذين انتشروا في أنحاء المدينة وكونوا طبقة لها وزنها بين طبقات المجتمع. وقد جرى الوضع أن يكون لكل أهل حرفة نظام، كما أن لهم أمين يحدد معاملاتهم فيما بينهم وبين السكان، وكانوا يرجعون إلى هذا الأمين أو الرئيس في كل ما يهمهم^(١٣٠).

وقد شملت طائفة الصانع عدة طوائف في مقدمتها، طائفة صانعي الثياب^(١٣١)، وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية أو كتانية، وغيرها من أنواع الملابس^(١٣٢). ومنهم الحلاجون الذين يقومون على حليج القطن، وكان منهم أبو عمران موسى الحلاج الذي كان يعيش بفاس

ويمتحن حرفة الحلاجة، ومنهم من يشتغل بنسج المادة الخام^(١٣٣). وأيضاً صانعوا الأرحاء^(١٣٤). والذين كانوا يقومون بصناعة ما يحتاجه السكان من المصنوعات الخشبية^(١٣٥)، وصانعوا الخبز، ويدخل ضمن هؤلاء من يطحن الدقيق ويقوم على إعدادة للخبز، ثم الخبازون الذين يقومون فى الأفران المختلفة بخبزه^(١٣٦)، والحمالين للخبز حيث كانت بعض النسوة يصنعن الدقيق فى بيوتهن، ثم يأتى من يحمله إلى الأفران لخبزه^(١٣٧). وصانعوا الورق^(١٣٨) والصابون والجلود^(١٣٩)، وغيرهم من الصناع، ولا شك أن هؤلاء الصناع جميعاً كانوا عصب الحياة، وكونوا جماعات كبيرة من سكان المدينة.

وشكل البنائون طائفة من طوائف الصناع حيث اشتغل بفاس جماعة كثيرة بحرف صناعة البناء نتيجة للحركة العمرانية التى شهدتها المدينة فى هذين العصرين من بناء للمساجد والمنازل والقصور والمرافق مما استلزم معه جماعات متنوعة تقوم بعمليات البناء. عرفوا فى فاس بطائفة البنائين والعرفاء وأهل الهندسة. ومنهم صانعوا الآجر، وصانعوا الفخار المتعدد الأنواع لاستخدامه فى جلب المياه، وكذلك الزليج لتبليط المنازل، وغير هؤلاء ممن يسهم فى عملية البناء^(١٤٠).

وظهر من هذه الطائفة من كانت له شهرة عظيمة فى عمليات البناء مثل أبو الحسن بن محمد الأزرق العطار، وصخر بن مسعود البنائى الذى كان أعرف الناس بالبناء خاصة بناء المساجد، وموسى بن حسن بن شامة الذى كان من أهل الهندسة والبناء، وكذلك محمد بن أحمد بن محمد الخولانى الذى مهر فى حرفة البناء^(١٤١). ونتيجة لاشتهار أهل فاس بصناعة البناء، استخدم الخليفة المنصور الموحدى عندما عزم على بناء جامع شبيلة عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م عرفاء البنائون من أهل فاس، للاشتراك مع غيرهم من أهل المدن الأخرى فى بناء هذا الجامع^(١٤٢). وكان الفلاحون، وهم الذين عاشوا فى الأراضى الزراعية، واشتغلوا بزراعة الأرض، واستخراج ما فى باطنها من مختلف أنواع المزروعات والثمار، يشكلون إحدى طوائف العامة بفاس، حيث كان الكثير من أهل فاس يعملون بالحرثة والفلاحة^(١٤٣).

كما كان أصحاب المهن المتنوعة يشكلون جماعات صغيرة، أسهمت مع التجار والصناع فى تسيير متطلبات الحياة اليومية للسكان، ومنهم الحملون، وهم مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بنقل البضائع من مكان لآخر^(١٤٤). والدلالون، وهم الوساطة بين البائع والمشتري، وكان عددهم يتوقف على نوع السلعة المباعة،

وأشار التادلي^(١٤٥) إلى أحد تجار فاس وإفلاسه واشتغاله دلالاً بسوق مراكش. ومنهم البوابون، وهم القائمون على أبواب المدينة وأسواقها، حيث كان النظام المتبع في بناء المدن وجود عدة أبواب لها ولأسواقها، وكان لهذه الأبواب قائمون على فتحها صباحاً وغلقها مساءً^(١٤٦). ومنهم الصيادون حيث اشتغل عدد من سكان فاس بصيد الأسماك وبيعها في الأسواق^(١٤٧).

طبقة أهل الذمة:

أ - النصارى

منذ بداية دولة المرابطين بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب. وتتمثل هذه الروافد في أعداد كبيرة من المسيحيين وفدت إلى المغرب للعمل جنوداً مرتزقة في جيوش المرابطين^(١٤٨). فالأمير يوسف بن تاشفين "بعث إلى الأندلس فابتيع له بها جملة من الاعلاج فأركب الجميع وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارساً، ومن العبيد شراء ماله نحو الألفين"^(١٤٩)، كما أن على بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ - ١١٤٣ م استخدم النصارى أجناداً وحراساً خصوصيين له "فهو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامرتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم وأكثر ما يجب عمله"^(١٥٠). وقد عهد الأمير على بن يوسف إلى هؤلاء النصارى بالإضافة إلى عملهم كحرس خاصة مهمة تحصيل الضرائب أحياناً وحراسة حياة الضرائب أحياناً أخرى^(١٥١).

ولم يكن هؤلاء النصارى من جند المرابطين (أو الروم، كما تسميهم غالبية المصادر العربية) أهل ذمة، فلم تكن تفرض عليهم الجزية باعتبارهم مرتزقة لا يدخلون في عداد الرعية، بل كانوا أحراراً في غالبيتهم، وهم في ذلك يختلفون تماماً عن نصارى العجم، ونعني بهم طائفة المعاهدين النصارى من أهل الأندلس أو المستعربين Mozarabes الذين أرغموا على التغريب حيث "وقع النظر على تغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم .. فنفذ العهد إلى جميع بلاد الأندلس بإجلاء المعاهدين إلى العدو فنفي منهم في رمضان عدد جم أنكرته الأهواء"^(١٥٢). وقد تم تغريب هؤلاء المعاهدين من ٢٠ رمضان عام ٥٢٠ هـ / سبتمبر ١١٢٦ م فأستقروا في مراكش وسلا ومكناسة وغيرها من بلاد العدو^(١٥٣)، وقد عمل قسم من هؤلاء المعاهدين في الزراعة بحكم طبيعة عملهم السابق^(١٥٤). في حين انضم القسم الآخر لصفوف الجيش المرابطي^(١٥٥).

وتشير المصادر إلى زيادة أعدادهم في نهاية الدولة المرابطية، فتاشفين بن على بن يوسف عندما خرج لقتال الموحدين في عام ٥٣٤هـ / ١١٣٩م كان معه جمع من النصاري في جيوشه^(١٥٦). كما تشير المصادر أيضًا إلى فرار الجند والروم مع يحيى الصحراوي صاحب فاس عندما فتح الموحدون المدينة عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م^(١٥٧). وعقب انهيار دولة المرابطين، انضم المسيحيون العاملون في جيش المرابطين إلى صفوف الموحدين، بعد أن سهلوا على عبد المؤمن بن على دخول مدينة مراكش عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م^(١٥٨). ومن ثم ضم عبد المؤمن هؤلاء إلى صفوف جيشه، ولم يجد حرجًا في ذلك على الرغم مما عرف عنه من قسوة وشدة تجاه أهل الذمة، فالمراكشي يفخر بأنه لم يتعقد ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قيام دولة الموحدين، ولا يوجد في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة^(١٥٩). وقد استعان الموحدون بعسكر النصاري في إخماد الثورة التي قام بها محمد بن عبد الله ابن هود الماسي، نسبة إلى رباط ماسة على ساحل المحيط الأطلسي في عهد الخليفة عبد المؤمن بن على^(١٦٠).

أما الخليفة أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ٥٨٠ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤ - ١١٩٥م فقد اتخذ من الرماة النصاري حرسًا له، وأسكنهم في أحد القصور التي شيدها^(١٦١).

ومنذ عصر المأمون الموحدى ٦٢٤ - ٦٣٠هـ / ١٢٢٧ - ١٢٣٢م أخذت الطوائف المسيحية تبرز بصورة واضحة في بلاد المغرب على مسرح الأحداث حيث التمس المأمون مساعدة فرناندو الثالث Fernando III ملك قشتاله له بفرقة من الجند النصاري ليتقوى بها على يحيى بن الناصر الذي بويغ له بالخلافة في مراكش، وبالفعل أمدّه فرناندو بجيش بلغت عدته اثني عشر ألف فارس برسم الخدمة معه والجواز إلى العدو^(١٦٢). وفي مقابل ذلك تعهد المأمون الموحدى بالسماح لهؤلاء الجند النصاري ببناء كنيسة لهم وسط مراكش^(١٦٣).

مما لا شك فيه أن نفوذ النصاري في هذه الفترة المضطربة من تاريخ دولة الموحدين ازداد بشكل واضح، وأصبح خلفاء الموحدين يعتمدون عليهم كثيرًا، وليس أدل على ذلك مما يرويه ابن عذاري من أن الخليفة الموحدى الرشيد ٦٣٠ - ٦٤٠هـ / ١٢٣٢ - ١٢٤٢م عندما أراد التخلص من مسعود بن حميد زعيم عرب الخلط الذي لم يكن راضيًا عن بيعة الرشيد، لم يجد سوى النصاري يستعين بهم^(١٦٤). وفي عهد السعيد بن المأمون الموحدى ٦٤٠هـ - ٦٤٦هـ / ١٢٤٢ - ١٢٤٨م استمر

النصارى ينعمون بمركزهم الممتاز في الدولة لشدة الحاجة إليهم، وقد كثرت أعدادهم بصورة ملحوظة في مراكش في خلافة السعيد، الذى سمح لهم بدق أجراس كنيستهم^(١٦٥). ويشير ابن أبى زرع إلى أن الخليفة الموحدى عمر المرتضى ٦٤٦ - ٦٦٥ هـ / ١٢٤٨ - ١٢٦٦ م خرج فى عام ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م إلى قتال بنى مرين والعرب والروم بمدينة فاس^(١٦٦). ومما يدل على وجود أعداد كثيرة منهم بفاس، ما ذكر ليون الأفريقى من أن هناك عادات اجتماعية قديمة خلفها النصارى بفاس^(١٦٧).

ب- اليهود

شكل أهل الذمة من اليهود طبقة كبيرة من طبقات المجتمع فى ذلك العهد، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى وجود تجمعات كبيرة منهم بفاس^(١٦٨). ومما يدل على كثرتهم إمتلاكهم لكثير من الأملاك والديار بالمدينة حيث كان يقع بعض من هذه الأملاك والديار حول جامع القرويين^(١٦٩).

واحتفظ اليهود بدينهم وفضلوا الإقامة فى ظل الإسلام والمسلمين على الالتجاء للبلاد النصرانية، ودخلوا بذلك فى الذمة^(١٧٠). واشتغل كثير منهم فى بعض الحرف مثل صناعة القناديل وزخرفة المعادن وصناعة الحلى وغيرها، وكان منهم من عمل بمهنة الطب^(١٧١). ومن هذا تستخلص أن أهل الذمة عاشوا يتمتعون بعدالة أولى الأمر، وليس أدل على ذلك من أنه عندما عزم أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى، على توسعة جامع القرويين، قام قاضيه عبد الحق بن معيشة بشراء بيوت اليهود المجاورة للجامع، والتى سوف تدخل ضمن التوسعة، بأثمانها دون بخس وغبن بأحسن شراء وأتم ثمن^(١٧٢).

وشكل اليهود طبقة غنية من المجتمع الفاسى فى العصر الموحدى فكانوا يعملون بالتجارة، وكان الكثير منهم يمتلكون الأموال الطائلة، ويبدو أن أعدادهم بالمدينة كانت كبيرة فى ذلك الوقت. وقد عرف عن هؤلاء اليهود اختلاطهم وامتزاجهم ومشاركتهم فى العادات والتقاليد واللغة التى سادت فى مجتمع مدينة فاس، غير أن هذا الواقع لم يمنع اليهود من إقامة مجتمعات منظمة لهم، حيث يؤدون شعائرهم الدينية ويولون من بينهم من أحبارهم من يتولى القضاء فى أحوالهم الشخصية كما عرفت الحياة الثقافية اليهودية لديهم فترات ازدهار وضعف وخمول وذلك بحسب ما تهيأ لهم فى كل فترة .. وكان المسلمون يصنعونهم، فهم ممتزجون بهم يعملون عندهم ويقومون بكثير من الخدمات لديهم .. ولم يشهد التاريخ المغربى الإسلامى فى هذه الفترة بسوء الصلات أو انقطاع العلاقات بين

المسلمين واليهود^(١٧٣) باستثناء ما أمر به الخليفة يعقوب بن يوسف الموحدى فى آخر أيامه من تميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، والذى حمل الخليفة على ذلك شكه فى إسلام بعضهم، وكان هذا الخليفة يقول: لو صح عندى إسلامهم لتركهم يختلطون بالمسلمين فى أنحكمتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندى كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريتهم وجعلت أموالهم فينا للمسلمين ولكنى متردد فى أمرهم. ويبدو أن كثيراً من اليهود أظهروا إسلامهم فى عصر الموحدين حيث كانوا يصلون فى المساجد، ويقرأون أولادهم القرآن جارين على الملة والسنة الإسلامية، ولكن الله أعلم بما تكنه صدورهم وتحويه بيوتهم^(١٧٤).

وظل اليهود على اللباس الذى أمر به هذا الخليفة بقية أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبى عبد الله الناصر الذى غيره بعد أن توسل إليه اليهود بكل وسيلة، واستشفعوا عنده بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم^(١٧٥). ومن ذلك يتضح لنا مدى الحرية التى تمتع بها اليهود فى فاس، فى ممارسة كافة ألوان النشاط حتى جمعوا الثروات الطائلة، وقد أدى ذلك إلى كثير من التقارب بين عناصر السكان فى المدينة، مما أضفى عليها جواً اجتماعياً.

ثالثاً: مكانة المرأة فى المجتمع الفاسى:

كان نصيب المرأة فى الحياة العامة بمدينة فاس فى هذين العصرين كبيراً، ذلك أن رغم القيود الاجتماعية التى فرضتها التقاليد على المرأة، فإنها أسهمت بدور بارز، يدل عليه ذلك العدد من تراجم النساء الذى تحويه كتب التراجم والطبقات من ذكر نساء فاسيات شهيرات أسهمن فى مختلف ألوان النشاط الفكرى والدينى والاجتماعى، وخلدن أسماءهن ضمن مشاهير العصرين.

فقد صحب قيام دولة المرابطين ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة فى المغرب من قبل، ونعنى بها ظهور المرأة الصنهاجية فى المجتمع ومشاركتها فى الحياة العاملة، وتمتعها بنوع من الحرية والمساواة^(١٧٦) فاشتهرت بعض الأميرات المرابطيات الفاسيات بحب الأدب والشعر، مثل الأميرة بنت يوسف بن تاشفين، أخت على بن يوسف، ومثل أم طلحة التى وصفت بأنها كاملة الحسنة راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم. والظاهر أن بروز المرأة لمقابلة الناس لم يكن شيئاً مألوفاً فى المجتمع المغربى، فقد روى أن الأميرة تميمة بنت يوسف كان لها كاتب قد أمرت بمحاسبته يوماً فى قصرها بفاس، وعندما برزت لذلك وظهرت إليه، فبهت من حسنها الفائق وجمالها، فظنت أنه يتطلع إليها ويرغب فيها فأشدهته:

هى الشمس مسكنها فى السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا^(١٧٧)

ومن النساء الفاسيات الشهيرات، ورقاء بنت ينتان الفاسية النابغة الأدبية الشاعرة الصالحة الحافظة للقرآن الكريم، والتي وصفت بأنها بارعة الخط، وقد توفيت ورقاء هذه عام ٥٤٠هـ / ١٠٤٦م^(١٧٨). وفى العصر الموحدى اشتهرت سيدة بنت عبد الغنى العبد ربه، وتكنى أم العلاء، نزيلة فاس، والتي كانت تقوم بتعليم القرآن الكريم بغرناطة، واشتهرت بتلاوة القرآن الكريم والمحافظة على الأدعية والأذكار والسعى فى الخيرات والقيام على أعمال البر من فداء الرقاب وغير ذلك، وتوفيت أم العلاء العبد ربه عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(١٧٩). وفى هذا العصر أيضا خرجت المرأة الفاسية للتعليم وللأخذ عن العلماء، فنشاهد خيرة الفاسية التى كانت تحضر مجلس عثمان السلاجى إمام أهل فاس فى علم الأصول، ونبت خيرة فى العلوم، فقام الإمام عثمان السلاجى بتأليف العقيدة البرهانية لها على طريقة الأشعرى^(١٨٠). كما وصفت زينب بنت إبراهيم بن يوسف بن برقول والذى توفى أبوها عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، بأنها عالمة حافظة متقنة الرواية^(١٨١).

أما عن نشاط النساء فى شوارع فاس وأسواقها ومنتزهاتها، فكان ذا مجال واسع، حيث كان النساء يبشرون معظم أمور الشراء من الأسواق، خاصة أسواق البزازين والصاغة وغيرهما، وكن يفعلن ذلك جهارا^(١٨٢). فإذا لم يكن لديهن حاجة من السوق، ولديهن وقت فراغ فإنهن يذهبن إلى الحمامات، مثل حمام بنت البان الذى كان مخصصا للنساء^(١٨٣).

ونتيجة للمسحة الدينية التى سادت مدينة فاس فى هذين العصرين، كانت بعض النساء يخرجن لتأدية الصلاة بالمساجد، ولذا خصص لهن بمسجد القرويين "بيت النساء" الذى يتوضأن فيه قبل التحاقهن بالجامع والذى أعد لهن فى صحنه مكانا مناسباً يؤدين فيه شعائرهن على النحو الذى يجب^(١٨٤). كما خصص لهن بهذا الجامع بابان لا يدخل أو يخرج منهما رجل^(١٨٥). ولكن بعضاً آخر من النساء كن يخرجن بأنواع من الزينة وأسباب التجميل الظاهرة، واستعمال أنواع الطيب، واستظهار ما يستدعى الفتنة من لبس الثياب والنحلى، فيخرجن إلى الطريق، وكأن الواحدة منهن عروس تجلى تمشى فى وسط الطريق وتزاحم الرجال، كما كان للبعض منهن صنعة فى مشيتهن، فأفتى الفقهاء فى تلك الفترة بمنع مثل هؤلاء النساء

من الخروج حتى لو كان خروجهن إلى مجالس العلم والذكر ولو كن منعزلات عن الرجال^(١٨٦).

رابعاً: المؤسسات الاجتماعية بمدينة فاس:

إذا نظرنا إلى الحياة الاجتماعية في مدينة فاس من زاوية أخرى وجدنا جانباً آخر من النشاط الاجتماعي يتركز في المؤسسات العديدة التي زخرت بها المدينة والتي منها ما كان ذا صبغة اجتماعية بحتة كالحمامات والبارستانات أو "حارات المرضى" ومنها ما كان ذا مسحة تجارية أو دينية، ولكنه احتوى نشاطاً اجتماعياً ملحوظاً وأدى رسالة ذو صبغة اجتماعية كالمساجد والفنادق^(١٨٧).

فمن المؤسسات الاجتماعية التي اشتهرت بها مدينة فاس في هذين العصرين الحمامات العامة، التي قصدها الناس من مختلف الطبقات - رجالاً ونساء - بقصد الاستحمام، ولما كانت لهذه المؤسسات فوائدها الاجتماعية أهتم ولاية الأمر بإنشاء العديد منها، فعندما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م أمر ببناء عدد من الحمامات^(١٨٨). ويذكر البكري^(١٨٩)، أن عدد حمامات فاس في العصر المرابطي عشرون حماماً. ثم أخذت أعداد هذه الحمامات التي كان يستخدمها الناس بفاس تزداد حتى بلغت في العصر الموحدي ثلاثة وسبعين حماماً^(١٩٠). أنشئت لخدمة العامة من سكان المدينة، ولسد حاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر ولعدم قدرة العامة من سكان المدينة تضمين منازلهم حمامات خاصة، وبرغبة من القادرين على إنشاء هذه الحمامات في استثمار أموالهم لما تدره من ربح وفير لشدة الطلب عليها^(١٩١). هذا إلى جانب احتواء مدينة فاس على العديد من الحمامات الخاصة بعلية القوم، حيث كان لغالب أغنياء أهل فاس حمامات في بيوتهم، وذلك أنفة من الدخول في الحمامات العامة مع عامة الناس^(١٩٢).

وتعرضت المؤلفات التاريخية لوصف هذه المؤسسات، ونحصل من هذا الوصف على صورة شبه واضحة لمباني هذه الحمامات، فيصف العمرى^(١٩٣) حمامات الخاصة من أهل فاس بأنها تتكون من صحن واحد لا خلوة فيها تستر بعض الناس عن بعض وهي أنيقة البناء. أما عن الحمامات العامة فيصفها ليون الأفريقي^(١٩٤) بأنها جيدة البناء معتنى بها، بعضها صغير والآخر كبير، ولجميعها نفس الطراز، فهي تتألف من ثلاث حجرات، أو بالأحرى ثلاث قاعات، وتقع خارج هذه الحجرات مقصورات

صغيرة مرتفعة نوعاً ما يُصعد إليها بخمس أو ست درجات. وعلق صاحب الاستبصار على هذه الحمامات بأنها عظيمة^(١٩٥).

ولم تقتصر أهمية الحمامات على كونها مؤسسة لنظافة البدن فقط مع ما لذلك من معان ودلالات اجتماعية، وإنما كانت الحمامات على جانب من الأهمية في عمليات شفاء المرضى من بعض الأمراض. لذا كان من عادة فقهاء وعلماء وعامة أهل فاس الذهاب إلى هذه الحمامات بصفة مستمرة^(١٩٦). مما دعى بعض الشعراء في العصر الموحدي إلى وصف هذه الحمامات وما لها من فوائد موضعاً حرص أهل فاس على الذهاب إليها^(١٩٧).

وجاءت الرعاية الطبية مصحوبة بالاهتمام بإقامة مؤسسات لمداواة المرضى وعلاجهم على نفقة الدولة، فالخليفة أبو يعقوب المنصور الموحدي بنى المارستانات للمرضى والمجانين في جميع أنحاء الدولة الموحدية، مجرياً الإنفاق على كل أهل مارستان^(١٩٨).

وقد ذكر العمري أن بفاس القديمة مارستان^(١٩٩). هذا إلى جانب وجود حارة خاصة بالمرضى بمدينة فاس أشارت إليها المصادر، وذكرت أنها تقع خارج باب الخوخة من أبواب فاس، وذلك ليكون سكنى المرضى تحت مجرى الريح الغربية فتحمل الريح أبخرة المرضى، فلا يصل منها لأهل المدينة شئ، وأيضاً ليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من المدينة^(٢٠٠). وذلك للعمل على عدم انتقال الأمراض إلى سكان المدينة.

أما بخصوص المؤسسات العلمية والدينية في مدينة فاس، فيلاحظ أن نشاطها لم يكن يخلو من أوجه اجتماعية لها دلالتها وأهميتها، فالجوامع والمساجد كانت دائماً مركزاً لنشاط متعدد الألوان، بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية في الصلاة وإقامة شعائر الدين، كانت تقام فيها حلقات الدرس ويلتف داخلها المتعلمون حول الفقهاء والمعلمين، وفيها كان يجلس القضاة وحولهم المتخاصمون للفصل بينهم، ومن فوق منابرهم تذايع أوامر الحكام وتعليماتهم، وعلى أبوابها توزع الزكاة والصدقات، وإليها يتجه الغريب الوافد، مما جعل منها مراكز اجتماعية لها خطرها^(٢٠١). وفي هذه المؤسسات كان اليتامى والفقراء والمساكين موضع رعاية من المجتمع الفاسي، فكان أبناء الفقراء يلقون رعاية من صلحاء وعلماء فاس فهذا أبو عبد الله محمد بن علي التاودي من أهل فاس والمتوفى عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م كان يقوم بتعليم الصبيان، فيأخذ الأجر من أبناء الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء، كما كان

يقوم بغسل أثواب الصبيان ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك، ولا يأخذ عليها أجره، كما أوقف أهالي فاس الأوقاف الخاصة على هؤلاء الصبيان الفقراء لكي يدفع المعلم لكل صبي منها^(٢٠٢).

ومثل هذا يُقال عن الربط التي لم تعد بيوتًا للصوفية يباشرون فيها حياتهم الخاصة فحسب، بل غدت أيضًا دورًا للضيافة، تستضيف المغتربين القادمين من مختلف المدن الإسلامية الأخرى^(٢٠٣). فهذا أبو إسحاق الأندلسي المتصوف المتوفى عام ٥٦٣هـ / ١١٦٧م الذي قدم مدينة فاس وبنى رابطة خارج باب الجيسة حيث انقطع فيها، كان يأوى المريدين بهذه الرابطة فيصنع جماعة من أصحابه أطعمتهم بها^(٢٠٤) كما كان الشيخ أبو يعزى الهوفى الفاسي المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م، يقدم لزاوية الطعام بداره^(٢٠٥). كما كان بعضًا من تجار فاس الميسورين يصنعون الطعام الشهي في بيوتهم ويقدمونه للفقراء، وعند فراغ الفقراء من الأكل يقف صاحب البيت على باب بيته ويدفع لكل واحد منهم بعضًا من المال^(٢٠٦).

ومثل هذا أيضا يقال عن المؤسسات التجارية مثل الفنادق، التي كان الغرض منها خدمة التجار الذين ينتقلون من بلد إلى آخر للبيع والشراء، حيث توفر لهم في هذه الأماكن قدر من الراحة والحياة الطيبة، فضلا عن الأمن والسلامة، لذا نجد هذه المؤسسات مكتملة المرافق من حيث الأماكن المخصصة لخزن البضائع وإيداع الأموال، وأماكن أخرى للراحة والنوم^(٢٠٧).

خامسا: الاحتفالات وطعام أهل المدينة وزعيم:

كان هناك بمدينة فاس بعض العادات المرتبطة باحتفالات الزواج فمن عادات الزواج، عندما كان يرغب الرجل في الاقتران بأمرأه، وبعد موافقة أبيها على تزويجها يدعو الخاطب أصدقاءه لحضور عقد القران، والذي كان عادة يتم في المسجد، ويصطحب الخاطب معه كاتباً عدل يقومان بتسجيل العقد، ويحددان شروط المهور بحضور الخاطب والمخطوبة^(٢٠٨). وكان في بعض الأحيان يتفق على أن الصداق يكون عينا حيث يقدم الزوج الكسوة ويشترى الحلوى^(٢٠٩)، كما كثرت في تلك الفترة عقود الزواج التي كانت تتضمن حق تمتع الزوج بمال زوجته، أو بمال أبيها في عقد النكاح، ولكن تكتب تفاصيل هذا الحق في عقود منفردة^(٢١٠). وكان والد العروس يشارك أيضا ببعض الملابس في الجهاز مثل شراء قماش من القطيفة من أجل تجهيز ابنته^(٢١١).

وكانت النساء يحضرن الزفاف فى أجمل زينة بملابسهن الجديدة والتي لم يكن عندها منهن ملابس جديدة تطلب من زوجها ذلك^(٢١٢). ولقد وجد بمدينة فاس ما أحدثه الرجال عند دخولهم أول ليلة على زوجاتهم من إعطاء الزوجات دنانير فضية غير النفقة بحسب حالة الزوج لحق الفراش عند حل السراويل، فبلغ ذلك الفقهاء، فمنعوه لأنه شبيه بالزنا^(٢١٣). هذا وكان من عادة الزوج أن يبعث بهدايا إلى بيت الزوجة من أجل إعداد الطعام، وكان الطعام الذى يصنع فى بيت الزوجة، ويرسل بعد ذلك إلى بيت زوجها يبعث بالسرور فى نفس الزوجة^(٢١٤).

وكان من أجمل ما شهدته شوارع مدينة فاس موكب الحج، ويشير ابن القاضى المكاسى^(٢١٥). إلى إحدى هذه الموكب التى خرجت من وادى سبو قرب مدينة فاس عام ٥٠٣هـ / ١٠٩٠م، وأشار البيدق^(٢١٦) إلى وجود هذا الموضع بفاس وكان يطلق عليه منزل الحجاج. وتطور هذا الموكب فى أواسط العصر الموحدى، وكان خروج ركب الحجيج من مدينة فاس يوم عيد للفاسيين حيث كانت العادة أن يخرج ركب فاس فى السابع والعشرين أو الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، من باب الفتوح، وينزل فى المكان المعروف بولجھ العسال على الضفة الشرقية لوادى سبو، ويبرز فى هيئة بديعة وشارة حسنة من الاحتفال هذا إلى جانب قرع الطبول وإظهار الزينة، وكان هذا الركب يشيع تشيعاً منقطع النظير. فإن يوم خروج الحجيج من فاس يوم موعود ومشهود فلم يبق أحد بالمدينة من الرجال والولدان والأمراء والعبيد إلا وخرج، فلا ترى أعجب من ذلك ولا أحسن منظراً^(٢١٧). هذا ولم تخلو المدينة من الاحتفالات بالأعياد الدينية ولكن لم أعثر فى مصادر هذين العصرين ما يشير إلى هذا.

وشهدت فاس لوفاً آخر من ألوان العادات المرتبطة بالموت، والتي عادة ما تبدأ بغسل الميت ثم تكفينه، وكان الغسالون بمدينة فاس على قسمين قسم من أهل الخير والصلاح، فإذا مات أحد قاموا بغسله من غيره أجره ولا عوض، بل لا ابتغاء الثواب، أما القسم الثانى فإنهم يغسلون بالأجرة وهم من عامة الناس^(٢١٨). ويبدو أن بعضاً من أهل فاس كانوا يغالون فى تكفين الميت فيكفونونه بالحريز، مما جعل العامة من الناس يجارونهم فى ذلك وقد أفتى الفقهاء بنزع ذلك الكفن، وعدم الصلاة على الجنازة وهى مستورة بالحريز^(٢١٩).

وبعد الصلاة تحمل الجنازة إلى المقابر - التى كانت خارج أسوار مدينة فاس وفى أثناء سير الجنازة من البيت إلى المقبرة، يمضى الناس خلفها بعض الوقت

أو يقوم بعضهم بحملها لمسافة معينة، وكان بعض الخلفاء الموحدين يحضرون جناز
لبعض العلماء والفقهاء من أهالي مدينة فاس^(٢٢٠).

هذا وكان على أثر وفاة الزوج أو أحد الأهل يختلط النساء بالرجال
ويكشف النساء وجوههم ويسودنها، كما يسودن بعضاً من أجسادهن، وينشرن شعورهم
ويلبسن الأزرق والأسود، ويقوم بعضهم بتلطيف وجوههن بالسخام الذى يحصلن عليه
من قثور القدور السوداء، ويهلن التراب على الرؤوس، وتلطخ البيوت بالسواد، ويترك
بعض الرجال والنساء الصلاة عند موت ميت لهم ولا يرجعون إليها إلا بعد مدة
يعودون منها إلى أحوالهم الطبيعية^(٢٢١). وكان أكثر الناس عند إخراج الميت يصحن
صيحة عظيمة ويسمون ذلك وداعاً للميت وقياماً بحقه^(٢٢٢). وبعد دفن الميت كان
أهل المدينة يقومون بتعزية أهله ويطيبون خاطرهم، ويقومون بتقديم الطعام
لهم^(٢٢٣).

طعام أهل فاس:

وصفت مدينة فاس بطيب مطعمها ومأكليها^(٢٢٤). ومن أنواع الطعام الذى
عرفته المدينة الثريد الكامل وهو من أطعمة الخلفاء والأمراء والوزراء^(٢٢٥)
والصنهاجى الملوكى الذى هو من أطعمة الخواص^(٢٢٦). الذين كانت الامخاخ من
الأغذية المحبوبة المشتهاة بالنسبة لهم، فهي تكون جل غذائهم^(٢٢٧).

وعرف سائر السكان عدة أنواع من الأطعمة منها طعام الفرس (المخلل)^(٢٢٨)
وطعام البلاجة^(٢٢٩). واللمتونية التى كانت تصنع فى جميع بلاد المغرب^(٢٣٠)
والسنبوسك^(٢٣١). والكسكو المعهود المقلّى يعرفه جميع الناس^(٢٣٢). كما عرف سائر
السكان تصنيع الجبن من الألبان، حيث اشتهرت المجبنة التى تتكون من الجبن
البقرى والغنمى^(٢٣٣).

كما عرف أهالي فاس بعض الأطعمة الحلوة مثل الكنافة^(٢٣٤)، والكعك^(٢٣٥)،
والتارfst الذى كان من أطعمة أهل فاس المشهورة^(٢٣٦).

وهذا واتسم طعام المتصوفين من أهل فاس بمظاهر التقشف، فلم يكن
يتعدى عيش مع عسل، أو خبز مع لبن^(٢٣٧). فى حين كانوا يقدمون لمريديهم طعام
الشعير وعليه الخبىزى فى صحيفة، أو يقدمون أرغفة من البر فيها لحوم الضأن
المشوية^(٢٣٨). وكان المتشددون منهم يأكلون أوراق البلوط حيث يطبخونه ويعجنونه
أقراصاً يقتاتون بها، وعلى هذا كانوا يكتفون بالأكل من نبات الأرض حتى قال
أحدهم: "ما أصنع بالطعام ونبات الأرض يكفينى"^(٢٣٩).

زى أهل فاس:

تواضع علماء وفقهاء فاس فى ملبسهم فباستثناء ما كانوا يخرجون به أيام الجمع والأعياد من الألبسة الحسنة من البرانس البيضاء والصفراء والعمائم والتفائر^(٢٤٠). نجدهم فى باقى الأيام يلبسون ما يتيسر من اللباس حتى لو خرجوا إلى المسجد من أجل الدرس فإنهم لا يقصدون لذلك لباساً معيناً، فكانوا يخرجون فى زمن الصيف بقميص خام غليظ يصل إلى نصف الساق أو نحوه، وعلى الرأس طاقية، ومنديل أو خرق يجعلونها على أكتافهم حين الصلاة، ثم يزيلونها إذا فرغوا منها، ويجعلونها بين أيديهم، وفى الشتاء يزدون على ذلك لباساً غليظاً، وفوطه تساوى سبعة دراهم أو نحوها وعمامة^(٢٤١).

وإذا كان هذا زى علماء وفقهاء فاس فإن متصوفى فاس كانوا يتقشفون فى ملبسهم، فيرتدون ملابس خشنة، حيث كانوا يلبسون فى الصيف دراعة^(٢٤٢) من قطن مصبوغة وطاقية وعمامة قصيرة على الرأس، ويرتدون فى الشتاء بجانب هذا اللباس دراعة ثانية من قطن^(٢٤٣). وكان بعضهم يزيد فى تقشفه فيلبس برنساً مرقعاً وشاشاً على رأسه^(٢٤٤).

أما عن زى الأغنياء والعامّة والنساء من أهل فاس لم تذكر المصادر التى تخص الفترتين المرابطية والموحدية والتى أطلع عليها الباحث أى إشارات عن طبيعة زيهم باستثناء ما ذكره ابن القاضى المكناسى^(٢٤٥) من أن بعضاً من فقهاء مدينة فاس تشددوا على الأهالى فيما يرتدونه من أزياء، مثل القاضى محمد بن عبد الرحمن، الذى عندما ولاه يوسف بن تاشفين قضاء مدينة فاس، شدد على أهالى المدينة فى الملبس فجعلهم يرتدون السروالات رجالاً ونساء.

أما اليهود فيبدو أنهم طيلة العصر المرابطى ومنتصف العصر الموحدى كانوا يلبسون مثلما يلبس المسلمون، ولكن ميزوا فى آخر حكم الخليفة المنصور الموحدى بزى خاص، وهو عبارة عن ثياب كحلية مفرطة الأكمام تصل إلى قريب من أقدامهم، كما وضعوا على رؤوسهم بدلاً من العمامات كلوتات على أشنع صورة كأنها براديع تبلغ إلى تحت أذانهم، وفى عهد الخليفة محمد الناصر أستبدل هذا الزى بثياب وعمائم صفراء^(٢٤٦).

مظاهر التسلية:

كان الفاسيون يحبون الموسيقى كثيراً، واشتهرت بعض حوانيت أزقة مدينة فاس مثل زقاق بزقاله ببيع أدوات فن الموسيقى حيث كانت تمتلئ حوانيت هذا

الزقاق بالدفوف والقرقر والمزامير والعيدان والروط والأربية والكتيارات. وجميع آلات اللهو التي كان يستخدمها أهل المدينة في قضاء أوقات فراغهم بالتسلية بالموسيقى، ويبدو أن هذه الأدوات كانت تباع بكثرة، وتمثل لأصحاب الحوانيت مصدر دخل لهم، ويظهر لنا ذلك عندما قام المهدي بن تومرت في بداية الدعوة الموحدية بتكسير هذه الأدوات بمدينة فاس، فسارع أرباب الحوانيت إلى قاضي المدينة مشتكين له من فعل المهدي بن تومرت^(٢٤٧). وهذا يدل على ما ذكره الزهري^(٢٤٨) من أن أهل فاس تعلموا الطرب من مهاجري القيروان. وتعرض فن الموسيقى لشئ من المقاومة بفاس في صدر دولة الموحدين تأثراً بما قامت عليه الدولة من التدين ومقاومة المنكر، بما فيه من آلات اللهو^(٢٤٩).

سادساً: أخلاق أهل المدينة ووصف دورهم:

وصف أهل فاس بأنهم أهل عزة ومنعة^(٢٥٠). في غاية الكيس ونهاية الظروف^(٢٥١)، فيهم براعة ونباله وبذخ^(٢٥٢). وهم أحد أهل المغرب أذهانا، وأشدهم فطنة، وأصلحهم عقلاً، وألينهم قلوباً، وأكثرهم صدقة، وكيفما تبدلت بهم الأحوال يسمون على أهل المغرب عملاً وفقهاً ودينياً^(٢٥٣).

ويذكر المؤرخون أن رجال عدوة الأندلس من فاس أشجع وأنجد من رجال عدوة القرويين، ونساءهم أجمل من نساء القرويين، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس^(٢٥٤).

ووصفت مدينة فاس بأنها أعلى همه في المبانى واتخاذ الديار الحسنة^(٢٥٥). فكانت دور وقصور ومبانى مدينة فاس سامية، ولأهلها اهتمام بمبانيهم^(٢٥٦). فكانت المدينة في نهاية العمارة والصالح، وقد بنيت أكثر جنباتها الملاصقة لها دوراً وأضيفت إليها^(٢٥٧).

ومن المعروف أن المنزل قد قام بدور هام ورئيسى في حياة مجتمع المدينة وانعكس هذا الدور على تخطيطه وإنشائه وأساليب زخرفته^(٢٥٨). وكانت أكثر دور مدينة فاس تتكون من طابقين، أعلى وأسفل، ومنها ما يكون على ثلاث أو أربع طوابق، في كل طابق شرفات كثيرة الزخرفة، وكانت الدور جميلة في الداخل أكثر منها في الخارج^(٢٥٩). ويصف العمرى^(٢٦٠) دور فاس بأن جميعها جليلة فخمة، مبنية بالأجر والكلس، وأما متخذاً فمبنية بالقالب وسقوفها بالأخشاب، كما كانت سقوف بعض الدور تفرص بالقصدير والأصباغ الملونة، وتفرش الديار بالزليج وهو نوع من الأجر كالتقشاني منه ألوان الأبيض والأزرق والأصفر وما تركب من هذه الألوان،

وغالبية الأزرق والكحلى، ومنه يتخذ وزارات^(٣١١) حيطان الدور، وبعض الدور تفرش بأجر يسمى المزهرى، ولأهل فاس ولع ببناء القباب فلا تخلو دار كبيرة فى الغالب من قبة أو أكثر.

ويصف العمرى^(٣١٢) الطريقة التى كانت تبنى بها دور فاس فيقول: "هى مجالس متقابلة على أعمدة من حجر أو أجر، ورفاف مطلة على صحن الدار وأمامها قنوات صغيرة يجرى فيها الماء الذى يكون بركة فى وسط الدار". هكذا نرى مدى الاهتمام بعنصر الماء والزرع والخضرة فى وسط فناء المنزل^(٣١٣). كما كان الاهتمام بانفتاح الدار على ساحة داخلية تزود أجزاؤها المختلفة بالهواء والضوء، ويتواءم هذا الطراز مع المناخ لاسيما فى فصل الصيف، إذ تجمع الساحة الداخلية الهواء البارد نسبياً الذى يهبط إلى دخلها ليلاً، فى حين يتصاعد هواء النهار الحار إلى أعلى، أما فى فصل الشتاء فإن بيوت فاس تصبح أقل راحة ودفئاً، غير أن أهلها اعتادوا أن يشغلوا الطوابق العليا خلال فصل البرد، والطوابق الأرضية حينما تشتد الحرارة، ومع ذلك فلا شك أن المفهوم الإسلامى للأسرة هو الذى حدد أكثر من أى عامل آخر شكل محال السكنى، إذ أن استناد البيوت بعضها إلى بعض يماثل فى الحقيقة أدب الجوار التى وضعت أسسها السنة^(٣١٤).

هذا ولقد بلغت دور مدينة فاس فى أيام الناصر الموحدى تسعة وثمانين ألف ومائتى وست وثلاثين داراً، وتسعة عشر ألفاً وإحدى وأربعين مصرية^(٣١٥).

الهوامش

- ١- عبد السلام بن سوده: بيوتات فاس في القديم والحديث، مجلة البحث العلمي، العدد ٢٢ يناير - أبريل، ١٩٧٤، ص ١١١.
- ٢- الريادة: من مادة الرائد، وهى حرفة الإعراب الذين يختلفون بمواشيهم إلى المراعى مقبلين ومديرين. انظر: الفيروز أبادى: القاموس المحيط، ٣٦٢.
- ٣- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج١ ص ٢٨٠.
- ٤- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٦، إسماعيل العربى: دولة الأدارسة، ص ٨٦، ص ١٠٦.
- ٥- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٩١، ١١٦، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٢٩٧، ٢٩٩ ص ٣٠٥.
- ٦- المصدر السابق: ١٣٩.
- ٧- ابن الآبار: المعجم فى أصحاب القاضى الإمام على الصدفى، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥، ص ٢٨٧.
- ٨- ابن خلدون: المصدر السابق، ج١ ص ٩١.
- ٩- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣٠٣.
- ١٠- ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص ١١٨ - ١١٩، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣٠٩ - ٣١٠.
- ١١- البكرى: المغرب فى ذكر أفريقيا والمغرب، ص ١١٧.
- ١٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ١٣- ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص ١٢٥، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣١٠.
- ١٤- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص ٢١.
- ١٥- جدوة الاقتباس: ج١ ص ٢٢٣، ج٢ ص ٣٩٧، ص ٥٣٧.
- ١٦- البكرى: المصدر السابق، ص ١١٧.
- ١٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣١٠.
- ١٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٧٠.
- ١٩- ابن خلدون: المصدر السابق، ج١ ص ١١٩ - ١٢٠، ص ١٢٣.

- ٢٠- عن قبائل زناته وبطونها. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧ ص ٢-٧٤،
عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج١ ص ٣١١.
- ٢١- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٢٦.
- ٢٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٢٣- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٢٨-١٢٩.
- ٢٤- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣٠١-٣٠٢، ص ٣١٤.
- ٢٥- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٤٢، عبد السلام بن سوّده بيوتات
فاس في القديم والحديث، ص ١١٨.
- ٢٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٥٦١.
- ٢٧- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١٥٢، عبد الوهاب بن منصور: المرجع
السابق، ج١ ص ٣٢٨-٣٢٩.
- ٢٨- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ١٨٢-١٨٦، صباح إبراهيم: العناصر
السكانية بمدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة كلية آداب
المستنصرية، العدد الثامن، ١٩٨٤ ص ٤٠٢.
- ٢٩- ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ص ٢٠٦.
- ٣٠- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣١١.
- ٣١- محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال، الرباط، مطبوعات المركز الجامعي
للبحث العلمي، ١٩٦٢، ص ٩.
- ٣٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ٢٠٣، عبد الوهاب بن منصور: قبائل
المغرب، ج١ ص ٣١٦.
- ٣٣- عبد الوهاب منصور: المرجع السابق، ج١ ص ٣٣٢.
- ٣٤- بيوتات فاس الكبرى: ص ٤٣، ٤٧، ٤٨.
- ٣٥- جدوة الاقتباس: ج٢ ص ٥٣٨.
- ٣٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ٢٢١، ٢٢٤، ج٢ ص ٣٤٨،
٤٥٥.
- ٣٧- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٢٦.
- ٣٨- جدوة الاقتباس: ج١ ص ١٧٣.
- ٣٩- عبد السلام بن سوّده: المرجع السابق، مجلة البحث العلمي، عدد ٢٣ سنة
١٩٧٤، ص ١٣٨-١٤٠.

- ٤٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٢، ٧١، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٥٦، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣، ص ٧٩ - ٨٠.
- ٤١- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٤٠.
- ٤٢- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٥٣، ص ٦٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٧٩.
- ٤٣- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ١ ص ٢١٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٩.
- ٤٤- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ١٣.
- ٤٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٤٦- المغرب وأرض السودان ومصر، ليدن مطبعة بريل، ١٨٦٦، ص ٧٩.
- ٤٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٩.
- ٤٨- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص ٨، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٤، ج ٢ ص ٥٥١.
- ٤٩- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق ص ٢٢، ٢٥، ٤٣، ٤٤، ٦٩.
- ٥٠- عبد السلام بن سوده: بيوتات فاس القديم والحديث، العدد ٢٢، ص ١٢٢.
- ٥١- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٣، ص ١٤٠ - ١٤١.
- ٥٢- الإدريسي: المصدر السابق، ص ٧٩، صباح إبراهيم: العناصر السكانية بفاس، ص ٤٠٣.
- ٥٣- الزنقة: هي المكان الضيق، ففي القاموس زنق على عياله يزنق ضيق بخلا أو فقرا، انظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مادة الزنق، ص ١١٥١.
- ٥٤- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٢، ص ١٣٣، عبد القادر زمامة: معالم وأعلام من فاس القديم، ص ٨٧.
- ٥٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٩، ٣٩، ٤٥ - ٤٦.
- ٥٦- عن هذا الانتشار لقبائل العرب انظر تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٣ - ٢١.
- ٥٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٣، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٩٣.
- ٥٨- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٢.

- ٥٩- الزهرى: المصدر السابق، ص ١١٢، ١١٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٧٥.
- ٦٠- عبد الواحد المراكشى: المتعجب، ص ٢٩٣ - ٢٩٥، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٩٧ - ٣٩٩.
- ٦١- تاريخ المن بالإمامة: ص ١٤٤.
- ٦٢- ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٧.
- ٦٣- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، صفحات ٣٦، ٤١، ٤٤، ٤٥، صباح إبراهيم: المرجع السابق، ص ٤٠١.
- ٦٤- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ١٠ - ١٤.
- ٦٥- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ٢ صفحات ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤١٥، ٤٥٠، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٩.
- ٦٦- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٧٠.
- ٦٧- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٣٦.
- ٦٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥١٨.
- ٦٩- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٤١، ابن القاضى المكناسى المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٩٠، ٥١٢، عبد السلام بن سوذه: بيوتات فاس فى القديم والحديث، العدد ٢٣، ص ١٤١.
- ٧٠- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٤١.
- ٧١- نفس المصدر السابق: ص ٤٤، ٤٥.
- ٧٢- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ١٧٧، ١٨٠، ج ٢، ص ٤١٩، ٥١٣، ٥١١.
- ٧٣- عبد السلام بن سوذه: المرجع السابق، ص ١٣٧.
- ٧٤- ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتايب الموصول الصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفه، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، ص ٢١٢ ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ١١٦.
- ٧٥- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسينى القاهرة، مطبعة الخانجى، ج ٢ ص ٦٨٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٢.
- ٧٦- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٧.

- ٧٧- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٩، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، عبد السلام بن سوذه: المرجع السابق، العدد ٢٢، ص ١١٩.
- ٧٨- العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (قبائل الحرب فى القرنين السابع والثامن الهجريين تحقيق دوريتا كرافرتسكى، بيروت، المركز الإسلامى للبحوث، ١٩٨٥، ص ٥٦، ٦٢.
- ٧٩- مارمول: أفريقيا، ج ١ ص ١٠٦.
- ٨٠- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٥٨ - ٥٩.
- ٨١- ابن خلدون: المصدر السابق ج ١ ص ١١، مارمول: المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٢.
- ٨٢- عبد السلام بن سوذه: المرجع السابق، العدد ٢٢ ص ١٠٨ - ١٠٩.
- ٨٣- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٢٩.
- ٨٤- صباح إبراهيم: العناصر السكانية بمدينة فاس، ص ٤٠٢ - ٤٠٣.
- ٨٥- الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص ٧٩، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٣.
- ٨٦- الإدريسي: نفس المصدرين والصفحات.
- ٨٧- بيوتات فاس الكبرى: ص ٤٤ - ٤٥.
- ٨٨- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٣٩، اسماعيل بن الأحمر المصدر السابق، ص ٢١.
- ٨٩- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج ١ ص ٤٠٩.
- ٩٠- صباح إبراهيم: المرجع السابق، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.
- ٩١- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٨٥.
- ٩٢- المعجب: ص ٤٤٣.
- ٩٣- عن الهجرات الأندلسية الاستيطانية، أنظر، ابن الآبار: المعجم فى أصحاب القاضى ابن على الصدفى، صفحات ١١٦ - ١١٧، ١٥٦، ١٩٦، ٢٠٨، ٣٠٧، ٣١٩، ابن الزبير: صلة الصلة بالشكوالية، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧، ج ٧، صفحات ٤، ١٤، ١٥، ٤٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ابن عبد الملك المراكشى: الدليل والتكملة لكتايب الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول صفحات ٨٧، ٩١، ١٨٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٧، ٥٥٢، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، بدون

تاريخ، صفحات ٢٢، ٢٥ - ٢٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٨٧، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤١٢، ٤٧٥، ٤٧٧، المقرئ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإيباري، عبد الحفيظ السلمي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٩، ج ٢ ص ٣٦١، هذا إلى جانب الترجمات العديدة التي وردت في كتب التراجم الأخرى.

٩٤- لسان الدين بن خطيب: أعلام الإعلام، القسم الثالث، ص ١٣٢، إسماعيل الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص ١٧، محمد جعفر الكتاني سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، فاس مطبعة الحجرية، ١٣١٠هـ، ج ١ ص ١٠٠، مصطفى أبو ضيف، أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصرى الموحدين وبنى مرين، ص ٤٥.

٩٥- ابن القطان: نظم الجان، ص ١٠٩، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج ٤ ص ٢٣، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

٩٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨٥.

٩٧- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٤، مجهول (من كتاب القرن الثامن الهجري)، الحلل الموشية، ص ١٣٥.

٩٨- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٣.

٩٩- حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٣٠.

١٠٠- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٥٠، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٥٠، الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار المراكشية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠، ج ١ ص ٩٩١.

١٠١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٢، ابن خلدون المصدر السابق، ج ٦ ص ١٢٦، ٢٦٧، حسن على حسن: المصدر السابق ص ٣٣٠.

١٠٢- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، ص ٢٦٤.

١٠٣- ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٩، ص ٥٠، ابن عذارى نفس المصدر والصفحة، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ٣٣٦ ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس، ج ١ ص ١٧٣.

- ١٠٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٧٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٥٥.
- ١٠٥- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول ١٩٨٠، ص ٩٣.
- ١٠٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٢٧، انظر مكاتبه فقهاء سجلماسه ودرعه لعبد الله بن ياسين كي يخلصهم من المنكرات في بلادهم.
- ١٠٧- ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٦، وقسم الموحدين، ص ١٢٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٧.
- ١٠٨- المعجب: ص ٢٣٥. \
- ١٠٩- سيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٩٣.
- ١١٠- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥١ - ٢٥٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٧٥.
- ١١١- انظر ما أشرنا إليه من تعريف لنظام الطبقات في عصر الموحدين في الفصل الثاني.
- ١١٢- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥٥.
- ١١٣- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٤٢٦.
- ١١٤- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ٣٣١.
- ١١٥- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٦٩، ٤٢٦.
- ١١٦- مجهول: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنة، ص ١١٣، ٢٢٨، هويكنز: النظم الإسلامية، ص ١٨٦ - ١٨٧.
- ١١٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٥٦، ٤٢٦.
- ١١٨- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٦٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٠٤.
- ١١٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٠، ٢١٧.
- ١٢٠- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٣٤٠ - ٣٤١.
- ١٢١- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ٢٢١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ١٠٦.
- ١٢٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٤، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٥٨.
- ١٢٣- حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٤٢.

- ١٢٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، صفحات ٥٩، ١٣٧، ٢١٧، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٤٢-٣٤٣.
- ١٢٥- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٥٧، ٤٤٥، أبو العباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش، وأغمات من الإعلام، فاس المطبعة الجديدة، ١٩٣٦، ج ٣ ص ٨٧.
- ١٢٦- بدرى محمد فهد: العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى بغداد، مطبعة الرشد، ١٩٦٧، ص ١١، ويراد بطبقة الخاصة أصحاب الخليفة من ذوى قرباه ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والإشراف والقضاء والشهود، علاوة على بعض المقربين من أهل الفن الموهوبين والعلماء وأهل الأدب. انظر بدرى محمد فهد: المرجع السابق ص ١٢.
- ١٢٧- حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٤٣-٣٤٦.
- ١٢٨- التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، نشرة أدولف فور، الرباط مطبوعات معهد الأبحاث العليا، ١٩٥٨، ص ٧٨-٧٩، ١٧٧.
- ١٢٩- ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٤٦، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٤٦، ومن أمثلة ذلك ما حدث أيضًا عام ٥٧١هـ وما حدث من خراب لعمران فاس بين أعوام ٦١٨-٦٣٧هـ. وأيضًا الحريق الذى وقع مرة ثانية بأسواق فاس عام ٦٤٦هـ حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة، عن ذلك انظر: ابن زرع، الأنيس المطرب، صفحات، ص ٦٠، ١٠٠، ١٠١، ٢٧٧.
- ١٣٠- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى الحسبة (ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة والمحتسب) نشرها ليفى بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى، ١٩٥٥، ص ٣٩، ٥٣، ٥٧، الجرسيفى: رسالة الجرسيفى فى الحسبة منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية، ص ١٢٥.
- ١٣١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٩، ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص ٢٤٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٢٤٨.
- ١٣٢- ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت منشورات المكتب التجارى للنشر، ١٩٧٠، ص ١٤٠، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٩٦.
- ١٣٣- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقم ١٣٣٦٦،

- ورقة ابن القاسم التادلي: المعزى فى مناقب سيدى أبويعزى، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٤٩، تاريخ تيمور، ميكور فيلم رقم ٢٧٧٠٣ وورقة.
- ١٣٤- الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٠، مارمول: أفريقيا ج ٢ ص ١٥٤.
- ١٣٥- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص ١٤١، مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤، حسن على حسن المرجع السابق، ص ٣٤٩.
- ١٣٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٣٧- التادلي: التشوف: ص ١٨١، حسن على حسن: نفس المرجع والصفحة.
- ١٣٨- ابن الآبار: التكملة لكتايب الموصل والصلة، ج ١ ص ١٥١، ١٥٢، ابن القاضى المكناسى، جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩.
- ١٣٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، والجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٤، حسن على حسن، المرجع السابق، ص ٣٤٩.
- ١٤٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٦٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٣٤٨.
- ١٤١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.
- ١٤٢- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، السفر الثانى، ص ٤٢٤.
- ١٤٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٣.
- ١٤٤- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢١٩، حسن على حسن المرجع السابق، ص ٣٥٠.
- ١٤٥- التشوف: ص ٣٦٨.
- ١٤٦- البيدق: أخبار المهدي، ص ٦٢، التادلي: المصدر السابق، ص ٣٠٦، ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٤ مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٦، حسن على حسن: ص ٣٥١.
- ١٤٧- مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ ص ١٨٥، ابن أبى زرع: الأئيس المطرب، ص ٣٥، الجزنائى: جنى زهرة الأوس، ص ٣٥.
- ١٤٨- رضوان البارودى: أضواء على المسيحية والمسيحين فى المغرب فى العصر الإسلامى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٠، ص ٣٣.
- ١٤٩- ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، ج ٤ ص ٢٣.

- ١٥٠- نفس المصدر السابق: ج٤ ص ١٠٢، رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٣٣.
- ١٥١- رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٣٣.
- ١٥٢- ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤ ص ٧٢-٧٣، انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية، ١٩٥٩-١٩٦٠، المجلد ٧-٨ ص ١٢٥-١٢٦، ص ١٦٧.
- ١٥٣- مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١.
- ١٥٤- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ١٠٩.
- ١٥٥- رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٥٦- ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤، ص ٩٨.
- ١٥٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٢-٣٣.
- ١٥٨- مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٨، رضوان البارودي المرجع السابق، ص ٣٦.
- ١٥٩- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٨٣، رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٣٦.
- ١٦٠- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣١، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٤٦.
- ١٦١- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ١٤٤.
- ١٦٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٥٠.
- ١٦٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٥٠، ٢٥١، رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٤٠.
- ١٦٤- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣١٩، رضوان البارودي: المرجع السابق، ص ٤٤.
- ١٦٥- نفس المصدر: قسم الموحدين، ص ٣٦٠، رضوان البارودي، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.
- ١٦٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٥٨.
- ١٦٧- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ٢٦٠.
- ١٦٨- البكري: المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، ص ١١٥، مجهول: الاستبصار، ص ٢٠٢.
- ١٦٩- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٩.

- ١٢٠- محمد الحبيب بن الخوجه: اليهود في المغرب العربي، القاهرة، مطبعة الجبلاوى، ١٩٧٣، ص ١٢.
- ١٢١- التادلي: التشوف، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، أحمد عيسى: معجم الأطباء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ص ٥٦٦ - ٥٧٧.
- ١٢٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥٩، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٦٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٦٨، سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، بيروت، الندوة الجديدة، ١٩٨٥، ص ٣٠٠.
- ١٢٣- محمد الحبيب بن الخوجه: اليهود في المغرب العربي، ص ١٢، ٢٥ - ٢٦، ٢٧.
- ١٢٤- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٨٣.
- ١٢٥- عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر والصفحة. ومن الجدير بالذكر هنا أن اليهود بمدينة فاس تعرضوا في بداية عهد الدولة المرينية في عصر يعقوب بن عبد الحق المريني عام ٦٧٤هـ إلى وقعة من المسلمين بسبب أمور أدت إلى إباحة دمائهم وأموالهم فأسلم في تلك الواقعة من أسلم منها خوفاً من السيف ثم كف يعقوب عن قتلهم، وأمر من نجا منهم أن يسكنوا في فاس الجديد وإخراجهم من فاس القديم. انظر مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٧٠.
- ١٢٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤١٥.
- ١٢٧- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤١٥ - ٤١٦، حمدي عبد المنعم: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف، ص ٣٣ - ٣٣٤.
- ١٢٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٣، عبد العزيز ابن عبد الله: المرأة المراكشية في الحقل الفكري، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، عدد ١ - ٢، ١٩٥٨، ص ٢٧٢، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ٢٤٤.
- ١٢٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٢١ - ٥٢٢، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٧٢.
- ١٨٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٥٨، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٢٧٢، عبد الله علام: المرجع السابق، ص ٢٤٥، الأشعري المشار إليه هو أبو الحسن بن اسماعيل بن اسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن برده أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة وانتقل إلى بغداد

- وتوفى بها عام ٣٢٤هـ ٩٩٦م وهو صاحب أصول علم الكلام والقائم بنصرة مذهب السنة وإليه تُنسب الطائفة الأشعرية. انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد المدينة المنصورة، المكتبة السلفية، بدون تاريخ، ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣ ص ٢٨٤، وعبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، بيروت، دار العلم، ١٩٧٧، ج ١ ص ٤٨٧ - ٤٩٠.
- ١٨١- عبد العزيز بن عبد الله: معجم أعلام النسب بالمغرب الأقصى، مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، يناير ١٩٧٠، ص ٣٢٣.
- ١٨٢- ابن الحاج الفاسي: المدخل، القاهرة، دار الحديث ١٩٨١ المجلد الأول، ج ١ ص ٢٤٥، وتمنع الكتب الفقهية خروج النساء لمزاولة الشراء لأن فيه مناجاة ومباشرة وغير ذلك مما يقع بين النساء والباعة، وربما كان ذلك سبباً في وقوع الفاحشة الكبرى. انظر نفس المصدر والصفحة.
- ١٨٣- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٧، سئل الإمام مالك عن الغسل من ماء الحمام، فقال ما بدخول الحمام بصواب، فكيف يغتسل من مائه، وهذا دليل واضح على أن أهل الحجاز كانوا يغتسلون في بيوتهم، ولا يعرفون الحمامات. وروى أبو داود في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ستفتح لكم أرض العجم ويتخذون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بأزار وأمنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء)، وروى عن أبي داود الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول (نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام ثم رخص للرجال أن يدخلوا بالمرز. انظر الفصل الذي عقده ابن الحاج في المدخل في تحريم دخول المرأة الحمامات خاصة العامة منها ص ١٧١ - ١٧٥. وقد أجاز العلماء دخول الحمام بالنسبة للرجال بشروط هي: أن لا يدخلها أحد من النساء أو الرجال ألا للتداوى، وأن يعتمد أوقات الخلوة وقلة الناس، وأن يستر عورته بأزار، وأن يطرح بصره للأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور، وأن يغير ما رأى من منكر وأن ذلك لا يمكنه من عورته، وأن يدخل الحمام بأجر معلوم، وأن يصب الماء على قدر الحاجة، وأن يتذكر عذاب جهنم. انظر ابن الحلاج: المدخل: المجلد الأول، ج ٢ ص ١٧٩.
- ١٨٤- الجزنائي: المصدر السابق، ص ٧٧، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ٩٩.
- ١٨٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦٦.

١٨٦- ابن الحاج: المصدر السابق، المجلد الأول، ج١ ص ٢٤٥، الونشريسي: المعيار
المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أخرج
جماعة من العلماء بإشراف د/ محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨١،
ج١ ص ٤٩٩.

١٨٧- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ص ١٠٩.

١٨٨- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤١.

١٨٩- المغرب في ذكر أفريقية: ص ١١٦.

١٩٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤.

١٩١- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ٢٤٦.

١٩٢- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٤٠،
القلقشندي: صبح الأعشى، ص ١٥٦.

١٩٣- المصدر السابق: ص ١٤٠.

١٩٤- وصف أفريقيا: ص ٢٣٤.

١٩٥- مجهول: الاستبصار، ص ١٨١.

١٩٦- التادلي: التشوف، ص ١٥٠، ١٨٣، ابن عيشون الشراط الروض العاطر، الأنفاس،
ورقة ٢٢.

١٩٧- مجهول: الاستبصار، ص ١٨١، ويقول الشاعر في هذا الوصف:

إذا زفر الحمام واشتد غيظه وهاجت لواعيج به وحميم
رأيت نعيما في الحميم وراحة وذالك غريب في الحميم نعيم

١٩٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

١٩٩- العمري: المصدر السابق، ص ١٣٩.

٢٠٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤١، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٤ -
٢٥.

٢٠١- الجزنائي: المصدر السابق، ص ٩٤ - ٩٥، سيد عبد الفتاح عاشور، المرجع
السابق، ص ١٢٢.

٢٠٢- التادلي: المصدر السابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، ابن القاضي المكناسي: جدوة
الافتباس، ج١ ص ٢١٩. محمد بن عيشون الشراط: المصدر السابق، ورقة ٣١٠ -

٣١١، أحمد بن القاسم التادلي: المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى، ورقة ٩٩.

٢٠٣- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ١٢٢.

- ٢٠٤- التادلي: التشوف، ص ٣٠٦.
- ٢٠٥- نفس المصدر السابق: ص ٣٤٠.
- ٢٠٦- ابن الحاج: المصدر السابق، المجلد الأول، ج ١ ص ٢٢٨.
- ٢٠٧- سيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ١٢٣.
- ٢٠٨- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ٢٥٧.
- ٢٠٩- الونشريس: المعيار، ج ٢ ص ١٢٩.
- ٢١٠- الونشريس: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦.
- ٢١١- نفس المصدر: ج ١ ص ١١٦.
- ٢١٢- التادلي: التشوف، ص ١٥٢.
- ٢١٣- ابن الحاج: المدخل، المجلد الأول، ج ١ ص ١٦٩.
- ٢١٤- الونشريس: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٩.
- ٢١٥- جذوة الاقتباس: ج ٢ ص ٥٦٠.
- ٢١٦- أخبار المهدي: ص ٦١.
- ٢١٧- محمد المنونى: ركب الحاج المغربى، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص ١٥.
- ٢١٨- ابن الحاج الفاسى: المصدر السابق، المجلد الثانى، ج ٣ ص ٢٤٤ ٢٤٥.
- ٢١٩- الونشريس: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤١ - ٣٤٢. وكان ذلك التحريم لعدة وجوه منها: المباهاه والافتخار، واتفاق المال فى وجه غير شرعى، والتبذير حيث يكلف بذلك الغنى الفقير الذى لا يجد كما أن لباس الحرير إنما رخص للنساء الأحياء من أجل الزينة، ولم يرخص للرجال واستعماله للميت ليس فيه زينة.
- ٢٢٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٦٨، ٢٧٠.
- ٢٢١- ابن الحاج الفاسى: المدخل، المجلد الثانى، ج ٣ ص ٢٣٣ - ٢٣٤.
- ٢٢٢- نفس المصدر السابق: المجلد الثانى، ج ٢ ص ٢٤٦.
- ٢٢٣- نفس المصدر: المجلد الثانى، ج ٣ ص ٢٧٥.
- ٢٢٤- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص ١٤١.
- ٢٢٥- مجهول: كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين تحقيق أويسى ميراندا، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع والعاشر، ١٩٦١ - ١٩٦٢، ص ١٧٩، ويتكون الثريد الكامل من اللحم البقرى السمين مضافا إليه البصل والفلفل والزنجبيل والكزبرة اليابسة والكمون والزيت الكثير مع لحم

غنمى سمين مضافا إليه التوابل ومن الدجاج وفراخ الحمام أو اليمام المطبوخة والعصافير المقلوه، وتؤخذ أمراق هذه اللحوم وتجمع فى قدر نظيفة ويضاف إليها الزيت وما تحتاج إليه من التوابل قدر الكفاية ويسقى معها الثريد المفتت من الخبز ويضاف إليه أنواع اللحوم السابقة، على أن يكون فى أعلى القصعة الفراخ واليمام والحمام ثم تقدم.

٢٢٦- نفس المصدر السابق: ص ٢٤، ويتكون الصنهاجى الملوكى من لحم البقر الأحمر المقطع المضاف إليه زيت وخل وفلفل وزعفران وكوم وثوم، ثم يطبخ نصف طبخة ثم يضاف إليه من لحم الغنم الأحمر وفراخ الحمام واليمام وكذلك العصافير وينثر عليه لوز مقسوم مضاف إليه كمية من الملح ثم يقمر بالزيت، ويدخل الفرن ويترك فيه حتى يتم نضجه.

٢٢٧- نفس المصدر السابق: ص ٣٥ - ٣٦.

٢٢٨- نفس المصدر: ص ٢٦، ويتكون هذا الطعام من اللحم البقرى أو الغنمى السمين المقطع تقطيعا صغيرا والمضاف إليه الملح والكزبرة اليابسة والكمون والزعفران وكثير من الثوم واللوز والمقشر والزيت الكثير، ثم يغمر كل ذلك بالخل ويرفع على نار معتدلة، وعند نضجه يضاف إليه بيض كثير وقرفة. وكان هذا النوع من الطعام يبقى عدة أيام لا يتغير ولا يفسد.

٢٢٩- نفس المصدر: ص ٤٩ وكانت البلاجة تصنع من اللحم البقرى السمين المضاف إليه الملح والبصل والكزبرة اليابسة والزيت اليسير، وتضع على نار معتدلة حتى تنضج ثم تصفى من المرققة وتلقى فى مقلاة بزيت حتى تحمر ثم تجعل فى طاجن ويضاف عليها اللوز والزعفران ثم تدخل الفرن مرة أخرى كي تجف مرققتها ويحمر أعلاها، ثم تخرج.

٢٣٠- نفس المصدر: ص ١٨٧. وتتكون اللمتونية من الطير مثل الدجاج والأوز وفراخ الحمام وغيرها مضاف إليه الثوم واللوز والجوز وعند نضج هذه اللحوم تصب مرققتها على الرقاق المفتت ويضاف عليها الزيت والفلفل والكمون.

٢٣١- نفس المصدر: ص ٢١٣. وكان سنبوسك العامة يضع بثلاث طرق، الأولى أن تحشى الرقاق بالثوم والتوابل وتلف على شكل مثلث وتلقى فى الزيت، الثانية أن يصنع من العجين المخلوط المضروب باللحم المدقوق والتوابل والبيض ويقلّى. الثالثة أن يعمل بالعجين مع السمن أو الشحم المذاب.

٢٣٢- نفس المصدر: ص ١٨١.

- ٢٣٣- نفس المصدر: ص ١٩٩.
- ٢٣٤- نفس المصدر: ص ١٩٧ - ١٩٨.
- ٢٣٥- نفس المصدر: ص ٢٠٧.
- ٢٣٦- نفس المصدر: ص ٢٠٧، وكان طعام التارفست يصنع على النحو الآتى: يفتت رغيف الرقاق تفتيتا دقيقا، ويضاف عليه كمية من الماء ومثلها من العسل مع مخلوط من الزعفران، ويحرك حتى يصير مجسدا مثل العجين، ثم يفرغ فى جفنة وينثر عليه لوز ويصنع فى وسطه حفرة تملأ بالسمن أو زبد طرى ويضاف عليه بعض من السكر وقرفة وقرنفل ثم يقدم.
- ٢٣٧- التادلى: التشوف، ص ١٥٠، ٣٤٠.
- ٢٣٨- أحمد بن القاسم التاودى: المعزى فى مناقب سيدى أبويعزى، ورقة ٥١.
- ٢٣٩- أحمد بن القاسم التادلى: المصدر السابق، ورقة ٥، ٦.
- ٢٤٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٢ - ٧٣، ابن القاضى المكناسى: جدوة الاقتباس، ج١ ص ٢٥٣، ج٢ ص ٥٥٣.
- ٢٤١- ابن الحاج الفاسى: المدخل، المجلد الأول، ج١ ص ١٥١ - ١٥٢.
- ٢٤٢- دراعة: ثوب من صوف، وجبه مشقوقة المقدم، انظر المعجم الوسيط، ج١ ص ٢٩٠.
- ٢٤٣- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس، ورقة ١٥.
- ٢٤٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٦٧.
- ٢٤٥- جدوة الاقتباس: ج١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣.
- ٢٤٦- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٣٨٣.
- ٢٤٧- البيذق: أخبار المهدي، ص ٢٣ - ٢٤.
- ٢٤٨- كتاب الجغرافيا: ص ١١٢.
- ٢٤٩- محمد المنونى: تاريخ الموسيقى بالمغرب، مجلة البحث العلمى، السنة السادسة، عدد ١٤ - ١٥، ١٩٦٩، ص ١٥٠.
- ٢٥٠- الحميرى: الروض المعطار، ص ٤٣٤.
- ٢٥١- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٤٤٣.
- ٢٥٢- الزهرى: المصدر السابق، ص ١١٤.
- ٢٥٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٣٦.

- ٢٥٤- البكري: المغرب، ص ١١٦، مجهول: الاستبصار ص ١٨١، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٥.
- ٢٥٥- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٨١، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٥.
- ٢٥٦- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٠، الحميري: المصدر السابق، ص ٤٣٤.
- ٢٥٧- مجهول: الاستبصار، ص ١٨٠.
- ٢٥٨- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ٣٤٨.
- ٢٥٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٣، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ٢٢٨.
- ٢٦٠- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٣٩.
- ٢٦١- الوزارات: جمع وزره وهي في الأصل كساء صغير، ويقصد بها هنا نطاق صغير من الزليج يضع على حيطان الدور. انظر المعجم الوسيط، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣، الطبعة الثانية، ج ٢ ص ١٠٢٨.
- ٢٦٢- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٤٠.
- ٢٦٣- محمد منتصر الكتاني: فاس عاصمة الأدارسة، بيروت، دار إدريس للطباعة، بدون تاريخ، ص ٢٥.
- ٢٦٤- تيتوس: يوركهارت: فاس، مقال منشور بكتاب المدينة الإسلامية، ترجمة محمد ثعلب، نشر هيئة اليونسكو، ١٩٨٣، ص ١٧٦.
- ٢٦٥- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، والمصرية جمعها مصارى، وهي الدويره التي تبني فوق الحوانيت ونحوها، وهو نوع من المنازل كان معروفا بمصر فنقل إلى المغرب وعرف بنسبته إليها، انظر عبد الوهاب بن منصور في تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ٤٤.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في عصر
المرابطين والموحدين

لم تكن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس قبيل قيام دولة المرابطين بأسعد حفا من الحياة السياسية، إذ أصابها الاضطراب والتأخر نتيجة للحروب المستمرة والثورات والفتن التي شهدتها المدينة في هذه الفترة. فالضعف السياسي وما صحبه من تمزق انعكست صورته على اقتصاديات البلاد^(١). لاسيما في عهد المغراويين بفاس الذين ضعفت أحوالهم، فظلموا الرعية وأخذوا أموالهم، كما انقطعت عن الأهالي الموارد؛ وكثر الخوف في البلاد، وغلت الأسعار غلاء لم يسمع بمثله من قبل، ووصل الأمر إلى ذروته في الصراع الدائر بين الأخوين عجيسة والفتوح أبنا دوناس بن حماسة، ذلك الصراع الذي كان له أثره في ارتفاع الأسعار واشتداد المجاعة على الأهالي^(٢). يضاف إلى ذلك تلك الضرائب والمكوس التي فرضها الزناتيون على سكان فاس - قبل عصر المرابطين - مما أدى إلى المواطنين وانعكست أثره على الوضع الاقتصادي للبلاد^(٣). هذا بالإضافة إلى تلك الفترة التي شهدت فيها المدينة حصار وضربات المرابطين، والتي انتهت بدخولهم المدينة، وما شهده الأهالي من عمليات القتل والتنكيل، ولاشك أن هذه العوامل مجتمعة كان لها أثرها في قلة الأيدي العاملة بالمدينة، مما أثر على السكان ونشاطهم الاقتصادي.

وبدأت مدينة فاس تشهد فترة من الاستقرار على عهد المرابطين، فازدهر النشاط الاقتصادي، حيث حرص أمراء المرابطين على نشر الأمن والنهوض بالمنطقة في شتى المجالات، فعم الرخاء وارتفع الدخل المالي للبلاد، فالأمن والاستقرار الذي عاشته البلاد في ظل دولة المرابطين أسهم في تنشيط اقتصاديات المدينة إذ جعل الأهالي ينصرفون إلى العمل والإنتاج، وبدأت الجيوش المرابطية تعتمد في بعض مبرتها على اقتصاديات مدينة فاس^(٤). ولكن عندما بدأت بؤادر الدعوة الموحدية، شهدت المدينة فترة اضطرابات أمنية فاضطربت الأحوال الاقتصادية منذ خروج عبد المؤمن بن علي في حملاته ضد دولة المرابطين، تلك الحملات التي انتهت بسقوط دولة المرابطين عام ٥٤٠هـ / ١١٤٦م، فكثرت في تلك الفترة - التي لم ينعم خلالها الشعب بالأمن والرخاء - المجاعات وعم الغلاء^(٥).

ومع بداية دولة الموحدين بدأت حياة الشعب تستقر وأمنه يستتب وأخذت الحياة الاقتصادية تنتعش^(٦). فأمتد الرخاء بفاس في عصر الموحدين حيث شهدت المدينة ازدهارا اقتصاديا ورخاء خلال تلك الحقبة حتى حكم الناصر الموحدي عام ٦١٠هـ / ١٢١٤م^(٧)، حيث أولى الخلفاء عناية بالأوضاع الاقتصادية، وخاصة الزراعة، فعمل عبد المؤمن على تأمين الطرق، فعندما دخل مدينة فاس سلب أسلحة أهلها

من أيديهم^(٨) وأمر أهل البلاد بالعودة إلى أوطانهم وفلاحتها، كما كانت نظم الموحدون العسكرية تقضى على الجند بالسير فى طريق الجبال، وتجنب السير فى الأراضى المزروعة، وبدرء أهل الفساد عن الزراعة، فأتسعت الزراعة فى المغرب كله، وعم الرخاء أهلها، خاصة فى خلافتى يوسف والمنصور والموحدى^(٩).

وستناول فى الصفحات القادمة مظاهر الحياة الاقتصادية فى مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين.

أولاً: الزراعة:

أغلب الظن أن أراضى مدينة فاس توزعت ملكيتها على القبائل التى كانت تسيطر عليها، أو التى كانت تسكنها، ولم يكن هناك تنظيم لملكية الأراضى قبيل دخول المرابطين المدينة، حيث اعتبرت هذه القبائل ما بيدها ملكاً خاصاً.

وعندما دخل المرابطون فاس أصبحت الدولة هى المالك لكثير من الأراضى .. إذ أن المرابطين حكموا على من ناوأهم وصد عن دعوتهم فى بداية أمرهم بالكفر^(١٠). "فكانوا يجمعون أسلاب المقتولين فى غزواتهم ويجعلونها فينا وغنيمة لهم"^(١١).

وهناك ثلاث مراحل متعاقبة فى سياسة المرابطين بالنسبة لتملك الأراضى، فقد سن عبد الله بن ياسين "التحليل" أو التطبيب، وهو أخذ الثلث من الأموال المختلطة، ويرى أن ذلك يحلل باقيةا، وكان فى ذلك شذوذ عن الأحكام ومخالفة للسنة^(١٢).

ومع بداية عمليات الفتح لشمال المغرب الأقصى بدأ التخميس^(١٣). وتوزيع المغانم على الفاتحين، وتوقفت هذه السياسة بعد تأسيس مراكش وبداية الدولة^(١٤). ولم يرد أن الأراضى التى فتحت بعد تأسيس مراكش خمست، والراجح أن الدولة المرابطية بدأت تتبع سياسة الإقطاع للجند من وقتئذ، ويبدو أن سياسة التخميس فالإقطاع ثم التعدى على أراضى بيت المال أفقدت الدولة المرابطية كثيراً من الأراضى، ولم تظهر آثار ذلك إلا فى إمارة على بن يوسف، فحاول زيادة أراضى الدولة بوسائل متعددة، على الرغم من إحترام المرابطين للملكية الخاصة بعد استتاب أمرهم^(١٥).

وورث الموحدون ملكيات عامة متناقصة، واتبعوا فى طورى الثورة والدولة سياستين مختلفتين، ففي مرحلة الثورة وجهت أفكار ابن تومرت الموحدون لاستقلال أراضى المخالفين، إذ طعن ابن تومرت فى المرابطين ورماهم بالكفر

وجعل غزوهم واجباً وكفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره حيث قام بتقسيم الغنائم التي غنمها من عساكر المرابطين بعد تخميسها على الموحدين، وسار عبد المؤمن بن علي، على نفس هذه السياسة لما فتح باقي المدن المغربية^(١٦). أما في طور الدولة فقد أكد الموحدون على احترام الملكية الخاصة وعدم التسلط على أموال الناس لأنه نقص للشرع، وسار خلفاء عبد المؤمن بن علي، على النهج ذاته في اجترامهم ملكية الخاصة^(١٧).

هذا وكان للأراضي في عهد المرابطين ديوان لإدارة الأراضي بفاس، حيث تركوا الأراضي في يد مشرف فاس "الجيانى" الذي بقى في منصبه دون انقطاع عندما استولى الموحدين على المدينة، ويبدو أن واجباته كانت متشعبة بالمكوس أو الرسوم المفروضة على البضائع، أى أن واجباته، كانت مالية^(١٨)، وكان يساعد المشرف في إدارة الأراضي شخص آخر أطلق عليه اسم الناظر^(١٩). ويبدو أن الموحدين اتخذوا فيما بعد ديواناً قائماً بذاته لإدارة أراضي الدولة، أطلق عليه اسم "ديوان المختص"^(٢٠).

الملكية الخاصة:

كان للاستقرار السياسى الذى شهدته فاس فى العصرين المرابطى والموحدى - باستثناء حركتى عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وعام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، وفترة الاضطرابات الأمنية التى صاحبت حملات الموحدين على الدولة المرابطية للقضاء عليها - أثره فى ظهور ملكيات خاصة، فكان هناك بستان خاص للسلطان بفاس^(٢١). كما كان لأهل المدينة والمهاجرين إليها من المدن الأخرى ملكيات خاصة، فأحمد بن الحسن القضاعي المتوفى عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م، كانت له ضياع وعقارات بفاس^(٢٢). كما نُسب إلى بيت بنى المزدغى بساتين خاصة بهم بفاس، وكان لبيت بنى على وبنى زنوبه جنان خاصة تعرف بهم^(٢٣). وكذلك كان لابن عطيه بستان خاص به^(٢٤). وأيضاً كان هناك بستانا خاصا لابن حيون^(٢٥). وكان للفقهاء ملكيات للأراضي بفاس، فالفقيه محمد بن عبود كان من أعيان فاس من أهل اليسار وله جنان^(٢٦). ولم تقتصر ملكيات الأراضي على عدد محدود من الفقهاء، إنما شملت جميع الأسر الكبرى التى عرفت بالعلم، وشغلت خطة القضاء، وما يلحق بها، فكانوا ينالون دنيا عريضة وأموال جليلة^(٢٧).

الأحباس (الأوقاف):

بالرغم من عظمة سلطان المرابطين والموحدين إلا أنهم لم يهتموا بالأحباس، فلم توقف أى من الدولتين شيئاً، بل كانت أصول الأحباس من الملكيات الخاصة وحدها، وكان أغلب التحجيس على المساجد والأولاد وعقبهم والنساء والمرضى والمساكين، ومع انتشار التصوف كثر التحجيس دلالة على الزهد والورع^(٢٨).

ويبدو أن أموال الأحباس بفاس كانت كثيرة، حيث بلغت أحباس مسجد القرويين عام ٥٢٨هـ / ١١٣٤م أكثر من ثمانين ألف دينار، يأتى أغلبها من غلة الأراضى المحبسة على هذا المسجد، ووردت إشارات فى العصر الموحدى يفهم منها أن الموحدين ضموا أموال الأحباس إلى بيت المال، فيقول ابن أبى زرع^(٢٩): "إن إصلاح مسجد القرويين فى عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م تم من بيت المال "على الرغم من أن أحباس المسجد كانت كثيرة، ولكن يبدو أن وكلاء الأحباس بالمسجد كانوا يأخذون أموال الأحباس دون وجه حق، ويحسبونها من أموالهم، ويصف لنا ابن أبى زرع تطهيراً قام به قاضى فاس الفقيه محمد بن داود فى عهد على بن يوسف المرابطى لوكلاء مسجد القرويين بفاس، حيث طالبهم بتلك الأموال، فخرجت عليهم أموال كثيرة فأغرمهم إياها، وتم عزلهم وقدم الأمير المرابطى مكانهم وكلاء يثق بدينهم^(٣٠). كما يصف ابن عذارى تطهيراً آخر قام به الخليفة يوسف الموحدى فى فاس عام ٥٧٩هـ / ١١٨٤م^(٣١).

الرى:

تعتمد مدينة فاس اعتماداً أساسياً فى رى زراعتها على مياه الأنهار حيث يشقها نهر سبو وهو نهر عظيم يتشعب فى داخلها أنهاراً وجداول وخلصانا فيسقى جنانها وبساتينها^(٣٢). هذا إلى جانب احتواء المدينة على العديد من العيون الطبيعية المتصفة بالغزارة، والتي توفر للمدينة الكثير من المياه بالإضافة إلى اعتماد المدينة على مياه الأمطار^(٣٣). ولكن الأمطار غير منتظمة فى أوقاتها أو تواليها، فقد تتوالى أياماً وشهوراً^(٣٤) وربما تحبس فى عام كامل أو أعوام متصلة، ومن هنا تظهر أهمية الأنهار ونوعيتها^(٣٥).

وكان لارتفاع الجبال المجاورة لفاس أهمية فى سقوط الأمطار وتكوين الثلوج على هذه المرتفعات، فنهر سبو الذى تُسقى منه مدينة فاس منبعه من جبال صنهاجة (بنى وارتين) وهى منطقة توزيع المياه فى المغرب الأقصى^(٣٦). وواضح أن

هذا النهر يعتمد على الأمطار اعتماداً كبيراً، لهذا نجده يمتلئ في موسم الأمطار، وقد تأتي سيولاً إن جاء الخريف والشتاء، ولهذا فالأنهار التي تعتمد كلياً على الأمطار تصبح عرضة لتقلبها^(٣٧). ومنذ عصر المرابطين عرفت مدينة فاس عملية حضارية تم بها تقسيم وتوزيع مياه نهرها، وذلك داخل نطاق ما أحدثه هؤلاء فيها من مآثر حضارية لتنظيم ريفها^(٣٨). كما كان لعيون فاس الأهمية الكبرى في الاستفادة منها بتغذية الأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو استخدامها بديلاً في الزراعة أو الشرب^(٣٩).

وعمل المرابطون والموحدون على توفير المياه بسحب مياه الأنهار والعيون أو حفر المخازن^(٤٠)، لحفظ مياه الأمطار لمواجهة قلة المطر، حيث حفظ الموحدون المياه بفاس في مخازن (برك وصهاريج) فأقام المنصور الموحدى عدداً منها في فاس، ويبدو أن هذه المخازن كانت كبيرة، فطول مخزن بستان البحيرة بفاس مائتان وستة عشر ذراعاً، وهناك ما هو أطول من ذلك^(٤١). كما تم حفر الآبار حيث عرفت المدينة بها، ولا شك أن هذه الآبار حفرها الأهالي بعدوة الأندلس التي وُصفت بأن ماءها قليل^(٤٢)، فحفرت الآبار عبر العدوة كلها حيث يوجد الماء قريب من السطح بحيث يستقى منه في عدة أماكن بسهولة^(٤٣). وعمل المرابطون والموحدون على الاستفادة من مياه الأنهار والعيون والآبار وتوصيلها إلى البساتين بوسائل متعددة .. وكانت الروافع من سواقي تعد من أكثر وسائل الري انتشاراً في مدينة فاس حيث كان في كل زقاق ودار صغيرة أو كبيرة ساقية^(٤٤). ومع اهتمام الموحدين بالزراعة شهدت فاس في العصر الموحدى جهوداً كثيرة لتوفير المياه، حيث جلبوها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة^(٤٥).

الحاصلات الزراعية بمدينة فاس:

تمتعت مدينة فاس بتربتها الخصبة حتى وصفت بأنها من أخصب الجهات^(٤٦)، حيث وفر لها نهر سبو تربة فيضية خصبة، بالإضافة إلى اعتدال مناخها وانقسام سطحها إلى مناطق ذات ارتفاع وانخفاض، وهي في مجملها عوامل جعلتها من المناطق الزراعية المهمة، "فأزدهرت أشجارها وطابت ثمارها وأخصبت زروعها"^(٤٧) مما وفر للمدينة ما يلزمها من منتجات زراعية، ومن أهم حاصلات فاس الزراعية نذكر:

الحبوب الزراعية:

وُصفت مدينة فاس في العصرين المرابطى والموحدى بأنها مخضرة كثيرة الزرع والحرث، فالقمح والشعير والخضر والبقول بها كثيرة، حيث تنتشر زراعة الفول

والحمص والعدس والسلت وغير ذلك، والأرز والسمسم اللذين كان السكان يقومون بزراعتهما بكميات قليلة^(٤٨). وتتوفر هذه الزروع بفحص (منطقة) المصاراة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين^(٤٩)، كما كان يوجد في غرب المدينة حقول واسعة بها كميات كبيرة من الخضر والبقول بسبب تعدد السواقي هناك، وكثرة العيون فيها، حتى أنها كانت تكفي المدينة كلها^(٥٠).

كما كان يوجد في منطقة جبل زلاغ - على بعد خمسة فراسخ من فاس - حقول كثيرة صالحة للزراعة، تسقى بماء النهر بواسطة الناعورات وكان يعمل في هذه الحقول سكان الجبل، ويمتلك أعيان فاس أكبر حصة من أراضيهم في هذه المنطقة وانتشرت حقول القمح الواسعة في سهل الجبل المطل على فاس من ناحية الشرق .. وفي غرب فاس حيث سهل الساييس .. وأمدت منطقتي أزغار^(٥١) وبنى ومود^(٥٢) مدينة فاس بالكثير من غلال القمح التي كانت تحصد بهما^(٥٣).

ودعت وفرة الإنتاج من القمح بمدينة فاس إلى عمل "مخازن لتلك الغلال التي يوجد بداخلها مطامير القمح، وهي مجموعة في مكان واحد يستدير بها سور منيع عليه باب محكم القفل"^(٥٤). ويتضح لنا من خلال هذا النص أن الدولتين المرابطية والموحدية نظمتا عملية الاستفادة من المحصولات الزراعية، كما يتضح لنا وسائل حفظ الغلال في العصور الإسلامية والتي كانت عبارة عن مطامير من الطين، ولا شك أن هذه المخازن قامت بدورها الفعال عندما كانت تتعرض المدينة للمجاعات.

ولم يقتصر حفظ الغلال على الدولة فقط، بل كان الأهالي يقومون بتخزين هذه الغلال، فالفقيه محمد بن إبراهيم المهدوي المتوفى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٩م كان عنده ألف وسق^(٥٥) من القمح، فلما أصاب أهل مدينة فاس مجاعة قام ببيع هذه الغلال إلى المحتاجين وأغرهم بالثمن إلى أجل^(٥٦). وخزن أبو زكريا يحيى إنتاج زراعته من القمح عام ٥٧١هـ / ١١٧٦م في غرفتين تصدق بهما على المساكين عندما اشتدت المجاعة^(٥٧). ويتضح من مثل هذه التراجم التي أوردتها المصادر وفرة إنتاج القمح بمدينة فاس وامتلاك الأهالي لكميات كبيرة منه. لذلك كله وصفت الحنطة بفاس بأنها رخيصة الأسعار دون غيرها من البلاد القريبة منها^(٥٨).

الزيتون:

كانت زراعة الزيتون منتشرة بفاس قبيل عصر المرابطين الذين زادوا في زراعته فكثر بالقرب من عدوة القرويين أشجار الزيتون^(٥٩). وشجع الموحدون على

زراعته فى مناطق جديدة واهتموا بغراسته اهتماما فائقا^(١٠) فعندما ولى محمد بن
وأجاج مدينة فاس فى عصر الموحدين غرس بمدينة فاس وبالمقرمه منها
بحيرات^(١١). أكثر غراستها من أشجار الزيتون، ويبدو أن هذه المساحات المزروعة
كانت كبيرة حيث بيع حب زيتون بحيرة فاس فى عام بخمسة وعشرون ألف
دينار^(١٢).

كما زرعت تلال جبل زلاغ وزرهون، والجبال المطلة على فاس من جهة
الشرق ومنطقة بنى مزلده^(١٣)، وبنى ومود بكميات كثيفة ومساحات شاسعة من
أشجار الزيتون^(١٤).
القطن والكتان:

زرعت فى غرب مدينة فاس مساحات واسعة من القطن والكتان، فى
الحقول والسهول والهضاب المجاورة للمدينة وكونت حزاما حولها، وهذا التوسع
فى مثل هذه الزراعات كان نتيجة طبيعية لجودة التربة وإمكانيات السقى الهائلة^(١٥).
البساتين والحدائق:

فى العصرين المرابطى والموحدى ازداد الاهتمام فى فاس بالحدائق
والبساتين بشكل لم تشهده المدينة من قبل، فوصفت المدينة بالحدائق الملتفة
والبساتين الكبيرة العامرة والجنان الكبيرة والرياح^(١٦). واشتملت فاس على بساتين
متنوعة وثمار شبهت فى كثرتها ببساتين دمشق^(١٧) وتمتد هذه البساتين الجميلة إلى
خارج باب بنى مسافر من أبواب عدوة الأندلس بفاس فى موضع يعرف بمرج قرقة
تثمر فيه الأشجار مرتين فى كل سنة، فىأكل كل الناس التفاح والكمثرى بالمدينة
صيفا وشتاء^(١٨). كما تمتد هذه البساتين فيما بين باب الحديد وباب الشريعة فى
مسافة أكثر من فرسخ يتخللها نهر فاس الذى يخرج خارج المدينة عبر حدائق جميلة
حتى يصب فى نهر سبو، وفى جهة الشمال توجد بساتين وعيون الزنجفور، وفى جهة
الغرب والجنوب توجد مجموعات البساتين ذات الأشجار المثمرة، كالليمون الحلو
والحامض والصبر، كما يمتلى سفح جبل زلاغ بالبساتين^(١٩).

وبفاس أصناف الفواكه التى لا توجد فى غيرها من البلاد إلا متفرقة فى
أقاليم شتى، فى حين توجد بفاس مجتمعة فى غاية الحسن والطيب، واختصت
بساتين عدوة القرويين بالرمان السفرى الذى ليس فى المغرب مثله حلاوة ولده،
والخوخ والجوز والعنب والسفرجل والاترج، وسائر الفواكه الخريفية التى تأتى من
عدوة القرويين فى نهاية من الطيب والحسن والحلاوة، فى حين تختص عدوة

الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية، وطيبها كالتفاح الطرابلسي الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ولذة طعمه، والتفاح وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت، كل ذلك فى غاية الطيب والحسن^(٢٠).

وشملت هذه البساتين أيضا على أنواع من العنب^(٢١)، الذى تميزت زراعته بوفرة الإنتاج، وكان يوجد بالمدينة جبل يسمى جبل العنب على بعد نحو ميلين منها، وقد عرف بهذا الاسم لأنه كان يوجد بسفحه كثير من أشجار العنب والكروم والغزيرة^(٢٢). كذلك كانت الجبال التى تقع شرق فاس تنتج كميات كبيرة من العنب، حيث تغرس فيها كميات هائلة من أشجار الكروم وبعض الأشجار المثمرة، كما كانت كل جبال الواجهة المطلة على فاس من ناحية الغرب تنتج الكثير من العنب حيث تكسوها أشجار الكروم ولكن عنبها وما تنتجه هذه المنطقة من فواكه أخرى لم يكن له طعم طيب^(٢٣).

واشتملت هذه البساتين أيضا على أنواع من التين الطيب^(٢٤). حيث تكون باكورته فى منتصف شهر مايو، وفى بداية شهر يوليو يوجد (الآجاص) الكمثرى والتفاح والخوخ والمشمش وسائر الفواكه، وعند دخول شهر سبتمبر تكون جميع أصناف الفواكه ناضجة^(٢٥).

وكانت أشجار بعض هذه الفواكه تحتاج إلى تربة ذات خصائص معينة، فجادت فى مناطق، فى حين فسدت فى مناطق أخرى، حيث جادت أشجار التفاح المعروف بالطرابلس والذى يوصف بأنه حلو جليل حسن الطعم له غلة، بعدوة الأندلس فى حين أجريت عليه التجارب لزراعته فى عدوة القرويين فلم يصلح بها وجادت زراعة الاترج بعدوة القرويين، فى حين فشلت زراعته بعدوة الأندلس^(٢٦).

واحتوت هذه البساتين على أنواع مختلفة من الورود والأزهار والرياحين مثل الياسمين وغيره، التى تعطر الهواء فى الصيف حتى يخيل للمرء - على حد قول مارمول - أنها جنة على وجه الأرض^(٢٧). ويضيف ابن القاضى المكناسى أن الأزهار الموجودة بفاس كثيرة لدرجة أنه لا يشق على أحد شئ من أنواعها إذا طلبه^(٢٨).

وعملت الدولة الموحدية على التوسع فى هذه البساتين حيث تذكر المصادر بستان البحيرة الذى وصف بكبر مساحته، حتى بلغ متحصلة فى العام الواحد خمسة وأربعين ألف دينار، كما استصلحت مناطق جديدة وتمت زراعتها بالبساتين، مثل بستان ابن حيدر، الذى يشقه نهر فاس والذى لا يدرى أحد بسبب

كمر حجمه ما انفق فيه من العرس والسيان والحجارة والزخرفة^(٨٩). هذا بالإضافة إلى زراعة نباتات أخرى في شرف فاس مثل اليايونج والكروبا والحناء^(٩٠). إلى جانب الأعشاب الطبية الأخرى النافعة المذكورة في كتب الأعشاب الطبية^(٩١).

وانتشرت بمدينة فاس الغابات، فكان بها المحطب في جبل مبي بازغة واشتمل هذا المحطب على أنواع من شجر البلوط، كما انتشرت بالمدينة غابات الارز، هذا إلى جانب الأشجار الكبيرة التي شكلت غابة كثيفة من جميع الجوانب^(٩٢).

الثروة الحيوانية:

ربى أهل فاس كثيرا من الأبقار والأغنام والجمال والبغال^(٩٣). أما بالنسبة للدواجن فقد رعى السكان أنواعا كثيرة من الأوز والحمام والدجاج حيث اهتموا بتربية الدجاج وحمائته في أقفاص كبيرة^(٩٤).

أما صيد السمك فكان للأنهار أثر كبير في تزويد المدينة بثروة سمكية، حيث مارست طائفة من السكان مهنة الصيد، ففي النهر الذي يمر بمدينة فاس أنواع كبيرة من الأسماك، ذكرها ابن أبي زرع والجزنائي، حيث يخرج من هذا النهر أنواع من الحوت اللبیس والبورى والسيناخ واليوقه ووصفت هذه الأنواع بأنها لذيذة الطعم، كثيرة المنفعة^(٩٥). وتميز نهر سبو بأسمائه ذات الأوزان الكبيرة حتى أن بعضها كان يزن قنطارا أو أزيد، وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى الأنواع المختلفة من الأسماك بهذا النهر بقوله: "ويتصيد في هذا الوادى الشابل الكبير والحوت، كما يتصيد في بعض الأحيان البورى الكبير، وذكر الثقات أنه بيع واحد منه بثلاثة عشر درهما والرطل الكبير منه بدرهم ونصف، كما يصل إلى فاس الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب يحمل الحمار، وبه أنواع اللبس والشولى"^(٩٦).

ثانيا: الصناعة:

يذكر ابن خلدون: "أن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش .. فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه". وضرب ابن خلدون المثل بمدينة فاس في تقدم ووفرة صاعاتها^(٩٧) تلك المدينة التي رتب فيها المحترفون بالحرف أحسن ترتيب، حيث نزلت كل قبيلة من سكانها في موضع يقترب من الحرفة التي تناسها، وأمر مؤسسها بأن لا تحترف قبيلة بما تحترف به الأخرى، فكان

فى كل موضع حرفة لا يختص إلا بها^(٨٨). وبذلك توزع سكان المدينة على أساس المهن والحرف التى يحترفونها.

وفى الفترة المرابطية كان على رأس كل مهنة من هذه المهن المختلفة رئيساً يسمى الأمين^(٨٩)، أو الرئيس أو المقدم أو العريف^(٩٠)، ويكون تعيينه عادة من قبل القاضى أو المحتسب، وواجبه حل المشكلات بين أهل صناعته بالرجوع إليه عند الخلاف، كما يعمل على مساعدة الدولة فى كشف أساليب مكر الصناع وغشهم ومراقبة الإنتاج و - ودته، ولهذا يتعين أن يكون من أهل الحديق فى مهنته^(٩١).

وفى العصر الموحدى كان رئيس الصناعة غالباً ما يدعى أميناً^(٩٢). وصارت مدينة فاس من أهم المراكز الصناعية، حيث شهدت تقدماً صناعياً فى عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين، وقد وصفها ابن سعيد المغربى بقوله: "هى مدينة من خواص المغرب، مليئة بالصنائع الغربية"^(٩٣).

وقامت الصناعة بمدينة فاس على دعائمين أساسيتين، الأولى توفر المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية، الثانية هى توفر الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، حيث اكتسب الصناع خبرتهم نتيجة المهارات التى تجمعت لديهم عبر السنين، كذلك نتيجة للهجرات المبكرة التى شهدتها فاس من إفريقية والأندلس، واختلاط المهاجرين بالسكان مما نتج عنه تنوع الخبرات.

ومثلت الحرف القاعدة الإنتاجية للمدينة، فقد كان الحرفيون يقومون بدور بارز فى تنشيط حياة المدينة الاقتصادية، وذلك بتحويل المواد الأولية الفلاحية والمعدنية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق^(٩٤).
صناعات النسيج:

منذ بناء المدينة كانت توجد بها - حسب المخطوط الذى يؤرخ للطوائف الحرفية بالمدينة - أسواقاً للقطن والكتان، وزقاقاً خاصاً بمحلات الحياكة^(٩٥). وكل هذه دلائل تبرهن على التوسع فى صناعة النسيج. تلك الحرفة التى أسهمت بعض العوامل فى تطوير صناعتها، وجعلتها تحتل مركز الصدارة بين أنشطة المدينة الاقتصادية، فقد كانت فاس ذات أهمية إدارية وسياسية بارزة، كما كانت دائماً تمثل تجمعا حضريا ضخما يضم أعدادا هائلة من السكان، ومدينة تجارية ذات إشعاع إقليمى، فكانت هذه الظروف تحتم توفير الأنواع المختلفة من الملابس والأثاث، لسد حاجات ومتطلبات السكان والمبادلات التجارية، فليس غريباً أن تقوم فاس بدورها الفعال فى تطوير صناعة النسيج فى المغرب الإسلامى^(٩٦).

وبملاحظة مدى اهتمام المرابطين والموحدين بالتوسع فى زراعة القطن والكتان^(٩٧). يتضح أثر ذلك فى تقدم هذه الصناعة، التى بلغت أوج ازدهارها فى عهد الموحدين، إذ تذكر المصادر التاريخية المهمة بتاريخ المدينة نقلا عن مشرفها فى أيام الخليفة الناصر الموحدى عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م تعدادا بلغ ٣٠٦٤ موضعا من الأطرزه المعدة للحياكة^(٩٨). وإن كان هذا الإحصاء قد تم فى عهد الموحدين إلا أنه كانت هناك أطرزه مشيدة من العصر السابق للموحدين، ويوضح لنا هذا التعداد مدى الأعداد الغفيرة التى كانت تعمل فى مثل هذه الدور، وما يتطلب ذلك من مستلزمات صناعية، حيث كانت العمليات السابقة على نسج القطن تشغل نسبة كبيرة من الصناع^(٩٩).

وكان لتوفر الكتان بمدينة فاس أثره فى ازدهار صناعة النسيج الكتانى الذى كان له أماكن خاصة بالمدينة^(١٠٠)، مثل صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التى كان يتم تبطينها، والتى كانت تستخدم فى تغطية الشوارع وصحون المساجد من الشمس، مثل ما استخدم فى تغطية صحن جامع القرويين^(١٠١). كما ازدهرت صناعة النسيج من القطن، مثل الأشرطة والشربات التى تعلق بالركابات على صدور الخيل مع السروج، كما انتشرت حرفة الخياطة وتبييض الخيط فى درب القطان وسوق القطنيين اللذين كانا لهما شهرة بفاس^(١٠٢). إلى جانب ذلك كانت هناك صناعة الحرير، حيث كانت طرازات الحراريين بفاس كثيرة^(١٠٣).

وارتبطت حرفة الغزل بصناعة النسيج أيضا، فكان بفاس ١٤١ دارا خاصة بالغزل^(١٠٤). وكانت كميات الصوف المطلوبة لتمويل هذه الحرفة تأتي عن طريق الرعاة المحليين، كما كان من اليسير نقل هذه الأصواف من الجهات الأخرى المعروفة بتربية الأغنام^(١٠٥). حيث يعالج فى المبيضات التى كانت منتشرة بداخل المدينة وخارجها^(١٠٦). وكانت العمليات الأولية السابقة للغزل تقوم بها النساء فى المنازل حيث يقمن بتدليك الغزل بالماء ليتحسن وجهه ويزيد من وزنه، لذلك أمرت كتب الحسبة بتبييض الغزل فى الشمس وكانت الكميات التى تقوم بغزلها النساء كبيرة، بحيث يتمكن من بيعها وشراء مستلزمات منزلية أخرى^(١٠٧).

وتنوعت الملابس بفاس فكان منها الكتانى والقطنى والصوفى والحريرى^(١٠٨) وعرفت المدينة فن صباغة الأقمشة، تلك المهنة التى ارتبطت أيضا بصناعة النسيج ارتباطا وثيقا، فيذكر ياقوت الحموى أن "بفاس كان يصبغ الأرجوان والأقمشة القرمزية"^(١٠٩). وكانت عملية الصباغة تتم بعد أن يقوم الصباغون بغسل

الأقمشة التي يريدون صبغها في ساقية^(١١٠). وراقب المحتسبون هؤلاء الصباغين الذين نهوا عن الصبغ بالمثلث في لون أخضر ولا بالبقم^(١١١) في لون سماوي، فإنها دلالة يتحول معها اللون سريعا، كما تفقد هؤلاء المحتسبون ما يصبغ هؤلاء من قمماش البز والكتان^(١١٢).

وبذلك كان لمدينة فاس منذ تأسيسها وخلال كل العصر الوسيط حظا كبيرا من صناعة النسيج في المغرب الأقصى، ولا شك أن ذلك شارك بفاعلية في تحريك وازدهار اقتصادها^(١١٣).

صناعة الورق:

كان الورق يصنع في المغرب من القطن والكتان^(١١٤). وصناعة الورق - على حد قول ابن خلدون - من توابع العمران، واتساع نطاق الدولة حيث التأليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق^(١١٥) فكانت مدينة فاس منذ عصر المرابطين وخاصة أيام علي بن يوسف بن تاشفين مركزا للوراقة، حيث كان بها ١٠٤ معملا لعمل الكاغد (الورق) وهذا يدل على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرق في المغرب منذ العهد المرابطي^(١١٦). ووردت ترجمات لشخصيات فاسية احترفت صناعة الورق مثل أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هشام اللخمي المولود في فاس ٤٢٨هـ / ١٠٩٥م، سكن مصر، ووصف بأنه ناسخ يعيش من الوراقة، كما ذكر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الصغير المتوفى بمراكش عام ٥٢٣هـ / ١١٢٨ - ١٢٩م، والذي سكن فاس والتمزم حرفة الوراقة في حانوت غرب جامعها^(١١٧). حيث حي الكتادين الذي اشتهر سكانه بصناعة الورق^(١١٨). وهذا يجعلنا ننفي ما ذكره عز الدين موسى^(١١٩)، من أن فاس كانت من ضمن المراكز الجديدة لصناعة الورق في العصر الموحدي. فهي لم تكن من المراكز الجديدة في هذا العصر، بل عرفت هذه الصناعة منذ العصر المرابطي، وأن بلغت فيها صناعة الورق شأوا كبيرا في العصر الموحدي حيث كانت بها معامل كثيرة تنتج ورقا جيدا، بلغت أربعمائة معملا لصناعة الورق^(١٢٠). ونظمت هذه الصناعة بحيث يتم اختيار الخرق وتميزها وتنضبط وتنظف من جميع الشوائب^(١٢١). فيكون أجودها ما صفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنه^(١٢٢).

وهذه الصناعة كانت المادة الأصلية الفعالة في نشر الثقافة، وكانت سيدات فاس يقمن بالمشاركة في تلك الصناعة ويتقنها، واشتهرت بصناعة أوراق (البسطيلية) التي تدل على المهارة في صناعة الورق^(١٢٣).

وبعد العصر الموحدى، العصر الذهبى لصناعة الورق فى المغرب بصفة عامة، ومدينة فاس بصفة خاصة، ومما يدل على انتشار هذه الصناعة بمدينة فاس أن مكتبة أحد قضاة فاس من بنى الملجوم كانت كلها من الورق لدرجة بيعت فيها كتبه غير المجلدة بستة آلاف دينار^(١٢٤). مما يدعو إلى القول بأن الطلب على الورق قد ازداد، ومن ثم كثر الإنتاج، خاصة وأن المواد الخام قد توفرت خلال القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وربما يرجع السبب فى ازدهار صناعة الورق إلى عاملين. أولاً: أن المغرب الأقصى قد أصبح مركز القيادة السياسية والإدارية، والدولة تحتاج إلى الورق لتقيد شؤون الإدارة، خاصة المالية منها، كما أن القيادتين المرابطية والموحدية قامتا على رسالتين دينيتين، فكثيراً ما استخدمت الرسائل للدعاية السياسية. ثانياً: عظم الاهتمام بالكتب، وأصبحت البلاد سوقاً جديدة له، ويؤكد ذلك ما لقيته صناعة الورق والنسخة من ازدهار والمكتبات الخاصة من انتشار، وما حظيت به الكتب من عناية^(١٢٥). ونضيف إلى العاملين السابقين، انتشار مكاتب العدول - التوثيق - التى كانت تحرر فيها جميع أنواع العقود والشروط سواء ما تعلق منها بالمدينة أو البادية^(١٢٦).

وقامت على صناعة الورق عدة صناعات أخرى كانت مكملتها، ومن هذه الصناعات، صناعة السقير أو التجليد، وقد اهتم المسلمون فى المغرب والأندلس بهذه الصناعة اهتماماً كبيراً، وصنفت الكتب التى تصف هذه الصنعة وتتحدث عنها مثل "كتاب التيسير فى صناعة التسفير" لأبى بكر بن إبراهيم الأشبلى، نزيل فاس ومراكش والمتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م^(١٢٧).

وفتحت صناعة الورق لأهل فاس مهن أخرى أقبل عليها أهل المدينة مثل حرفة النسخ، حيث كان يقوم بها عدد من الفقهاء والعلماء الفاسيين وبلغوا فيها شأواً كبيراً، حتى وصف بعضهم ببراعة وحسن الخط، وما لزم هذا من زخرفة وتزيين وتذهيب^(١٢٨). وكان البعض يعتمد فى معيشته على هذه المهنة، والتى يبدو أن العمل بها كان يمتد حتى ساعات متأخرة من الليل كان يتم النسخ أثناءها على ضوء السراج، ويبدو أن هذه المهنة لم تكن تدر المكاسب الكبيرة على المشتغلين بها^(١٢٩).

وكان لاحتراف هذه المهنة الأثر الكبير فى الاحتفاظ بالعلوم المنسوخة الكثيرة، فعقيق بن على الصنهاجى الحميرى المكناسى ثم الفاسى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م من السابقين الأولين فى هذه الصناعة، كتب بخطه علماً كثيراً، ومحمد بن جرير المعروف بابن تاخمست الفاسى، المتوفى عام ٦١٨هـ/ ١٢١٢هـ

كان له خط حسن ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلها لها ابتغاء الثواب، كما كتب محمد بن سعيد الطراز المتوفى عام ٦٤٥هـ / ١٢٥٠م بخطه كثيرا من العلوم^(١٢٠).

طحن الغلال:

ومن الصناعات التي كانت تقوم على الإنتاج الزراعى، طحن الغلال فقد كان لوفرة الإنتاج من القمح والشعير، ووفرة المياه فى مدينة فاس أثره فى أن ينشئ أهل المدينة الأرحاء المائية بأعداد كثيرة^(١٢١). وبلغت هذه الصناعة ذروتها فى العصر الموحدى حيث عدت الأرحاء التي كانت بداخل سور مدينة فاس فوجدت ٤٧٢ رحى، وذلك سوى ما كان بخارج الأسوار^(١٢٢). حتى وصفت بأن أحجارها كانت طاحنة^(١٢٣)، حيث كانت تعمل جميع هذه الأرحاء التي تبلغ الواحدة منها أربع أو خمس عجالات وأحيانا ست عن طريق المياه التي وفرها لها النهر الذي يخترق المدينة، وخصص بعض هذه الطواحين لطحن قمح المنازل، والبعض الآخر يملكه طحانون أو خبازون يبيعون الدقيق بالتقسيط إلى الصناع وغيرهم من الذين ليست لديهم وسيلة لشراء القمح، وتخصص البعض الآخر فى طحن القمح للسكان فى مقابل مال أو دقيق^(١٢٤).

وقامت على صناعة طحن الغلال، صناعة الخبز فكان بفاس فى العصر المرابطى والموحدى أماكن مخصصة لخبز العيش، بلغت هذه الأماكن فى العصر الموحدى ١١٧٠ فرنا متفرقة فى جهات المدينة وأزقتها^(١٢٥)، ووصفت هذه المخابز بأنها شاحنة^(١٢٦)، حيث كان الأهالى يحملون خبزهم إلى هذه الأفران فتتم هناك صناعته^(١٢٧).

صناعة الزيوت والصابون:

بالرغم من قلة إنتاج السمسم، إلا أنه كان يستخلص منه نوع من الزيوت اسمه شيرج، خصص للذين يصف لهم الأطباء أكله^(١٢٨)، كما استخلص الزيت من شجر الارقان^(١٢٩). ونظرا لموقع فاس القريب من الأراضى المزروعة بالزيتون، فإن أحمال الزيتون كانت تتجه إليها يوميا، وذلك حتى يقوم الصناع باستخراج زيت الزيتون منه^(١٣٠)، عن طريق "العصر أو الطحن أو الغلى"^(١٣١) حيث كثرت معاصر الزيتون، وتحول الناس إليه بعد اهتمام الموحدين بزراعته^(١٣٢). وأدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت خلال العصر الموحدى إلى ازدهار صناعة الصابون فى فاس، التى كان فيها فى عهد المنصور الموحدى ٤٧ دارا لصناعة الصابون^(١٣٣). والذي كثر

إنتاجه لدرجة أنه كان يباع فى حوانيت عديدة، ويظهر أن لونه كان أسود وهو نوع لا يوجد غيره بأفريقية^(١٤٤).

صناعة ماء الورد:

اشتهرت فاس بأنواع من الأزهار لا توجد فى غيرها من البلاد، منها الرتد والياسمين والأزهار العطرية والرياحين، وأنواع من الورد الكثيرة^(١٤٥). مما شجع على ازدهار صناعة ماء الورد، وقد أعطى الطغرى وصفا دقيقا لهذه الصناعة فوصف القرن ومقاييسه وطريقة التقطير وحفظ الإنتاج، وتطبيبه بالمسك أو الشب أو الكافور ونسب ذلك^(١٤٦). ولكن يبدو أنه كان من الصعب صناعة العطور بكثرة من هذه الورد والأزهار، لذا كان أهل فاس يجلبون أنواعا من العطور الهندية^(١٤٧).

الصناعات الخشبية:

شهدت فاس تقدما واسعا فى الصناعات الخشبية، حيث كان للأوضاع السياسية والضرورات العسكرية أثره فى التوسع فى هذه الصناعة، فأنشأ الخليفة عبد المؤمن بن على دار صناعة السفن بالمعمورة فى منطقة الجبال قرب مدينة فاس^(١٤٨). حيث تتوفر فى هذا المكان غابات تحتوى على كميات كبيرة من أشجار البلوط العالية، كما يحمل الحطب إليها من الجهات المجاورة^(١٤٩). وبلغ التوسع فى صناعة السفن لدرجة أنه قد صنعت بهذه الدار مائة وعشرون قطعة من السفن الحربية، كما كانت هذه الدار تصنع السفن الصغيرة التى كان يستخدمها أهل فاس للصيد فى نهر سبو^(١٥٠).

كما أن عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت فى هذا العصر قد تركت أثارا كبرى فى تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية. وكانت السقوف الخشبية تغطى بالقصدير والأصباغ الملونة، والأبواب تغطى كلها بالنحاس الأصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصندل والنانج والعناب وأصناف الخشب العظيم، مثال ذلك منبر جامع القرويين بفاس الذى صنعه المرابطون، وقد ورد فى المصادر أسماء بعض ممن برع من أهل فاس فى العصرين المرابطى والموحدى فى مثل هذه الصناعات أمثال: أبو يحيى العتاد، وابن مسعود البنائى الذى كان أعرف الناس بالنجارة^(١٥١).

واشتهرت مدينة فاس أيضا بصناعة المخروطات الخشبية التى كان لهم حسن صنعة فيها^(١٥٢). فأزدهرت صناعة المحاريث وعجلات العربات، وعجلات أخرى كبيرة

للطواحين أو لرفع الماء، وأيضا صناعة المكاييل الخشبية لكيل القمح والغلات الأخرى^(١٥٣).

كما انتشرت صناعة المزامير، والعيدان، والروط، والأربية، من الأخشاب^(١٥٤). وتتطلب كل هذه الصناعات كميات كثيرة من الأخشاب لذا كان يدخل مدينة فاس من خشب الأرز كل يوم مالا يحصى^(١٥٥).

صناعة دبغ الجلود:

اشتهرت مدينة فاس بصناعة دبغ الجلود^(١٥٦). تلك الصناعة التي تقوم أساسا على جلود الضأن والبقر والماعز، وكانت هذه الصناعة عظيمة الانتشار لدرجة أن الإنتاج المحلى من الجلود بالمدينة لم يعد يكفي لها، مما دفع أهل فاس إلى جلبها من المناطق المجاورة^(١٥٧).

وتمر عملية دبغة الجلود بعدة مراحل، حيث تخضع الجلود أولا لعملية نزع الصوف أو الوبر، وعرف القائمون على هذا الأمر باسم الشعارين والصوافين^(١٥٨). وكانت هذه العملية تتم في أماكن خصصت لها أقيمت خارج المدينة قريبة من مجارى المياه، ومما يجدر ذكره أنه كانت هناك اختصاصات لدور الدبغة حيث أن بعضها كان مختصا بدبغة جلود الضأن والماعز، وأخرى مخصصة لجلود البقر، وكانت تتم في هذه الدور صناعة الجلود الناعمة^(١٥٩). وعظمت صناعة الدبغة بفاس، وبلغت أوجها في العصر الموحدي، حيث كان في أيام المنصور الموحدي ٨٦ دارا للدبغة^(١٦٠) وعند نهاية عملية الدبغة تعرض الجلود للبيع، فتأتى حرف أخرى، ومحترفون آخرون لشراء هذه الجلود^(١٦١). ويذكر عز الدين موسى أن مدينة فاس كانت من ضمن المراكز الجديدة لصناعة الدبغة في العصر الموحدي^(١٦٢) ولا نوافق موسى فيما ذهب إليه، بل أن صناعة الدبغة بفاس كانت منتشرة قبل العصر الموحدي، ولم تكن كثرة الدور الخاصة بهذه الصناعة نتاج العصر الموحدي وحده.

وارتبطت بصناعة الدبغة، صناعة الصبغة القائمة على صبغة الجلود وقد بلغت فاس شأوا بعيدا في فن الصبغة في العصر الموحدي، ويبدو أن القائمين على هذه الحرفة كانت أعدادهم كبيرة، وقد بلغت دور الصبغة بفاس ١١٦ دارا، وعادة ما تكون أماكن هذه الدور على الأنهار، حيث أنها من الصناعات التي تحتاج إلى مياه كثيرة^(١٦٣).

وبرع أهل فاس في الصناعات الجلدية مثل أكياس النقود، وأحزمة الجلد المزخرفة بالحرير الملون، ونوع من الأزمة المذهبة لقيادة الخيل، كما كان

الاسكافيون يصنعون أحذية مطرزه، إلى جانب الإخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحريز^(١١٤). وظهر نوع منها يسمى الاقراق يباع مع أدوات الموسيقى، هذا إلى جانب الدفوف^(١١٥). كما كانت تصنع الأغشية من الجلود مثال ذلك غطاء منبر جامع القرويين الذى صنع من أغشية جلود الماعز^(١١٦).

الصناعات المعدنية:

شهدت مدينة فاس تطورا كبيرا فى الصناعات المعدنية فى العصرين المرابطى والموحدى، فتم كشف بعض المناطق التى تتوفر بها المعادن، والعمل على استخراجها، والاستفادة منها.

فعلى بعد ستة أميال من فاس، تم اكتشاف معدن الملح، وعملوا على استخراجها من ملاحه طولها ١٨ ميلا، عرفت فيها أصناف من الملح الأبيض، يذكر بعض المؤرخين أنه لا يوجد فى معمورة كرة الأرض مثله، ووصفت كمياته بأنها كثيرة جدا يباع عشرة أصواع بدرهم وأقل أو أكثر بحسب ما يجلب^(١١٧).

وعمل أهل فاس على الاستفادة من النهر الذى يمر بالمدينة، فاستخرجوا منه "الصدف الحسن الذى يقوم مقام الجواهر النفيس، تباع منه الحبة بمئقال من الذهب أو أقل أو أكثر، وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه"^(١١٨). واستخرجت الفضة والحديد والنحاس من معدن قرب فاس يسمى معدن عوام الشهير "فاشتهرت فاس بنحاسها الأصفر"^(١١٩). وتقدمت المدينة فى الصناعات الحديدية والنحاسية، فكان لأهلها اليد الطولى فى صناعة المخروطات النحاسية^(١٢٠). ولئن بدأت هذه الصناعة فيها خلال العصر المرابطى، فقد بلغت كامل ازدهارها فى العصر الموحدى، خاصة أن المعادن المكتشفة قد ساعدت على مضاعفة الإنتاج، حتى أصبحت فاس مركزا للصناعات المعدنية فى المغرب الأقصى، فكان بها ١٢ دارا لصناعة النحاس والحديد^(١٢١).

وتعددت أسواق الحدادين بفاس لحاجة المجتمع لمزيد من المصنوعات الحديدية من مسامير وسكاكين وسيوف، وركاب خيل، وأبر وأدوات الخياطة وأدوات أخرى عسكرية ومدنية، ومن الملاحظ أن أعمال الحدادة لم تكن تقتصر على حرفتها فقط، بل كانت تتعداها إلى أعمال أخرى، فاشتغال النجارة وأعمال البناء متوقفه أحيانا على اشتغال الحداد الذى يتناول منها جانبا خاصا وهو ما يتعلق بحرفته المرتبطة بالحديد^(١٢٢).

ومما يدل على تقدم الصناعات خاصة فى مجال المعمار فى العصر الموحدى استخدام الحديد فى تنصيب رسومات المساجد على أعمدة من حديد فوق القبة، وعند زيادة إنتاج النحاس تحولت عملية تنصيب هذه الرسومات على أعمدة من نحاس، كما استخدم الحديد والنحاس فى صناعة الأنابيب لسحب المياه إلى المدن أو توزيعها فيها، وتم استخدام الرصاص فى صناعة القواديس الخاصة بالبيلة والخصه^(١٧٣). بجامع القرويين كما استخدم الرصاص فى تلبيس الصهاريج، وفى صناعة قواديس لجر المياه^(١٧٤). كما استخدم النحاس فى صناعة الخصه والأنابيب التى تصب الماء، فصنع خصه من نحاس أحمر مموه بالذهب، قامت على ساق من نحاس منقوش يبلغ طوله خمسة أشبار من الأرض، وتقنن صناع فاس فى ذلك فقسموا الساق إلى نصفين يصعد الماء من نصف منها فيفور فى وسط الخصه من تفاحة فيها عشرة أنابيب، كما صنعت أكواب مموهه بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها^(١٧٥).

كما صنعت ثرية جامع القرويين فى فاس من النحاس مؤلفة من ٥٠٩ قنديل وزن ١٧,٥ قنطار و١٣ رطلا من النحاس^(١٧٦) وحملت المصادر بوصف التحف المعدنية التى كانت تزين المساجد والقصور، أو كانت جزءا من البناء مثل الأبواب المصحفة بالنحاس، أو كانت مستعمله فى القصور والمنازل مثل المسارج والمباخر والأوانى، أو التى كانت تعين على الدراسات الفلكية مثل الاسطرلاب، وهى تؤيد قيام صناعات معدنية وتبين لنا مدى تقدمها فى تلك البلاد^(١٧٧).

صناعة السكة:

وانعكس توفر المعادن فى اتخاذ مدينة فاس مقرا لسك العملة فكان فيها دارين للسكة^(١٧٨). فسكت فيها الدنانير المرابطية من عام ٤٨٤ إلى ٥٣٩ هـ - ١٠٩١ م، ثم ضربت بها عملات الموحدين الذهبية والفضية والنحاسية المتعددة^(١٧٩). واستمرت دور السكة بفاس فى القيام بصناعة السكة إلى أن نقلها الخليفة أو عبد الله الناصر بن المنصور الموحدى لدار بناها عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م واعتبرها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، وأتقن ثقافها على أتم حال، وكان غالبا ما يسك فيها الذهب^(١٨٠).

وكانت دار السكة تخضع لإشراف إدارى وفنى، أما الإشراف الإدارى فقد اختص به الناظر، وهو المشرف المباشر الدائم لدار السكة، فكان يحضر فتحها والختم

عليها عقب الانتهاء من الأعمال، إلى جانب فحص النقود التي يقدمها له السكك ليحربها بميزانه .. كما يقوم بتفقد الدنانير والدراهم بعد الطبع^(١٨١).

ويأتى بعد ناظر السكة من حيث الأهمية الإدارية، الشاهدان اللذان يقومان بمراقبة بعض الأعمال المتعلقة بالصيانة والمحافظة على دار سكة العملة^(١٨٢). ويأتى بعد الإشراف الإدارى، الإشراف الفنى، بمعنى مراقبة كل ما يتعلق بصهر المعادن النفيسة كالذهب والفضة والنحاس، وتحديد عيارهما، ثم الختم على السكة بقوالب أعدت لذلك .. وحدد أبو الحسن الحكيم، الفنيين بدار السكة وصنفهم إلى ثلاث فئات هم: (معلمون - عاملون - ومتعلمون) أطلق عليهم (السكاكين) أسندت إليهم أعمال صعبة ودقيقة جدا تركزت في عمل السبائك وتقطيعها - بمقدار الدينار أو الدرهم^(١٨٣).

كما وجد فى الإشراف الفنى الفتح الذى يختص بعملية النقش أو الحفر "للكل شئ أساس، وأساس أعمال السكة الفتح، فهو أصل من أصولها فإن استقام استقامت الأعمال بها"^(١٨٤). وكانت عملية سك النقود تحتاج إلى خطوتين مهمتين هما: تحضير قوالب السك التى تضرب بها السكة، وتحضير خامة السكة (أى السبيكة) .. فكانت القطعة النقدية نتاج قوالب معينة تنقش فيها صورة الكتابات مقلوبة يضرب بها الدينار أو الدرهم أو الفلوس، فتخرج تلك النقوش على السكة ظاهرة .. وتعددت هذه القوالب فمن أنواعها المحفور والمصبوب^(١٨٥). أما خامة السكة فكان يتم إعدادها من الذهب والفضة والنحاس الخام بعد تخليص كل معدن مما قد يكون مختلطا به من الشوائب^(١٨٦). ولعل أهم الطرق التى كانت تستخدم فى إعداد السبيكة للسك هى الطريقة الجافة أى بالتعليق، وذلك بأن يسبك الذهب المخلوط بالفضة فى النار عدة مرات أما التبر المجلوب من أرض السودان وغيرها فيؤخذ ويسبك الخشن منه ويدقق بالمطرقة ويقطع ويخلط^(١٨٧).

هذا إلى جانب وسيلة الضرب فى إنتاج السكة وسائل أخرى قد استحدثت عن طريق الطرق والصب. فطريقة الطرق تستند إلى صب المعدن الذهبى المذاب والمقدر بالمعيار فى قوالب طويلة، لتقطيعه قطعا مستديرة تكون الدنانير أو أنصاف الدنانير .. أما طريقة الصب فتمتاز بالسرعة فى الإنتاج والاقتصاد فى النفقات، وتتخصص هذه الطريقة فى صب السكة المدورة على أحد وجهى القالب بعد أن ينصهر الذهب بمقدار العيار فيأخذ الذهب شكل أحد القالبين وهيئة النقوش الفائرة فيه بمجرد صبه^(١٨٨).

الصناعات الفخارية:

تتصل الأواني الفخارية والخزفية بحياة الناس اتصالا وثيقا، وهى تعكس تدرج البشرية فى سلم الرقى بصورة واضحة^(١٨٩). لذلك أصبح لهذه الصناعة مكان خاص بها تصنع فيه الأجر والقوادرى والآنية والزليج وغيرها، واشتهرت مدينة فاس بالصناعات الفخارية لقربها من أمكنة معروفة بطينها الجيد الذى تصنع منه مثل هذه الأشياء فى قوالب خاصة، ثم تدخل إلى أفران لتأخذ ما يلزمها من حرارة للتماسك والصلابة، وكان لهذه الصناعة جانب صناعى وجانب فنى ممتاز^(١٩٠).

وأصبحت فاس فى العصر الموحدى منطقة كبرى لإنتاج الفخار، وقد كان فيها أيام المنصور الموحدى ١٨٨ معملا لصناعة الفخار، وكانت هذه المعامل جميعها خارج نطاق السور^(١٩١). وهذا يوضح لنا العلاقة بين مواضع السك ومثل هذه المنشآت الصناعية التى دفعت معاملها إلى أطراف المدينة الخارجية بعيدا عن التجمعات السكنية بسبب إحداثها ضرا لما يصدر عنها من دخان أو رائحة كريهة. حيث وضعت عند أطراف المدينة متوافقة مع اتجاه الريح التى تهب على المدينة لمنع وصول الضرر بفعلها^(١٩٢).

وأسهمت هذه الصناعة بدورها فى حركة العمران التى شهدتها فاس فى العصرين المرابطى والموحدى، وما احتاجته حركة البناء والإصلاح من أجر، ويذكر لنا كل من ابن أبى زرع والجزنائى على سبيل المثال أن أعداد الأجر المستخدمة فى إصلاح صحن جامع القرويين كانت أكثر من اثنين وخمسين ألف أجرة^(١٩٣).

الصناعات الزجاجية:

اشتهرت مدينة فاس بالصناعات الزجاجية حيث كان بها ١١ مصنعا لعمل الزجاج^(١٩٤). وكان العمل يجرى بهذه المعامل تحت الأرض حتى لا تتأثر هذه الصناعة بالريح والغبار^(١٩٥). وكانت معامل الزجاج خارج نطاق السور وتقع بعدوة الأندلس بفاس^(١٩٦). وتقن الفاسيون فى صنع أشكال متقنة من أنواع الزجاج بألوان مختلفة، مثال ذلك ما ركب فى جانب الشمسيات التى بجوانب القبلة بمسجد القرويين، كما صنعت قوارير الزجاج التى كانت تخرج فى أول الليل وآخره^(١٩٧).

ثالثا: التجارة:

سياسة الدولتين المرابطية والموحدية الضريبة

يتطلب تناول الحركة التجارية بمدينة فاس فى عصرى المرابطيين والموحدين الحديث أولا عن سياسة الدولتين الضريبية. تلك الإجراءات التى تكون

فى بداية الدولة قليلة، وفى آخر الدولة تكون كثيرة، والسبب فى ذلك أن الدولة إن قامت على سنن الدين أو التغلب والعصبية، لم يكن هناك إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهى قليلة، كما أن العصبية تقضى المسامحة والمكارمة والبعد عن أموال الناس، فإذا قلت الوزائع والوظائف^(١٩٨)، على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتماد ويزداد المحصول بقلة المنعم، فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها، وانغمسوا فى النعيم والترف تكثر الوظائف والوقائع، حينئذ على الرعايا والأكره والفلاحين وسائر أهل المغارم ويضعون المكوس على المبيعات وبمقدار تدرج عوائد الدولة فى الترف وكثرة الحاجات والإنفاق تثقل المغارم وتندرج فى الزيادة قليلاً^(١٩٩)، فإلى أى حد ينطبق ذلك القول على سياسة المرابطين والموحدين الضريبية.

نبعت السياسة الضريبية التى اتبعتها دولة المرابطين من المبادئ التى قامت عليها دعوتهم، ونادى بها إمامهم عبد الله بن ياسين، فشاع عنهم منذ بداية حكمهم إزالة المكوس وإسقاط المغارم المحدثه، وأخذ ما أوجبه الكتاب والسنة، فطهروا بيت المال من الضرائب غير الشرعية، حيث اكتفوا بالزكاة والأعشار^(٢٠٠). كما أسقط يوسف بن تاشفين الضريبة بقوله: "لم يوجد فى بلد من بلاده، ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكسى ولا معونه ولا خراج فى بادية ولا حاضرة إلا ما أمر الله تعالى، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار، وجزية أهل الدمة، وأخماس غنائم المشركين"^(٢٠١). فهل سياسة يوسف بن تاشفين هذه أنطبقت على باقى أيام الدولة المرابطية، أم أن ثمة تغيراً قد طرأ على هذه السياسة.

وفى رواية ثانية لصاحب الأنيس المطرب نقلاً عن ابن جنون يقول: "لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونه ولا خراج فى بادية ولا حاضرة، ولا وظيفة من الوظائف المخزنية حاش الزكاة والعشر، فأجبهم الناس إلى أن خرج عليهم مهدي الموحدين عام ٥١٥هـ"^(٢٠٢). ١١٢١م فهناك تغير طرأ على هذه السياسة الضريبية بسبب الظروف السياسية التى تعرضت لها دولة المرابطين، وإلى شئ من ذلك يذهب عبد الواحد المراكشى حين يذكر الخراج فى دولة على بن يوسف، ولكن دون أن يبين لنا متى فرض هذا الخراج، بل يذكر أنه اكتفى بما يرفع إليه من خراج^(٢٠٣). ولا نستطيع الجزم بأن ذلك الخراج قد فرض على المسلمين وغير المسلمين ويرى الدكتور حسن أحمد محمود^(٢٠٤) أن ضرائب المرابطين كانت قليلة. فى حين يرى عز الدين موسى^(٢٠٥). أن هذا لا يمثل إلا أوائل الفترة المرابطية أو

إمارة يوسف بن تاشفين وحده، معلقا بأن الضرائب المرابطية الشرعية لم تعد تفي بالتزامات الدولة العسكرية في الأندلس، لاسيما مع تقلص أراضي الملكية العامة، ثم حياة الترف التي بدأ المرابطون يحيونها، ظانا بأن هذا التطور الضريبي بدأ في أواخر إمارة يوسف بن تاشفين. لكننا نلاحظ أن هذا التطور بدأ يظهر جليا منذ إمارة علي بن يوسف الذي لجأ إلى فرض الضرائب، ففي عام ٥١٥هـ / ١١٢١م أغرم أهالي فاس مالا قائلا: "فما شعبتم الخبز إلا في أيامنا، ولا كسبتم المال إلا في دولتنا، بعد أن ذقتم من زناته الأهوال" (٢٠٦).

ولا ريب أن الأزمة المالية اشتدت مع قيام الثورة الموحدية التي ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية، لدرجة أن علي بن يوسف بن تاشفين منع دفع العطاء لأجناده فرجع أكثرهم يكرون دوابهم (٢٠٧). وأثرت حروب الدولة المرابطية مع الموحيدين على توقف الزراعة، وما رافق ذلك من جذب حتى جفت الأراضي وقلت المجابي وكثرت الضرائب على الرعايا، وأصبحت الدولة تفرض عليهم عدد الجند الذين يصدون عدوان نصارى أسبانيا بسلاحهم ونفقاتهم (٢٠٨).

وهناك العديد من أنواع الضرائب التي فرضت، وكان من أهمها المكوس والجباية (٢٠٩)، والقبالة (٢١٠)، والمغارم (٢١١)، والمعونة أو الوظيفة (٢١٢). ومن هذا يتضح أن المرابطين وأن تقيدها بأخذ الزكاة من المسلمين، وأخذ الجزية من أهل الدمة، واكتفوا بالمغانم في بداية أمرهم، فقد اضطروهم تبديل الأحوال إلى فرض ضرائب جديدة، وبخاصة في إمارة علي بن يوسف، وكان الخراج جزءا من هذه الضرائب (٢١٣).

وعندما قامت دولة الموحيدين انتهجت نظاما ضرائبيا واحدا حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فقد هاجم ابن تومرت الضرائب التي استحدثها المرابطون، وركز عبد المؤمن بن علي على أن من في طاعة الموحيدين "لا يطلبون إلا بما توجيه السنه وتطلبه، ولا يلزمون مكسبا، ولا مغرما ولا قبالة، ولا سيما ما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه". ومن هذا يبدو أن الموحيدين اقتصروا على الزكاة والعشور وأخماس الغنائم والمعادن والخراج (٢١٤).

ويذكر ابن أبي زرع أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي عند عودته من غزوة المهديّة (٢١٥) في نهاية عام ٥٥٤هـ / ١١٥٩م أمر بمسح بلاد أفريقية بالفراسخ والأميال طولا وعرضا فاسقط من هذا المسح الثلث في الجبال والأنهار والسيابح والطرق، وما بقى من أراضي فرض عليها الخراج، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع

والورق - أى المال - فهو أول من أحدث ذلك فى المغرب^(٢١٦). وبالرغم من أن هذه الفقرة التى أوردها ابن أبى زرع ليست واضحة بحال من الأحوال إلا أنه يمكن أن يفهم منها، أن عبد المؤمن بن على حاول إجراء مسح منظم لأراضيه لتقدير الضرائب .. ولعل عبد المؤمن حاول تقدير ما ينبغى أن يكون عليه إيراده فعمد بصورة عشوائية إلى إسقاط الثلث من مجموع مساحة ممتلكاته على أنه أراضى غير منتجة وافترض بأن الباقى خاضع للضريبة وبذلك تكون الضريبة واحدة على الأراضى بغض النظر عن خصوبتها^(٢١٧). ومن الواضح أن هذا الخراج لم يكن سوى ضريبة فرضت على الأراضى المنتجة دون مراعاة للشريعة أو أى اعتبار لمبدأ الصلح والعنوة^(٢١٨). ويرى عز الدين موهسى^(٢١٩)، أن أبى زرع قد خلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، فهذه الرواية لا تعنى إلا طريقة الخراج وجبايته على أسس قبلية، فيبدو أن عبد المؤمن وهو عائد من أفريقية واجه أزمة مالية، فشرع فى تنظيم الجباية الخراجية على أساسين، أولاً: الخراج على الأراضى الصالحة للزراعة، ثانياً: جعلت القبيلة الوحدة الأساسية لجمع الضرائب، وهو أمر يتوافق مع تنظيمات الموحدين، ونظم دولتهم التى قامت على التنظيم القبلى. وفى خلافة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إزداد الخراج المفروض، كما كثرة الوجوه التى يتحصل منها المال^(٢٢٠).

والترم الخلفاء الموحدون من بعد عبد المؤمن وابنه بهذه السياسة ولم يرد أن الموحدين قد فرضوا شيئاً مما انتقدوه على المرابطين إلا بعد هزيمتهم فى موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١٣م^(٢٢١). ورافق تنظيم الموحدين لجمع الخراج وضع سياسة متشددة على عمال الجباية، ومحاسبتهم، واهتم خلفاء الموحدين بتعقب هؤلاء العمال، فكانوا يسألون عنهم الرعية، كما كانوا يستدعونهم لمراجعة أعمالهم، وكان خلفاء الموحدين يهتمون فرصة مرورهم فى المدن لتفقد سير الجباه فى الناس، فكثرت نكبة عمال الجباية سواء تعلق الأمر بتقصيرهم فى أعمالهم، أو شكاية الناس منهم^(٢٢٢).

فالموحدون جاهدوا فى تحسين طريق الجباية وضبطها بمراقبة العمال وعدم إثقال كاهل الزراع، ويبدو أن هذه السياسة مع نظام الضرائب الثابت على نمط واحد كانا من دواعى تشجيع الناس على الزراعة والتعلق بالدولة^(٢٢٣). وكان لجباية الخراج فى دولة الموحدين ديوان يعرف صاحبة بصاحب الخراج أو صاحب الأشغال (يكون من الموحدين) تنصرف مهامه فى العمل على استخراج الأموال

وجمعها وضبطها. وتعقب الولاه والعمال فيها. ثم علمه أن يتمقدها على قدرها وفي موافقتها، وربما يلي هذا المصعب في الجهات من غير الموحدين ممن يحسها^(٢٢٦) وكان تنظيم الإدارة المالية أوضح عند الموحدين منه عند المرابطين بسبب اعتماد المرابطين على الجيش في الحماية. بينما حرص الموحدون على حماية الزراع وحفظ الأموال، ففي ديوان الحماية كتاب في جميع جهات الولاية الواحد يقيدون المتحصل في خراط^(٢٢٧). ويضبطونها بالشهود ويرفعونها إلى الخليفة، فيختمها بخاتمة .. ويبدو أن هذا التنظيم كان من دواعي الاستقرار الزراعي في العصر الموحدى^(٢٢٨).

الأسواق:

ويتطلب تناول الحركة التجارية بمدينة فاس في عصرى المرابطين والموحدين أيضا الحديث عن أسواق المدينة وتنظيمها في هذين العهدين حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجارى بصورة ومراحل مختلفة.

فالأسواق هي مرآة حياة المدينة الاقتصادية، وعنوان نشاطها التجارى والصناعى بل والاجتماعى أيضا^(٢٢٩). فمنذ إنشاء المدينة رتبت أسواقها وأقيمت بعض المنشآت التجارية التى عرفت بالقيسارية^(٢٣٠)، وكانت تضم عددا من الأسواق التى اختص كل واحد منها بنوع معين من السلع، فوجد سوق الحائكين والكتان وثياب الحرير، وسوق القطن البالى والمفصل الجديد، وتطريز الحرير، وسوق العطارين، كما وجد سوق بيع الإبرة والمخيطه والمقص، وسوق تباع فيه المعاجين والاحقاق والمراهم، وسوق الخرازين، وأهل الريحة والشرابل وسوق النجارين، ومن يصنع النواعير وأيضا سوق السلاح والمحارث، وسوق الحدادين من سيوف ونبال وحرا^(٢٣١). ويتضح من ذلك أنه كان لكل سوق تخصصها، واقترب أسواق سلع معينة من بعضها مثل أسواق الثياب بأنواعها ولكن يبدو أن هذه الأسواق أصابها الفساد والتهدم فى فترة الاضطرابات التى مرت بها فاس بإصلاح أسواقها، حيث قام يوسف بن تاشفين بإصلاح أسواقها وزاد فى خاناتها^(٢٣٢).

والذى يهمننا هو تحديد موقع الأسواق داخل المدينة، فيذكر لنا ابن القطان فى وصف مقتضب أسواق فاس فى العصر المرابطى من خلال ذكره للحريق الذى وقع فى أسواق المدينة عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م فهذه الأسواق كانت تمتد من رأس عقبة الخرازين حيث أسواق الثياب. والقراقين إلى أسواق السقالين، وغير ذلك من الأسواق^(٢٣٣)

وقد كنا نتوقع أن يعطينا ابن أبي زرع وصفا دقيقا لموقع أسواق المدينة، إلا أن وصفه للأسواق جاء مقتضبا أيضا، فلم يذكر لنا سوى أنها تحتوى على قيسارتين أحدهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس، ذاكرا من أسواقها سوق الدخان ثم سوق الخرازين، وتربية^(١٣٣) الغزازين، وكانت الأسواق فى وصف ابن أبي زرع بصنفتى الوادى الكبير، حيث بداية الدخول للمدينة إلى آخرها بالجانبين منه دار الصباغين وحوانيتهم، ودار الدباغين، ودار الصباغين وحوانيت الخياطين والقصابين والسفاجين، وغيرهم مما يحتاج إلى الماء، وفى أعلى ذلك كله أطرزه الحياكة. ويذكر لنا ابن أبي زرع أن حوانيت فاس فى العصر الموحدى بلغت تسعة آلاف واثنين وثمانين حانوتا (٩٠٨٢)^(١٣٣)

ولرسم صورة واضحة لأسواق فاس فى هذه الفترة نضطر إلى الرجوع إلى مصادر متأخرة عن هذين العصرين وصفت أسواق المدينة تتخذها مثالا على سبيل القياس. ففى نهاية القرن التاسع الهجرى/ السادس عرش الميلادى، وصف ليون الأفريقى قيسارية فاس وصفا تفصيليا فذكر أنها كانت عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار تحتوى على اثنى عشر بابا، يعترض مدخل كل باب سلسلة كيلا تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها، ويضيف أن القيسارية كانت تضم خمسة عشر حيا، منها اثنان مخصصان لصناعة أحذية علية القوم، وحيان آخران لتجارة الأقمشة الحريرية، ويبيع بعض هؤلاء الأشرطة والشراريب لكسوة الخيول، وغير ذلك من أعمال الزينة، ويبيع الآخرون الحرير الملون لتطريز القمصان والوسائد، ويلي هؤلاء فى وصف ليون صناع النطاقات النسائية من الصوف والحرير، فقد كان يوجد بالقيسارية حيان يقطنهما باعة الأقمشة الصوفية، كذلك كانت تباع بها أقمشة وقلانس من انحرير، وعلى مقربة من هذا الموقع كان يوجد مقر صناع الفرش والوسائد، وبعض الزرابى الجلدية الصغيرة، ويلي ذلك الخياطون الذين كانوا يشغلون أحياء ثلاثة، ثم يأتى حى العمال الذين يصنعون شرائط من الأقمشة المتخذة فى صناعة عمائم الرأس، ثم حى آخر يعمل به ما يوضع على حواشى البرانس المضفوه بزخرف وزينة، ثم حى تباع فيه ألبسة مصنوعة من قماش صوفى^(١٣٤).

ويصف مارمول كرفخال بعد نصف قرن من وصف ليون الأفريقى وصفا للقيسارية انطبق إلى حد كبير مع وصف ليون لها، لكنه ذكر أن هناك زقاقا آخر يباع فيه القماش البالى، وأغطية الرأس وزرابى فخمة من جميع الأنواع، كما أن هناك عدة دكاكين تباع فيها ضفائر وأزرار^(١٣٥).

تنظيم الأسواق وإدارتها:

خطت أسواق فاس وفق نظم وقواعد معينة، لكن هذه النظم حددت قواعدها أكثر بعد أن أشرفت الدولة على الأسواق، وبعد أن تبلور نظام الحسبة. ويتضح من خلال العرض السابق لأسواق فاس اختصاص كل سوق بنوع معين من السلع التجارية، كما ورد أنه كانت للأسواق أبواب خاصة، مثل باب سوق الأحد الذي يقع في غرب المدينة^(٢٣٦). كما حوت قيسارية فاس على اثني عشر باباً، واهتم ولاة الأمر بتسهيل حركة المرور وتأمينها داخل الأسواق، لاسيما وأنها مناطق إزدحام دائم، فأقاموا في مداخل تلك الأبواب سلاسل غليظة من الحديد تستعمل كحواجز لمنع دخول المرء إليها راكباً، وبذلك لا تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها، أى أنها لم تكن تستخدم إلا لعبور المشاة، وكانت هذه الطرقات تضيق تدريجياً كلما اقتربت من وسط المدينة ولا تصب في ميادين مفتوحة، بل تستمر عبر أزقة السوق المتعرجة حيث يمارس أصحاب الحرف اليدوية حرفهم، ويبيع التجار بضائعهم، وكانت مداخل تلك الأسواق تغلق كل ليلة، فضلاً عن إقامة الحراسة عليها^(٢٣٧). وبذلك يبدو أن تلك الأبواب وجدت لغرض المحافظة على ما في الأسواق من سلع قد تكون ذات قيمة كبيرة، كما يتضح مدى حرص السلطة على ضرورة المحافظة على البضائع المعروضة في الأسواق.

وتتطلب حركة التجارة داخل الأسواق اتخاذ فنادق^(٢٣٨)، للتجار وقد بلغ عدد الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء بمدينة فاس في العصر الموحدى ٤٦٧ فندقاً، يقع معظمها بجوار جامع القرويين حيث التجار الأغنياء^(٢٣٩).

وعمل القائمون على الأسواق على تجميع بعض السلع الثقيلة التى تتميز بكبر الحجم والتى يؤثر نقلها داخل المدينة فى حركة المرور فى شوارعها على تركيزها فى الأطراف وفى المناطق القريبة من أبواب المدينة^(٢٤٠). فلم تكن جميع البضائع ترسل إلى السوق المركزية مباشرة، بل كانت تخزن فى الفنادق أو خانات^(٢٤١) القوافل التى تقع على حدود الطريق وتستعمل كمراكز للمبادلات التجارية، وكفنادق على السواء. وفى هذا المكان يتم البيع بالمزاد العلنى على فترات دورية، ومن هذه الفنادق كانت توزع بعض المواد الخام أو السلع الأساسية على أسواق المدينة المتعددة^(٢٤٢).

ولذلك تطلبت الحركة التجارية بالأسواق نقل السلع من مكان لآخر، ولتنظيم هذه الحركة وجد الحمالون وسائقوا العجلات لنقل البضائع، الذين يزاوون

مهامهم بترخيص من عامل المدينة، ولهم أمين يفصل فى نزاعاتهم، كما وجد الدالون فى زقاق خاص بهم، وهم عبارة عن وسطاء بين التجار فيما يتعاونونه أو يبيعونه إلى المشتري، حيث يحمل الدالون السلعة من دكان إلى آخر مبتغين فيها أعلى الأثمان^(٢٤٣).

وإلى جانب القيساريات والحوانيت والفنادق والخانات، وجد الباعة الجائلون الذين يطوفون شوارع المدينة وأزقتها ينادون على سلعهم التى كانت أقل ثمنا من التى فى الحوانيت، فكان الأهالى يتركون الشراء من الحوانيت ويميلون إلى الشراء من هؤلاء الباعة الجائلين. كما كان هناك صنف آخر من التجار من أهل الدمة الذين يقومون ببيع السلع أو شرائها من النساء فى الدور، ولقد أجاز الفقهاء عملية شراء المرأة وبيعها من الرجال ومباشرة ذلك بنفسها للضرورة أو للحاجة إذا لم يقع فيه فساد ولا تهمه ولا خلوه ولا ميل للشهوة فاسدة^(٢٤٤).

وخضعت إدارة الأسواق لمراقبة أمناء الأسواق الذين كانوا تحت إشراف ولاية الأمر حيث يسألون عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم^(٢٤٥).
طرق التعامل فى الأسواق:

عرفت أسواق مدينة فاس عدة أنواع من التعامل التجارى سواء أكان هذا التعامل بين تاجر وآخر أم بين تاجر ومستهلك، ومن هذه الأنواع التعامل بالبيع نقداً، والبيع بالأجل الذى جرت العادة على توثيق ثمنه^(٢٤٦)، والبيع بالتقسيط والمقايضة^(٢٤٧).

أ - العملة:

تسهم السكة فى إعطائنا صورة للأوضاع الاقتصادية، إذ هى توضح مدى التقدم والاستقرار الذى ينعم به الشعب، وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفرادها، وعن طريق قيمتها نستطيع أن ندرك مدى رواج التجارة أو تدهورها. كما تعد السكة مظهراً من مظاهر سيادة الدولة، فهى تلى الخطبة مباشرة، لذلك كانت تلعب دوراً بارزاً فى إقرار السلطة^(٢٤٨) وتعد العملة من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والتجارة بصفة عامة، لذلك عمل المرابطون منذ قيام دولتهم على ضرب العملات ليسرى بها التعامل فى أرجاء دولتهم.

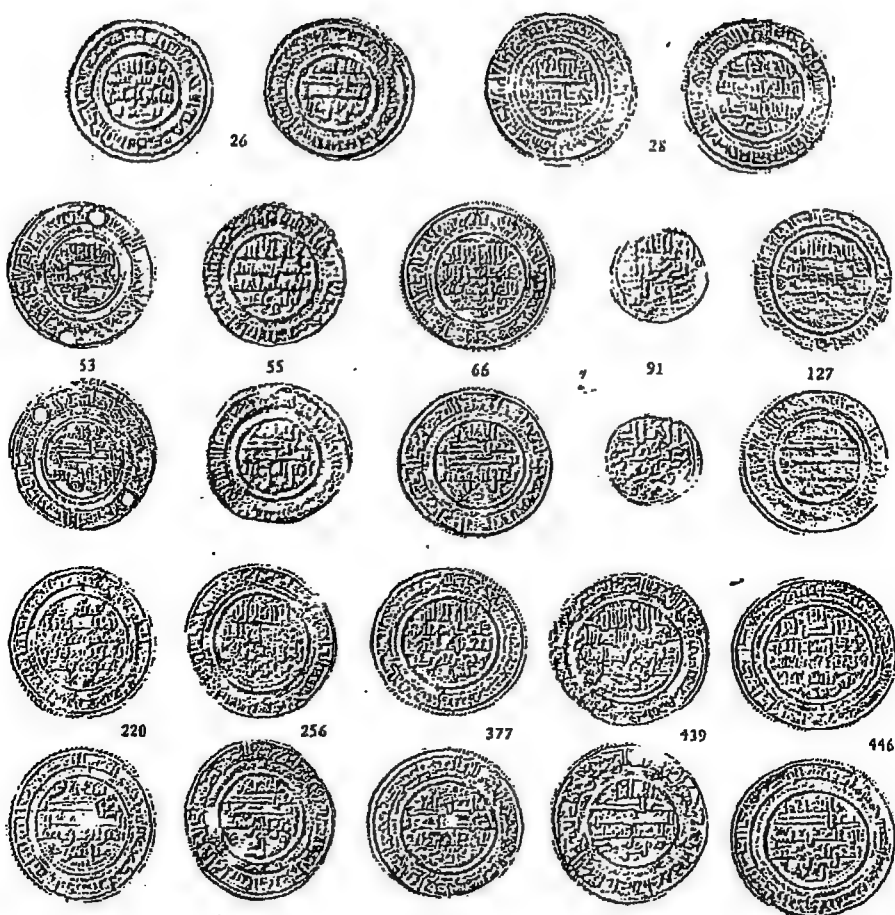
ويتميز المرابطون على عكس سابقيهم ومعاصريهم بوفرة العملات بما عليها من ألقاب وأسماء ورسومات وتواريخ. فمنذ أن تقلد أبو بكر بن عمر الحكم عام ١٠٥٢م / ٤٤٨هـ سك أول دينار وصل إلينا من فترة حكمه عام ١٠٥٨م / ٤٥٠هـ^(٢٤٩).

والحقيقة أن هذا يخالف ما ذهب إليه Band من أن أول دينار للمرابطين ضرب بمدينة سجلماسة عام ٤٦١هـ / ١٠٦٩م^(٢٥٠). وبدأ يوسف بن تاشفين في ضرب السكة باسمه بعد عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م حيث يذكر صاحب الأنيس المطرب أن يوسف بن تاشفين ضرب السكة من يومئذ وجدها ونقش في ديناره (لا إله إلا الله) وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين^(٢٥١).

وعلى الرغم من أنه لم تصلنا إلى الآن دنائير مرابطية مضروبة في مدينة فاس قبل عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م فمما لا شك فيه أنه ضربت عملات مرابطية بهذه المدينة، حيث كان بفاس دارين لسك العملة^(٢٥٢).

وفيمما يتعلق بوزن الدينار المرابطي فإن مجموعة باريس الموجودة بالمكتبة الأهلية البالغ عددها ١١٦ دينارا يزن بعضها ٣,٩٠، ٣,٩٨ جراما والبعض الآخر ٤ جرامات، ولا يزيد وزن الباقي منها عن ٤,٣٠ جراما. وكان الذهب المستخدم من نوعية جيدة، أما عيار الدينار فكان يتراوح ما بين ٩٣، ٩٨٪ وبلغ قطره ما بين ٢٠ إلى ٢٧مم، أما أقطار نصف وربع وثمان الدينار فكانت بالترتيب ١٣: ١٥، ١٥: ١٦ وحوالي ١١مم^(٢٥٣). وحافظ الدينار المرابطي في فترة حكم علي بن يوسف ٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٣م وابنه تاشفين ٥٣٧-٥٤٠هـ / ١١٤٢-١١٤٥م على شكله وقطره، ووزنه وبلغت نسبة نقاوة الذهب فيه فيما بين ٩٦، ٩٦٪، كما أدخلت بعض التعديلات والإضافات في نصوص الكتابة^(٢٥٤). وبلغ الوزن الكلي للدناير المرابطية المضروبة في فاس من عام ٥٠٠ إلى ٤٥٠هـ / ١١٠٦-١١٤٥م ما بين ٤,١٥، ٤,٢٠ جرام^(٢٥٥). وبلغت نسبة نقاوة الذهب فيها ما بين ٨٢,٢ إلى ٨٩,٩٪^(٢٥٦).

وعلى الرغم من أن دولة المرابطين استمرت في اعتبار الذهب قاعدة لعملتها فإن المجتمع المغربي في عصر المرابطين عرف أيضا الدراهم والقراريط^(٢٥٧).

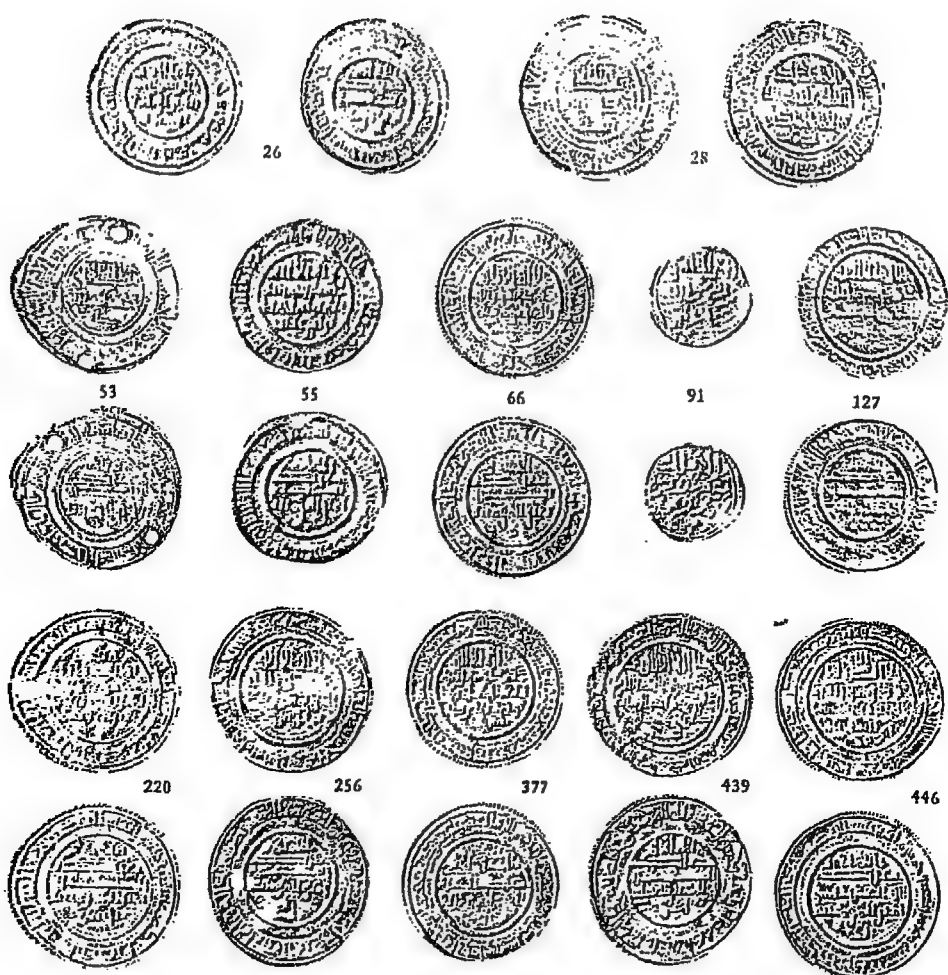


بعض العملات الرابطة المضروبة في فاس من عام

٥٠٠ - ٥٤٠ هـ

تقلا عن :

Lavoix: Catalogue des monnaies Muslmanes
de La bibliotheque notionale Espagne
et Afrique, Vol.3.



بعض العملات الرابطة الضرورية في فاس من عام

٥٠٠ - ٥٤٠ هـ

نقل عن :

أصوix: Catalogue des monnaies musulmanes
de La bibliothèque nationale Espagne
et Afrique, Vol. 3.

وأجزاءها، فالنظام المالى الذى يسير على قاعدة ذهبية لا يمنع وجود معادن أخرى للتعامل^(٢٥٨). فالمرابطون سكوا كميات كثيرة من الفضة فى شكل دراهم تقليدية وقراربط وزن كل منها جرام واحد، كما وصلت إلينا عملات من خليط الذهب والفضة من عصر المرابطين، ولكن ليس هناك معلومات كافية عن استخداماتها^(٢٥٩). حيث يبدو أن الدراهم الفضية هذه كانت قليلة الاستعمال^(٢٦٠).

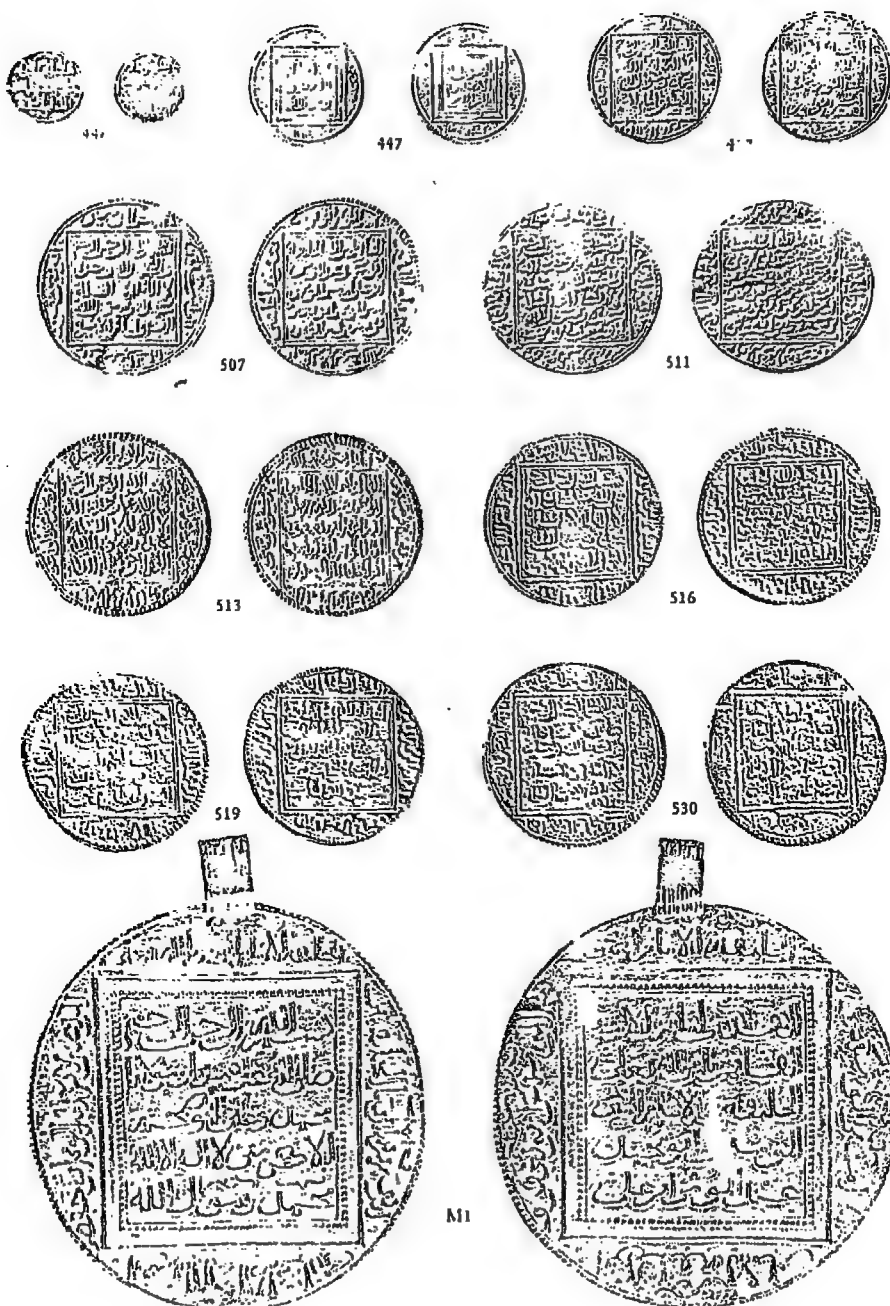
ومع مجئ الموحيدين ظلت كمية ونوعية الذهب المستخدم فى سك العملات كما هى، لكن حدث تغير فى معايير الوزن والحجم، بحيث يمكن اعتبار سنة ١١٤٦م / ٥٤٠هـ نقطة فاصلة فى تاريخ العملات فى بلاد المغرب، حيث سكت الدنانير المزدوجة، وكذلك كسور الدنانير مما يزيد من سرعة التعامل بهذه العملات، فكان وزن الدينار الموحدى ٤,٥٥ وقطره ما بين ٢٧ إلى ٣٢مم وأصبح الدينار الموحدى على الصورة الآتية

دينار متوسط الوزن = ٢,٢٧ جرام قطره = ١٩:٢٢مم

٠,٥ دينار متوسط الوزن = ١,١٥ جرام قطره = ١٤:١٦مم

٠,٢٥ دينار متوسط الوزن = ٠,٥٥ جرام قطره = ١٣مم^(٢٦١)

كذلك سكت عملات فضية مربعة فى عصر الموحيدين، ووجدت رواجاً كبيراً فى أيامهم، وكان متوسط وزن الدرهم المربع ١,٥ جرام ومساحته ١٣:١٩مم. ولم يكن النحاس معدناً جديراً بالاستخدام فى سك العملات ولكن أحياناً كان يتم تقليد الدينار والدرهم باستخدام النحاس أو الفضة التى لا يمكن تمييزها إلا بصعوبة، ولكن هذه المحاولات فى سك العملات كانت تواجهها معارضة حادة^(٢٦٢). وتذكر نوازل تلك الفترة أنه كان يتم استبدال

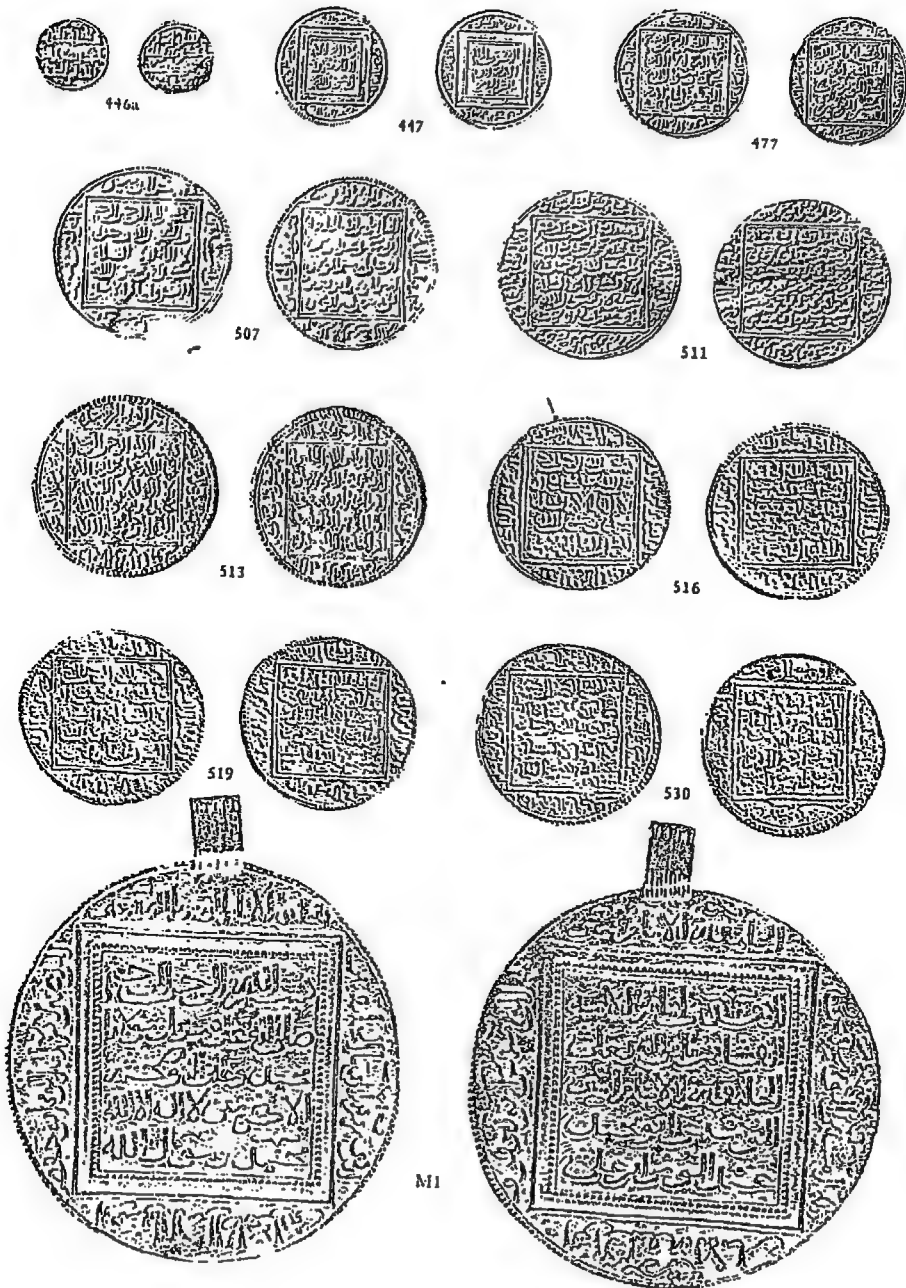


MUHAMMAD Gold Coins. 446a-530, and Medal: M1

بعض العملات الموحدة الضرورية في ما بين ٥٤٠ - ٦١٠ هـ

Lavoix : Op.cit., Vol.3.

تقلا عن :



MUWAHHID Gold Coins: 446a-530, and Medal: M1

بعض العملات الموحدة الضرورية في فاس ٥٤٠ - ٦١٠ هـ
 Lavoix : Op.cit., Vol.3.
 نقل عن :

الدراهم الجديدة بالقيمة وبالحلى القديمة لما خالطها من النحاس، كما تذكر تلك النوازل أيضا التعامل بالدراهم الناقصة حيث قضت الحاجة إلى ذلك^(٣٦٣). وكان مثقال الذهب يمثل مائة وعشرين درهما من الدراهم الصغار، أو ستون درهما من الدراهم الكبار، لأن كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار^(٣٦٤).

ب- المكايل والموازين:

إن دراسة الحياة الاقتصادية والتجارية تتطلب التعرض للمكايل والموازين التي كان يستخدمها سكان فاس في تعاملهم اليومي، وفي شراء بضائعهم ومستلزماتهم، فكانت وحدات الكيل التي يستخدمها أهل فاس كما أشار إليها البكري هي المد الذي حدد سعته بقوله: "ومدهم يسع من الطعام ثمانين أوقية". ويطلق على هذا المد اسم اللوح، ويذكر البكري أيضا وحدة وزن يطلق عليها "الأواقى" خصصت للمأكولات من زيت وعسل ولبن وزبيب^(٣٦٥). وقد شاع استخدام هذا في عصر الدولة المرابطية.

وكان الكيل الأكثر استعمالا في العصر الموحدى هو "الوسق" ويسمى "الصحفه" وهو ستون صاعا بالصاع النبوى، أما وحدة الوزن الشائعة فكانت الرطل، وكل رطل يساوى ستة عشر أوقية^(٣٦٦). أما وحدة الأوزان الكبيرة عندهم فكانت القنطار^(٣٦٧). في حين كانت وحدة وزن الذهب هي المثلقال^(٣٦٨).

تجارة فاس الداخلية والخارجية:

أ - تجارة المدينة الداخلية

كان للاستقرار السياسى الذى شهدته مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين أثره فى ازدهار وتنشيط حركة التجارة بها، حيث شهدت أسواق المدينة حركة تجارية، ونشاطا فى البيع والشراء، لاسيما وأن ولاية الأمر وجهوا اهتمامهم للتجارة والعمل على تنشيطها، وذلك بتشجيع التجار على المجئ إلى بلادهم، حيث وفروا لهم سبل الراحة والإقامة بإنشاء الفنادق والحمامات فيوسف بن تاشفين دخل مدينة فاس عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م أمر ببناء الحمامات والفنادق، وأهتم أمراء الدولة المرابطية ثم خلفاء الدولة الموحدية بزيادة أعداد هذه الفنادق^(٣٦٩).

ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة فى مدينتهم، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التى تأتى بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، وفى ذلك يقول الإدريسي: "ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى وهى حضرته الكبرى، ومقصدها الأشهر، وعليها تشد الركائب وإليها تقصد

القوافل، ويجلب إلى حضرته كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة^(٢٧٠). ويذكر الجزنائي: "أنه انتقل إليها جملة من أصناف الناس، وأهل الأمصار من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومنصرف، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا، وأتتها التجارات. وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر"^(٢٧١). فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم. وقد قام تجار مكناسة بتسويق المنتجات المكناسية من العنب والزيتون، وبنقل كميات وفيرة من العناب والكتان من أجل بيعه في مدينة فاس^(٢٧٢). كما لعبت مدينة سجلماسه دوراً مهماً في تجارة مدن المغرب كما يوضحه الجغرافيون، فقد ربط التجار سجلماسه بالشمال عن طريق تلمسان ففاس، فتدفق تجار سجلماسه بأنواع التمور المختلفة إلى مدينة فاس، كما كان هؤلاء التجار يعودون بدورهم إلى سجلماسه بالأقوات الضرورية من مدينة فاس^(٢٧٣). كما قام تجار مدينة مراكش بتصدير كميات وفيرة من الزيت والسكر إلى مدينة فاس^(٢٧٤). وجلب التجار الجوز من مدينة صفرو، كما حملت أحمال التين المذبذب من حصن مغيلة القاط^(٢٧٥)، إلى مدينة فاس^(٢٧٦). في حين غدت منطقة مديونة مدينة فاس بالبرانس المديونية التي لا ينفذ منها المطر^(٢٧٧).

وارتبطت مدينة فاس بعلاقاتها التجارية بمنطقة السوس الأقصى، حيث كان يذهب الكثير من تجار فاس لشراء كميات من السكر، وكميات من الجلود القراطوني^(٢٧٨). من مدينة تيوت بالسوس، كما توثقت العلاقات التجارية بين فاس ومنطقة هسكورة التي يتوفر فيها الزيت والجلود نظراً لوجود كمية كبيرة من الأغنام، كما كانت تصنع بها سروج الخيل الأنيقة، فكان تجار فاس يعقدون صفقات مهمة في هذه المنطقة بمقايضة أقمشتهم الكتانية في مقابل الجلود والسروج^(٢٨٩). كما كان لسوق مدينة داي^(٢٨٠) حظ في التجارة الداخلية إذ كانت تتوافد عليه قوافل التجار من فاس^(٢٨١). وتجمعت بأسواق مدينة نفزه - مدينة إقليم تادلة - سلع مصنوعة في فاس على الخصوص كالأقمشة الكتانية والسكاكين والسيوف والسروج واللحمومات والقلانس وأدوات الخياط^(٢٨٢).

ووصفت تجارة مدينة فاس مع مدينة أغمات بأنها نافقة حيث كان لتجار أغمات وكلاء يمثلونهم بمدينة فاس يدفعون لهم كثيراً من الدراهم لشراء السلع من

فاس^(٢٨٣) ولقد وفر تجار منطقة أزغار الخيل والماشية لشراء السلع من فاس^(٢٨٤). فى حين قام تجار مدينة سلا بتصدير الأمشاط إلى مدينة فاس^(٢٨٥). هذا ولقد أعطانا الإدريسي وصفا للطرق التى كانت تقطعها القوافل من وإلى مدينة فاس رابطة شرق البلاد بجنوبها، فكان هناك طريق يربط بين تلمسان ومدينة سجلماسة تتوسطه مدينة فاس، حيث كانت تسير القوافل من تلمسان إلى فاس، ومن فاس إلى صفرو إلى تادلة وأغمات إلى درعة ثم إلى سجلماسة^(٢٨٦). ويصف الإدريسي طريقا آخر يربط فاس بسجلماسة وهو طريق فاس - صفرو، إلى قلعة مهدى إلى تادلة إلى وادى شعب الصفا حيث يشق هنا الجبل الكبير إلى جنوبه ومن هناك إلى سجلماسة^(٢٨٧).

ويذكر عبد الواحد المراكشى طريقا آخر يربط بين المدن المغربية من أقصى الشرق إلى الجنوب تقع عليه مدينة فاس، وهو طريق سلكه المسافرون فى تلك الحقبة يربط بين مدينة بجاية وتلمسان ثم فاس ثم مراكش ثم إلى سجلماسة^(٢٨٨).

ب- تجارة المدينة الخارجية:

كان لازدهار التجارة الداخلية فى أسواق فاس وامتلاء الأسواق بالسلع والمنتجات المحلية أثره فى تنشيط حركة التجارة الخارجية، إذ أصبحت أسواق المدينة مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار. فوصفها الزهرى بأنها: "دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار، وإليها يجلب من جميع الأقاليم كل شئ حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس"^(٢٨٩). ويصفها صاحب الاستبصار فى العصر الموحدى: "بأنها قسبة بلاد المغرب، ومنها يتجهز إلى بلاد السودان وبلاد المشرق"^(٢٩٠). ويصف لسان الدين بن الخطيب أسواقها "بأن ثمرات وموارد كل شئ التى اختصت بالخضر إليها قد جبيت"^(٢٩١).

العلاقات التجارية بين فاس والأندلس:

وفى إطار علاقة فاس التجارية بالأندلس، قام الأسطول المراكشى بدور كبير فى تأمين الموانئ المغربية، وحماية الطرق البحرية فى البحر المتوسط، فضلا عن عمليات الجهاد التى قام بها فى مياه الأندلس، الأمر الذى سهل حركة النقل بين المغرب والأندلس، وكان لموقع المغرب الأقصى على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسى أثر فى نشأة عدة موانئ سهلت الاتصال بالعالم الخارجى، وقد تمكنت هذه الموانئ فى تأدية دورها فى الحركة التجارية فى ظل حماية الأسطول

المرابطين^(٢٩٣). وتأكد دور فاس في العصر الموحدى فى التجارة المغربية^(٢٩٣). ومن هذه الموانى ميناء سبتة الذى قام بدوره فى الحركة التجارية، إذ كانت القوافل تصل إلى هذا الميناء من جميع النواحي فى المغرب، وخاصة مدينة فاس^(٢٩٤).

كما كان لميناء طنجة على ساحل المحيط الأطلسى دوره فى تصريف منتجات فاس والمناطق الداخلية المحيطة بها^(٢٩٥). حيث أنه لا يبعد عن فاس أكثر من خمسين فرسخا^(٢٩٦). فنشطت العلاقات التجارية بين فاس ومدن الأندلس التى توافد تجارها للاحتراف بالتجارة فى هذه المدينة أمثال على بن أحمد بن على الأنصارى المتوفى بعد عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م من أهل طليطلة^(٢٩٧). الذى عمل بالتجارة فى القرايين بفاس^(٢٩٨). وكان لأهل أشبيلية تجارة بفاس فبعد الملك بن عمر بن خلف الأزدي الإشبيلي المتوفى عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م كانت له بضاعة بفاس يديرها فى تجارة^(٢٩٩). وأيضا على بن أحمد بن خروف الحضرمى، المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م من أهل أشبيلية كانت له رحلاته التجارية الكثيرة بفاس، حيث كان يدير تجارة أكثرها فى أوانى الخشب المخروطية^(٣٠٠) كما كان لبعض أهل قرطبة علاقات تجارية مع أهل فاس، فأحمد بن عمر الخزرجى المتوفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م من أهل قرطبة كانت له بضاعة بمدينة فاس يديرها فى تجارة البز^(٣٠١).

وكان التجار من نصارى الأندلس يقصدون مدينة سلا الميناء الرئيسى لفاس، وكان لهؤلاء التجار مستودعاتهم فى كل من سلا وفاس^(٣٠٢). حيث كان يتم تصدير الأقمشة والألبسة الصوفية، وأيضا الزيتون والزعفران والخوخ المجفف، ومزامير القرب وقطع الجلود والتمور من حول مدينة فاس، واستوردت الأندلس كثيرا من الأقمشة الجميلة الأصناف من هذه البلاد^(٣٠٣). وطوال العصر الإسلامى عرف تصدير الجلود المعالجة وغير المعالجة التى تأتى من فاس للأندلس مكونة لأهالى المدينة ثروة عظيمة^(٣٠٤).

العلاقات التجارية بين فاس والسودان (جنوب الصحراء):

نشطت الحركة التجارية بين فاس وجنوب الصحراء لإخضاع المرابطين ثم الموحدىين لأقاليم المغرب الأقصى المختلفة فى ظل حكومة واحدة تحرص على استتباب الأمن والنظام مما ساعد على انتظام القوافل المتجهة إلى الجنوب والقادمة منه، كما صارت بلاد المغرب الأقصى ممرا آمنا لتجار الصحراء إلى الأندلس وأوروبا والمشرق^(٣٠٥). ومن هنا اكتسبت التجارة بين فاس وجنوب الصحراء أهمية خاصة فتدفق تجار فاس إلى المدن السودانية مثل مدينة جنى^(٣٠٦) التى وصفت بأنها سوق

عظيم من أسواق المسلمين، وكان يلتقى بها تجار الملح والذهب، ومدينة تنبكت^(٣٠٧) التي كانت سوقا كبيرا للتجارة وورد عليها التجار من جميع الآفاق وخاصة تجار فاس^(٣٠٨).

وتنوعت السلع المتبادلة بين فاس وبلاد السودان، وكان من أهمها وأشهرها على الإطلاق الذهب من مدينة غانة^(٣٠٩) إلى جانب تجارة الرقيق التي مثلت إحدى السلع التجارية الهامة، حيث كانت بلاد السودان مصدرا لرقيق المغرب^(٣١٠). ولعل من الظواهر التي تدل دلالة واضحة على تزايد أعداد الرقيق بمدينة فاس، وجود إشارات تدل على ذلك، فتروى المصادر أن على بن يوسف فرض على أهل مدينة فاس عام ٥٢٣هـ / ١١٢٩م عند استعداده للجواز للأندلس، عددا من سودان أهل فاس يغزون مع الجيش فكان فيصب فاس ثلاثمائة رأس منهم^(٣١١). ويذكر مارمول كرفخال أن لهم سوقا في قصبة المرابطين بفاس يباع فيه الزنوج من الجنسين^(٣١٢). وكانت أسعار الرقيق في أسواق السودان زهيدة تمكن التجار من شراء الأعداد الكثيرة منهم، وشارك الرقيق في الحياة السياسية في المغرب، فكانوا حرسا لبعض الحكام، ولكن المجموعات الكبيرة منهم كانت تستخدم في الأعمال المنزلية وكان امتلاك الرقيق يمثل مظهرا من مظاهر الثراء في ذلك الوقت^(٣١٣).

وصدر التجار المغاربة الثياب الحريرية والكتانية الملونة من فاس والمغرب إلى السودان^(٣١٤). حيث وجدت تجارة المنسوجات سوقا رائجا في كل أنحاء السودان نظرا لتقدم صناعة النسيج في المغرب عامة، وفاس بوجه خاص في ذلك الوقت^(٣١٥). كما قام التجار بتصدير القمح إلى بلاد السودان ولكن كانت أسعاره غالية بسبب صعوبة نقله^(٣١٦).

وقد عبرت الصحراء إلى السودان أيضا بعض أدوات الزينة مثل العطور والأصداغ والخرز والودع والفخار والأدوات الخزفية والتحف المعدنية^(٣١٧) كما كانت الكتب سلعة مهمة يحملها التجار إلى السودان ويبيعونها بأسعار غالية، وكانت مراكز العلم مثل تينكتو وجنى تتلقف ما يأتي به التجار من مختلف أنواع الكتب^(٣١٨).

العلاقات التجارية بين فاس والمشرق:

عرفت مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين بعلاقاتها التجارية مع بلاد المشرق، ومما سهل على تطور تلك العلاقات ارتباط المغرب الأقصى وبلاد المشرق بطريقين سهلا الاتصال المباشر فيما بينهما، الأول هو طريق الساحل^(٣١٩). أما الثاني فهو ارتباط فاس بطريق سجلماسة مصر، الذي تحولت إليه القوافل بعد

هجرها لطريق غانة - مصر نظرا لما أصابه من عواصف رملية، وكثرة الفتن وهجمات اللصوص^(٣١٩).

ومما شجع التبادل التجارى بين فاس وبلاد المشرق عامة، ومصر خاصة أن مصر كانت تقع فى طريق قوافل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج، وفى الغالب ما تكون هذه القوافل محملة بالبضائع المغربية، وقد أشار ابن القاضى المكناسى، إلى إحدى قوافل الحج التى خرجت من وادى سبو متجهة إلى المشرق وذلك قبل عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م^(٣٢٠).

ويذكر لنا ابن عذارى أن أحد تجار الإسكندرية كانت له رحلاته التجارية إلى مدينة فاس، حيث سافر من تلمسان إلى فاس، وكان ذا رحل كبير ومال، فباع واشترى، ثم سافر من فاس إلى الإسكندرية وبلاد المشرق، راجعا مرة أخرى إلى فاس^(٣٢١).

وامتدت تجارة فاس المشرقية إلى بلاد الهند، فوجدت فى وثائق الجنيزا^(٣٢٢) بعض الخطابات الشخصية الخاصة بتجار هنود، حيث كان عليهم أن يبعثوا إلى وطنهم بهدايا وسلع للاستخدام ولإعاشة أسرهم، وكان لتجار "قاليقوت" مستودعات لبضائعهم فى مدينة فاس^(٣٢٣). ولعل هذا يؤيد ما ذكره عبد الواحد المراكشى من أن مدينة فاس كان يجلب إليها العطر الهندى^(٣٢٤).

وقام التجار اليهود بدور كبير فى هذه التجارة، خصوصا وأن العلاقات العائلية قد ربطت بين تجار اليهود المشاركة والمغاربة، فبرع اليهود فى التجارة عامة، وبوجه خاص مع المشرق، فكثر ثرائهم فى فاس وشكلوا طبقة غنية ووصفهم صاحب الاستبصار بأنهم تجار أهل هذه البلاد وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس، حيث امتلكوا الأموال الكثيرة، ويرجع ذلك إلى عملهم فى الصياغة والصيرفة، هذا إلى جانب اشتغالهم فى بعض الحرف مثل صناعة القناديل وزخرفة المعادن وجلب البضائع والتجارة فيها^(٣٢٥).

أما طبيعة العلاقات التجارية بين التجار المغاربة والمشاركة، فكان التجار المشاركة يتخذون من الوكالة نظاما لهم فالوكيل هو الذى يوزع البضائع على الشركاء حال وصول التجار المشاركة، ويقوم ببيع بضائعهم، كما يقوم مقام المصرف حيث يودعون أموالهم عنده^(٣٢٦). ونتيجة لهذا التعامل التجارى صار للتجار المصريين أصدقاء من التجار المغاربة، وصارت بينهم علاقات مودة ومراسلات، ومن ذلك أن أحد تجار الإسكندرية كتب رسالة إلى صديقه التاجر بالقاهرة يخبره فيها أن صديقه

التاجر بمدينة فاس قد أرسل إليه قضييا من الذهب بهدف بيعه وشراء حرير أندلسي لحسابه^(٣٢٧).

وكان التجار المشاركة والمغاربة يؤدون الخدمات التجارية فيما بينهم، فهذا تاجر من فاس بالمغرب الأقصى يقدم معروفًا لأحد التجار من مصر، كما أن صديق من فاس - لم يذكر اسمه - أرسل يطلب عملية تجارية لبيع بعض العطور الشرقية^(٣٢٨). هكذا يظهر لنا مدى انتعاش الحياة الاقتصادية بمدينة فاس خلال هذين العصرين الذي أثر بدوره على حياة سكان المدينة، لذا وجدنا المصادر تصف أهلها بأنهم ميسورو الحال لهم من كل شئ حسن أكبر نصيب وأوفر حظ. مشتهرون بكثرة الأموال ورفاهية الحال، يجلب إليهم كل شئ حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان^(٣٢٩).

ولكن على الرغم من هذا إلا أن المدينة تعرضت في بعض سنوات حياتها خلال هذين العصرين لغلاء في الأسعار ولبعض المجاعات، وذلك إما نتيجة عوامل طبيعية أو نتيجة للتأثير بالأحداث السياسية المضطربة، والتي كانت تحدث بين أونة وأخرى، والتي كان لها أثرها في إعاقة النشاط التجاري في أسواق المدينة أو في الحياة الاقتصادية بصفة عامة. ففي عام ٥٢٤هـ / ١١٣٠م تعرضت فاس لقحط ووباء شديدين^(٣٣٠). كما تعرضت أسواق مدين فاس لحريق وقع عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م أحرق أسوار الخرازيين وأسواق الثياب وأسواق القراقين والبقالين وغير ذلك من الأسواق^(٣٣١). كما وقع حريق آخر بأسواق مدينة فاس عام ٦٤٦هـ / ١٢٥١م حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها، وتعرضت المدينة أيضا لمجاعة شديدة في عامي ٥٧١هـ / ١١٧٦م، وعام ٥٩٥هـ / ١١٩٩م^{(٣٣٢)(٣٣٣)}.

وعرف أهل مدينة فاس الشكوى من سوء الحال في أواخر هذه الفترة زهاء عشرين عاما، أفقدت البلاد بهجتها، وأدخلت الكآبة على نفوس أهلها، فمن عام ٦١٨هـ / ١٢٢٢م إلى عام ٦٣٧هـ / ١٢٤٢م توالى الخراب على عمران فاس فحدثت بالمدينة مجاعة بسبب الفتن التي كانت أبان العادل وأخيه المأمون، فشغلت الدولة وشغل معها الناس بصدد العوادي عن البلاد، فقد خربت هذه الفترة منات من الفنادق ودور الصباغة والكاغد والزجاج والمعاصر ودور الدباغة والداكين ومعامل الصابون ومعامل الجلد وطرزات الحياكة، هذا إلى جانب عدد من المساجد التي كانت تعد بالمئات. وفي خلال تلك السنين من الفتن كثر الجوع والغلاء لاسيما عام ٦٣٠هـ / ١٢٤٥م حيث وصل ثمن وسق القمح إلى ثلاثين دينارا^(٣٣٤).

الهوامش

- ١- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص ١١ - ١٢.
- ٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١١١ - ١١٢، ص ١١٣، الجزائى: جنى زهرة الآس، ص ٤١، السلاوى: الاستقصا، ج ١، ٩٧.
- ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه عثر على دنانير مضروبة بمدينة فاس فى عهد زيرى بن عطية المغراوى فى عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م كان وزن الدينار ٣،٧٢، كما كان وزن دينار آخر ضرب فى نفس هذه السنة عبارة عن ٣،٢٢ جرام، وبمقارنة تلك الدنانير بالدنانير المرابطية التى وصل وزنها أكثر من أربعة جرام يتضح مدى التدهور الاقتصادى لفلس قبيل عصر المرابطين. انظر: La Voix Catallogue des monnaies Muslmanes dela bibliatheque notional de Espagne er Afrique, Paris, 1891, Vol. 3, p. 91.
- ٣- ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص ٩٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ١٣، والمكوس: عبارة عن تلك الضرائب التى فرضها الزناتيون على التجار المجتازين من فاس إلى سلجمانه حيث كانوا يلزمونهم أموالا على ما معهم من التجارة، انظر: صورة الأرض، ص ٩٩. ويعلق هو يكتز على هذا النوع من الضرائب بقوله: لم تكن هذه الضرائب تذهب إلى خزائن أية دولة، ويفهم ضمنا من وجود مثل هذه الضريبة انعدام إحدى الصفات الأساسية لدولة جديرة بهذا الاسم، ألا وهى تأمين المسافرين، انظر: النظم الإسلامية فى المغرب فى العصور الوسطى، ص ٩٦.
- ٤- ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٤ ص ١٢٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٤، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ١٨٢.
- ٥- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٦١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٨٧، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٩ - ٢٠، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ١٦٠.
- ٦- عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.
- ٧- الجزائى: المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٥١، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ١٨٢.

٨- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨ ص ٣٠٠، النويرى: نهاية الأرب، ج٤ ص ٢٩٦.

٩- انظر: ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٦، عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٧٦.

١٠- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ١٣١.

١١- البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٦٥ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٩، ١٣٣.

١٢- البكرى: المصدر السابق، ص ١٦٦، ١٦٩، ابن عذارى المصدر السابق، ج٤ ص ١٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٣٢، من المعروف أن ابن ياسين مالكي المذهب، وهذا ما خالف فيه السنة فى بداية أمره، حيث لم يرد فى أحاديث الجهاد التى وردت فى موطأ الإمام مالك ما فعله ابن ياسين، انظر موطأ الإمام مالك، صححه وأخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، ج٢ ص ٤٥٠ - ٤٦٠.

١٣- التخميس: من المؤلف فى المغرب فى اليهود الأولى للإسلام أن يعامل القائد المنتصر المهزومين كغنيمة وأن يأخذوا خمسهم لاستعمال الدولة، وهى طريقة يشار إليها بالتخميس، ومن المشكوك فيه ما إذا كان هذا الخمس ينبغى اعتباره الخمس كما يفهم عادة، إذ لم يكن المنتصر ملزماً بأن يكتفى بالخمسة لأن المهزومين تحت تصرفه تماماً، ولعل الخمس كان نسبة تمليها اعتبارات عملية محضة، ولكنها تكون بتأثير نظام الخمس، ومن ناحية أخرى لا تذكر المصادر أن الأربعة أخماس الأخرى الباقية كانت تقتسمها الجيوش .. ولا يمكن أن يقبل دون تمحيص القول بأن المرابطين قسموا الغنائم التى أخذوها من المسلمين بمقتضى قواعد الخمس فالمرابطون بذلك عاملوا إخوانهم فى الدين وكأنهم من الكفار، ومن المحتمل أن رد عبد الله بن ياسين على ذلك هو أنهم كانوا مارقين خارج حظيرة الإسلام.

انظر: هويكنز: النظم الإسلامية، ص ٧١، ٧٣، ٧٤.

١٤- البكرى: المصدر السابق، ص ١٦٥، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٤ ص ١٢ - ١٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق، صفحات ١٢٦ - ١٢٨، ١٢٩ - ١٣٣، هويكنز: المرجع السابق، ص ٧٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٣٢.

- ١٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣، وبالنسبة لترك المرابطين لسياسة التخميس راجع فتحهم لمدن حديثة - صفرو - فاس - مكناسة - بنى مراسن - طنجة - تلمسان. فلم يرد عند فتح المرابطين تلك البلاد أنهم اتبعوا سياسة التخميس، انظر عن ذلك، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٣٩ - ١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٨٥ - ١٨٦.
- ١٦- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٦٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، صفحات ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٦، ١٩٦، السلاوي: الاستقصا، ج ١، ص ١٣٦ - ١٣٧، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.
- ١٧- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢، ص ٤٥٨ حيث بقيت أملاك عثمان ابن عبد الله السلاجي بجبل فاس يتردد إليها لزراعتها.
- ١٨- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ١٣٥، هويكنز، المرجع السابق، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- ١٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩١ - ٣٩٢.
- ٢٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٥٥.
- ٢١- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ٥، ص ١٥٥.
- ٢٢- ابن عبد الله المراكشي: الدليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، ص ٨٧ - ٩١.
- ٢٣- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص ٩، ص ٢٥، ص ٣٥. وانظر أيضا عن امتلاك أهل فاس للأراضي، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢، ص ٣٩١ - ٣٩٢.
- ٢٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٩، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٥.
- ٢٥- ابن عربي: الفتوحات المكية، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ، ج ٤، ص ٧٦.
- ٢٦- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس، ورقة ١٧.
- ٢٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١، ص ٢٢١، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ١٥٣.

- ٢٨- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣٣٢، اسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص ٤٩، ابن القاضي المكناسي. المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٣٤.
- ٢٩- الأنيس المطرب: ص ٥٩.
- ٣٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٩.
- ٣١- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٥٨.
- ٣٢- الزهري: كتاب الجغرافيا، ص ١١٤، الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧٥، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥١، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٣ - ٣٤.
- ٣٣- مجهول: الاستبصار، ص ١٨٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٥، الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٢٥، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤. ويذكر صاحب الاستبصار الذي يتحدث عن المدينة في عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م أن عيون فاس لا تحصى عددا، انظر ص ١٨٠، في حين يذكر صاحب كتاب الجغرافيا أن عيونها على عدد أيام السنة، انظر: ص ١١٤.
- ٣٤- عن ذلك انظر: ابن عذارى، البيان قسم الموحدين، ص ١٦.
- ٣٥- عن ذلك انظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٨٣، وحدث ذلك عام ٥٢٤هـ / ١١٢٩ - ١١٣٠م، ابن زرع: المصدر السابق، ص ٤٤ وفي عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م.
- ٣٦- الزهري: المصدر السابق، ص ١١٥، مجهول: الاستبصار، ص ١٨٤، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤، ويسمى صاحب كتاب الجغرافيا هذه الجبال بجبال غيائه، في حين يذكر مارمول كرفخال أن نهر سبو ينبع من جبال غيائه. انظر أفريقيا، ج ١ ص ٣٦.
- ٣٧- مارمول: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٣٨- عبد القادر زمامه: وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة، مجلة البحث العلمي، عدد ٣١، أكتوبر عام ١٩٨٠، ص ١٤١.
- ٣٩- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٥٩.
- ٤٠- المخازن: تعرف طريقة حفظ المياه في المغرب الأقصى باسم الصهاريج أو البرك. انظر: العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٤١، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٥٧.

- ٤١- العمرى: المصدر السابق، ص ١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٥٢.
- ٤٢- الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧٥، مجهول: الاستبصار ص ١٨٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٥، ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس، ج ١ ص ٤٣.
- ٤٣- مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٥٩.
- ٤٤- الإدريسي: المصدر السابق، ص ٧٥، مجهول: الاستبصار ص ١٨٠، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٦٢، ويوضح عز الدين موسى أهم وسائل الري بالمغرب فى تلك الفترة من سواقي أو (سوانى) ونوايعر ودواليب وخطارات، فالساقية والناعورة والدولاب أسماء لشئ واحد، وأهم الأشياء فى الساقية هى الدابة التى تحركها - وعادة تكون ثورا - والقواديس التى تحمل الماء من الجلية وهى مجتمع الماء، وقد يرد استعمال كلمة الساقية أو السانية بمعنى النهر الصغير أو الجدول أو الحقل أما الخطارة فهى صنف من الدواليب الخفاف انظر: النشاط الاقتصادي، ص ٦٢.
- ٤٥- مجهول: الاستبصار، ص ١٣٧، ص ١٨٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، صفحات ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٢٣٣، ٢٧٢، عز الدين موسى المرجع السابق، ص ١٨١.
- ٤٦- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٩، الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص ٧٦، ووصف أفريقيا الشمالية، ص ٥١، عبد الواحد المراكشى المعجب، ص ٤٤٤، الاستبصار، ص ١٨١، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.
- ٤٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٣٤، القلقشندى: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥٣، ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس، ج ١ ص ٤٥.
- ٤٨- الزهرى: المصدر السابق، ص ١١٤، الإدريسي: نفس المصدرين السابقين والصفحات، العمرى: المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٤٢.
- ٤٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ٥٠- مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨٢.
- ٥١- أزغار: منطقة من إقليم فاس تنتهى فى اتجاه الشمال على المحيط الأطلنطى وتنتهى غربا عند نهر سبو، وفى الشرق عند جبال غمارة، انظر: ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٣٠١.
- ٥٢- بنى ومود: منطقة أيضا بإقليم فاس لا يفصلها عن مدينة فاس سوى النهر. انظر: مارمول، أفريقيا ج ٢ ص ٢٥٦.

- ٥٣- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ٣٠١، مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٦، ١٨٤، ١٨٧، ٢٥٦، ٢٥٧.
- ٥٤- العمرى: المصدر السابق، ص ١٣٠، القلقشندى: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥٦.
- ٥٥- الوسق: وحدة كيل فى العصر الموحدى، ويسمى أيضا "الصحفة" وهوستون صاعا بالصاع النبوى، انظر العمرى، المصدر السابق ص ١٤٢، القلقشندى: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٧.
- ٥٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٧٠.
- ٥٧- ابن الزيات التادلى: التشوف، ص ٢٣٢، ٢٣٣.
- ٥٨- الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥١، الحميرى: الروض المطار، ص ٤٣٥.
- ٥٩- المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، مجهول: الاستبصار ص ١٨٥.
- ٦٠- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب فى عصر الموحدين، بدون تاريخ ومكان، ص ٢٤٠.
- ٦١- البحيرة: تعنى فى الاصطلاح المغربى البستان، انظر: مجهول، الاستبصار، ص ١٨٧، ابن القطان: نظم الجمان، ص ١١٩.
- ٦٢- ابن غازى العثمانى: الروض والهتون فى أخبار مكناسة الزيتون، الرباط المطبعة الملكية، ١٩٦٤، ص ٦- ٧، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٢٤٣.
- ٦٣- بنى مزلده: منطقة من إقليم فاس، انظر: مارمول: أفريقيا ج ٢ ص ٢٥٦.
- ٦٤- مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨١، ١٨٤، ٢٥٦، ٢٥٧.
- ٦٥- ابن غازى العثمانى: المصدر السابق، ص ٧، مارمول: المصدر السابق، ج ١ ص ١٦٢، عبد العزيز العلوى: صناعة النسيج فى المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب بفاس، جامعة سيدى محمد بن عبد الله العدد رقم ٢ سنة ٨٥ - ١٩٨٦، ص ٥٠، ٥٢ - ٥٣.
- ٦٦- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٤، الشريف الإدريسى: المغرب وأرض السودان، ص ٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥١.
- ٦٧- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى ص ١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٥٦.
- ٦٨- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٤، ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس، ورقة ١٧.

- ٦٩- مارمول: المصدر السابق، ج٢ ص ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٨١.
- ٧٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤.
- ٧١- المقدسى: المصدر السابق، ص ٢٢٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ٧٢- الزهرى: المصدر السابق، ص ١١٥.
- ٧٣- مارمول: المصدر السابق، ج٢ ص ١٨١، ١٨٤، ١٨٥ - ١٨٦.
- ٧٤- المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ١٩٠٦، ص ٢٢٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص ٤٤.
- ٧٥- مارمول: المصدر السابق، ج١ ص ٣٠.
- ٧٦- البكرى: المغرب ص ١٦٦، ياقوت الحموى، معجم البلدان ج٤ ص ٢٣٠، مجهول: الاستبصار، ص ١٨١.
- ٧٧- مارمول: المصدر السابق، ج٢ ص ١٥٩.
- ٧٨- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج١ ص ٤٤.
- ٧٩- العمرى: وصف المغرب، ص ١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص ١٥٧.
- ٨٠- مارمول: أفريقيا، ج٢ ص ١٨٤.
- ٨١- ابن الزبير: صلة الصلة، ص ٢١١، ٢١٢، ابن القاضى المكناسى، المصدر السابق، ج١ ص ٤٤.
- ٨٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٥ - ٣٦، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٣٥، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج١ ص ٤٤.
- ٨٣- مارمول: أفريقيا، ج٢ ص ٢٩، ١٥٤.
- ٨٤- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٢٦٢، مارمول: المصدر السابق، ج٢ ص ١٥٢، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٢٥٢.
- ٨٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٣٥، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٣٥.
- ٨٦- مجهول: الاستبصار، ص ١٨٤ - ١٨٥، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٢٥٣.
- ٨٧- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٠٢.
- ٨٨- مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة: ٤٦٧ - ٤٦٩.
- ٨٩- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى الحسبة، ص ٣٩، ٥٣، ٥٧.

- ٩٠- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٢١٦، ونود أن ننوه هنا إلى أن عز الدين موسى يشير إلى أنه استقى معلوماته من رسالة ابن عبدون والسقطي في الحسبة، وبالبحث لم نجد في تلك المصادر ما أشار إليه عز الدين موسى.
- ٩١- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في الحسبة، ص ٢٤، ٥٣، الجرسيفي: رسالة الجرسيفي في الحسبة، ص ١٢٥.
- ٩٢- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٦٢.
- ٩٣- ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، ص ١٤٠، بسط الأرض في الطول والعرض، ص ٧٤.
- ٩٤- عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط، ص ٤٩.
- ٩٥- مجهول: مخطوط، قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٦٨.
- ٩٦- عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٩٧- مارمول: أفريقيا، ج ١ ص ١٦٢، عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص ٥٠، ٥٢.
- ٩٨- مجهول: مخطوط ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٩، مجهول رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٧، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ٤٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ٩٩- ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص ٩١.
- ١٠٠- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٧١، ١٨٤، مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٥٥.
- ١٠١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦٣.
- ١٠٢- مارمول: المصدر السابق، ج ٤ ص ١٤٩ - ١٥٠، عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع، والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١، ص ٤٧١.
- ١٠٣- السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة والإشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين، ورقة ٣٠.
- ١٠٤- السيوطي: المصدر السابق، ورقة ٣٠.
- ١٠٥- الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص ٣٧، ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٧١، عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص ٥٣.
- ١٠٦- أحمد مختار العبادي: الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٨٠، ص ١٤٧.

- ١٠٧- أحمد عبد الرؤوف: رسالته في الحسبة والمحاسب، (ضمن الثلاث رسائل أندلسية التي نشرها ليفي برونسفال) ص ٨٧، أحمد بن القاسم التادلي: المعزى في مناقب سيدي أبي يعزى، ورقة ١٠٢، ابن عيشون الشراط، الروض العاطر الأنفاس، ورقة ٣١٢، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٩٦.
- ١٠٨- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٩٦، ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٨٤، مارمول المصدر السابق، ج ٢ ص ١٤٩، ١٧٥، عبد القادر زمامه، المرجع السابق، ص ٤٧١.
- ١٠٩- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٣٠، عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص ٥٣.
- ١١٠- مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٥٤.
- ١١١- البقم: كلمة معربة، وهي العندم، والبقم صبح معروف، انظر، المعجم الوسيط: ج ١ ص ٦٨.
- ١١٢- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في الحسبة، ص ٥٠، ابن عبد الرؤوف: رسالة ابن عبد الرؤوف في الحسبة، ص ١٠٤.
- ١١٣- عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص ٥٤.
- ١١٤- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٢٢٣.
- ١١٥- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٣٥، أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ١٥٢.
- ١١٦- محمد المنوني: الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمي، عدد ١٦ السنة السابعة، ١٩٧٠، ص ٤٠.
- ١١٧- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣٠، ص ٣٣٤ - ٣٤٥ - ٣٤٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩.
- ١١٨- عبد القادر زمامه: معالم أعلام من فاس القديم، ص ٨٩.
- ١١٩- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٢٢٤.
- ١٢٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ١٠، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، محمد المنوني: المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٥.
- ١٢١- الجرسيفي: رسالة الجرسيفي في الحسبة (ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة التي نشرها ليفي برونسفال) ص ١٢٤.

- ١٢٢- الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، بدون تاريخ ولا مكان، ص ٢٤.
- ١٢٣- عثمان الكعاك: الجامعات المغربية، مجلة البحث العلمي، الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥ ص ٢١٦ - ٢١٧، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٤٥.
- ١٢٤- عباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش واغامت من الإعلام، ج ١ ص ٣٤٣.
- ١٢٥- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٢٢٥.
- ١٢٦- مارمول: أفريقيبا، ج ٢ ص ١٥٠، وعن احترام أهل فاس لهذه المهنة أنظر: القاضي عياض: المعجم في أصحاب القاضي عياض، ص ٢٨٧، ٣٠٧، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ٣٣٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ١٩٩، ٢٠٠، ج ٢، ص ٤٦٦ - ٤٦٧، ٤٨٠ - ٤٨١.
- ١٢٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٦٩، وقد حقق الأستاذ عبد الله كنون هذا الكتاب في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩، ١٩٦٠.
- ١٢٨- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٧ ص ١٨٢، المقرئ التلمساني: أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض، ج ٢، ص ٣٧٩، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤، ج ٢ ص ٥٣٣ - ٥٤٢.
- ١٢٩- المقرئ: نفح الطيب، ج ٣ ص ٥٣٣، ويقول أحد المهاجرين من الأندلس إلى مدينة فاس والذي كان يعيش على مهنة النسخ:
- | | |
|--------------------------|------------------------|
| أُمسيت بعد الملك في غرفة | ضيقة الساحل والمدخل |
| تستوحش الأرزاق من وجهها | وما أزال الدهر في معزل |
| النسخ بالقوت لديها ولا | تقرعها كف أخ مفضل |
- انظر نفح الطيب، ج ٣ ص ٥٣٤.
- ١٣٠- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص ٣٩٩ - ٤٠٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٧٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١، ٢٨٣ - ٢٨٤، محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب ص ٢٧٣.
- ١٣١- الشريف الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٠، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٤.

١٣٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، هذا وقد اختلفت آراء المؤرخين في عدد رحى مدينة فاس فيذكر عبد الواحد المراكشي في المعجب ص ٤٤٤ أنها ٣٠٠ رحى، في حين يذكر ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان أنها ٦٠٠ رحى داخل المدينة كلها، انظر ج ٣ ص ٢٣٠، ويقول العمري أنها تقارب أربع مائة رحى، انظر وصف المغرب أيام السلطان ابن الحسن المريني، ص ١٣٩، ويذكر صاحب الروض المعطار أنها ٣٦٠ رحى وربما وصلت إلى ٤٠٠ رحى، انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤.

١٣٣- لسان الدين بن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص ١١١.

١٣٤- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ٢٣٨، مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٤٨.

١٣٥- مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٨، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة، ورقة ٣٠ ويجعلها ١١٧٢ فرنا.

١٣٦- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص ١١١.

١٣٧- التادلي: التشوف، ص ١٨١.

١٣٨- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص ١٤٢ - ١٤٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٧٥.

١٣٩- الأرقان: أو الهرجان أو الأرجان اسم بربري لشجر في السوس وجبال درن يشبه الأجاص، وله ثمر أخضر يصفر إذا نضج، انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، طبعة ليدن، ص ٦٥.

١٤٠- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٢٦٣.

١٤١- الطغري: مخططة زهرة البستان، ورقة ٧٧ - ٨٨ نقلا عن عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٩.

١٤٢- العمري: المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٤٣، القلقشندي: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٧٥، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٢٣٩.

١٤٣- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٤٤.

١٤٤- مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٥٢.

١٤٥- العمري: المصدر السابق، ص ١٣٩، ابن غازي المكناسي: الروض الهتون، ص ٧، مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٩.

- ١٤٦- الطغنى: مخطوط زهرة البستان، ورقة ٦٩ وما بعدها، نقلا عن عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ٢٤٢.
- ١٤٧- عبد الواحد: المعجب، ص ٤٤٤.
- ١٤٨- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٠٠ - ٢٠١، الجزئائي: المصدر السابق، ص ٣٧، ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس، ج ١ ص ٤٥.
- ١٤٩- الجزئائي: المصدر السابق، ص ٣٥، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ٢١٦.
- ١٥٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٠١، عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب في عهد الموحدين، ص ٢٩.
- ١٥١- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، الجزئائي: جنى زهوة الأس، ص ٥٥.
- ١٥٢- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المريني ص ١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٥٧.
- ١٥٣- مارمول: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤.
- ١٥٤- البيدق: أخبار المهدي، ص ٢٤.
- ١٥٥- ابن أبى زرع: المصدر المصدر السابق، ص ٤٦، الجزئائي: المصدر السابق، ص ٣٥.
- ١٥٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٦، حسن علي حسن الحضارة الإسلامية، ص ٢٦٣.
- ١٥٧- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٧١، مارمول: أفريقيا ج ٢ ص ٢٩، ١٥٤، ٢٢٥.
- ١٥٨- عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، ص ٤٦٨.
- ١٥٩- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٩، مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٤، يروفسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص ٩٢.
- ١٦٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٨ الجزئائي: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٦١- عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص ٢٦٨.
- ١٦٢- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٢٣١.

- ١٦٣- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، الجزئائى: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٦٤- مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٤٨، ١٥١، ١٥٣.
- ١٦٥- البيدق: أخبار المهدى، ص ٢٣ - ٢٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٢٣١.
- ١٦٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٦٢.
- ١٦٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٣٥، الجزئائى: جنى زهرة الأس، ص ٢٥، ابن القاضي المكناسى: ج ١ ص ٤٣، ٤٤.
- ١٦٨- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٣٥، الجزئائى: المصدر السابق، ص ٣٤.
- ١٦٩- مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١٨١، الحميرى الروض المعطار، ص ٤٣٥.
- ١٧٠- العمرى: المصدر السابق، ص ١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٥٢.
- ١٧١- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزئائى: المصدر السابق، ص ٤٤.
- ١٧٢- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ١٨٤، عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص ٤٧٠.
- ١٧٣- البيله عبارة عن صهريج من رخام مستطيل ملاصق للأرض والكلمة أسبانية، انظر عبد الوهاب بن منصور، فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص ٧٠، أما الخصة فهى عبارة عن الأنابيب التى يجتمع فيها الماء فى بيت الوضوء، انظر الأنيس المطرب، ص ٦٤.
- ١٧٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٥٨، ٦٤، ٧٠، الجزئائى: جنى زهرة الأس، ص ٧٣.
- ١٧٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٦٤، ٦٦، الجزئائى: المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.
- ١٧٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٦٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ٢٥٢.
- ١٧٧- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، ص ١٧٠.

١٧٨- ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، نشره حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد ١ - ٢ عام ١٩٥٨، ص ١١١، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزائى: المصدر السابق، ص ٤٤.

179- Harry. W. Hazard: The numismataic History of Late Medieval north Africa, New York, 1952, p. 14.

- ١٨٠- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ١١١.
- ١٨١- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ١١٢، ١١٦، بن قرية صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامى حتى سقوط دولة بنى حماد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦، ص ٣٠.
- ١٨٢- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ١١٣، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٣٢.
- ١٨٣- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ١١٧، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٣٣.
- ١٨٤- ابن يوسف الحكيم: نفس المصدر السابق، ص ١١٥، بن قرية صالح: نفس المرجع، ص ٣٤.
- ١٨٥- ابن خلدون: المقدمة، ص ٢١٧، بن قرية صالح، المرجع السابق، ص ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥.
- ١٨٦- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ٩٥، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٤٧.
- ١٨٧- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص ٩٧، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٤٨ - ٤٩.
- ١٨٨- بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٥٥.
- ١٨٩- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية، ص ٩٩.
- ١٩٠- عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، ص ٤٧٢.
- ١٩١- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ١٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزائى: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى، ص ٢٥٣، ٢٥٤.
- ١٩٢- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ١٢٥.

١٩٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦٣، الجزئائي: المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

١٩٤- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، الجزئائي: المصدر السابق، ص ٤٤.

١٩٥- السيوطي: كتاب في نسب بعض الصحابة، ورقة ٣٠.

١٩٦- مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٥٥.

١٩٧- الجزئائي: المصدر السابق، ص ٦٨، ٧١.

١٩٨- الوظائف والوزائع: مفرداتها وظيفة ووزيعة، وهما من أنواع الضرائب التي لم تبيحها الشرعية. انظر، هويكنز: النظم الإسلامية، ص ١٠٢.

١٩٩- ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٣٣.

٢٠٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٢٨، ١٢٩، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص ١٩٦.

٢٠١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٣٧، من المعروف أن مصادر الدخل للدولة الإسلامية وطريقة حرفة تحددهما الشريعة بكل دقة، وهذه المصادر يمكن تقسيمها إلى فئتين: المصدر الذي تحدده الشريعة ويؤديه المسلمون، والمصدر الدنيوي، ويجبى معظمه من غير المسلمين، أما الإيرادات الشرعية فتتكون من الزكاة - وهي في الواقع ضريبة دخل - والجعل وهو جباية لمواصلة الجهاد. والزكاة نفسها يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع: زكاة السوائم وزكاة عروض التجارة والذهب والفضة، وزكاة المعادن، وزكاة الزروع والثمار - ولأخيرة تسمية خاصة وهي العشر. وأما المورد الدنيوي فيشتمل على الخراج أو ضريبة الأرض والجزية أو ضريبة الرؤوس والضريبة الجمركية على التجار غير المسلمين، وغنائم الحرب وأموال من يتوفى دون أن يترك وارثاً أو وصية. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي: كتاب الأموال، تحقيق رضا محمد سالم، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي ١٩٨٨، وانظر أيضاً هويكنز: النظم الإسلامية، ص ٦١، أحمد مختار العبادي: الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ص ١٢٩ - ١٣٠.

٢٠٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٦٧.

٢٠٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٤١. اختلفت الروايات حول موضوع فرض الخراج على الأراضى فى إفريقيا والمغرب، فقيل أن هذه البلاد فتحت صلحا، وقيل أنها عنوه وقيل أسلم عليها أهلها، وينقل صاحب كتاب الأموال عن سحنون قوله: "كشفت عن أمرها فما ثبت عندى أمر": ويذكر صاحب الأموال أن الذى يوجب النظر فيها: أن تجرى على ما تواطأت عليه القرون فى أمرها، وتقر بأيدي مالكيها، إلا ما تواترت عليه الأخبار أنه اغتصب أو أجلى عنه أهله، أى أنها تخضع للتخمين. انظر: أبى جعفر أحمد بن نصر الداودى: كتاب الأموال، ص ٢٠.

وجمع صاحب جنى زهرة الأسى الثلاث وجهات النظر السابقة مستندا إلى رواية ابن القاسم عن الإمام مالك وهو أن المغرب أرض عنوه لأن المعادن، تخضع فيها للإمام، ولذلك فإن بيع مثل هذه الأراضى غير مشروع، أما القول بأنها أرض صولح عليها أهلها، فإن بيعها مشروع، أما وجهة النظر الثالثة فتعتبر الأراضى مختلطة فقد فر بعض السكان وجلوا عن أراضيهم، إلا أن من بقى منهم احتفظ بملكية أرضه، أى أنهم أسلموا عليها ويرى أبو الحسن القاسمى (أحد أعلام مذهب الإمام مالك توفى بالقيروان عام ٤٠٣هـ) أن وجهة النظر الأخيرة هى الصحيحة، انظر الجزائى: ص ٧.

ويقسم هو بكنز الوضع الدقيق لأرض المغرب بمقتضى وجهة النظر المالكية إلى ثلاثة أقسام:

أ- أراضى العشر: أى الأراضى التى أسلم أصحابها عليها وأصبحوا مسلمين ظلوا مالكيين لأراضيهم يدفعون العشر بوصفهم مسلمين.

ب- أراضى الخراج المفتوحة عنوه: وهى تؤول إلى الدولة ويظل الخراج الذى يدفعه ساكنوها مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وينظر إلى الخراج على أنه إيجار لا يجوز تخفيضه.

ج- أراضى الخراج المفتوحة صلحا: وفى هذه الحالة ينظر إلى الخراج، على أنه ضريبة لا تدفع إلا إذا كان المالك كافرا. وتكون الأراضى فى الفئتين (ب، ج) وقفا للدولة لا يجوز نقل ملكيتها، وفى الواقع لا يبدو أن الدولة بدأت أية محاولة لممارسة حقوقها بالنسبة لهاتين الفئتين، بل عاملت ساكنى الأراضى على أنهم مالكوها، على أنه يبدو أن الدولة على سبيل التعويض جبت ضريبة أراضى تعرف بالخراج عن جميع الأراضى دون تمييز.

- انظر: هويكنز: النظم الإسلامية في المغرب، ص ٧٥، ومع مرور الزمن أصبح معظم دافعي الخراج من المسلمين. وتستعمل الكلمة للدلالة على الضرائب التي هي ليست خراجا بمقتضى الشريعة انظر أيضا، ص ٨٦.
- ٢٠٤- قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٤.
- ٢٠٥- النشاط الاقتصادي: ص ١٦٥.
- ٢٠٦- ابن القطان: نظم الجمان، ص ٣٣.
- ٢٠٧- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج ٤ ص ١٠٢.
- ٢٠٨- ابن القطان: المصدر السابق، ص ١٠٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٦٦.
- ٢٠٩- المكوس والجباية: نوع من الضرائب على التجارة، ولكن كان له أثره على المزارعين حيث يبيعون سلعهم في الأسواق، وبذلك تكون المكوس والجباية ضرائب على التجار والفلاحين، حيث تكون نسبة الأرباح على رؤوس الأموال، فتأخذ من اكتساب الحيوان والنبات، وهو غلط عظيم، وإدخال للضرر على الرعايا من وجوه متعددة حيث فيه مضايقة للفلاحين الذين يبيعون سلعهم في الأسواق، حيث تحصل عوائد الفلاحة من أنواع الغلات، انظر ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٣٥.
- ٢١٠- القبالة: هو أن يجعل الشخص قبيلة: أى كفيلا بتحصيل الخراج وأخذه لنفسه، مقابل قدر معلوم يدفعه - وهو ما عرف فيما بعد باسم نظام الالتزام - فيستفيد السلطان تعجيل المال، ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله، انظر محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧، ص ٢٦١، وترد القبالة أيضا بمعنى كراء الأرض، فقد وردت في نوازل الفترة الموحدية بهذا المعنى، وربما زاد الملاك كراء زراعيهم فأضر ذلك بالزراع، ضررا شديدا، انظر: عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٨.
- ٢١١- المغارم: وردت في المصادر دون تحديد كنهها، عدا القول بأنه لم تبيحها الشريعة، انظر مجموع رسائل موحديه، ص ٢٨، الأتيس المطرب، ص ١٢٨، وترد بمعنى آخر غير معنى الضرائب، انظر أيضا هويكنز: النظم الإسلامية في المغرب، ص ١٠١ - ١٠٢.

- ٢١٢- المعونة أو الوظيفة: وردت أيضا في المصادر دون تحديد كنهها أنظر، الأنيس المطرب، ص ١٣٧ هويكنز: المرجع السابق، ص ١٠١ - ١٠٢ في حين يعرفها عز الدين موسى بأنها ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إن كان بيت المال خال من الأموال، انظر النشاط الاقتصادي، ص ١٦٨.
- ٢١٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ١٧٢.
- ٢١٤- مجهول: رسائل موحدية، ص ٢١ - ٢٢، ابن القطان المصدر السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٧٣.
- ٢١٥- المهديّة: مدينة محدثة البناء بساحل إفريقية بناها عبد الله الشيعي عام ٣٠٠هـ يحيط بها البحر من ثلاث جهات، يدخل إليها من الجانب الغربي، لها ربض يعرف بزويله وبين المهديّة ومدينة القيروان ستون ميلا، وكانت المهديّة قاعدة البلاد الإفريقية وقطب مملكتها، تغلب عليها صاحب صقلية عام ٥٤٣هـ وكان صاحبها يومئذ الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي الذي تركها، ثم عمل عبد المؤمن بن علي الموحدي على إنقاذ المهديّة من يد العدو فوصل إليها بمجموعة وحاصر العدو الذي صالحه عن الخروج عنها إلى صقلية، انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦١ - ٥٦٢.
- ٢١٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٩٩.
- ٢١٧- هويكنز: المرجع السابق، ص ٨١ - ٨٢.
- ٢١٨- هويكنز: المرجع السابق، ص ٨٢.
- ٢١٩- النشاط الاقتصادي: ص ١٧٦.
- ٢٢٠- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٢٨.
- ٢٢١- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٤ - ٤٥٥ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ١٧٣، كانت موقعة العقاب يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ حيث انتصرت الجيوش الأسبانية الأوروبية المتحالفة بقيادة ألفونسو الثامن على القوات الموحدية بقيادة محمد الناصر، وذلك في موقع يعرف بحصن العقاب بالأندلس، عن هذه الواقعة انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٠١ - ٤٠٢ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٣٦ - ٢٤٠.
- ٢٢٢- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ١٥٨، ٢٤٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٧٧.
- ٢٢٣- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٧٧.

- ٣٢٤- ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٠٤.
- ٢٢٥- الخرائط: يبدو أنها مجموعة الأوراق الخاصة بالمتحصلات الخراجية من الأراضي المزروعة التي كان يقيدتها متولى بيوت الأموال في المدن المغربية في العصر الموحدى كل عام حيث كانت ترفع مجموعة هذه الأوراق المشهود عليها إلى الخليفة لمراجعتها.
- ٢٢٦- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٣٢٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص ١٧٩ - ١٨٠.
- ٢٢٧- أحمد مختار العبادى: الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ص ١٥٧.
- ٢٢٨- انظر ما أشرنا إليه من تعريف للقيصرية في الفصل الأول.
- ٢٢٩- مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٦٨ - ٤٦٩.
- ٢٣٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤١، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٤٢.
- ٢٣١- ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٤٦.
- ٢٣٢- التريعة: جمعها ترايع، وهى سوق صغيرة مربع الشكل يعمل به بعض الصناع ولا تزال هذه الترايع موجودة بفاس، ومسماه بهذا الاسم إلى اليوم، انظر تحقيق الأنيس المطرب، ص ٤٨.
- ٢٣٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٣، ٤٨ - ٤٩، ٧٠، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص ٤٤ - ٤٥.
- ٢٣٤- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٢٤٥، ٢٤٦، أحمد الطوخى القيساريات الإسلامية، ص ٧٨ - ٧٩.
- ٢٣٥- مارمول كرفخال: أفريقيا، ج ٢ ص ١٤٨ - ١٤٩. وللمزيد من المعلومات عن أسواق فاس وحوالياتها ومعرفة مواقعها وأنواعها ومدى انتشارها في المدينة انظر ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، صفحات ٢٣٩ - ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧ - ٢٤٩، ومارمول كرفخال: أفريقيا، ج ٢، ص ١٤٩ - ١٥٠، ١٥٢.
- ٢٣٦- البكرى: المغرب فى ذكر أفريقية والمغرب، ص ١١٦.
- ٢٣٧- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٢٤٠، مارمول: أفريقيا، ج ٢ ص ١٤٨، تيتوس يوركهارت، فاس، ص ١٧٥.

- ٢٣٨- فنادق: جمع فندق، وجاءت كلمة فندق من الكلمة الإغريقية Noyoopely التى كانت تطلق على بعض المنشآت التجارية انظر د. أحمد الطوخى: القيساريات الإسلامية، ص ٦٧، وما أشار إليه من مصادر.
- ٢٣٩- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزائى: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص ٢٦٦ - ٢٣٨.
- ٢٤٠- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.
- ٢٤١- خانات: جمع خان وهى كلمة فارسية الأصل تعنى الحانوت أو المكان الذى ينزل به التجار، انظر د. أحمد الطوخى: المرجع السابق، حاشية ص ٦٨، وما أشار إليه من مصادر.
- ٢٤٢- تيتوس يوركهارت: المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٢٤٣- مارمول: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩، ١٥٢.
- ٢٤٤- الوتشريسى: المعيار، ج ٥ ص ١٩٧ - ١٩٨.
- ٢٤٥- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٣٦٢، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٢٧٥، ونود أن نشير هنا أنه يبدو أن أمناء الأسواق خضعوا لإشراف المحتسبين. ولكن عبد الرحمن الفاسى يعلق على منصب الحسبة فى عهدى المرابطين والموحدين بقوله: أن الظاهرة الماثلة هى غياب منصب المحتسب فى عهد المرابطين فى المغرب وقيام القاضى عندهم مقام المحتسب .. ويستطرد قائلا، ونظرا لمبدأ الموحدين فلم يكن هناك تفكير عند ابن تومرت فى إدخال نظام الحسبة الذى يقوم أساسا على الفروع الفقهاء.. ويرى أن الموحدين اكتفوا بأمناء الأسواق. انظر، عبد الرحمن الفاسى: خطة الحسبة بين النظر والتطبيق، الدار البيضاء، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٤، ص ٨١، ٨٤. كما استبعد من قبل كثير من الدارسين فى تاريخ المغرب فى عهدى المرابطين والموحدين وجود منصب المحتسب فى هذه الفترة.
- وعلى الرغم من ذلك تعتقد أن نظام الإدارة فى عهدى المرابطين والموحدين لم يكن يخلو من منصب الحسبة كما كان عليه الحال يومئذ فى الأندلس، إلا أن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود منصب متولى الحسبة فى فاس ومراكش صراحة باستثناء ما ورد فى ترجمة مروان بن عبد الملك اللمتونى الفاسى الذى بعث إليه قاضى مراكش ليقدمه على خطة الحسبة هناك. وذلك قبل عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٦م، وفي ترجمة ميمون بن على بن خيازه الخطابى الذى تولى حسبة

الطعام في مراكش، والذي عاش في الفترة من ٥٧٠ - ٦٣٧ هـ مما يدفعنا إلى الاعتقاد بوجود منصب المحتسب.

انظر التادلي: التشوف ص ٢٢٣، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٣٣٤، ٣٤٨. ويذكر الأستاذ ليفي برونسفال أن هذا المنصب لا يقل أهمية عن عامل المدينة مع خضوعه خضوعاً مباشراً لإشراف القاضي، فالمحتسب هو المنظم الحقيقي للحياة الاقتصادية في المدينة، ويقطع ليسفي برونسفال بأن هذا النظام وجد في المغرب دون انقطاع خلال العصر الوسيط. انظر، أدب الأندلس وتاريخها ص ٨٤، وعن صفات المحتسب ومهامه الكثيرة انظر ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب.

٢٤٦- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص ١٧٧، ٢٨١، ٢٣٤، ٣٣٢.

٢٤٧- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٧١، ١٨٤، مارمول كرفخال: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، ج ٣ ص ١٤٥.

٢٤٨- بن قرية صالح: المسكوكات المغربية، ص ٥٢٢.

249- Hary. W. Hazard: The numismatic History of Late Medieval North Africa, p. 60.

250- Zweiter Band: Katalog Der orientalis chen munzen, Berlin, 1902, p. 123.

٢٥١- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٣٧ - ١٣٨.

٢٥٢- ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشيكة، ص ١١١.

٢٥٣- بن قرية صالح: المسكوكات المغربية، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

Harry: Op. Cit, p. 48.

٢٥٤- بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٥٥٤.

255- Lavoix. M. Henri: Catalogue Des monnaies musulmanes de la bibliothequenationale de Espagne et Afrique Paris, 1891, Vol. 3, pp. 222 - 227.

بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٥٦٦ - ٥٧٠.

٢٥٦- بن قرية صالح: المرجع السابق، انظر جدول رقم ٧ ص ٥٨٧ - ٥٨٨.

٢٥٧- القاريط: جمع قيراط، وكل درهم يساوي قيراطين. انظر، التادلي: التشوق، ص ٣٣٣.

٢٥٨- ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص ١٧٦، ١٧٧، ٤٠٠، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص ٥٩٣.

259- Harry: op. Cit, p. 48.

٢٦٠- بن قرية صالح: نفس المرجع السابق والصفحة.

261- Harry: op. Cit, p. 48.

262- Ibid: pp. 48 – 49.

٢٦٣- عبد الصمد كنون: جنى زهرة الآس فى شرح نظم عمل فاس، مصر مطبعة الشروق، بدون تاريخ، ص ٢٤.

٢٦٤- العمرى: وصف المغرب، ص ١٤٢، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٧٨.

٢٦٥- البكرى: المغرب، ص ١١٧.

٢٦٦- العمرى: وصف المغرب، ص ١٤٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٧٠، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٧٧.

٢٦٧- مجهول: الاستبصار، ص ١٨٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٦٦، ٦٧.

٢٦٨- العمرى: نفس المصدر والصفحة.

٢٦٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٨، ص ١٧١، الجزنائى جنى زهرة الآس، ص ٤٤.

٢٧٠- الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧٩، انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٣٤، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٢٧١.

٢٧١- الجزنائى: المصدر السابق، ص ٣٩، وانظر حسن على حسن المرجع السابق، ص ٢٧١.

٢٧٢- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥، ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص ٢٢٠.

٢٧٣- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص ٦٢،

L. Goluin: Le Magrib Central, p. 37.

٢٧٤- الزهرى: المصدر السابق، ص ١١٦.

٢٧٥- مغيلة: مدينة من أحواز فاس سماه باسم القبيلة التى كانت تسكنها، تقع بين فاس ومكناس على يمين الداهب من الأولى إلى الثانية، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبد الطريق الجديد فى أول هذا القرن، فيها الجند الروم الذين كانوا فى جيش الخليفة السعيد الموحدى فهبطت إلى مستوى قرية لا تزال قائمة

- العين ينسب إليها جماعة من الأعلام، انظر دار المنصور في تحقيقها للأنياس المطرب، ص ١٥٨.
- ٢٧٦- الزهري: المصدر السابق، ص ١١٥، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٩٣.
- ٢٧٧- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١٤١.
- ٢٧٨- القراطوني: نوع جيد من جلود الماعز أو الضأن المدبوغ: انظر عبد الرحمن حميده في تحقيقه لوصف أفريقيا، ص ١٢٨.
- ٢٧٩- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٧١.
- ٢٨٠- مدينة داي: مدينة بأرض المغرب، تقع في سفح الجبل الخارج من جبل درن، بينها مدينة أغمات مسيرة أربعة أيام، كما أن بين داي وتادلة مرحلة، انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣١.
- ٢٨١- البكري: المغرب، ص ١٥٤، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٢٧٢، عيسى الديب، التجارة في عصر المرابطين، ص ٩٤.
- ٢٨٢- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ١٨٤.
- ٢٨٣- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص ٢٣٤.
- ٢٨٤- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ٣٠١.
- ٢٨٥- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص ٢١٤.
- ٢٨٦- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٨١.
- ٢٨٧- الإدريسي: المصدر السابق، ص ٧٦.
- ٢٨٨- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٢.
- ٢٨٩- الزهري: المصدر السابق، ص ١١٤.
- ٢٩٠- مجهول: الاستبصار، ص ١٨١، وانظر، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٥.
- ٢٩١- لسان الدين بن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص ١١١.
- ٢٩٢- عيسى الديب: التجارة في عصر المرابطين، ص ١١٧ - ١١٨.
- ٢٩٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص ٣١٢.
- ٢٩٤- البكري: المغرب ص ١١٤ - ١١٥، عيسى الديب: المرجع السابق، ص ١١٨.
- ٢٩٥- البكري: المصدر السابق، ص ١٠٩، ١١، وانظر وصف البكري للطريق بين طنجة وفاس.

- ٢٩٦- مارمول كرفخال أفريقيا، ج٢ ص ٢٠٩ عيسى الديب المرجع السابق ص ١٢٢.
- ٢٩٧- مدينة طليطلة: مركز لجميع بلاد الأندلس لان منها الى كل من قرطه وبلسيه والمريه تسع مراحل، وهى مدينة عظيمة القطر كانت دار الملك بالأندلس. حين دخلها طارق بين زياد، وتقع طليطلة على صفة النهر الكبير، حصيته لها أسوار حسنة وقصبة حصينة، انظر الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٩٣ ٣٩٥.
- ٢٩٨- ابن الزبير: صلة الصلة، ج٧ ص ٢٠٩.
- ٢٩٩- ابن عبد الله المراكشى: الدليل والتكملة لكتايب الموصول والصلة، القسم الأول من السفر الخامس، ص ٢٥ - ٢٦.
- ٣٠٠- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١ ص ١١٠، ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، ص ٣١٩ - ٣٢٣.
- ٣٠١- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٥ - ٢٦.
- ٣٠٢- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص ٢١٣ - ٢١٤.
- 303- L. Goluin: Le Magrib Central, p. 83.
- ٣٠٤- عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب، ص ٢٦٠.
- ٣٠٥- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٢ ٣٩٩، عيسى الديب: المرجع السابق، ص ١١٨.
- ٣٠٦- مدينى جنى: تناخم مملكة ولاته، بيد أن كل منهما تبعد عن الأخرى مسافة تقارب خمسمائة ميل فى الصحراء، وتمتد جنى على نهر النيجر على امتداد مائتين وخمسين ميلا تقريبا. انظر ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص ٥٣٧.
- ٣٠٧- مدينة تنبكت: مدينة بصحراء السودان نشأت على أيدي توارق مفرق فى أواخر القرن الخامس الهجرى، تمتد على مسافة اثنى عشر ميلا من فرع نهر النيجر، انظر: السعدى، تاريخ السودان، أنجى مطبعة بردين، ١٨٩٨، ص ٢٠، ٢١.
- ٣٠٨- السعدى: المصدر السابق، ص ١١، ٢١، الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى، جده، المجمع العلمى بجده ١٩٢٩، ص ١٣٦.
- زاهر رياض: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقية القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٨.
- ص ١٢، باذل دافدس: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بدون تاريخ ومكان، ص ١٩.

٣٠٩- الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص ٧، ٩. ومدينة غانة من أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا، وأوسعها متجرا وأهلها مسلمون، انظر نفس المصدر، ص ٧.

٣١٠- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٩.

٣١١- ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٠٩، عيسى الديب: المرجع السابق، ص ١٣٨.

٣١٢- مارمول كرفخال: أفريقيا، ج ٢ ص ١٥٤.

313- Davidson, Basil. The Africans anentry to cultural History. London, 1969, p. 214.

أحمد الياس: الطرق التجارية عبر الصحراء، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٧، ص ١٥٣ - ١٥٤.

٣١٤- الزهرى: المصدر السابق، ص ١٢٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٣٢٦.

٣١٥- أحمد الياس: المرجع السابق، ص ١٦٧.

٣١٦- البكرى: المغرب، ص ١٥٨، أحمد الياس: المرجع السابق، ص ١٦٩.

٣١٧- أحمد الياس: المرجع السابق، ص ١٦٩، الأمين عوض الله: المرجع السابق، ص ١٥١.

٣١٨- انظر الطريق الذى ذكره عبد الواحد المراكشى بين فاس وبجاية على ساحل البحر المتوسط، ومنها إلى المشرق، والذى أشرنا إليه آنفا، ويبدو أن هذا الطريق كان معروفا، فعند عودة ابن تومرت من المشرق عن طريق البحر نزل فى بجاية. ويشير أيضا ابن القاضى المكناسى فى ترجمته لعثمان ابن عبد الله السلاجى أنه رحل من فاس إلى مدينة بجاية عازما على الرحلة منها إلى المشرق عن طريق البحر. انظر جذوة الاقتباس ج ٢ ص ٤٥٨.

٣١٩- ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض، ص ٦٥، عيسى الديب: المرجع السابق، ص ١٥٤.

٣٢٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٦٠، عيسى الديب: المرجع السابق، ص ١٥٦.

٣٢١- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٨١.

٣٢٢- وثائق الجينزا مجموعة من الوثائق المهمة لدراسة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لمنطقة الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، اكتشفت منذ

- قرن تقريبا، وكلمة جينزا كلمة عبرية مقترضة من الفارسية وهى بمعنى "خزانة" وفى العصور الوسطى أطلقت كلمة جينزا على تلك الحجرة التى كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وعقود. انظر حسين محمد ربيع: وثائق الجينزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى، بحث منشور فى موسوعة دراسات تاريخية للجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢ طبعة الرياض، ١٩٧٩، ص ١٣٢.
- ٣٢٣- شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٥١، سنة ١٩٩٠، ص ٦٤.
- ٣٢٤- عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ٤٤٤.
- ٣٢٥- مجهول: الاستبصار، ص ٢٠٢، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٣٧١، محمد الحبيب بن الخوجه، اليهود فى المغرب، ص ٢٥ - ٢٦، عيسى الديب، المرجع السابق، ص ١٥٨.
- 326- Goitein: Jews and Arabs: Their contacts through The ages, New York, 1955, pp. 118, 119.
- 327- Goitein: Studies in islamic History and insitions, Brill, Leiden, 1967, p. 268.
- 328- Goitein: Amediterranean society, London, 1971, Vol. II, p. 166.
- ٣٢٩- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ٧٩، ٨٠، الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١١٤، الحميرى: الروض المعطار، المصدر السابق، ص ٤٣٤، ٤٣٥.
- ٣٣٠- ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٨٣.
- ٣٣١- ابن القطان: المصدر السابق، ص ٢٤٦.
- ٣٣٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٧٧.
- ٣٣٣- ابن الزيات التادلى: التشوف، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٠، ٢٧٠.
- ٣٣٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٤٩، ٢٧٠، عبد الهادى التازى: جامع القرويين، ج ١، ص ١٠٠، ١٠١.

الفصل الخامس

الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس في
عصر المرابطين والموحدين

شهدت مدينة فاس منذ قيام دولة المرابطين وفي عصر الموحدين نهضة علمية، نظراً لما تضمنته تلك الفترة من القيام بدعوتين دينيتين وما صحبهما من صراع فكري واتجاهات دينية، ولم يتجه التعليم في هذين العصرين وجهة دينية فحسب، بل ازدهرت الحياة العلمية في شتى الميادين. وقد ساعد على ثراء هذه النهضة اهتمام الأمراء المرابطين ومن بعدهم الخلفاء الموحدين بتدعيم الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس وغيرها من مدن المغرب العربي، وقد تعرضت في الفصل الثالث لاهتمام حكام الدولتين بالعلم والعلماء. إلى جانب ذلك كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نمو الحياة العلمية بالمدينة منها:

العامل السياسي:

عاشت مدينة فاس قرن ونصف من الاضطرابات السياسية والخمول قبل دخول المرابطين المدينة، حيث تناحر للسيطرة عليها الأمويون والفاطميون وقبائل زناته، وقد تخلصت المدينة من حالة الفوضى التي عاشتها بسيطرة المرابطين على مقاليد الأمور، وتوحيدهم للمدينة في ظل حكومة مركزية واحدة. ثم جاء الموحدون في أعقابهم وقد أحكموا سيطرتهم على المدينة أيضاً، وفي مناخ الاستقرار السياسي الذي شهدته فاس في هذين العصرين نمت الحركة العلمية وازدهرت.

العامل الاقتصادي:

ونتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية ازدهرت الحياة الاقتصادية بفاس حيث حرص الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين على النهوض بالأوضاع الاقتصادية بالمدينة فاتجه الأهالي إلى توجيه أبنائهم للتعليم. كما كان لهذا الاستقرار الاقتصادي أثره في دفع الأهالي إلى وقف الأوقاف لتعليم الصبيان، فكان لهذا أثره في نهضة العلوم^(١).

الهجرة إلى فاس:

على الرغم من أن الصلات الثقافية لم تنقطع بين المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، إلا أن هذه الصلات ازدادت رسوخاً وازدهاراً بعد أن أصبحت الأندلس إقليمياً تابعاً للمغرب الأقصى في عهدي المرابطين والموحدين، فكانت هناك هجرات كثيرة من علماء الأندلس خلال هذه الفترة فراراً من المعارك الطاحنة التي شهدتها منطقة الأندلس ضد نصارى أسبانيا مما دفع العلماء إلى

الانتقال إلى مدن المغرب، ومنها فاس لينعموا بالاستقرار فضلا عن التكريم والترحيب من ولاة الأمر والشعب المغربي^(١). وكان لهذا الاحتكاك أثره في توجيه أنظار أهل البلاد إلى الأخذ بأسباب العلوم .. يقتبسون من علماء الأندلس ويأخذون بأدواتهم، وما لبثوا أن شاركوهم في جميع العلوم، ونبغ من أهل المدينة أفراد كثيرون كان لهم قيام حسن على فنون من العلم^(٢).

كما شهدت مدينة فاس هجرات كثيرة من مختلف المدن المغربية وكان أغلب هذه الهجرات من أجل طلب العلم بالمدينة. حيث صارت فاس نجما يتألق بما فيها من تيارات ثقافية، وبما يموج بداخلها من حركة علمية، دفع عبد الواحد المراكشي أن يصفها "بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه"^(٣).
الرحلة العلمية لأبناء فاس إلى الأندلس والمشرق:

كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في العصر الإسلامي، حيث كانت فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه لها أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة، فلم يكتف الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنما حرص أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يكون قد تفقه في مادته وصحبه في علمه^(٤). وشملت الرحلة العلمية تدفق طلاب العلم من مدينة فاس على مراكش بالأندلس وأسهمت المصادر الإسلامية وكتب التراجم في الحديث عن طلاب العلم الذين وفدوا على الأندلس من مدينة فاس لينهلوا العلم من معاهدها حتى أن الكثيرين من علماء وقضاة فاس كانوا ممن تلقوا تعليمهم في مراكز العلم الأندلسية^(٥).

كما كان طلبة فاس يرحلون إلى المشرق في رحلات علمية حافلة يقضون فيها الأعوام الكثيرة من أجل نهل العلم ولقاء الشيوخ، فهذا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م قد رحل إلى المشرق، ولقى هناك أكثر من مائة شيخ أخذ عنهم، وجمع في ذلك فهرست سماه "النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة"^(٦).

ولا شك أنه كانت لهذه الهجرات العلمية أثرها في تنشيط الحركة العلمية بمدينة فاس، حيث كان هؤلاء المهاجرون يعودون إلى المدينة بأنواع من العلوم المختلفة، ويقومون بتدريسها في مدينة فاس.

إنشاء المكتبات العامة والخاصة:

كان مما ساعد على النهضة الفكرية والعلمية أيضا إنشاء المكتبات العامة والخاصة التي كان أصحابها يفتحون أبوابها لطلبة العلم، فتجلت النهضة العلمية في المكتبات العديدة، حيث عرف عن علماء فاس أنهم يتبارون في اقتناء الكتب ونسخها .. فكانت المكتبة العلمية بجامع القرويين في عهدي المرابطين والموحدين على غاية من الكمال، ويكفي أن نعرف أن كلا من الدولتين قام على مذهب، ومن شأن ذلك أن يجعل الدولة تفرض انتشار كتب معينة، بل أن تجمعها وتجعلها في متناول العموم في كل لحظة .. ومن المعروف أن فاسا بلغت في عهدي المرابطين والموحدين مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب. لذا كان حفظها من الخزانة العلمية للدولة حظا كبيرا .. وقد عرف أسماء الخزائن المنتشرة، وبعض أسماء المقيمين عليها، ودرجة الأهمية التي يولونها لمن تعهد إليهم إدارة تلك الخزائن، حيث كانوا يختارون من عليا القوم ومن أكملهم علما وأكثرهم إطلاعا^(٨).

وهناك عدد من علماء فاس كانت لهم مكتبات عظيمة ورد ذكرها في المصادر، فهذا محمد بن أحمد البيراني التجيبي المتوفى بعد عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م كان من المهتمين باقتناء الكتب، فكان صاحب دفاتر ودواوين كتب نفسه اقتناها من الأندلس^(٩) وهذه مكتبة ابن الغرديس التغلبي المتوفى بعد عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م الذي كان قاضيا لفاس وناظرا لجامع القرويين وكان موضعها بزقة حجامه حيث نزل القاضي عياض^(١٠)، ومكتبة القاضي أبي القاسم عبد الرحيم بن الملبوم ٥٢٤ - ٦٠٤هـ ١١٢٩ - ١٢٠٧م والتي كونها من مكتبة والده عيسى الأزدي الزهراني ومكتبة أستاذه أبي عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الجياني، ثم أضاف إلى هذه وتلك من النفائس والذخائر^(١١).

ومن مكتبات فاس الخاصة مكتبة الأستاذ المؤلف أبي القاسم عبد الرحمن بن الملبوم ٥٣٠ - ٦٠٥هـ/ ١١٣٥ - ١٢٠٨م الذي شيد غرفة ضخمة كان يقصدها كبار البلد وعيونها، جمع لها من الكتب والدواوين الشيء الكثير حتى صارت خزانة جليلة الشأن لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، تركها لأبنته التي باعت أوراق المكتبة الغير مجلده بعد وفاة أبيها بستة آلاف دينار^(١٢). كما كان أبو عبد الله محمد بن يحيى بن تاكوت المسوفي المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م والذي ولي أعمال فاس معتنيا بالكتب جمع منها مالم يجمع غيره، وكانت مكتبة الموناني (محمد بن عيسى بن منصور) المتوفى عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م عظيمة جدا^(١٣). هذا وكان من أبناء

فاس من يبذل المال الكثير في سبيل افتناء الكتب، فالقاضي عيسى بن يوسف بن الملجوم، كان جامعاً للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وقد إبتاع من أبي علي الغساني نسخة من سنن أبي داود دفع فيها خمسة آلاف دينار^(١٤).

وتدل المكتبات وما تزدهم به من مؤلفات على مدى ازدهار الحركة العلمية والفكرية بالمدينة .. وبذلك أسهمت المكتبات في دفع تيار الثقافة بفاس وتزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه من مدد في مختلف فروع المعرفة.
المعلمون:

يذكر ابن خلدون "أن الحذق في العلم والتفنن فيه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلًا .. ولهذا كان السند في التعليم في كل علم إلى مشاهير المعلمين فيه معتبراً عند كل أهل أفق وجيل"^(١٥). لذا اهتم العرب والمسلمون بالمعلمين لخطورة دورهم في المجتمع. فكان من هؤلاء العلماء من يصير من جلساء أصحاب الأمر^(١٦). حيث كانوا يختارون أكفأهم لتربية أولادهم، فهذا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم المتوفى عام ٥٥٩هـ / ١٠٦٦م من أهل مدينة فاس كان فقيهاً حافظاً للفقه استدعاه بعض أمراء المرابطين للقراءة عليه والأخذ عنه^(١٧). كما كان محمد بن حماد العجلاني المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م من أهل فاس، هو المخصوص بقراءة كتب الحديث وروايته على الأمراء^(١٨).

ثانياً: طرق التعليم بمدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين:

لطرق التدريس أهمية خاصة في التعليم بوجه عام، إذ هي الوسائل التعليمية التي تنفذ بها أهداف التعليم وغاياته، وقد كان للتعليم الإسلامي "الطرق الخاصة" التي تميز بها وسار على نهجها وكانت حلقات الدرس التي يلتف فيها الطلاب حول أستاذهم هي الطريقة السائدة في التعليم الإسلامي^(١٩). وعرف الطلاب خلالها وسيلتين لتلقي التعليم:

– طريقة التلقين أو التحفيظ، والتي عادة ما كانت تتم في الكتاتيب حيث "يجلس المعلم في الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم، وبعض المبادئ لرسم المصحف ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه في مجالس تعليمهم مثل الحديث والفقه والشعر وكلام العرب"^(٢٠).

- طريقة السماع والقراءة، وفيها يقوم الأستاذ في مجلسه بإلقاء دروسه على طلبته^(٢١). ووردت العديد من ترجمات الطلبة الذين تلقوا تعليمهم بهذه الطريقة على أيدي الشيوخ، فهذا منصور بن مسلم الزرهوني المتوفى عام ٥٥٦هـ / ١١٦١م من أهل مدينة فاس، سمع من عباد بن سرحان صحيح مسلم وجامع الترمذى^(٢٢). وعلى بن أحمد بن أبي بكر المقرئ المعروف بابن حنين المتوفى عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م سمع من علي بن القاسم خلف بن فرتون الموطأ والسير وعلم القرآن^(٢٣). كما كان لبعض العلماء عناية بسماع الحديث وروايته وذكر أسانيده من الطلبة^(٢٤).

ثالثا: المؤسسات التعليمية بمدينة فاس: المساجد

إن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، فهو المركز الرئيسي لنشر الثقافة العربية الإسلامية، ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات في سنى الإسلام الأولى كانت دراسات تهدف إلى شرح تعاليم الدين الجديد .. وهى تتصل بالمسجد، فاتخذوه مكانا للعباد، ومعهدا للتعليم^(٢٥). ومركزا تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية في المدينة^(٢٦).

ولما كانت الدولتان المرابطية والموحدية قد قامتتا على أساس ديني فقد اهتمت ولاية الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد في أماكن متفرقة، وقد شهدت مدينة فاس اهتماما بالغاً بإنشاء المساجد فيها والعناية بها فأمر المسلمون يوسف بن تاشفين أمر سكان كل شارع بالمدينة ببناء مسجد وإلا تعرضوا للعقاب وذلك منذ اللحظة الأولى التى دخل فيها المدينة^(٢٧). كذلك أصدر الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي أوامره ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد^(٢٨). وقد أحصيت مساجد مدينة فاس في العصر الموحدى فكانت سبعمائة واثنين وثمانين مسجدا^(٢٩).

ومن أشهر مساجد فاس التى قامت بدورها كمعهد للتعليم جامع القرويين الذى وضع حجر أساسه عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ليكون دار فقه وعلم^(٣٠). واهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بهذه المؤسسة الدينية العلمية، فعلى أثر مؤتمر ضم العلماء والفقهاء استقر الرأى في عام ٥٢٨هـ / ١١٣٣م أن يعهد للقاضى محمد بن داود^(٣١). بأمر إصلاح الجامع وتوسعته، فقام القاضى بشراء الأملاك المجاورة للجامع من أجل الزيادة في مساحته، فبنى فيه الباب الكبير الغربى، وهو باب الشماخين، وجعل للمسجد أبوابا عظيمة، كما تمت الزيادة في صحنه^(٣٢). وعندما توفى هذا

القاضي، وخلفه الفقيه عبد الحق بن معيشه، هذا واقتفى أثره فزاد في الجامع ثلاث بلاطات ومحرابا وصنع له منبرا جديدا، وجعلت أبواب الجامع كلها مغشاه بالنحاس الأصفر، ونقش على القبة والمحراب بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة، وكان الفراغ من هذه الزيادة عام ٥٣٨هـ / ١١٤٣م^(٣٣).

وشهد هذا الجامع اهتماما آخر من خلفاء الدولة الموحدية، حيث صنعوا له الخصة والبيبة في عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م، كما صنعوا له المستودع والساقية الكبرى في أيام الفقيه أبي محمد يشكر، أما الثريا الكبرى لهذا الجامع فصنعت أيام الفقيه الصالح عبد الله بن موسى المعلم عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م^(٣٤).

هذا واستمرت الدراسة بجامع القرويين منذ إنشائه ولم تغلق أبوابه حتى في الفترات التي كانت تتم فيها أعمال الإصلاح والزيادة، وحتى عندما اتخذ المرابطون مراكش عاصمة لهم، وبنى بها جامع على بن يوسف، ظلت القرويين مركزا للإشعاع العلمي^(٣٥). وظل قضاة "مقر الخلافة بمراكش" من أمثال عيسى بن عمران المتوفى عام ٥٢٨هـ / ١١٨٢م يبعثون بأبنائهم للتزود من معين القرويين، وكان مثل هذا أيضا يحدث من الأصقاع الجنوبية ومدن الساحل الشمالي^(٣٦).

أما عن بداية التعليم بجامع القرويين فإن أقدم رواية تذكر أن محمد بن جراح الأنصاري كان يعطى درسا له بالجهة الغربية من الجامع المذكور منذ عام ٥١٥هـ / ١١٢١م^(٣٧). كما تذكر النصوص أيضا أن أحمد بن أحمد بن عبيده الأنصاري القرطبي المتوفى عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م درس فيه وأخذ عنه جماعة به علم الحديث^(٣٨). كما تصدر ابن نموي الفاسي المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٢م للأقراء في شرق القرويين^(٣٩) وكانت العادة المتبعة أن لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة الكافية في العلم والسلوك تلك الكفاية التي يذيع أمرها عن طريق التدريس في تلك العلوم^(٤٠).

مما تقدم يتضح أن جامع القرويين كان مركزا علميا ذا أهمية عظمى، وكعبة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامي لتلقى العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم الأخرى^(٤١).

وكان جامع الأندلس من المساجد المعروفة التي يلقي فيها الشيوخ دروسهم في هذين العهدين، فكثيرا ما عقدت به حلقات علمية، حيث كان جملة من العلماء يدرسون العلم في مواضع منه، وكانوا أهل شورى ممن يقتدى بهم، ويقصدهم الناس من أقطار البلاد، فمنهم المدرس، والمجود للقرآن، والطالب لما يشاء من

فنون العلم فى مجالس شتى، ومن العلماء الذين ألقوا دروسهم بجامعة الأندلس الشيخ الفقيه أبو الفضل يوسف بن محمد المتوفى عام ٥١٣هـ / ١١١٩م^(٤٦)، هذا إلى جانب المساجد الأخرى فى عهد المرابطين مثل المسجد المنسوب لابن حنين الذى كان يقرئ به أبو الحسن على بن أحمد بن أبى بكر الكتانى المعروف بابن حنين^(٤٧). ومسجد زقاق الماء الذى كان يدرس فيه أبى بكر عثمان بن مالك من شيوخ أبى الحسن بن حرزهم^(٤٨) ومسجد الحوراء الذى قصد للأقراء به أبو بكر محمد بن عبد الله بن مغاور اللخمى الأشبلى المتوفى ٥٥٣هـ / ١١٥٨م^(٤٩). ومسجد طريانه الذى نزل به المهدي بن تومرت مدة إقامته بفاس فى السنين الأولى من دعوته^(٥٠). وجامعة فاس الذى تلقى فيه الشيخ أبو مدين التعاليم الدينية فى بداية دخوله المدينة^(٥١).

واشتهرت كذلك فى العصر الموحدى بعض المساجد التى جلس فيها العلماء لإلقاء دروسهم منها مسجد زقاق الرواح الذى جلس فيه للإقراء يوسف بن عبد الصمد بن نموى الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م^(٥٢) ومسجد على بن أحمد بن أبى بكر الكتانى^(٥٣). وجامعة باب السلسلة الذى كان يلقى به علوم الحديث يوسف بن موسى بن أبى عيسى الفسانى المتوفى بعد انتهاء الدولة الموحدية بقليل^(٥٤).
المكتب أو الكتاب^(٥٥):

كان هذا النوع من الكتائب أسبق أنواع المعاهد التعليمية - بعد المسجد - وجوداً فى العالم الإسلامى، وقد اشتق اسم هذا المعهد (الكتاب) من التكتيب وتعليم الكتابة، وهذه المهمة التى كان يطلع بها، فهو فى الغالب وجد متصلاً بتعليم القراءة والكتابة^(٥٦). ولما أنشئت الكتائب تولى حفظة القرآن العمل بها، وأصبح القرآن الكريم نقطة الارتكاز فى هذه الدراسة الابتدائية^(٥٧). فمن المعروف أن حفظ القرآن الكريم وختم المصحف كان أول أهم خطوة فى تعليم الصبيان والصغار بصورة خاصة، وكان يجب على والد الصبى أو ولى أمره أن يتفق مع المعلم على أجر معين مقابل قيامه بهذه المهمة، وتعهده بإتمامها على أكمل وجه^(٥٨). وورد فى كتاب التشوف ما يؤيد ذلك ويؤكد، حيث كان معلم القرآن للصبيان يأخذ الأجر من أبناء الأغنياء ويرده على أبناء الفقراء^(٥٩).

وانتشرت الكتائب فى شوارع فاس وأزقتها فى عصرى المرابطين والموحدين ووردت ترجمات عديدة نتعرف من خلالها على القائمين على تعليم

الصغار. وتمدنا النصوص التى بين أيدينا بأخبار العديد منهم خاصة أولئك الذين بلغوا شأوا بعيدا وتألّق نجمهم فى سماء الشهرة، فهذا أبو عبد الله التاودى المعلم لكتاب الله، والمتوفى عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م من أهل مدينة فاس، كان يقوم بتعليم الصبيان القرآن الكريم فى المكتب^(٥٦). كما قام بالدراسة فى هذه المعاهد العلمية الفقيه موسى المعلم الذى كان يعلم الصبيان فى معهد قنطرة أبي رؤوس بفاس، والذى ارتقى للقيام بالخطبة فى جامع القرويين^(٥٧) وكذلك إبراهيم العشاب الأنصارى المتوفى عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م من أشونة^(٥٨) كان يعلم القرآن بمدينة فاس^(٥٩).

كما كان تاشفين بن محمد من أهل مدينة فاس يقوم على تعليم القرآن وتوفى هذا المحفظ عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(٦٠). كذلك كان الفقيه أبو محمد القضاعى المتوفى عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م من أهل مدينة فاس يقوم بتعليم الصبيان لكتاب الله فى المكتب^(٦١).

من هنا صار للكتاب أهمية خاصة باعتباره المرحلة الأولى من مراحل التعليم^(٦٢) حيث يعكف الصغار أولا على استظهار كتاب الله حتى يتفوقوا فى تجويده وتلاوته على الوجه الحسن، كما كانوا يأخذون بمبادئ الدين وقواعد اللغة العربية، وهذه المعرفة الأولية هى التى تمكنهم من الارتقاء إلى مستوى الطلاب الجديرين بهذا الوصف، ولهذا تتجلى أهمية انتشار الكتاتيب (المسايد) بأزقة فاس^(٦٣).

وكان إقبال أهل فاس على إرسال أبنائهم إلى هذه الكتاتيب فى هذين العهدين إقبالا كبيرا، وليس أدل على ذلك من أن الفقيه موسى المعلم المتوفى عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م عندما جاءه الأمر بتولى الخطبة بجامع القرويين أطلق العديد من صبيانهم من المكتب^(٦٤).

وكان هؤلاء الصبية بعد أن يتقدمون فى العلم، يكونون كل احترام وتقدير لمعلميهم، فعندما استدعى الخليفة محمد الناصر الموحى أثناء وجوده بقصره بمدينة فاس، عبد الله بن موسى المعلم، الذى كان آنذاك إماما بالقرويين وجاءت صلاة الظهر، قال له الخليفة محمد الناصر: من فى موضعك، قال: تركت فيه من هو خير منى، وهو معلمى الذى قرأت عليه كتاب الله^(٦٥).

المدارس:

بعد ثلاث سنوات من تأسيس المدرسة النظامية^(٦٦) عرفت مدينة فاس مدارس احتضنت الطلبة الذين يردون لتلقى العلم من سائر أطراف البلاد .. فنجد

بعض أصحاب كتب التراجم عند حديثهم عن العلامة الهزميري^(٦٧) المتوفى عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م بمدينة فاس يذكرون أنه دفن على مقربة من مسجد الصابرين، المعروف الآن بروضة سيدى أبى مدين، وقد كان فى القديم مدرسة، بل يضيفون إلى هذا أن مدرسة أبى مدين، هى التى كانت فى القديم تحمل اسم مدرسة الصابرين والمرابطين اللمتونية، لأن يوسف بن تاشفين هو الذى بناها بعد دخوله مدينة فاس حوالى عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م^(٦٨).

وقد ظلت المدرسة المذكورة تقوم بمهمتها فى إيواء طلبة العلم وتثقيفهم طيلة أيام المرابطين .. كما أن الوصايا الوقفية القديمة تدل دلالة واضحة على أن هذه المدرسة كانت ملاذا للواردين عليها من سائر الجهات لتلقى العلم بها على نفقة الأحماس، ولا شك أنه كان للمدرسة المرابطية نظائرها هنا وهناك مما اختفى أثره وذهبت معالمه^(٦٩).

أما بالنسبة للمدارس فى عهد الموحدين، الذين ازدهرت فى عهدهم المعارف بما أنشأوه من معاهد ومدارس فى إفريقية والأندلس .. وكانت مدارس فاس فى عهدهم تأوى الطلبة، ولكن يد الزمن عبثت بمعالمها كما كان الأمر بالنسبة لمدارس المرابطين^(٧٠). ويذكر العمرى^(٧١). وجود مدارس بفاس القديم (موضوع الدراسة).

رابعا: ميادين الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس:

تبلور الفكر العلمى بفاس فشم كل مجالات المعرفة، ووازن بين نتائج التجربة العلمية من جهة، ونتائج الفكر النظرى بما ينطوى عليه من عقل ونفس^(٧٢). ولعل العامل الجوهرى فى تبلور المنهجية بفاس أن المدينة أصبحت آنذاك مجمعا لعلم القيروان وقرطبة، حيث رحل علماء المدينتين متخذين من فاس مقرا لهم، تلك المدينة التى أصبحت تسمى "بغداد المغرب"^(٧٣). مما دعى لسان الدين بن الخطيب^(٧٤). أن يصفها بعد ذلك بأنها "مصلى القاصى والدانى .. بلد المدارك والمدارس والفهارس والمشايخ .. ألسنتها باللغات المختلفة لآحنه"^(٧٥) .. ومكاتبها مائجة^(٧٦). ومعنى ذلك أن معطيات الفكر العلمى التى كيفت مناهج الدراسة والبحث منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى فى إفريقية والأندلس قد تجمعت وتبلورت بفاس لتعطى أروع نتائجها^(٧٧).

أما عن أهم العلوم التى ازدهرت فى فاس فى عصر المرابطين والموحدين فيمكن أن نقسمها إلى:

العلوم النقلية:

١ - علم القراءات والتجويد:

تداول القراء قراءات القرآن الكريم ورواياته السبع حتى صارت علما منفردا تناقله الناس بالمشرق والأندلس^(٧٨). وكانت العناية به باللغة في كل عصر حيث تخصص فيه كثير من العلماء الذين كانوا يلقنون مبادئه في البداية للطلبة الدارسين في الكتاتيب القرآنية، التي كان لا يتولاها إلا كبار المحفظين المتحققين من تلك العلوم^(٧٩). فبعد أن يقرأ الطالب القرآن الكريم يتعلم تجويده ثم روايته بالقراءات السبع، يقول عبد الواحد المراكشي^(٨٠): "فصلت عن مدينة مراکش وأنا ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس، فلم أزل فيها إلى أن قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا هناك مبرزين في علم القرآن. "حيث كان بفاس بعض العلماء المختصين بالاعتناء بروايات القرآن الكريم^(٨١).

ومن أشهر العلماء الذين تصدروا لتدريس هذا العلم بفاس المرابطية والموحدية محمد بن قرقاش من أهل طليطة، نزل بمدينة فاس قبل عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م كان مقرئا ماهرا له تأليف صغير في اختلاف القراء السبع، وأقرأ هذا العلم بفاس التي اتخذهاوطنا له^(٨٢). ومحمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي من أهل اشبيلية، الذي استوطن مدينة فاس، وكان إماما في صناعة الإقراء على الرواية، وقد توفي عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م^(٨٣). وعلى بن عبد العزيز بن مسعود من أهل بسطه^(٨٤) استوطن أيضا مدينة فاس قبل عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وتصدر لإقراء هذا العلم بها^(٨٥).

ومن أهل فاس النابغين في هذا العلم قاسم بن محمد الزقاق الأموي المتوفى عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م والذي كان مقرئا فاضلا، تصدر لإقراء هذا العلم بفاس، وأخذ الناس عنه^(٨٦). وأحمد بن الحطينة اللخمي المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م والذي كان عالما في القراءات السبع^(٨٧).

ومن كبار العلماء في هذا العلم في مدينة فاس نذكر كذلك فتح محمد بن فتح الأنصاري من أهل اشبيلية، سكن المدينة وتوفى بها عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م كان مقرئا ضابطا أحكامها ذاكرا أصولها، وتقدم بمدينة فاس لتعليم هذا العلم^(٨٨). وأحمد بن موسى بن عبد الله بن أبي بكر بن مزاحم اللخمي من مدينة شلب^(٨٩). الذي نزل مدينة فاس وتوفى بها عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م وكان من المتقدمين في إتقان علم القراءات، وتصدر بفاس لإقراء هذا العلم^(٩٠). ومحمد بن يوسف الأنصاري القرطبي

الأصل والذي نشأ بمدينة فاس وبها توفي عام ١١٠هـ / ١٢١٣م وكان مجوداً للقراءات عارفاً بوجوهها^(٩١).

ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء العلماء وفدوا من الأندلس إلى مدينة فاس لتأدية رسالتهم العلمية، حيث قاموا بدورهم الكبير في تعليم أبناء المدينة. وتذكر كتب التراجم والطبقات الكثيرين من أهل فاس ممن أخذوا هذا العلم على أيدي هؤلاء العلماء^(٩٢). فكان لهذه المدرسة الأندلسية أثرها في تخريج علماء من أهل فاس صارت لبعضهم الشهرة في هذا العلم، حتى أصبح أبناء المدن الأخرى من المغرب والأندلس يشدون الرحال إليهم لأخذ هذا العلم عنهم، نذكر منهم عبد الله ابن الرمادة الذي شدت إليه الرحال، وأخذ عنه من أبناء جيان، على بن موسى الأنصاري السالمي^(٩٣).

أما أهم المؤلفات العلمية التي كان الطلبة يقومون بدراستها في هذا العلم، فمنها كتاب محمد بن عبد الله اللخمي المسمى "الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء"^(٩٤) وكتاب "تبين المعاني المبهمة"^(٩٥) وكتاب "الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"^(٩٦) وأيضاً كتاب "الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة"^(٩٧).

ونتيجة لنمو العلم في علم القراءات وجد من برع في التجويد فقام بن الحاج محمد بن مبارك الأموي المتوفى ٥٠٥هـ / ١١١١م كان مقرئاً مجوداً في صنعة التجويد^(٩٨). وعمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حجاج بن أسعد اللخمي المتوفى ٥٦٤هـ / ١١٦٨م كان من أهل الإتقان في تجويد القرآن الكريم^(٩٩)، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن مسعود القرشي كان من المجودين المشهورين^(١٠٠). وأيضاً على بن موسى بن خلف الأنصاري المتوفى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م الذي كان مقرئاً مجوداً^(١٠١).

٢- علم التفسير:

احتاج الناس منذ العصور الأولى للإسلام إلى تفسير القرآن الكريم ويقسم ابن خلدون علم التفسير إلى صنفين: تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك يعرف بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا. والصنف الثاني من التفسير، هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والבלغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب^(١٠٢). واهتم أولو الأمر من الأمراء المرابطين

والخلفاء الموحدين بتفسير آيات القرآن الكريم اهتماما كبيرا، فأستدعوا المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة في هذا العلم^(١٠٣).

ومن العلماء الذين قاموا على ذلك العلم وتدرسه، أحمد بن عبد الصمد ابن عبيده الأنصاري الخزرجي أصله من الأندلس واستوطن مدينة فاس، وتوفي بها عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م له كتاب "نفس الصباح في غريب القرآن وناسخة ومنسوخة"^(١٠٤). وأيضا محمد بن علي بن العربي الحاتمي نزيل فاس، والذي أخذ بها عن علي بن حرزهم، له في التفسير "الجمل والتفصيل في معاني التنزيل" توفي محمد بن علي عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م^(١٠٥).

ومن علماء فاس الذين نبغوا في علم التفسير أيضا، محمد بن يوسف بن عمران المزدغي المتوفى عام ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م له كتاب "تفسير القرآن" انتهى فيه إلى سورة الفتح^(١٠٦). وأبو العباس أحمد بن فرتون السلمي المتوفى عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ألف في الأعلام المبهمة في القرآن، وله كتاب آخر سماه "الاستدراك والإتمام" استدرك فيه على السهيلي في كتابه التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام^(١٠٧). وكذلك نبغ في علم التفسير أبو عبد الله محمد بن علي العابد الأنصاري الفاسي المتوفى عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م الذي قام باختصار كتاب "الكشاف" للزمخشري، وحذف منه مسائل الاعتزال^(١٠٨).

٣- علم الحديث:

بدأ المرابطون عصرهم بالتعاون مع الفقهاء، وخاصة الفقهاء المالكية^(١٠٩). وبدأ الاعتماد على كتب فروع مذهب الإمام مالك، وزاد هذا الاعتماد في عصر علي بن يوسف بن تاشفين الذين لم يكن يقرب إليه ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع، فنفتت في عهده كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك العصر يعتنى بهما كل الاعتناء^(١١٠).

وبالرغم من عدم اهتمام المرابطين بعلم الحديث، إلا أنه ظهر بمدينة فاس في ذلك العصر محدثون تصدروا لتدريس هذا العلم، ونشره بين أهل المدينة والمغرب الإسلامي، منهم محمد بن علي بن الصقيل الأنصاري من أهل مدينة شاطبة، قام بتعليم علم الحديث بفاس، وكان من أهل صناعته، وقد توفي بفاس عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م^(١١١). ويوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس الأنصاري الأندلسي الذي سكن مدينة فاس، وكان من أهل العلم، له معاني على علم

الحديث، وقد توفي يوسف بن عبد العزيز بفاس عام ٥٠٥هـ / ١١١١م^(١١٢). وكذلك أحمد بن محمد بن علي بن سعد العامري الغرناطي نزيل فاس والمتوفى بها عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤م كان له رواية في علم الحديث^(١١٣). وأيضا محمد بن مسعود النخصال الغافقي الذي سكن مدينة فاس وبها توفي عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م كان من أهل المعارف الجمة والإتقان للحديث والمعرفة برجاله^(١١٤). ومن العلماء الأندلسيين الذي قاموا أيضا بتدريس هذا العلم بفاس عياض بن موسى اليحصبي المتوفى عام ٥٤٤هـ / ١١٤٩م الذي كان يجمع من الحديث كثيرا، وله عناية به، حيث كان يجمعه ويقيده، وكان من أهل التفنن فيه، وقد أخذ عنه بفاس جماعة كثيرة^(١١٥).

لكن العصر الموحدى شهد ازدهارا كبيرا لعلم الحديث لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به اهتماما كبيرا، وتجلي ذلك في المكانة التي أولوها بالرجوع لكتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإحراق كتب الفروع، وأيضا في المكانة التي كانت لطلاب علم الحديث في دولتهم، وبخاصة أيام يعقوب المنصور^(١١٦)

وكان من أثر اهتمام الموحدين بعلم الحديث، أن ظهر بمدينة فاس في هذا العصر محدثون كبار، كان من أبرزهم محمد بن عمر الكاتب المالقي الذي استوطن مدينة فاس، وتوفي بها عام ٥٦٣هـ / ١١٦٧م، وكان بصيرا بعلم الحديث مقيدا ضابطا^(١١٧). ومحمد بن عبد الله بن طاهر الحسنى الشريف من أهل مدينة فاس والمتوفى عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م كان معنيا بعلم الحديث وأسماعه، ذاكرا لأسانيده ومتونه^(١١٨). وكذلك كان من أبرز علماء الحديث في العصر الموحدى محمد بن حماد العجلاني من أهل فاس، وتوفي عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، كان من أهل العناية بسماع الحديث وروايته مخصوصا بقراءته على الأمراء^(١١٩). وعبد الرحمن بن يوسف ابن زانيف من أهل فاس، والمتوفى عام ٦١٢هـ / ١٢١٥م والذي كان له حظ كبير من علم الحديث^(١٢٠)، وعلى بن أحمد بن القطان الكتاني الفاسي المتوفى عام ٦٢٨هـ / ١٢٢٩م والذي كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدهم عناية بالرواية مع التفنن في المعرفة والدراية، جمع برنامجا قيد فيه أسماء شيوخه، كما أنه رأس طلبة العلم بمراكش^(١٢١).

ومن علماء الحديث بفاس إبراهيم بن الكماد المرادى الفاسي المتوفى عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م والذي كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ، وكان

يقوم على كتب الحديث قياما حسنا ويتكلم على أسانيده ومتونه، ويستوفي خلافاً
الفقهاء ويوعظ الناس كل جمعة، ويتكلم عن الحديث وفهمه كل يوم^(١٢٢).

أما عن أهم الكتب التي ألفت في هذين العصرين وكانت متداولة بين
أيدي العلماء والدارسين، فمنها كتاب "آفاق الشموس وأعلاق النفوس" وكتاب
"مقاطع الصلبان ومراتب رياض أهل الإيمان" وهما من تأليف أحمد بن عبد الصمد
بن عبيده الخزرجي المتوفى عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م^(١٢٣). وكتاب "المطالع على
الصحيح" الذي كان عظيم الفوائد، تصدر العلامة أبو إسحاق بن قرقول المتوفى
عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣ للإفادة به بفاس^(١٢٤). وكتاب "المفهم" على كتاب صحيح مسلم
لأحمد بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي المتوفى قبل عام ٦٢٦هـ /
١٢٢٨م^(١٢٥). وأيضاً كتاب "الأجوبة والطرر على المدونة" لراشد بن راشد الوليدي
المتوفى عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م^(١٢٦).

٤- علم الفقه وأصوله:

علم الفقه وأصوله من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة، وهو
معرفة أحكام الله في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والتدب والكراهية والإباحة
وهي أحكام مستقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشرع لمعرفة من الأدلة، فإذا
استخرجت تلك الأحكام قيل لها فقه. وعندما عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأهمية
من العرب بدراسة الكتاب، واستنباط الأحكام، كمل الفقه وأصبح علماً لذلك انقسم
العلماء إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل
الحديث، وهم أهل الحجاز،.. ثم أنكر طائفة من العلماء القياس وأبطلوا العمل به،
وهم الظاهرية^(١٢٧)، وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا
القياس والعلّة إلى النص، لأن النص على العلة نص على الحكم^(١٢٨).

أما أهل المغرب فقد اختصوا بمذهب الإمام مالك، ولم يتخذوا غيره مذهباً
إلا في القليل، لأن رحلاتهم كانت غالباً إلى الحجاز، لذا اقتصرُوا على الأخذ عن
علماء المدينة، وشيخهم يومئذ الإمام مالك وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده. لذا
كان المذهب المالكي غنياً عندهم^(١٢٩). وقد اتجهت المادة الفقهية، نتيجة لتأثر أهل
فاس بالمذهب المالكي اتجاهاً خاصاً، وأصبحت المؤلفات التي دونها رفاق الإمام
مالك هي التي تحتل المكانة الأولى في الدراسة بالقرويين، ومساجد فاس الأخرى،
واستمر الفقه المالكي في ازدهار طيلة أيام المرابطين^(١٣٠). لذلك انتشرت كتب
الأصول الفقهية من العلوم الفرعية، وكان النفوذ كله لعلماء الفروع، فلم يكن يقرب

من أمير المسلمين على بن يوسف ويحظى عنه إلا من علم علم الفروع — أى فروع مذهب الإمام مالك^(١٣١) — ويقول والونشريسي^(١٣٢) عن ذلك العهد: "أن مدينة فاس احتوت من الكتب الغربية شئ لا يشاركها من بلاد المغرب فيه غيرها، وخاصة ما أختص به مذهب الإمام مالك من التشعب والتفرق، واختصاص كل أفق بما ينقلون عنه دون غيره .. ولا يبعد أن يكون بفاس الكتب التي أمر بعض أمراء الأندلس بجمع ما وقع لمالك من الأقوال". بذلك قام الفاسيون — فى هذا العهد — على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضى الله عنهم فى الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل^(١٣٣) ولعل هذا يفسر لنا انتشار دراسة مدونة سحنون وكتاب ابن يونس، ونوادير ابن زيد وواضحة ابن حبيب وماجانس هذه الكتب وغيرها بفاس فى العصر المرابطى^(١٣٤).

وقد رحل من علماء الأندلس لمدينة فاس للقيام بدراسة هذا العلم، محمد ابن أحمد بن إبراهيم بن لواء الأنصارى الذى توفى بفاس عام ٥٤٦هـ / ١١٥١م كان فقيها حافظا عارفا بأصول الفقه، وصنف مسائل فى الخلاف فى سبعة أسفار، وذكر أنه حين قدم فاس بعث بشئ منها إلى أبى موسى عيسى بن الملجوم، وقام محمد بن أحمد بفاس يدرس الفقه وأصل مسائل الخلاف^(١٣٥).

لكن عندما أخذ الموحدون بزمام الأمر، غيروا من المنهج المرابطى الذى كان فى نظرهم إجهازا على الفكر والاجتهاد^(١٣٦). فكان المذهب الظاهرى محببا عند خلفاء الدولة الموحدية، حيث كان المهدي بن تومرت داعية الموحدين له رحلة فى طلب العلم إلى مدينة بغداد، فأخذ بها شيئا من علوم أصول الفقه والدين^(١٣٧)، ونبغ فى علم الاعتقاد على مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعري^(١٣٨). ذلك المذهب الذى يجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة، وبعد عودة ابن تومرت للمغرب أخذ يدعو إلى اتباع هذا المذهب، بعد أن مزجه بشئ من مذاهب الخوارج والشيعة، وهذا ما كان أهل المغرب ينفرون منه، ويعادون من ظهر عليه، لكن حمل ابن تومرت خلال دعوته أهل المغرب على إتباع ذلك المذهب، ورمى من خالفه بالتضليل والكفر^(١٣٩) وتبعه فى ذلك خليفته عبد المؤمن بن على الذى قام بحرق بعض كتب الفروع المالكية .. ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث، حيث كتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس^(١٤٠). ودخل المنهج الدراسى لعلم الفقه مرحلة ثالثة بفاس، فظهر المذهب الظاهرى بصفة أخص عندما أعلن الخليفة أبو يعقوب المنصور عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الحرب على علم الفروع ومحو

مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، فأظهر ما قصده أبيه وجده من قبل^(١٤١). ففي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، حيث أمر هذا الخليفة بإحراق كتب المذهب المالكي في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس نوار ابن زيد وما جانس هذه الكتب ونحوها بعد أن جرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ وآيات القرآن الكريم، وشاهد عبد الواحد المراكشي وهو يومئذ بمدينة فاس، ما يؤتى من هذه الكتب بالأحمال فتوضع وتطلق فيها النار، وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأى، والخوض فى شئ منه، متوعدا من يعمل به بالعقوبة الشديدة، كما أنه أمر جماعة من علماء الحديث بجمع أحاديث من المصنفات العشرة^(١٤٢). فى الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التى جمعها ابن تومرت فى الطهارة، فجمعوا ما أمرهم بجمعه .. وانتشرت هذه الأحاديث فى جميع أنحاء المغرب وحفظها الناس من العامة والخاصة^(١٤٣).

هكذا وجد فى العصر الموحدى برنامج منهجى جديد يدعو إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ولقد عاد اسم الإمام الغزالي إلى الظهور مرة ثانية^(١٤٤). بعد أن كان المرابطون قد قاموا بإحراق كتبه التى وصلت إلى المغرب والأندلس^(١٤٥) وكان لهذا الأمر أثره على الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس، حيث نبغ العلماء الذين يستنبطون الفقه من الكتاب والسنة، ويفتون ويحكمون بها، وقد انتحل العديد من أهل فاس هذا المذهب، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون المرادى الفاسى المتوفى عام ٦١٣هـ / ١٢٧٤م^(١٤٦). وكذلك ظهرت تآليف مهمة فى أحاديث الأحكام استدراكا ونقدا وشرحاً، فألف ابن القطان كتابا فى الوهم والإبهام الواقعين فى كتاب الأحكام سماه "شرح الأحكام"^(١٤٧).

ولكن بقدر ما كان المذهب الظاهرى محببا للخلفاء الموحدين، كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب متعصبين للمذهب المالكي، مناصرين له، وللتدليل على ذلك نورد جملة من علماء فاس كانوا مالكي المذهب فى العصر الموحدى، منهم محمد يشكر بن موسى الغفجومي المتوفى عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م كان فقيها وله حواشى على المدونة^(١٤٨). وعبد الرحمن بن يوسف الفاسى الشهير بابن زانيف المتوفى عام ٦١٢هـ / ١٢١٥م والذي شدت إليه الرحال لأخذ مذهب الإمام مالك عنه، حيث كان يقوم على المدونة قياما تاما^(١٤٩) ومن فقهاء المالكية أيضا اسحق بن إبراهيم بن يعمر الفاسى الذى درس بالمغرب والأندلس، وتولى قضاء فاس وسبته، كان متبحرا فى الفقه المالكي حتى قيل أنه كان يحفظ

المدونة، توفي عام ٦٠٩٩هـ / ١٢١٢م^(١٥٠). وكذلك على بن أحمد بن محمد الخزر جى الفاسى المتوفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م الذى علم أصول الفقه، وله تأليف فيه، مثل كتاب "البيان فى تنقيح البرهان" وكتاب "المدارك" وصل به مقطوع حديث مالك فى الموطأ كما أن له عقيدة فى أصول الدين شرحها فى أربعة أسفار^(١٥١). فهذه جماعة كريمة من الفقهاء الفاسيين الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكى ويتعصبون له فى عصر الدولة الموحدية^(١٥٢).

٥- علوم اللغة

"يقصد بها علوم اللسان العربى، وتتكون من أربعة أركان هى اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ أن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وهى تتفاوت أهميتها فى التوفيق بمقصود الكلام"^(١٥٣).

أ - علم اللغة العربية:

يقوم هذا العلم ببيان الموضوعات اللغوية، واستعمال الألفاظ فى مواضعها^(١٥٤). وكانت مدينة فاس رافعة لراية اللغة العربية منذ انبثاق فجر النهضة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين، ولقد درس فى جامع القرويين ومساجد فاس الأخرى ومدارسها العديد من علماء اللغة العربية الذين أثروا نهضة هذا العلم. فمن الوافدين على فاس للقيام بتعليم اللغة العربية، محمد بن أغلب بن موسى المرسى المتوفى عام ٥١١هـ / ١١١٧م والذى كان عالما باللغة العربية^(١٥٥) ومحمد بن حكم بن أحمد بن باق السرقسطى المتوفى عام ٥٣٨هـ / ١١٤٣م كان إماما فى علم اللغة استوطن فاس، وأخذ الناس بها عنه الكثير من فنون اللغة حيث قام بتدريسها بالمدينة^(١٥٦).

أما فى العصر الموحدى فقد اشتهر العديد من علماء اللغة العربية بمدينة فاس، وكان من أبرز هؤلاء، أحمد بن عبد الجليل التدميرى من الوافدين على المدينة، كان عالما باللغة العربية، وله حظ فى قرض الشعر، كما أن له كتاب فى اللغة العربية أسماه "التوطئة فى اللغة العربية" وله شرح على كتاب "الفصيح" وله كتاب فى شرح أبيات الجمل سماه "شفاء الصدور" وتوفى أحمد بن عبد الجليل عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م^(١٥٧). ومصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشنى الجيانى المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م الذى سمع علم اللغة العربية من أبى الحسن بن حنين، وأبى عبد الله بن الرمامة بفاس، وأصبح رئيسا فى صناعته، عالما به، قام

بتدريسه طيلة حياته كلها، فوفد إلى فاس العديد من طلبة المدن الأخرى للأخذ عنه، له تأليف صغير في العروض، وقام الخشعي يدرس اللغة العربية بفاس، حتى أنه بعد صيته فيها^(١٥٨).

ومن النابغين في هذا الميدان كذلك يحيى بن أبى الحجاج، الذى أخذ علم العربية بمدينة فاس عن الأستاذ أبى بكر بن طاهر ومن غيره، فأصبح له شهرة فيه لدرجة جعلت الخليفة المنصور الموحدى يعتنى به، فأمر بأن يحضر مجلسه ويدخل ضمن جملة طلبته^(١٥٩). وأحمد بن محمد بن سعيد بن معاذ اللخمي أحد قضاة فاس كان عالما باللغة العربية، ألف فيها تأليف مفيدة، كما كان له اعتناء وآراء فيها، ومذاهب مخالفة لأهلها، وقد توفي اللخمي عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م^(١٦٠) ومحمد بن يحيى العبدري الفاسي المتوفى عام ٦٥١هـ / ١٢٥٣م الذى كان إماما فى اللغة العربية، عالما حسن الإقراء، جيد العبارة، قام بتعليمها فى فاس^(١٦١).

ب- علم النحو:

شاعت دراسة علم النحو بفاس فى عصرى المرابطين والموحدين وبلغت غاية كبرى^(١٦٢). وكان من أشهر الشخصيات التى تصدرت لتدريس هذا العلم، أبو جعفر بن باق الذى كان "لا يشق غباره ولا يخاض تياره"^(١٦٣). كما كان خلف بن يوسف بن قرومون النحوى من أهل شنترين^(١٦٤)، من أئمة النحاة الأدباء الثقات بالأخيار علم الناس الأدب، والنحو بالأندلس والمغرب، وانتقل إلى فاس وأقام بها مدة يدرس علم النحو، فأخذ بها عنه كثير من الناس^(١٦٥) وأحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى المتوفى عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م الذى كان بارزا فى علم النحو حافظا للغات^(١٦٦). وعلى بن محمد بن خروف الحضرمي النحوى من أهل إشبيلية المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م له شرح على كتاب سيبويه سماه "تنقيح الأبواب فى شرح غوامض الكتاب" وله شرح على كتاب الجمل، كما أن له رد فى العربية على أبى زيد السهلى وابن مضى، وأخذ ابن خروف يعلم العربية والنحو بفاس مدة كبيرة^(١٦٧) وكذلك أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف المغيلي المتوفى عام ٦١٩هـ / ١٢٢١م، الذى كان من أعيان هذا الشأن^(١٦٨).

هذا وكان من أهم المؤلفات العلمية النحوية التى تدرس فى مؤسسات فاس التعليمية فى هذين العصرين، كتاب سيبويه، ذلك الكتاب الذى أصبح إماما لكل ما كتب فى هذا العلم من بعده، وكتاب "الإيضاح" وقام أبو القاسم بن الرماك ومحمد بن طاهر الخدب الذى كان رئيسا للنحويين بالمغرب بتدريس الكتابين

السابقين^(١٦٩). وكتاب "الطرر" وهو تعاليق على كتاب سيبويه لم يسبق إلى مثله ألفه محمد بن أحمد الخدب الأنصارى^(١٧٠). وكذلك تأليف العلامة اللغوى النحوى أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى مثل مصنفة الكبير "شرح كتاب سيبويه" وكتاب "شرح الإيضاح" وكتاب "شرح الجمل"^(١٧١). وكتاب "الرد على النحاه" و"المشرق فى النحو" لابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حارث اللخمي المولود عام ٥١٣هـ / ١١١٨ - ١١١٩م^(١٧٢).

ج- الأدب:

ويقصد به الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور، على الأساليب والمناحي العربية، جامعا من خلاله مسائل فى اللغة والنحو، تستقرى منها بعض قوانين اللغة العربية، كذلك ذكر بعض أيام العرب، والمهم من أنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة^(١٧٣). ووصف بعض المؤرخين أهل فاس بأنهم أدباء أذكىاء، وأن مدينتهم قلعة لرجال الأدب والمثقفين أكثر من أى مدينة أخرى، حيث أنها مركز عظيم يجتمع فيه عدد كبير من الحكماء والعاملين بالأدب والشعر^(١٧٤).

وتهيأت للمغرب الأقصى، وفاس على الخصوص بعض العوامل التى كان من شأنها أن تعمل على تشييط الحركة الأدبية بها، من هذه العوامل: هجرة أهل القيروان وإفريقية على أثر عيث الأعراب الذين سلطهم الفاطميون على تلك البلاد، فعاشوا فيها وخربوا معاهدها وشردوا رجال العلم والأدب منها، فهاجروا إلى المغرب، وكان حظ فاس منهم عظيما. كما كان لفتنة قرطبة أثر كبير فى هجرة الأندلسيين ونزول كثير منهم بمدينة فاس^(١٧٥). وكان للرقى السياسى والتفوق الاجتماعى والنهوض الثقافى فى هذين العصرين أثره فى نهضة الأدب، وأن كان يغلب عليه فى عهد المرابطين الطابع الأندلسى بحكم الوحدة القوية التى أظلت المغرب والأندلس إلا أنه فى العهد الموحدى تحول مجرى السفينة الأدبية إلى أدباء المغرب فسيطروا عليه مضمونا وعبارة وخيالاً^(١٧٦). والفضل الأول فى هذه النهضة يعود لخلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الأدبية^(١٧٧). فوجد شعراء عباقرة تناولوا كثيرا من فنون الشعر العربى، ونبغ من بينهم أفراد جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم، كما ظهرت مؤلفاتهم الأدبية القيمة^(١٧٨).

ومن الفنون الأدبية النثر، ومن فنونه التى ظهرت فى هذين العهدين فن الكتابة الإخوانية، ومن تلك الرسائل الرسالة التى كتبها الفقيه القاضى عيسى بن عمران قاضى الجماعة بمراكش إلى ولده بمدينة فاس قبل عام ٥٢٠هـ / ١١٢٤م^(١٧٩).

كما اشتهر بهذا الفن أيضا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدي المتوفى عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م من أهل غرناطة، ممن وفد على فاس واستقر بها، حيث كان صاحب خطب وتوالمف ورسائل ومقامات، جامعاً لمناقب من أدركه من أهل عصره^(١٨٠).

وظهر فن المقالة على نطاق واسع بمدينة فاس فى العصر الموحدى على يد محمد بن أحمد بن جببر الذى استوطن فاس، وكانت له أسفار كثيرة فى فضل مناسك الحج منها مقالة سماها "رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك" كتب بها إلى وليه أبى الحسن بن مقصر من فاس بعد عودته للمشرق فى عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦ — ١١٩٧م^(١٨١).

وممن برزوا فى هذا المضمار، أبو عبد الله محمد بن محرز الوهرانى الذى ولد بوهران أوائل القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى وتحوّل فى بلاد المغرب، وأكثر من مناهل العلم والأدب، وبرع فى فن الترسّل والإنشاء، وأقام الوهرانى بفاس مدة، واتخذها كما يقول وطنا والدولة الموحدية فى أوج عزتها وعظمتها، ومدينة فاس تقبّع بالعلماء والأدباء ورجال الفكر، وفى رحابها الفسيحة وبين بساطتها الفيحاء، أنشأ الوهرانى مقامته التى ارتسمت فى مخيلته مشاهدها^(١٨٢).

ولقد قصد الوهرانى من مقامته نقد المجتمع المغربى، فى شخص طائفة العلماء والأدباء ورجال الحكم، ونلمس فى مقامه الوهرانى تحولا ظاهرا فى سياق المقامات المعتادة وأهدافها، فهى درس اجتماعى وبعبارة أدق تمثل اتجاهها نقديا .. كما أن بها قيمة تاريخية كبرى فى تصوير الحياة الفكرية والاجتماعية بمدينة فاس فى العصر الموحدى^(١٨٣).

الشعر:

ظهر اسم فاس فى الأعمال والمختارات الأدبية وراج بها سوق الشعر فى العصرين المرابطى والموحدى — أكثر من العصور السابقة — وإن كان عدد الشعراء محدودا لسوء الحظ مقارنة بما شهدته المدينة من تقدم وازدهار^(١٨٤).

ومن الشعراء الذين برزوا بفاس فى العصر المرابطى، الشاعر محمد أبو بكر بن الصائغ المتوفى عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(١٨٥). ومحمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافقى المتوفى عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م أصله من شقوره إحدى كور جيان، سكن فاس وكان من أهل المعارف الجمه، وإماما فى الكتابة والنظم وله تأليف مشهورة^(١٨٦).

أما شاعر فاس محمد بن حبوس — الذى أطلق عليه شاعر العصرين المرابطى والموحدى — فقد كان من الشعراء المتقدمين فى العصر المرابطى، ولكن نقلت إليهم عنه حماقات، فهرب إلى الأندلس، ولم يزل بها مستخفيا ينتقل من بلد إلى بلد، حتى زالت الدولة المرابطية^(١٨٧).

ولكن الذى يؤسف له أن كتب التراجم والطبقات وحتى الكتب التى اهتمت بالشعر والشعراء لم تحفظ لنا شيئا من أشعار هؤلاء.

أما العصر الموحدى فقد ازدهر فيه الشعر بفاس، ووجد شعراء مجيدون أثروا الحياة الأدبية بالمدينة إثراء لم يكن لن مثيل من قبل، ومن هؤلاء: الشاعر يحيى ابن عبد الجليل بن سهيل اللخمي اليكى الذى كان من فحول الشعراء المجيدين، أصله من يكة وهى حصن فى شمال مرسية بالأندلس، استوطن مدينة فاس، روى الناس شعره واعتنوا به^(١٨٨). وكان اليكى شاعرا له إجاده، ولكن معظم شعره فى الهجاء وأفرط اليكى فى هجاء أهل فاس والمرابطين^(١٨٩). ويبدو أن هجاء اليكى لأهل فاس قد كثر، مما دعى الشيخ الصالح على بن حرزهم أن يعاتبه على ما خلده من القبائح فى أهلها^(١٩٠).

ولا نؤيد ما ذهب إليه هنرى بيرس فى إدعائه أن بلاد المغرب كانت فى ذلك الوقت أكثر فقرا من أسبانيا لا ترحب بالضيوف^(١٩١). مستندا على أبيات اليكى التى هجا بها أهل فاس. فليس من المعقول أن يدلل هذا الكاتب على رخاء أو قحط عصرين من الزمان بأبيات شعرية هجا فيها شاعر أهل مدينة. ونرد عليه بأن الأسباب الحقيقية وراء هجاء اليكى لأهل فاس غير معروفة لنا إلى الآن، وربما تكون كما يقول صاحب جذوة الاقتباس حسدا منه^(١٩٢). هذا إلى جانب أن هذه الدراسة وغيرها من الدراسات المغربية توضح فى بعض أجزائها ما كانت عليه بلاد المغرب ومدينة فاس على الخصوص من الرخاء الاقتصادى والأمن السياسى.

ولا شك أن الوافدين على فاس أثروا الحياة الشعرية بالمدينة فى هذا العصر، ومن هؤلاء محمد بن غالب الرصافى من رصافة بلنسية والمتوفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م رحل إلى المغرب، فدخل مدينة فاس وكان شاعر وقته، شهد له بالإجادة^(١٩٣). والشاعر أبو بكر بن عبد الله الفهرى المعروف بابن الجنان من أهل مدينة جيان الذى وفد على مدينة فاس وجعلها موطنه له ولقى بها الشاعر محمد الرصافى السالف الذكر^(١٩٤).

أما مفخرة فاس الشعرية فتتمثل في الشاعر أبي عبد الله محمد بن حبوس الفاسي المولود عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦م - ١١٠٧م والمتوفى عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م - ١١٧٥م. فهو شاعر المغرب الأقصى، ومفخرة في صناعة الشعر^(١٩٥). واسع القول فخم الكلام متين الأسلوب غزير المعاني بارع الصناعة متنوع الأغراض^(١٩٦). وتكسب ابن حبوس بالشعر فمدح الأمراء والخلفاء الموحدين الذين كثر اتصاله بهم حيث حظى حظوة كبيرة لدى الخليفة عبد المؤمن بن علي وابنه يعقوب، وأصبح ابن حبوس يمثل الشاعر الرسمي للأسرة الجديدة وأطلق عليه لقب "شاعر الخلافة المهدية"^(١٩٧). وبعد ذلك اتصل بالخليفة يعقوب المنصور حيث لقبه ابن دحية بمراكش عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م - ١١٦٩م فرفح ديوان شعره إلى الخليفة الموحدى^(١٩٨).

ومن شعراء هذا العصر أيضا الشاعر أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري الجياني الأندلسي، الذي جعل من مدينة فاس سكنا له، وتولى الخطابة في جامعها، وكانت وفاته عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م - ١١٩٧م، وكان أبو الحسن أدبيا شاعرا حتى سموه: "شاعر الحكماء وحكيم الشعراء" له شعر في الكيمياء، قيل فيه إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك صناعة الأدب، وينسب إليه كتاب "شذرو الذهب" وهو ديوان شعر في الكلام على الكيمياء مرتب على الحروف^(١٩٩).

ومن شعراء فاس في هذا العصر أيضا محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الكتاني المتوفى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م كان له قريض جيد في الشعر^(٢٠٠). كذلك الشاعر قاسم بن محمد بن قاسم القيسي الفاسي المتوفى عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م - ١٢٠٢م الذي كان يصنع الشعر ويجيده^(٢٠١).

ومن شعراء فاس النابغين في العصر الموحدى الشاعر الشهير "ابن الياسمين" أبو محمد بن عبد الله بن حجاج، أصله من بني حجاج من قلعة فندلاوة، سكن مدينة فاس، بزغ نجمه في عدة علوم كالمنطق والهندسة والحساب والعدد، وقد خدم ابن الياسمين الخليفة الموحدى يعقوب المنصور ثم ولده الناصر من بعده، وبلغ من خلال اتصاله بهم منزلة عزيمة، وعلى الرغم من ذلك توفى ذبيحا بمراكش عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م، وقد بلغ ولعة بالجبر أن فرغه في قالب أرجوزته التي قرئت عليه وسمعت منه باشبيليه عام ٥٨٧هـ / ١١٨٢م فكان هو الذى نشر ذلك العلم بها، ونجد في هذه الأرجوزة قوانين الجبر وقواعده، وقد صيغت شعرا، وصنعت في شكل ينم عن أدب رائع وسيطرة عجيبة على فنون الكلام، فهي تدل على أن ثروة ابن الياسمين الأدبية لا يستهان بها^(٢٠٢).

وهنا شعر كثير له. حوى مسائل حسابية وهندسية ومعضلات رياضية من الصعب فهمها. (٢٠٣)

وكان للشاعر ابن الياسمين قصائد مدح فى الخليفتين المنصور والناصر الموحدين، وأمثلة ما وقع له ذلك قصيدة منسوبة، ذكر فيها قطع المنصور الاشتغال بكتب الفروع، والاقتصار على ما ثبت من الأحاديث النبوية (٢٠٤).

أما الشاعر الأديب: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى (الكروائى) نسبة إلى جراوة (كراوه) قبيلة من زناتة، فيبدو أنه درس ببلدة تادلا (٢٠٥) ويمراكش وفاس والأندلس وربما جرت عليه شدة أو وقعت له إهانة أيام مقامه بفاس، فكانت سبب هجائه لها ولأهلها خصوصا ذوى العلم منهم (٢٠٦).

وكان الجراوى صاحب المكانة الأدبية الرفيعة فى عهد الموحدين ولد فى العقد الثالث من القرن السادس، وتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، واتصل بالخليفة عبد المؤمن بن على، فأعجب به الخليفة وقال له: "يا أبا العباس إنا نباهى بك أهل الأندلس". هكذا قال عبد المؤمن للجراوى وقد كان على أبوابه من شعراء المغرب والأندلس آنذاك مئات منهم، وقد أموه بقصائد أمدحهم، وهذه العبارة من عبد المؤمن لها مغزاها وتقديرها (٢٠٧). فالجراوى شاعر مشهور ولكن شعره الذى وصل إلينا لا يبرر شهرته، فكان كثير التكبر معتدا بنفسه شديد الحسد للشعراء لا يقر لأحد منهم بالتقدم عليه، وشعره مشرقى الديباجة، سهل التراكيب يدور فى معظمه على المدح والهجاء، والحكمة والغزل والوصف، وله هجاء للمدن وللناس، وكان حافظا لكثير من شعر القدماء والمحدثين، جمع منه كتابا عنوانه: "صفوة الأدب وتحية كلام العرب" يعرف باسم "الحماسة المغربية" صنعة على مثال حماسة أبى تمام (٢٠٨).

ومن فنون شعره فى المدح، عدة قصائد مدح بها خلفاء الدولة الموحدية (٢٠٩). وكان الشاعر أبو العباس الجراوى صاحب نوادر فمن نوادره مع الخليفة أبو يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن أنه حضر يوما بباب الخليفة المذكور، وحضر معه الطيب سعيد الغماروى، فقال الخليفة لبعض خدمته انظر من بالباب من الأصحاب، فخرج الخادم ثم عاد إليه، فقال: يا سيدى به أحمد الجراوى، وسعيد الغماروى، فقال الخليفة: من عجائب الدنيا شاعر من كروان، وطبيب من غمارة، فلما سمع الجراوى ذلك قال: وضرب لنا مثلا وسنى خلقه، أعجب منهما والله خليفة من كومية (٢١٠).

ومن الشعراء الذين أثروا الحياة الأدبية بمدينة فاس، الشاعر الأديب أبو حفص عمر بن عبد الله السلمي المتوفى عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م، الذي غلب عليه الأدب وفنونه حتى عرف به واشتهر، وولى قضاء تلمسان ثم فاس، ونال دنيا عريضة، وكان أبو حفص عمر بارعا في النظم والنثر كما أن له في الغزل مقطوعات رائعة، وتذكر المصادر "أنه كان على غاية من الظرف إذا أقبل شمت رائحة الطيب منه على بعد، وكان منزله كأنه جنة"^(٢١١).

وبرزت شخصية أبي حفص في المجتمع بحيث عظم بين قومه بمدينة فاس مقداره إلى أن كان من أهل الفتيا، ثم صار من جلساء أصحاب الأمر، ثم ترقى للخطابة والقضاء، وإذا علمنا أن ذلك كان في صدر عصر الموحدين، والدولة في منتهى القوة والعظمة، والمغرب وفاس في أوج الرقي والحضارة، زادت قيمة الرجل في نظرنا، وعرفنا أنه كان على جانب عظيم من العلم والفضل^(٢١٢). ولهذا الشاعر إنتاج أدبي كثير متنوع بين الشعر والنثر والموشحات^(٢١٣).

ومن شعراء فاس الذين بلغوا شأوا عظيما، الشاعر أبو عمر ميمون بن علي بن علي الخالق الخطابي المعروف بابن خبازه، يرجع أصله إلى قبيلة صنهاجة من أهل مدينة فاس، وكان هذا الشاعر سريع البديهة نظما ونثرا مع الإجابة والتفنن في أساليب الكلام، كان مولده بفاس عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م وكانت وفاته عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م^(٢١٤). وكان ابن خبازه شاعرا مكثرا مطيلا سهل القول متين العبارة، أبرز فنونه المدائح النبوية، فقصيدته "حقيق علينا أن نجيب المعاليا" مائة وثمانية وأربعين بيتا، كما كان له شيء من فن الرثاء، والتصوف وله ترسل أيضا^(٢١٥).

فمن قصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم:

رسول يراه الله من صفو نوره وألبسه بردا من النور صافيا
وما زال ذاك النور من عهد آدم ينير به الله العصور الخوالي^(٢١٦)

وكانت هذه القصيدة من أهم قصائده التي احتفظت بها الدواوين وهي من أولى القصائد المغربية التي قيلت في المديح النبوى .. وشعر الخطابي كما يبدو من هذا النموذج شديد الانسجام، حسن التركيب، وهو في صوفيته يصدر عن إيمان حى وعاطفة صادقة مع الإجابة^(٢١٧).

وممن أثروا الحياة الأدبية بفاس الأديب مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن فرج المالقي، أصله من موالى بنى مخزوم .. كان أديب صقعة وحامل الراية، وقد استوطن مدينة فاس، وجمع بين سهولة اللفظ وسلامة المعنى

والنفذ في الأغراض، واستعان في ذلك بالعلم حيث كانت له مشاركة في الفقه واللغة وتولى القضاء وكتب للأمرء ومدح .. وقد دون شعره أنواعا مختاره سماها "بالجويدات والصدور المطالع" وأخرى سماها "الوسيلة الكبرى" وله قصيدة طويلة سماها "التدين والتبصرة في نظم التيسير" وله قصيدة في الفرائض سماها "الواضحة" وله أرجوزه "اللؤلؤ والمرجان" وكان مستغرق الفكر في نظم الشعر ليلا ونهاراً^(٢١٨).

وقد توفي هذا الشاعر عام ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ولكن قبل وفاته أمر أن يكتب على قبره بمدينة فاس:

زر غريب المغرب	نازحاً ماله ولي
تركوه موسداً	بين قرب وجندل
ولتقل عند قبره	بلسان التذلّل
يرحمهم الله عبده	مالك بن المرحّل ^(٢١٩)

هذا وقد توافد على مدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي عدد من الوشاحين الأندلسيين، حيث اتصلوا بأهل المغرب، وأقام غير واحد منهم بمدينة فاس وقد ظهر لنا من فن الموشحات الفاسية موشحات الشاعر أبو حفص عمر التي منها:

حسانة رخيمة	عانت فيها البانسه
والتقى الرجاء	وأشواقى لحسانه ^(٢٢٠)

هكذا ازدهرت الحياة الأدبية بمدينة فاس في هذين العصرين، وظهر أكثر من شاعر مجيد في فني الشعر والنثر، ولعل هذا العرض لبعض شعراء فاس وغيرهم من شعراء الأندلس الذين جعلوا من مدينة فاس موطناً لهم، وأثروا بدورهم الحياة الأدبية فيها، يكون رداً لما أورده هنري بيرس في مقاله الذي عقده للشعر في مدينة فاس في عصره المرابطين والموحدين، والذي لم يظهر خلاله سوى شاعرين للمدينة طيلة هذين العصرين، ولعله يكون رداً أيضاً لما ذكره المستشرقون في كتبهم - بناء على فكرة هنري بيرس - بأن الحياة الأدبية بفاس في عصر المرابطين والموحدين لم يكن لها شأن كبير.

٦- علم الكلام:

هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين المنحرفين في الاعتقادات .. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد^(٢٢١).

وكان موقف الدولة المرابطية من علم الكلام فى غاية التشدد "فكفروا كل من ظهر منه الخوض فى شئ من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين على ابن يوسف بن تاشفين تقبيح هذا العلم، وكراهية السلف له، وأنه بدعه فى الدين، ربما يؤدى أكثره إلى اختلال فى العقائد، فاستحكم هذا الرأى فى نفس أمير المسلمين، فبغض هذا العلم وأهله، وكتب إلى البلاد بالتشديد فى نبذه متوعدا من وجد عنده شئ من كتبه. ولما دخلت كتب الإمام أبى حامد الغزالي - رحمه الله - إلى المغرب أمر على بن يوسف بإحراقها متوعدا بسفك دم واستئصال مال من وجد عنده شئ منها، واشتد الأمر فى ذلك^(٢٢٢). لدرجة أدت به إلى أن يكتب إلى مدينة فاس بالتحرج على الناس فى كتاب الإحياء وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة بأن هذا الكتاب ليس عندهم^(٢٢٣).

ولكن عندما جاء الموحدون أذاعوا مذهب الأشعرى لأن ابن تومرت كان يقترب من معينة. وقد ألف ابن تومرت فى هذا العلم عقيدة باللسان البربرى هى "المرشدة" كما صنف فى هذا العلم أيضا كتاب سماه "أعز ما يطلب" وعقائد فى أصول الدين، كان فيها على مذهب أبى الحسن الأشعرى فى أكثر المسائل^(٢٢٤). فأصبح لعلم الكلام منزلة فى هذه الدولة نتيجة اهتمام ولادة الأمر بذلك^(٢٢٥).

وكان من أعلام هذا العلم فى دولة الموحدين، أبو الحسن على ابن محمد ابن خليد الأندلسى الأشبيلي المتوفى عام ٥٥٧هـ / ١١٦١ - ١١٦٢م، الذى تصدى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين بفاس معلما لعلم الأصول والكلام^(٢٢٦). وقد تبعه كثير من العلماء، منهم تلميذه أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسى المعروف بالسلاجى، الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى إقناع المغاربة بصحة العقيدة التومرتية، وقد ألف فى هذا كتابه "العقيدة البرهانية" فى السلاجى كان مرجع الفاسيين فى هذا العلم، حتى أنه لقب بأنه منقذ أهل فاس من التجسيم، وقد تتلمذ على يد السلاجى الكثير من الطلاب فى هذا العلم، وقد توفى هذا العالم عالم ٥٧٤هـ / ١١٧٨م^(٢٢٧).

ومن نبغاء فاس فى هذا العلم أيضا محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الفاسى المعروف بالكتانى المتوفى عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩ - ١٢٠٠م كان إماما فى علم الكلام، حيث عكف على تدريسه طول حياته، فرحل إليه الكثير من طلبة الأمصار ليأخذوا عنه هذا العلم وغيره من العلوم^(٢٢٨). كما تبجر فى هذا العلم على بن محمد الخزرجى الفاسى المعروف بابن الحصار المتوفى عام ٦١١هـ / ١٢١٤م مؤلف "البيان

فى تنقيح البرهان^(٢٢٩). وإبراهيم بن دهاق المعروف بابن المرأة الأوسى المتوفى عام ٦١١هـ / ١٢١٤م كان من الوافدين على فاس، وغلب عليه علم الكلام حتى رأس فيه واشتهر به، وقام بشرح كتاب "الإرشادات" لأبى المعالى وكتاب فى مسائل الإجماع. ودرس فى غير بلد^(٢٣٠). ويوسف بن عبد الصمد الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م الذى قام بتدريس هذا العلم بمسجد زقاق الرواح بفاس قبل صيته فى هذا العلم بالمغرب والأندلس^(٢٣١). كما كان من المتقدمين فى هذا العلم، أبو الفرج بن المهاجر، من أهل مدينة فاس، والمتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، بلغت به الدرجة أن قام بتدريس هذا العلم بأشبيلية وتفقه على يده جماعة هناك^(٢٣٢).

وتابع علماء فاس دراسة التوحيد والعقائد على المذهب الأشعرى فنظموا وشرحوا كثيرا فى هذا الميدان^(٢٣٣). فنبغ أيضا محمد بن حسين بن محمد بن يوسف الفاسى المولود عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م الذى ارتحل إلى مصر، وقد عرض هناك كتاب "حرز الأمانى" كما عرض "الرأى على الجمال" على ابن أبى بكر الشاطبى، ثم ارتحل إلى حلب، ثم رجع إلى الإسكندرية، وكان مقدم فى علم الكلام، وحفظ أكثر صحيح مسلم فكان إماما متقنا واسع العلم .. أخذ عنه خلق كثير، وقام بشرح "الشاطبية" فى غاية الحسن، وقد توفى بحلب عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(٢٣٤).

٧- علم التاريخ والتراجم:

نتيجة لتقدم الحركة العلمية بمدينة فاس فى عصر المرابطين والموحدين ظهر الكثير من المؤرخين، والمؤلفات التاريخية التى للأسف الشديد ضاع أكثرها، أو هى فى عداد المفقودة إلى الآن، مثل كتاب القاسم بن جنون فى تاريخ فاس. وكتاب عبد الملك بن محمود بن الوراق "المقباس فى أخبار المغرب وتاريخ فاس" الذى يؤرخ للمدينة فى أيام المرابطين والموحدين^(٢٣٥).

ومن المؤلفات التاريخية فى السيرة النبوية كتاب "اللمعة فى ذكر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة" من تصنيف أبى عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الرحمن التميمى الفاسى المتوفى عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م^(٢٣٦).

وممن اعتنى بالتاريخ والقيام عليه بمدينة فاس، عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الذى سكن المدينة، وكان من مصنفاته التاريخية "مختصر السير والمغازى" من سر ابن إسحاق "ومختصر تاريخ أبو جعفر الطبرى" فى سفر متوسط و"منتخب سير المصطفى" لأبى سعيد بن عبد الملك الخرسانى، وقد توفى عبد الرحمن بن الصقر عام ٥٢٣هـ / ١٢٢٩م^(٢٣٧). وكذلك محمد بن عبد الرحيم التجيبى

المتوفى عام ٦١٠هـ / ١٢١٣م، والذي روى عنه حين فدومه إلى فاس عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦ - ١١٩٧م خلق كثير، وقد ألف هذا المؤرخ معجم في تلاميذه الذين تلقوا عنه، وكذلك معجم شيوخ شيخه الحافظ السلفي^(٢٣٨). كما كان يوسف بن عبد الصمد بن نموى الفاسي المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م ذاكرا لعلم التاريخ^(٢٣٩). وكذلك كان عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز القرطبي المتوفى عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م من أهل التاريخ والأخبار وأسماء الرجال. وقد نزل عبد العزيز هذا مدينة فاس مستوطنا بها^(٢٤٠).

أما كتب التراجم فقد نفق سوقها بفاس خلال هذين العصرين ومن هذه الكتب "ذيل الصلة بالشكوالية" لأبي العباس أحمد بن يوسف ابن فرتون السلمي الفاسي المتوفى عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١ - ١٢٦٢م، ولقد وقف على هذا الكتاب ابن الزبير صاحب الصلة بالشكوالية، ونقل منه الكثير في كتابه هذا^(٢٤١). وكتاب "المستفاد في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" وهو كتاب يقع في سفرين من تصنيف أبي عبد الله بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني السالف الذكر^(٢٤٢).

أما كتب البرامج والفهارس، وهي في عداد كتب التراجم، فقد ظهرت منها التأليف الكثيرة بفاس في هذين العصرين، منها برنامج عبد الرحمن بن الملجوم ٥٢٤ - ٦٠٣هـ / ١١٢٩ - ١٢٠٦م^(٢٤٣). وبرنامج ابن القطان الفاسي المتوفى عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠ - ١٢٣١م^(٢٤٤). وكذلك برنامج القاضي أبو القاسم بن بقى^(٢٤٥). وبرنامج أحمد بن فرتون السلمي^(٢٤٦). ومن فن التراجم كذلك "تقييد" أبي زيد عبد الرحمن بن الملجوم الفاسي، الذي كان من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ للتواريخ، وقد وقع النقل من هذا التقييد في زوائد التكملة^(٢٤٧).

٨- علم التصوف:

وهو من العلوم الشرعية المحدثّة، أصله العكوف على العبادة والانقطاع لله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة^(٢٤٨). وعاش في مجتمع مدينة فاس خلال عصرى المرابطين والموحدين الكثير من الصالحين الذين اتخذوا التصوف منهاجا لحياتهم وتجمع حول هؤلاء الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف هي الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفا فلسفيا، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض

أقطاب الصوفية، حيث صارت لها فيما بعد تأثيرا في الحياة السياسية بالمغرب، فضلا عن الحياة الروحية^(٢٤٩). ولم يأخذ التصوف صيغته المتميزة في العهد المرابطي، حيث لم تتكون الطرق والجماعات إلا مع بداية العصر الموحدي، فكان أقطاب التصوف الذين ظهوروا في العصر المرابطي قد عاشوا قسما كبيرا أو قليلا من حياتهم في عهد الموحدين، وتركت أصابعهم بصماتها على صفحة الحياة في مدينة فاس، حيث التفت الكثير من أبناء المدينة حولهم يعظمونهم وينزلونهم منزلة التقديس^(٢٥٠). ونلمس من خلال العرض لحياة بعض المتصوفة في العصرين المرابطي والموحدي أثرهم في أهل مدينة فاس من الوجهة الدينية، وفي حياة الدولتين من الوجهة السياسية.

١
فالمُتصوِّف أبو يعزى يلنور "أل النور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني المغربي" ولد عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، وساح في مختلف أنحاء المغرب، وقضى الجزء الأكبر من حياته بمدينة فاس، حيث تلقى العلم عن أبي بكر بن العربي الذي استوطن فاس، وكان أبو يعزى ملطعا على مبادئ التصوف، وكان أستاذا لأبي مدين الفوث، وانتهت إليه تربية الصادقين والناسكين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها، وكان أهل المغرب، وفاس يستسقون به فيسقون^(٢٥١). فعظمة أمراء المغرب وخلفاءه، كما كان الناس يفدون إليه من جميع أنحاء المغرب، يأخذون عنه ويستمعون إليه، ويلتمسون عنده البركات، وقد توفي هذا الشيخ عام ٥٢٢هـ / ١١٢٦م وعمره يقارب مائة وثلاثون سنة^(٢٥٢).

والشيخ أبو محمد صالح بن حرازم، الذي كان خيرا فاضلا مستجاب الدعوة، وقد رحل إلى المشرق فحج وانقطع بالشام أعواما يؤم الناس بأحد مساجد الشام، كما اجتمع بالإمام أبي حامد الغزالي، فأخذ عنه طريقة التصوف وزار بيت المقدس، وبعد ذلك عاد أبو صالح إلى فاس فجلس بها واعظا مدة، فنفع الله به خلقا كثيرا^(٢٥٣).

أما الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ابن أخ أبي محمد صالح) فقد كان من كبار الصوفية في عهد المرابطين خيرا صالحا ورعا متفقا. وكان الشيخ أبو الحسن متواضعا للفقراء، ذو علم بالفقه والحديث ومعرفة التفسير والتصوف لا يأخذ من الدنيا إلا المهم الضروري^(٢٥٤). واجتمعت القلوب على محبته، فكان يقصده الناس من البلدان للقراءة عليه^(٢٥٥).

وتأثر الشيخ أبو الحسن بن حرزهم بكتب الإمام الغزالي، وخاصة كتاب الإحياء الذي عكف على قراءته في بيته مدة عام، وكان ممن وافق في البداية الأمير علي بن يوسف على مصادرتة، ولكنه عدل عن ذلك. فحث على العمل به. هذا وقد درس علي الشيخ أبي الحسن كبار أصحاب الطرق الصوفية فيما بعد كعبد السلام بن مشيش وأبي مدين وأبي محمد يشكر وأبي عبد الله التاودي وغيرهم، وكان تأثيره عظيماً في أمير المسلمين علي بن يوسف الذي كان يتردد بين فتاوى الفقهاء وإغرائهم، وبين وعظ الصوفية واعتبار موقف العامة منهم، وكانت وفاة ابن حرزهم بفاس عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣ - ١١٦٤م^(٢٥٦).

واتخذ التصوف في العصر الموحدى صيغته المتميزة، حيث يمكن القول أن أقطاب الصوفية في هذا العصر كانوا نواه طيبة لبداية تكوين الطرق الصوفية المعروفة فيما بعد.

فالشيخ أبو مدين هو شعيب بن الحسن الأندلسي، شيخ المشايخ وسيد العارفين، ولد عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م بالأندلس قرب أشبيلية، وكان قد توفي والده وهو حديث السن فانتقل إلى طنجة، ثم إلى سبتة وتوجه بعد ذلك إلى مراكش، ثم رحل إلى فاس من أجل طلب العلم، حيث درس بها على يد الشيخ أبي الحسن بن حرزهم، والعلامة أبا الحسن بن غالب، وبذلك يكون قد تلقى علوم الإمام الغزالي عن طريق ابن حرزهم، وأصبح أبو مدين صدراً من صدور الأولياء، جمع الله له علم الشريعة وعلم الحقيقة، وأصبح له مجلس وعظ يتكلم فيه فاجتمع عليه الناس من كل جهة، وتخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين^(٢٥٧).

ولجأ فقهاء فاس وأهلها إلى الشيخ أبي مدين في حل المشكلات الفقهية، حيث كان مشغولاً بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة والإقبال على الله تعالى، وكان الشيخ أبو مدين قد توجه للشرق، فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء، وتعرف هناك بالشيخ عبد القادر الكيلاني^(٢٥٨). فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من كتب الحديث، والبسه خرقة التصوف، فكان أبو مدين يفتخر به وبصحبته، ويعده من مشايخه الكبار وقد توفي الشيخ أبو مدين عام ٥٩٤هـ / ١١٩٧ - ١١٩٨م^(٢٥٩).

ومن كبار المتصوفة الذين تردوا على مدينة فاس وألقوا بها علوم التصوف، الشيخ محيي الدين بن عربي (أبو بكر محمد علي بن عربي) ٥٦٠ - ٦٣٨هـ / ١١٦٤ - ١٢٤٠م. والذي ولد في مرسية في بيت حسب وتقوى وكانت أسرته على ثراء فدرس علوم الدين والأدب دراسة شاملة، وبعد أن قام ابن عربي بسياحات متعددة

فى نواحى المغرب والأندلس، استقر فى فاس عام ٥٩١هـ / ١١٩٤م حيث انصرف إلى الدراسة والرياضة الصوفية، وذلك فى جامع عين الخليل بفاس وكذلك فى جنان ابن حيون^(٢٦٠). ولكن ليس لدينا عن مقام ابن عربى بفاس غير أخبار قليلة جدا، ولعله بدأ يعقد الصلوات مع الشيوخ والأخوة فى طريق الله، الذين سوف يتردد عليهم فى السنوات التالية .. فترك ابن عربى فاسا حوالى عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م ليعكف على الدراسات والمجاهدة فيها، حيث كان يفضل حضور درس الشيخ محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الذى كان يشرح له كتابا عن الصالحين من أهل فاس .. وكان بستان ابن حيون هو المكان المختار لتجمع تلاميذ ابن عربى الذين بدأوا يتكاثرون حول سماع المحاضرات الصوفية التى كان ابن عربى يلقيها^(٢٦١).

ومن أقطاب الصوفية أيضا الشيخ أبو الحسن الشاذلى المولود عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦ - ١١٩٧م بقرية شاذلة من قرى غمارة بالقرب من سبتة، والذى تلقى الطريقة الصوفية على يد شيخه أبى عبد الله محمد بن حرزهم، وقد ساح أبو الحسن فى بلاد المغرب وتونس والإسكندرية، ثم رحل إلى المشرق، وعاد أبو الحسن الشاذلى مرة ثانية للمغرب الأقصى حيث وإلى الرحلة والبحث، إلى أن التقى بشيخه وأستاذه الكبير الذى أخذ عنه الطريق وليس على يده خرقة التصوف وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش، فلما أصبح أهلا للولاية بعد أن جمع العلم وورث روحانية أشاعها فى جنبات المغرب شيوخ كبار مثل أبو مدين، وأبو يعزى وعبد الله بن حرزهم وعبد السلام بن مشيش، أمره أستاذه أن يرحل عن فاس إلى تونس ثم إلى المشرق، حيث تنبأ له بما سيحدث فى مستقبل أيامه^(٢٦٢).

كما كان أبو الحسن على بن محمد المعروف بالعطار المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م من كبار الصوفية عارفا بعلوم الاعتقادات، له منظوم محفوظ فى معانى التصوف^(٢٦٣). وأيضاً الشيخ أبو إسحاق الأندلسى من أهل القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، الذى استوطن مدينة فاس، وكان من كبار الصوفية، وقد بنى رابطة خارج باب الجيسه من أبواب مدينة فاس، وانقطع فيها، حيث كان يأوى إليه المريدون^(٢٦٤).

وكان مشايخ الصوفية فى هذين العصرين هم الملجأ والملاذ حين ينزل بالناس أزمة أو شدة، حيث صاروا رمزا للعدالة يلوذ بهم الناس من ظلم حكامهم^(٢٦٥). إلا أن المكانة التى تمتع بها المتصوفة والتفاف الناس حولهم، أثارت حفيظة بعض

الفقهاء، ومن ثم حاولوا النيل منهم والإيقاع بهم عند ولادة الأمر، حيث سعى بعض الناقمين بالمتصوف أبو يعزى عند الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي تواترت عليه الأخبار أن هذا الشيخ تكثر حوله الجموع فأستدعاه الخليفة وحبسه في صومعة جامع مراکش، ثم خلى سبيله حين تأكد من براءته^(٣٦٦).

كذلك حين سعى بعض العلماء الحاسدين بالشيخ أبي مدين لدى الخليفة المنصور الموحدى الذى أمر بإحضاره إلى العاصمة إلا أن المنية عاجلته^(٣٦٧). وكذلك اعترض الفقهاء على اشتغال بعض المتصوفين بمداواة المرضى من النساء، وعدوا ذلك خروجاً على أحكام الدين، فنكروا ما يفعله الشيخ أبو يعزى بالنسبة للمرضى من النساء، وبذلك أصبح كبار المتصوفين هدفاً لحملات بعض الفقهاء والعلماء محاولين التشكيك فى أخلاقهم وادعاءاتهم بأنهم يشكلون خطراً على البلاد^(٣٦٨).

ولعل هذا ما يفسر لنا محاولة الدولة الموحدية القبض على العبيدى الذى قام فى جبل ورغة من أحواز مدينة فاس، حيث تبعه كثير من أهالى وقبائل المغرب، وذلك عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، فبدلت الدولة الموحدية جهودها فى القبض عليه، حيث أحرق على باب المحرق بفاس فى نفس العام المذكور، وكان العبيدى هذا رجلاً متشيعاً كثير الورع والعبادة^(٣٦٩).

العلوم العقلية:

إذا كانت بعض العلوم النقلية تختص بشعب أو دين معين، فأن العلوم العقلية تعتبر طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر، فهى غير مختصة بدين، بل يوجه النظر فيها لأهل الأديان كلها، ويؤلفون فى مداركها ومباحثها^(٣٧٠). ومن هذه العلوم:

علم الفلك والهيئة:

وهو علم يبحث فى تعيين أشكال الأفلاك، وحصر أنواعها وتعددتها لكل كوكب من السيارة، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية الموجودة لكل واحد منها، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وأدبارها^(٣٧١).

ولم تشر المصادر التى أطلعت عليها إلى اهتمام أهل مدينة فاس فى عصر المرابطين بعلم الفلك، لكن اهتم أهل فاس فى دولة الموحدين بعلم الفلك وأحكام النجوم، وذلك لأن حياتهم الدينية تتوقف إلى حد بعيد إلى النظر فى النجوم، وحساب أوقات الصلاة، وإهلال الأهلة، كما تتوقف الفرائض على معرفة الحساب وإتقانه^(٣٧٢). وكان علم النجوم والفلك من العلوم المحببة لدى المغاربة،

فكانوا يشجعون على دراسته أما الخلفاء الموحدون فكان تشجيعهم له بالغاً، فالخليفة أبو يعقوب المنصور نقل من الأندلس الكتب الكثيرة التي كانت تختص بعلم أحكام النجوم، وولى بعض أصحابها ولاية ضخمة لم يحدثوا بها أنفسهم من قبل^(٢٧٣). كما اهتم الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف بعلوم النجوم لما يؤدي معرفتها من أوقات الليل والنهار، وأخذ جهة القبلة، فعمل على نشر كتب النجوم في سائر بلاده، والعمل بمقتضاها^(٢٧٤).

ومن أهل هذا العلم. محمد أبو بكر بن الصائغ المتوفى بمدينة فاس عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م الذى كان له نظر فى تلك العلوم، ففكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم^(٢٧٥). وعلى بن محمد بن القطان الكتامى الفاسى المتوفى عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠ - ١٢٣١م الذى ألف فى هذا العلم كتاب "النظر فى أحكام النظر"^(٢٧٦). وأيضاً الفقيه محمد بن عبد الرحمن الشلبى المتوفى عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١م خطيب جامع القرويين كان له معرفة بالأوقات والنجوم^(٢٧٧).

٢- علم الحساب والهندسة:

لم تشر المصادر إلى اهتمام أهل مدينة فاس فى عصر المرابطين بعلمى الحساب والهندسة، لكن شهد هذان العلمان نهضة كبيرة بمدينة فاس فى عصر الموحدين وقد ساعد على هذه النهضة تشجيع الخلفاء الموحدين لهذا العلم^(٢٧٨). الذى ازدهرت فيه ما يمكن أن نطلق عليه الهندسة الميكانيكية الهوائية والمائية، وقد كانت آثارها راقية بالنسبة لوقتها. ومن مظاهر هذه النهضة ما جاء فى المصادر التاريخية من أن فاس فى داخلها رحي وطواحين تقوم بعملها عن طريق الماء والهواء^(٢٧٩).

أما عن الهندسة المعمارية فكان من أهلها أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامية، الذى استعمل الهندسة المعمارية فى البناء، وذلك عندما وضع "البيلة والخصه" بصحن جامع القرويين، وما أضاف من هندسة فى البناء لهذا الجامع^(٢٨٠).

أما بالنسبة لعلم الحساب فقد دعت الحاجة طلاب العلم لدراسته وذلك لمباشرة المهام الحسابية^(٢٨١). وكان من أعلام الحساب بمدينة فاس أبو الحسن بن فرحون الذى كان يقوم بتعليم هذا العلم بها، وألف فيه كتابه "اللباب فى مسائل الحساب" وقد توفى أبو الحسن عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م^(٢٨٢).

وكذلك العالم الرياضى الكبير، ابن الياسمين المتوفى عام ٦٠١هـ / ١٢٠٤م صاحب أرجوزه الحساب، وهى أنظومته فى الجبر والمقابلة التى ألفها عام ٥٨٧هـ /

١١٩١م وقد قامت على شهرته البارعة فى علم الحساب والجبر. وهو لذلك يعد من علماء العرب فى هذا العلم، وقد تقدمت الإشارة إلى أرجوزته هذه، التى قرأت عليه بأشبيلية وهى تبدأ بمقدمة فى العدد وأبواب فى الجمع والطرح والقسمة، وحل العدد إلى أصوله، ثم مقدمة فى الكسور وأبواب فى مسائل الجبر، وأخيرا ينتقل إلى علم الجبر والمقابلة، وهو أهم أبواب الأرجوزة، وقد قام بشرحها كثير من علماء هذا الفن كالماردينى^(٢٨٣). وابن الهائم^(٢٨٤) وغيرهم، وفى هذه الأرجوزة توجد كثير من القوانين والمعادلات الجبرية التى تتضمنها كتب الجبر الحديثة، وهى تدل على تضلع الناظم وبعد غوره^(٢٨٥).

وتجاوزت شهرة أرجوزة ابن الياسمين المغرب، وهى ما زالت مخطوطة إلى الآن، منها نسخة محفوظة بمكتبة جامع القرويين بفاس، وأخرى محفوظة بالخزانة العامة للرباط، كما أن أرجوزته فى الجذور توجد منها نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال بأسبانيا، ولابن الياسمين كذلك كتاب "جامع المبادئ والغايات فى الحساب" به مسائل فى الجبر والمقابلة^(٢٨٦).

وكما اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة، كذلك اشتغلوا بفن المعاملات، ومن ألف فى هذا العلم أبو بكر بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م من أهل قرطبة، والذى سكن مدينة فاس وكان له مقالات مفيدة فى المكييل والأوزان^(٢٨٧). كذلك ألف فى هذا العلم أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتانى الفاسى المعروف بابن القطان المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠ - ١٢٣١م، والذى كانت له مقاله فى الأوزان^(٢٨٨).

٣- علم الطب:

إن عصرى الازدهار المرباطى والموحدى يقترن بالخصوص بتقدم علم الطب بالمغرب والأندلس ويتجلى من كتاب الطب والأطباء بالمغرب^(٢٨٩). العناية التى كان يوليها الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين للدراسات الطبية مع تشجيع القائمين عليها وتأسيس البيمارستانات وتنظيم مهنة الطب والبحث على وضع المؤلفات فيه، واتخاذ التدابير الوقائية أيام الأوبئة إلى غير ذلك من النواحي. فلم يسبق للفكر العلمى أن تحرر من المغرب، كما حدث خلال هذين العصرين، وخاصة فى عصر الموحدين، وذلك بفضل العناية التى أولاها الخلفاء للبحث العلمى ولتجارب العلماء^(٢٩٠).

واهتم الموحدون بعلم الطب اهتماما فائقا، وخاصة الخليفة يوسف بن يعقوب المنصور كذلك اعتنوا بشؤون الرعاية الصحية، فنظموا مهنة الطب^(٢٩١). ومن رجالات الطب والصيدلة في هذين العصرين إبراهيم ابن أبي الفضل بن صواب الحجري من أهل مدينة شاطبة^(٢٩٢). الذى تعلم الطب وقعد للعلاج بطنجة، ولكنه رحل إلى مدينة فاس، فأستقر بها يمارس مهنته حتى آخر عمره حيث توفى عام ٥٠٦هـ / ١١١٢م^(٢٩٣). وكذلك أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه (وهو شيخ ابن رشد) وقد استوزره الأمير أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين عاما، وكان يشارك الأطباء فى علومهم، فحسدوه على ذلك فقتل مسموما بفاس عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٢٩٤). ومن الأطباء الذين عاشوا بمدينة فاس الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسى الاشبيلي الذى توفى بها عام ٥٧١هـ / ١١٧٥م^(٢٩٥). والطبيب على بن عتيق الخزرجى نزيل فاس أيضا، والذى كان ماهرا فى الطب موفق العلاج وله تأليف فيه، وقد توفى ابن عتيق عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م^(٢٩٦). وأحمد بن الحسن القضاعى المرسى الأصل الذى ارتحل إلى مدينة فاس فأستوطنها، وكان ماهرا فى الصناعة الطبية، وصنف فى علم الطب مختصرا سماه "الجمل والتفصيل فى تدبير الصحة"، وقد توفى هذا الطبيب عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢ - ١٢٠٣م^(٢٩٧). وكذلك الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الأنصارى الجيانى الذى سكن مدينة فاس وأخذ من علمائها^(٢٩٨) وأبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق الإسرائيلى الفاسى المتوفى علم ٦٢٣هـ / ١٢٢٥م الذى كان فاضلا فى صناعة الطب^(٢٩٩). ومن العائلات التى توارثت مهنة الطب بفاس بنو أفلاطون أطباء فاس المشهورين^(٣٠٠).

ولا شك أن المغرب ومدينة فاس على الخصوص استفادت فى هذين العهدين من أطباء الأندلس، حيث كانت بلاد الأندلس خاضعة لسلطات مراکش، وتكونت جماعة من الأطباء، التفت حول الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين، وسار معظمهم فى ركاب هؤلاء، حيث قضوا بقية حياتهم فى صنع العلاج وتدريس الطب^(٣٠١).

٤- علم الكيمياء:

لم تخل مدينة فاس من الاشتغال بهذا العلم فى العصر الموحدى، ولاسيما إذا فرضنا إنها كانت تحتوى على دار لسك العملة وما تحتاجه هذه الدار من العارفين بتحليل المعادن.

وكان من شيوخ هذا العلم أبو الحسن بن علي بن موسى الأنصار الجياني المعروف بابن الثقات المتوفى عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ - ١١٩٧م، والذي ذ عنه أنه نزل مدينة فاس، وتصدر للإقراء بها، وولى خطابة جامع القرويين، وه صاحب كتاب "شذور الذهب" فى صناعة الكيمياء، ولم ينظم أحد فى هذا الع مثله نظمه بلاغه ومعانى وفصاحة ألفاظ وعدوبة تراكيب، حتى قيل فى هذا الكتا "إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك صناعة الأدب" وقيل "هو شاعر الحكم وحكيم الشعراء" ولقد أبرز ابن الثقات من خلال قصيدته تراكيب علم الكيمياء^(٣٠٢) هكذا كانت الحياة الفكرية والعلمية قد بلغت أوجها بمدينة فاس فى هذين العهدين، حتى أصبحت فاس قبلة العلماء والمتعلمين، ولعل دراسة الحياة الفكر والعلمية بمدينة فاس على هذه الصورة توضح لنا صورة مخالفة لما ذكره أب خلدن^(٣٠٣). "من أن فاس خلت من حسن التعلم من لدن انقراض تعليم قرطب والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيها فعسر عليها - أى على طلابها - حصول الملة والحدق فى العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة ف المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها، فنجد طالب العلم منهم بد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى الع والتعلم، بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجدد ملكته قاصرة فى علمه أ فاوز أو ناظر أو علم".

خامسا: دور مدينة فاس فى نشر الثقافة الإسلامية فى المغرب:

كانت مدينة فاس فى إشعاعها الحضارى وأثرها الثقافى فى عصر المرابطين والموحدين تمثل حقيقة "المدينة الأم" حيث كان لها أثرها الثقافى فى المنطقة المحيطة بها، وكذلك المناطق الأفريقية والأندلسية والمشرقية التى تتصل بها بصلة من الصلات عبر تاريخها فى هذين العهدين^(٣٠٤). فكما كان قيام القيروان هو الخطوة الأولى فى قيام القيروان هو الخطوة الأولى فى قيام أفريقيا الإسلامية، كذلك كان قيام فاس الخطوة الحاسمة فى قيام المغرب الأقصى، فقد أصبحت فاس مركزا رئيس للثقافة العربية الإسلامية، وأخذت تثبت مكانتها إلى جانب مراكز العلوم الإسلامية الأخرى^(٣٠٥). فتناوبت مع عواصم الشرق الإسلامى حمل راية الحضارة الإسلامية فى العالم أيام كان الجهل مخيما على أوروبا، كانت فاس مركز للإشعاع الفكرى الروحى^(٣٠٦). "فقصدها الناس من جميع أقطار البلاد"^(٣٠٧) حتى أن أهل مراکش -

عاصمة المرابطين والموحدين - نصحوا بعض الناس بالتوجه إلى مدينة فاس إذا أرادوا أن يتفرغوا لعلوم الدين^(٣٠٨). وإن هذا ليقوم خير دليل على أن مدينة فاس قد بلغت مكانة سامية تهيئها لنشر الثقافة العلمية.

وتصور لنا كتب التراجم والطبقات هذه العلاقة الوثيقة التي ربطت بين فاس والأندلس والمشرق الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين فتحدثت عن أهل فاس الذين وفدوا على الأندلس وألموا بمدارسه وجلسوا إلى فقهاء وعلمائه، كما تتحدث عن أولئك الذين رحلوا من فاس إلى الأندلس وقاموا يعلمون في معاهدها، كما تتحدث عن أعلام الفكر الأندلسيين الذين رحلوا إلى فاس وقاموا فيها يعلمون ويفقهون، وتحدث أيضا عن أولئك الذين رحلوا إلى فاس لينهلوا من معين علمها على يد شيوخها. فبالرغم من أن جهود علماء الأندلس لا يمكن أن تنكر في نهضة العلوم بمدينة فاس خلال هذين العصرين، إلا أن الرحلة العلمية لأبناء الأندلس من مختلف مدنها وثورها إلى مدينة فاس من أجل نهل العلم من علماء أفاضل لم تنقطع خلال هذين العصرين، مما يمكن القول أن علماء فاس قاموا بإسداء دور كبير وخدمة جليلة في نشر العلوم. وللتدليل على ذلك سوف نورد جملة من تراجم هؤلاء، أو العلماء سواء الوافدين من الأندلس لفاس طالبين العلم بها، أو لعلماء فاس الذين رحلوا إلى الأندلس ونشروا علومهم هناك. فمن مدينة غرناطة، رحل محمد بن سعيد الطراز الأنصاري المتوفى عام ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م إلى مدينة فاس وأخذ بها عن أبي بكر بن زيدان، وأبي البقاء بن يعيش وغيرهم، وحضر مجلس أبي العباس البقال والمصالي وتفقه عندهما في علمي الكلام والأصول، وانتفع بهما^(٣٠٩).

وكذلك رحل من غرناطة محمد بن يوسف بن مهدي المهلبى المتوفى بعد عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م والذي روى بفاس عن أبي محمد بن زيدان، وأبي البقاء ابن يعيش، وأخذ أيضا عن بن الياس، والقاسم بن بقي وغيرهم^(٣١٠).

ومن مدينة بلبله^(٣١١) رحل عبد الحق بن خليل بن إسماعيل السكوني إلى فاس حيث قرأ علم الكلام وأصول الفقه على أبي عمرو السلالجي وأحكم عنه العلمين، كما أخذ بفاس علم اللغة العربية عن أبي بكر بن طاهر الخدب، وقد توفي عبد الحق بن خليل عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م^(٣١٢). ويحيى بن القاسم بن ثابت الذي رحل إلى فاس بعد عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م وقرأ بها على الأصولي عبد الله الكتاني، كما أخذ عن غيره^(٣١٣). كما رحل من بلبله أيضا يحيى بن يحيى أبي الحجاج المتوفى عام

٥٩٠هـ / ١١٩٣م إلى فاس، وأخذ علم اللغة العربية عن الأستاذ أبي بكر بن طاهر، كما أخذ عن غيره^(٣١٤).

ورحل من مدينة شقر إلى مدينة فاس عبد الله بن باديس اليحصبي الذي أخذ علم الكلام وأصول الفقه عن أبي الحاج بن نموى^(٣١٥).

ومن مدينة مالقه^(٣١٦) رحل إبراهيم بن دهاق المعروف بابن المرأة المتوفى عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢ - ١٢٦٣م الذي دخل فاس وروى عن أبي الحسن بن حنين وعلى بن إسماعيل بن حرزهم، وحدث بالموطأ عنهما^(٣١٧).

ورحل من أشبيلية إلى فاس فتح بن محمد الأنصاري فأخذ عن أبي القاسم بن عبد الرحمن بن الملجوم وعبد الجليل بن موسى، وعمرو بن أحمد بن محمد بن سعيد اللخمي المتوفى عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م^(٣١٨) وأحمد بن مقدم الرعيني المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م أخذ بفاس عن أبي عمر صالح وابن الرماك وأبي الحسن بن مسلم^(٣١٩). وكذلك محمد بن عبد الله الأنصاري المتوفى عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م الذي رحل إلى مدينة فاس في طلب العلم فأخذ بها عن أبي عبد الله ابن زرقون^(٣٢٠). وعبد الرحمن بن عبد الله بن غفير الأموي المتوفى قبل عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م والذي سمع بفاس عن أبي الحسن بن حبيش وأخذ عنه كتاب الشهاب^(٣٢١). ومحمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري المتوفى عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م الذي سكن فاس وروى بها عن أبي القاسم بن الرماك، وأخذ عنه كتاب سيوييه^(٣٢٢).

ومن مدينة طلي: علي بن أحمد الأنصاري الذي سكن فاس، المتوفى بعد عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، روى عن جماعة منهم أبي بكر ابن طاهر القيسي، كما أخذ علم القراءات عن شريح بن محمد^(٣٢٣).

ومن مدينة شريش^(٣٢٤) رحل إلى فاس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي المتوفى عام ٥١٩هـ / ١١٢٥ - ١١٢٦م الذي روى بفاس عن أبي الحسن بن عتيق^(٣٢٥) وأبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى القيس المتوفى ٦١٥هـ / ١٢١٨م الذي أخذ بفاس بعض العلوم عن أبي الحسن بن الثورات^(٣٢٦).

ومن مدينة بلنسية على بن محمد بن خيار البلنسي المتوفى بعد سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م، الذي سكن فاس وسمع من أبي عبد الله بن الرامة وأخذ عنه ولازمه سنين وتفقّه عليه وسمع أيضا من أبي الحسن بن حنين^(٣٢٧).

ومن مدينة أشونه^(٣٢٨) إبراهيم بن العشاب الأنصاري المتوفى عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م الذي نزل فاس وأخذ بها علم القراءات عن أبي القاسم بن رضى، وسمع من

ابن مكى وغيره^(٣٢٩). ومن مدينة شلب^(٣٣٠) يعيش بن على بن يعيش بن مسعود الأنصارى الذى استوطن فاس ولقى بها القاضى أبى عبد الله بن الرمامة، وأخذ عن أبى الحسن اللواتى وابن خليل القيسى، وجماعة غير هؤلاء، وقد توفى يعيش هذا عام ٦٢٦هـ / ١١٢٨ - ١٢٢٩م^(٣٣١).

ورحل من مدينة جيان^(٣٣٢) إلى فاس على بن موسى بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م الذى روى عن أبى عبد الله بن الرمامة وابن عيسى^(٣٣٣). ومن مدينة ألمرية^(٣٣٤) محمد بن أحمد بن عبد الله المتوفى عام ٦٢١هـ / ١٢٢٣م الذى رحل إلى فاس ولقى بها أبى الحسن بن حنين، وسمع منه الموطأ، وأجاز له^(٣٣٥).

ومن مدينة مرسية^(٣٣٦) رحل إلى فاس يوسف بن على بن يوسف الأنصارى المتوفى عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٤م الذى أخذ بها الكثير من العلوم^(٣٣٧) كما رحل من حصن لبسه^(٣٣٨) إلى فاس عبد الصمد بن عبد الرحمن بن رجاء البلوى المتوفى عام ٦٢٣هـ / ١٢٢٥م الذى أخذ بها عن أبى عبد الله بن الرمامة وغيره^(٣٣٩).

ومن علماء مدينة فاس الذين قاموا بدورهم التعليمى فى مدن الأندلس أبو الفرج بن المهاجر الفاسى المتوفى عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، الذى كان متقدما فى علوم الأصول والكلام والفقه والنحو، فقام بتدريس هذه العلوم بمدينة أشبيلية، حيث تفقه عليه جماعة هناك^(٣٤٠). وعبد الله بن الياسمين الذى قام بتعليم علم الجبر والرياضيات بأشبيلية بعد عام ٥٧٨هـ / ١١٨٢م^(٣٤١). وبدر بن إبراهيم المتوفى قبل عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م دخل الأندلس فسمع الناس منه بأشبيلية^(٣٤٢). وعلى بن حسن الصينى الفاسى المتوفى عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م الذى ولى قضاء غرناطة، وقام بتدريس اللغة العربية وعلم الأصول، وغير ذلك من العلوم بتلك المدينة، وكان عليا بارعا فى علومه^(٣٤٣). وكذلك يوسف بن عبد الصمد بن نموى الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م. الذى درس بأشبيلية بعض العلوم وذلك قبل عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م^(٣٤٤). وعبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلى الفاسى المتوفى عام ٦١٩هـ / ١٢٢١ - ١٢٢٢م والذى قام بتدريس علوم اللغة العربية بسبته ثم بعد ذلك بغرناطة^(٣٤٥).

كذلك استقبلت مدينة فاس أبناء مختلف المدن المغربية خلال هذين العصرين جاءوا إلى هذه المدينة لينهلوا من علومها، وسوف نورد بعضا من تراجم

هؤلاء الوافدين على فاس، ليتضح من خلال ذلك الدور الذي قامت به تلك المدينة في نشر الثقافة الإسلامية بمدن المغرب الأقصى.

فخلال هذين العصرين وفد العديد من أبناء مدينة سبتة إلى فاس نذكر منهم أيوب (أبو الصبر) بن عبد الله الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، الذي أخذ بفاس عن عبد الله بن الرمادة وعن الحاج أبي الحسن بن حسن الموطأ^(٣٤٦). وعياض ابن محمد بن موسى اليحصبي الذي توفي عام ٦٢٠هـ / ١٢٢٢ - ١٢٢٣م والذي أخذ بفاس عن أبي العباس بن فرتون السلمي^(٣٤٧). وعلى بن محمد بن علي الذي لازم بفاس الأصولي الجليل عبد الله بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بالكتاني، تفقه عنده في علم الكلام، وأصول الفقه، وغير ذلك وقرأ على جماعة من جلة علماء فاس وتفقه عليهم وروى عن القاسم بن عبد الرحيم الملجوم وعن عمه. أبي القاسم عبد الرحيم بن رقيه، وأخذ عن النحوى الحسن بن خروف، وقد توفي على بن محمد عام ٦٤٩هـ / ١٢٥١م^(٣٤٨)، وكذلك على بن محمد الشاري، المتوفى عام ٦٤٩هـ / ١٢٥١م أخذ بفاس عن أبي ذر الخشني وعلى بن خروف علوم اللغة العربية، ولقى بفاس جماعة منهم أبي عبد الله الفندلاوي وأبي الحجاج بن نموي، وأبي القاسم بن الملجوم فأخذ منهم وسمع عنهم^(٣٤٩).

كما وفد من أبناء مدينة مراكش العديد من الطلبة الذين أخذوا كثيرا من العلوم بمدينة فاس، نذكر منهم عبد المنعم بن أحمد المراكشي المتوفى بعد عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م روى بفاس عن بكر بن ميمون بن قاسم الزقاق^(٣٥٠). وإبراهيم بن جابر بن عمر المخزومة المتوفى عام ٦٤١هـ / ١٢٤٣ والذي أخذ بفاس عن أبي الحسن بن حرزهم وغيره^(٣٥١). وأيضا عبد الواحد المراكشي المتوفى عام ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م والذي ظل طوال حياته مترددا بين بلده مراكش وبين مدينة فاس ينهل من علومها^(٣٥٢).

ومن مدينة سجلماسة أبو عبد الله الدقاق المتوفى قبل عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣م والذي كان يتردد على مدينة فاس، وكان من أصحاب عبد الله بن الأصم، وأبي عمر التلمساني^(٣٥٣). ومن مدينة طنجة وفد عبد الله بن محمد الصنهاجي قبل عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م فسمع بفاس عن أبي عبد الله الفندلاوي، وعبد العال بن زيدان^(٣٥٤). ومن مدينة تلمسان وفد حسن بن إبراهيم بن سهل المعروف بابن زكون المتوفى عام ٥٥٣هـ / ١١٥٨م الذي نزل بمدينة فاس، وكتب بها عن عيسى بن الملجوم^(٣٥٥). ومن مدينة تادلا وفد على مدينة فاس أبو محمد يشكر الغفجومي المتوفى عام

٥٩٨هـ / ١٢٠١م والذي حصر مجلس أبي الريح التلمساني، وصحب على بن حرزهم^(٣٥٦).

ومن مدينة بجاية وفد مروان بن عمار بن يحيى المتوفى عام ٦٠١هـ ١٢٠٤م والذي أخذ بفاس عن أبي ذر الحشني كثيرا من علم اللغة العربية وغيرها، كما أخذ بعض من كتاب سيبويه عن أبي عبد الله بن حميد^(٣٥٧).

ومن قلعة بن حماد^(٣٥٨). وفد أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوى المتوفى عام ٥١٣هـ / ١١١٩م صاحب بفاس أبا الحسن اللخمى، وأخذ عن أبي الفضل المعروف بابن الرمامة^(٣٥٩).

وتخطى دور مدينة فاس الثقافي المغرب الأقصى والأندلس إلى المشرق الإسلامى فرحل علماء فاس إلى مصر وحلب وغيرها من مدن المشرق فهذا أحمد ابن الحطيئة اللخمى الفاسى المتوفى عام ٥٦٠هـ / ١١٦٤ - ١١٦٥م والذي كان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، انتقل إلى مصر وكان لأهلها فيه اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه وعلمه^(٣٦٠). فتصدر بمصر لإقراء العربية والآداب فقرأ عليه جماعة^(٣٦١). ومحمد بن عمر القرطبي المقرئ المولود بفاس عام ٥٥٨هـ / ١١٦٢م قدم مصر فأخذ بها عن الشيخ الإمام أبي القاسم الشاطبي وجلس بعد موته للتدريس، وكان أستاذا فى القراءات والتفسير والنحو، حتى صار له القبول التام عند الخاصة والعامة^(٣٦٢). ومحمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز المعروف بابن الدلالات المولود بفاس عام ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م والذي قدم القاهرة، ودرس بمدارسها، كان إماما علامة صاحب فنون، وله معارف جمة بالنحو واللغة^(٣٦٣).

كذلك رحل من مدينة فاس محمد بن عمر بن مالك المولود عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م إلى مدينة الإسكندرية حيث ألقى بها دروسه^(٣٦٤) وأيضاً محمد بن عمر المعافى الفاسى المولود بفاس عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م والمتوفى عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م قدم الإسكندرية وأقرأ القرآن الكريم بالروايات وكتب الناس عنه^(٣٦٥).

كما استقر الشيخ أبو الحسن الشاذلى - أحد تلاميذ مدرسة فاس - بمدينة الإسكندرية حيث بدأ يلقى دروسه، ويعقد الحلقات ويعظ الناس، ويدعو إلى طريقته ومبادئه فجذب إليه جملة علماء الإسكندرية وفقهائها فلازموه ملازمة تامة، وكان له تلاميذه الذين كانوا لهم فيما بعد دور كبير فى قيادة الحركة الفكرية والروحية بالمدينة .. ففى الإسكندرية نشر الشيخ أبو الحسن الشاذلى العلم، وتخرج عليه يديه طبقات من العلماء والزاهدين، وتكونت فى المدينة مدرسة دينية صوفية تمتاز

بطابع خاص، بدأت هذه المدرسة بتلميذه أبي العباس المرسى، ثم خلفه تلاميذ كثيرون نذكر منهم ياقوت العرشي والأباصيري صاحب البرده، وابن عطاء السكندري^(٣٦٦). ولم يقتصر نشاط الشيخ أبو الحسن على مدينة الإسكندرية، بل كانت له مدرسة أخرى متقلة بين مدن مصر فقد زار دمنهور ودمياط والمنصورة، ومعظم مدن صعيد مصر، وتكرر كثيرا على القاهرة^(٣٦٧).

كذلك رحل إلى مدينة حلب، محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي المولود في عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، والذي كان أستاذا كبيرا وعلامة قدم مصر أولا فقرأ على أبي القاسم بن عبد الرحمن بن سعد الشافعي، وأبي موسى عيسى بن يوسف المقدسي، ثم رحل إلى حلب، حيث كان متقدما في علم الكلام فانتهد إليه بحلب رئاسة الإقراء فأخذ عنه خلق كثير^(٣٦٨).

الهوامش

- ١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.
- ٢- حسن علي حسن: التعليم بالمغرب في عهد دولتي المرابطين والموحدين، ص ٦٤ - ٦٥.
- ٣- عبد الله كنون: التعاشيب، بدون مكان وتاريخ، ص ٩٦.
- ٤- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٣، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٤٤٨.
- ٥- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٧، ص ١٤٨، ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي، ص ١٩٥، التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ١٧٥ ج ٢، ص ٧١٣، ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، نشر - برجستراسر، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣، ج ٢ ص ٢١٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٣٩٧، ص ٤٧٠، محمد عادل عبد العزيز: أثر الأندلس الحضاري على المغرب، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٦، ص ١٣.
- ٦- ابن الآبار: المعجم الآبار: المعجم في أصحاب القاضي، ص ٢٨٧، الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، المسمى بكتاب المراقبة العليا فيمن يستحق الفتيا، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨، ص ١٠٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦، ٤٢١ - ٤٢٢، ص ٥٣٧.
- ٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ٢ ص ٦٨٢، وعن رحلات طلبة فاس للمشرق انظر التادلي: التشوف، ص ٧١، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص ١٥٠ - ١٥٣، ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، نشرة محمد الفاسي وأودلف فور، الرباط، المركز الجامعي، مطبعة أكران، ١٩٦٥، ص ١٣. ابن الجزري: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣، ٢١٨، المقرئ: نفح الطيب، ج ٧ ص ١٣٨، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٩، ج ٢ ص ٤٢١.
- ٨- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤.
- ٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥٨.

- ١٠- المقرئ: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج١ ص ٢٣ - ٢٤، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج١ ص ١٢٤.
- ١١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٤١٥ - ٤١٦، المنونى العلوم والفنون والآداب، ص ٢٨٣، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج١ ص ١٢٤.
- ١٢- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٣٩٦، عباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش، وأغمات من الإعلام، ج١ ص ٣٤٣، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج١ ص ١٢٤.
- ١٣- 'بن عسكر: فقهاء مالقة وأدبائها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، المجموعة المصورة من الاسكوريال، رقم ٤٢٨ آدب، ورقة ٢٩، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ٢٨٤.
- ١٤- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٢٥٨.
- ١٥- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٥٩.
- ١٦- ابن سعيد المغربي: الغصون الياقة في شعرا المائة السابقة، تحقيق إبراهيم الإبياري، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ، ج١ ص ٩١.
- ١٧- التادلي: التشوف، ص ١٤٧ - ١٤٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢ ص ٤٦٤.
- ١٨- ابن الآبار: التكملة للصلة، ج٢ ص ٦٨٤.
- ١٩- محمد عبد الرحيم غنيمه: تاريخ الجامعات الإسلامية، تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٣، ص ١٧٧.
- ٢٠- ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٧٣ وقد انتقد ابن خلدون على أهل المغرب هذه الطريقة.
- ٢١- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص ٢٣٩ - ٢٤٠، ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج١ ص ٢١٥ - ٢١٦.
- ٢٢- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص ٧١٣، المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفى، ص ١٩٥.
- ٢٣- ابن الزبير: صلة الصلة، ج٧ ص ١٠٢ - ١٠٣.
- ٢٤- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٨٣ - ٦٨٤.

٢٥- محمد بن تاويت، محمد الصادق، الأدب المغربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠، ص ٦٠.

٢٦- ليفي بروفنسال: آداب الأندلس وتاريخها، ص ٩٧.

٢٧- ابن أبي زرع: الأئيس المطرب، ص ١٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦ ص ١٨٥.

٢٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٩٥، حسن على حسن: التعليم بالمغرب، ص ٦٩.

٢٩- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٨، ابن أبي زرع المصدر السابق، ص ٤٧، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٤٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٥٢ - ٥٣.

٣٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٤٩، ص ٥٤، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٢٦، ص ٤٥، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس، ج ١ ص ٣، عبد الهادي التازي: أحد عشر قرنا في جامع القرويين، ص ١٤، جامع القرويين، ج ١ ص ١١٣، وقد وضعت حجر أساس هذا الجامع امرأة مباركة تكنى أم البنين (فاطمة) بنت محمد الفهري، وهي من وفد القيروان الذي وفد على الإمام إدريس الثاني، وكان هذا الجامع في البداية صغير الحجم ضئيل البناء، ولكن تمت فيه عدة زيادات في نهاية عهد الأدارسة، وانتقلت الخطبة من جامع الشرفاء إليه في عام ٣٠٥هـ / ٩١٧م، وفي الفترة التي والت فيها مدينة فاس للأمويين بالأندلس بعث الناصر لدين الله إلى عامل فاس أحمد بن أبي بكر الزناتي بأموال لإصلاح هذا الجامع وتوسعته، فزيد فيه كما بنى صومعة له في عام ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، وظل هذا الجامع على ما هو عليه من هذه الزيادات إلى أن استولى المرابطون على المدينة فزادوا فيه، وهو ما سوف نشير إليه في الصفحات القادمة. عن تلك الزيادات انظر، مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٥ - ١٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥٦ - ٥٧، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧ Terrasse: La mosquee al Qarauiyin a fes, paris, 1968. 11, ٤٧ 12, Georges Marcais: Maunel d'art Muslman, Pris, 1960, tom I, p. 309.

٣١- هو محمد بن داود بن عطية الجراوى، أصله من إفريقية، استوطن أبوه القلعة (قلعة بنى حماد) تولى القضاء بتلمسان واشيبله ثم أخيرا بفاس، وكان من أهل

العلم والمعرفة، توفي العاشر من ذي القعدة عام ٥٢٥ هـ ١١٣٠ م. انظر ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج ٢ ص ٥٧٣، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٥٥.

٣٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٥٩ - ٦٠، ٦١، الجزنائي المصدر السابق، ص ٦٥ - ٦٦، انظر كذلك:

- Terrasse: Op. Cit, pp 17, 20, Geogres Marcais: L' architecture Muslman, p. 199.

٣٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦١، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٦٧.

٣٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦٦، ٦٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٧٠، وانظر كذلك:

Terrasse: Op. Cit., p.p 56 - 57.

٣٥- عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١١٣.

٣٦- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٤، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١١٣.

٣٧- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص ٥٨٢ - ٥٨٤، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١١٤.

٣٨- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص ٢٣٩ - ٢٤٠، ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب، ج ١ ص ٢١٦ عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١١٣.

٣٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٥٠، عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١١٣.

٤٠- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٢٣.

٤١- عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد ١١ - ١٢، سنة ١٩٦٧، ص ١٥٩.

٤٢- الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٩٤ - وعن العلماء الذين قاموا بالتدريس في هذا الجامع انظر نفس المصدر ص ٩٥ - ٩٧.

٤٣- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٧ ص ١٠٢ - ١٠٣، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص ١٨٧.

٤٤- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٥٧، الحسن السائح المرجع السابق، ص ١٨٨.

٤٥- ابن الآبار: التكملة للكتاب الصلة، ج٢ ص ٤٨٨، الحسن السائح: نفس المرجع السابق والصفحة.

٤٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٧٣، عباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، ج٢ ص ٣٥٣، الحسن السائح: المرجع السابق، ص ١٨٨.

٤٧- التادلي: التشوف، ص ٣١٧، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص ١٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٥٣١، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣ ص ١٦٤.

٤٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٦٨، ج٢ ص ٥٥٠.

٤٩- ابن الزبير: المصدر السابق، ج٧ ص ١٠٢ - ١٠٣، ابن عبد الملك المراكشي: الدليل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص ١٥٠ - ١٥٣.

٥٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص ٥٥٤.

٥١- يطلق أهل المغرب على هذا النوع من المكاتب اسم المسيد، انظر الأنيس المطرب، ص ٧٣، حاشية. ويذكر محمد توفيق بلبع في مقاله الذي عقده "للمسجد والحياة الدينية في المدينة" أنه لا يوجد في المعاجم العربية مصدر اشتقاق هذه الكلمة، ولذلك لم يستبعد أن يكون أصلها كلمة "المسجد" ثم استبدلت الجيم ياء كما هو معروف وشائع في بعض اللهجات العربية بين سكان شبه الجزيرة العربية، ويعلق على ذلك أيضا بقوله أن علماء اللغة الباحثون يفسرون هذه الظاهرة من ناحيتين:

١- الناحية الصوتية: بأن مخرج الجيم والياء واحد، وهو وسط اللسان فهما قريبان من بعضهما ولا فارق بينهما إلا في النطق فقط.

٢- الناحية التاريخية والعرقية: فإن لغة أهل تميم وبطونها تقلب حرف الجيم إلى ياء .. ومن المعروف أن بطون تميم دخل من أهلها أعداد كثيرة ضمن جيوش الفتح، وبعد ذلك كان إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة عام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م في إفريقية نسب من تميم وقد امتد نفوذ هذه القبيلة وبطونها الوافدين، لذلك لا يستبعد أن تكون كلمة المسيد التي يطلقها أهل المغرب على الكتاب كانت في الأصل المسجد.

- انظر التحليل الذى أورده هذا الكتاب لهذه الكلمة. محلة عالم الفكر. المحلد الحادى عشر، العدد الاول. ١٩٨٠. ص ٢٢٢ - ٢٢٥
- ٥٢- أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية. القاهرة، دار الكشف. ١٩٥٤ ص ٢٥.
- حسن على حسن: التعليم بالمغرب، ص ٦٦
- ٥٣- أحمد شلبى: المرجع السابق، ص ٣٣.
- ٥٤- محمد توفيق بليغ: المرجع السابق، ص ٢١٢.
٥٥. لتادلى: التشوف، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.
- ٥٦- لتادلى: نفس المصدر السابق والصفحة، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٦٩، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٢١٩.
- ٥٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٧٢.
- ٥٨- أشونة: من كوراستجه بالأندلس بينهما نصف يوم، وهى حصن ممدن كثير السكان. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٠.
- ٥٩- ابن الآبار المصدر السابق، ج ١ ص ١٥٨، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٨٩ - ٩٠.
- ٦٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ١٧٢.
- ٦١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٧٤.
- ٦٢- حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٦٦.
- ٦٣- عبد الهادى التازى: جامع القرويين، ج ١ ص ١٢٦.
- ٦٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٧٢.
- ٦٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٧٢ - ٧٣.
- ٦٦- المدرسة النظامية: نسبة إلى الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى، وهى أول مدرسة تبنى فى الإسلام، وقد بدأت العمارة بها عام ٤٥٧هـ / ١١٦١م بمدينة بغداد، وفرغ من بنائها عام ٤٥٩هـ / ١١٦٣ - ١١٦٤م. انظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ١٠٣، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى، القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، ١٩٨٥، ص ٢٥١ - ٢٥٢.
- ٦٧- الهزميرى: هو عبد الرحمن الهزميرى من أهل مدينة أغمات كان ولى صالح ذو كرامات ظاهرة، كما كان عالما بالحساب وبعض العلوم الأخرى، توفى بمدينة فاس عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م ودفن بقرب مسجد الصابرين. انظر: ابن القاضى

المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤١٥، محمد جعفر الكتاني: سلوه الأنفاس، ج ٢ ص ٥٢.

٦٨- محمد جعفر الكتاني: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٢، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢، عبد القادر زمامه: معالم وأعلام من فاس القديم، العدد ٧٤ سنة ١٩٧٥، ص ١٠٥، وقارن ما ذكره عبد الله كنون في التعاشيب، ص ٨٩، وماضي القرويين وحاضرها، مجلة المنهل، عدد ٤٦٧، عام ١٨٩، ص ١٠٦.

٦٩- عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٢، عبد القادر زمامه المرجع السابق، ص ١٠٤، ويذكر عبد القادر زمامه أن أطلال هذه المدرسة ماثلة إلى الآن قريبا من المنطقة المعروفة في القديم باسم حومة الكناطين.

٧٠- عبد الهادي التازي: نفس المرجع السابق والصفحة.

٧١- وصف المغرب: ص ١٣٩.

٧٢- عبد العزيز عبد الله: الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب مجلة الدارة، السنة الخامسة، العدد الثالث، ١٩٨٠، ص ٦١.

٧٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٣.

٧٤- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص ١١١.

٧٥- لاحنة: يأتي اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب، كما يأتي بمعنى الطرب والتغريد في القراءة، فهو الحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء، كما يأتي اللحن بفتح بمعنى الفطنة، وهو ما يقصده المؤلف في هذه العبارة. انظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة لحن، ص ١٥٨٧.

٧٦- مائجة: كريمة، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة المأج، ص ٢٦١.

٧٧- عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٦٣.

٧٨- ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٦٥.

٧٩- عبد الله كنون: التعاشيب، ص ٩٣ - ٩٤.

٨٠- المعجب: ص ٤٤٦.

٨١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص ١٥٣.

٨٢- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلاة، ج ١ ص ٤١٤، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٧٥.

- ٨٣- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٨٨، ابن الجزرى: غاية النهاية ج٢ ص ٢٤٢، ابن القاضى المكناسى، المصدر السابق، ج١ ص ٢٦٤.
- ٨٤- بسطه: مدينة بالأندلس من كورجيان بينهما ثلاث مراحل متوسطة حسنة الوضع عامرة حصينة ذات أسوار وبها تجارات وضروب صناعات، تشتهر بكثرة المياه والبساتين. انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١١٣.
- ٨٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٧٩.
- ٨٦- المصدر السابق، ج٢ ص ٥١٣.
- ٨٧- نفس المصدر، ج١ ص ١١٦.
- ٨٨- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثانى ص ٥٣٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص ٥١١.
- ٨٩- شلب: مدينة بالأندلس تقع جنوب مدينة باجه، وهى قاعدة كورة أكشونية، وتقع شلب فى بسط من الأرض عليها سور حصين، لها طبقات وغللات هى مدينة حسنة الهيئة بديعة البناء مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وكلامهم باللغة العربية الفصيحة، انظر الحميرى: المصدر السابق، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.
- ٩٠- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثانى، ص ٥٥٢.
- ٩١- السيوطى: طبقات اللغويين والنحاة، ج١ ص ٢٠١ - ٢٠٢.
- ٩٢- عن هؤلاء انظر الجزرى: غاية النهاية، ج٢ ص ٤٤٢، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج١ ص ٢٧٥، ج٢ ص ٤٧٩، ٤٨١، ٥١١.
- ٩٣- ابن الزبير: صلة الصلة، ج٢ ص ١٤ - ١٥، ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول، ص ٤١٢ - ٤١٣.
- ٩٤- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٢ ص ٤٨٨، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج١ ص ٢٦٤.
- ٩٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص ٤٧٩.
- ٩٦- المصدر السابق: ج١ ص ٢٦٣.
- ٩٧- نفس المصدر السابق: ج٢ ص ٢٦٥.
- ٩٨- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثانى ص ٥٧٠ - ٥٧١.

- ٩٩- ابن عبد الملك المراكشى: نفس المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثانى، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.
- ١٠٠- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثانى، ص ٤٦٠ - ٤٦١.
- ١٠١- المصدر السابق: السفر الخامس، القسم الثانى، ص ٤١٢.
- ١٠٢- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.
- ١٠٣- محمد المنوفى: العلوم والفنون والآداب، ص ٤٤.
- ١٠٤- ابن عبد الملك المراكشى: الدليل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص ٢٣٩ - ٢٤٠، محمد المنوفى: المرجع السابق، ص ٤٤.
- ١٠٥- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٨١ - ٢٨٢.
- ١٠٦- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٢، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ٤٤.
- ١٠٧- نفس المصدر: ج ١ ص ١٨٨، نفس المرجع السابق والصفحة.
- ١٠٨- نفس المصدر: ج ١ ص ٢٣١، نفس المرجع السابق والصفحة.
- ١٠٩- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٣٥، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٢٧ - ١٢٨، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ٤٧.
- ١١٠- عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٣٦. وقد دعى التعاون بين المرابطين والفقهاء المالكية، أبو جعفر أحمد بن محمود المعروف بابن البنى من أهل مدينة جيان أن يقول على الفقهاء المالكية فى هذا العصر:
- أهل الريا لبستموا ناموسكم كالذئب أولج فى الظلام العاتم
ملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الأموال بابن القاسم
- ١١١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥١.
- ١١٢- أحمد بن يحيى الضبى: بغية الملتبس فى رجال أهل الأندلس، مجرىط مطبعة روخس، ١٨٨٤، ص ٤٧٦.
- ١١٣- ابن فرحون المالكى: الديباج المذهب، ج ١ ص ٢٢٥.
- ١١٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
- ١١٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٩٨ - ٤٩٩.
- ١١٦- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٣٥٤ - ٣٥٦، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ٤٧.

- ١١٧- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- ١١٨- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٢ ص ٦٨٣.
- ١١٩- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج٢ ص ٣٩٦.
- ١٢٠- المصدر السابق: ج٢ ص ٤٧٠ - ٤٧١.
- ١٢١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ٨٤ - ٨٥.
- ١٢٢- ابن الآبار: المصدر السابق، ج١ ص ٨٥، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول القسم الأول، ص ٢٣٩ - ٢٤٠، ابن فرحون المالكي: المصدر السابق، ٢١٥ - ٢١٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ١٤١.
- ١٢٤- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢ ص ٥٢٠ - ٥٢١.
- ١٢٥- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب، ج١ ص ٢٤٠ - ٢٤١.
- ١٢٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ١٩٦.
- ١٢٧- الظاهرية: مذهب في الفقه يأخذ الشريعة بظاهر القرآن والسنة، وهو يزيد من فروع الفقه في عدد القواعد المفصلة المتباينة بالإيتان بعده خلافات تختص به وحده. وأهم من هذا أثره في أصول الفقه فقد توسع كثيرا في تنميتها وتوضيحها بإنكاره المتشدد للرأى والقياس والاستصحاب والاستحسان والتقليد، وفي العراق أصبح المذهب الظاهري مذهباً منتظماً له أصوله وقواعده. وقد امتد سلطان هذا المذهب إلى فارس وخراسان، أما في الأندلس فقد ظل محصوراً بعد أن أدخله ابن حزم الأندلس، ولكن حدث في عهد يعقوب المنصور الموحدى ٥٨٠هـ - ٥٩٤هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩م أن غدا المذهب الظاهري هو المذهب الذى تأخذ به الدولة. انظر دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس عشر، مادة الظاهرية، ص ٤٠٩.
- ١٢٨- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٧٢، ٣٧٨.
- ١٢٩- ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٧٥، محمد الحجوى: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامى، تونس، مطبعة النهضة، بدون تاريخ، ج٣ ص ٦٤ - ٦٥.
- ١٣٠- عبد الهادى التازى: جامع القرويين، ج١ ص ١٢٧.
- ١٣١- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٣٦.
- ١٣٢- المعيار: ج١ ص ٢١١.
- ١٣٣- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٢٢٦، السلاوى: الاستقصا، ج١ ص ٦٢.

- ١٣٤- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٥٤.
- ١٣٥- ابن عبد الملك المراكشي: الدليل والتكلمة، السفر الخامس، القسم الثاني ص ٥٨٢.
- ١٣٦- عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج ١ ص ١٢٧.
- ١٣٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٤٥.
- ١٣٨- أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري ولد عام ٢٦٠ أو ٢٧٠هـ / ٩٣٥م وهو صاحب الأصول، وإليه ينسب المذهب الأشعري، انظر البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٣٤٦- ٣٤٧، ابن خلكان وفيات الأعيان، ج ٢ ص ٢٨٤.
- ١٣٩- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٥١، ابن خلدون: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢١، السلاوي: المرجع السابق، ج ١ ص ٦٢.
- ١٤٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٩٥.
- ١٤١- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٥٥.
- ١٤٢- المصنفات العشرة هي صحيح مسلم، صحيح البخاري، جامع الترمذي، الموطأ، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن البيهقي، سنن البزار، مسند ابن أبي شيبة، سنن الدارقطني، سنن البيهقي. انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣٥٥.
- ١٤٣- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٥٤- ٣٥٥.
- ١٤٤- عبد الهادي التازي: أحد عشر قرناً في القرويين، ص ١٥.
- ١٤٥- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج ٤ ص ٥٩.
- ١٤٦- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٨٤- ٨٥.
- ١٤٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٧١، محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص ٥٤.
- ١٤٨- التادلي: التشوف، ص ٧٠، ص ٣٣٨، ابن القاضي المكناسي المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٦٢، محمد المنوني: المرجع السابق، ص ٥٥.
- ١٤٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٦، محمد المنوني، ص ٥٥.
- ١٥٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١٦٥، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ٣١٣.
- ١٥١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٧٠.

- ١٥٢- محمد المنونى: المرجع السابق، ص ٥٦.
- ١٥٣- ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٧٩.
- ١٥٤- نفس المصدر السابق: ص ٤٨١.
- ١٥٥- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٥٤.
- ١٥٦- السيوطى: طبقات اللغويين والنحاة، ج ١ ص ٩٦.
- ١٥٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ٦٥، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ١٣٨.
- ١٥٨- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٧٠٠-٧٠١.
- ١٥٩- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٧ ص ١٨٧، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٧-٥٣٨.
- ١٦٠- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ١ ص ٨٩، السيوطى: المصدر السابق، ج ١ ص ٣٢٣، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق ج ١ ص ١٤٢-١٤٣.
- ١٦١- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ٣ ص ١٥٤-١٥٦، السيوطى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٦، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢١.
- ١٦٢- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، ص ٦١.
- ١٦٣- ابن دحية: المطرب فى أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإيبارى وآخرون، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤، ص ٤١.
- ١٦٤- شنترين: مدينة بالأندلس من كورباجه، تقع على جبل عال جدا لها سور عظيم، ويقع بأسفلها رضى على طول النهر الذى تقع عليه لها بساتين كثيرة، بينها وبين مدينة بلطيموس أربع مراحل، أنظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٤٦.
- ١٦٥- القاضى عياض: الفنية "فهرس شيوخ القاضى عياض" تحقيق محمد ابن عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص ٢١١.
- ١٦٦- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول القسم الأول ص ٢٦٨ - ٢٧٠.
- ١٦٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٨٤.
- ١٦٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٩٧، محمد المنونى المرجع السابق، ص ٦٣.

١٦٩- ابن دحية: المصدر السابق، ص ٤٣، ابن عبد الله المراكشي المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثاني ص ٦٤٨ - ٦٤٩، ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٢.

١٧٠- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٧١.

١٧١- الذهبي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٨.

١٧٢- الضبي: بغية الملتبس في رجال أهل الأندلس، ص ١٩٣ ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ٨٩، ابن الجزري غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١ ص ٦٦، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٢.

١٧٣- ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٨٦.

١٧٤- ابن أبي زرع: الأئیس المطرب، ص ٣٦، الجزائى: جنى زهرة الأسي، ص ٣٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج ١ ص ٤٨.

Heniriperes: La poesie afes les Almoravides et Almohades, Hesperis, Tome X VIII, 1934, p. 9.

١٧٥- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٣، محمد بن تاويت، محمد الصادق، الأدب المغربي، ص ١٣٧.

١٧٦- محمد بن تاويت الطنجي، محمد الصادق: المرجع السابق، ص ١٣٨ - ١٣٩.

١٧٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، صفحات: ٢٩٣، ٣٧٠، ٣٧٥.

١٧٨- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص ١٣٩ - ١٤٠.

١٧٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٦٨، ابن القاضي المكناسي المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٠٣.

١٨٠- لسان الدين بن الخطيب: الإحالة في أخبار غرناطة، ج ٣ ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

١٨١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل، والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص ٥٩٥.

١٨٢- سعيد إعراب: المقامة الفاسية، مجلة البحث العلمي، العدد السادس، ١٩٦٥، ص ١٩٥ - ١٩٦.

١٨٣- نفس المرجع: ص ١٩٦ - ١٩٧.

184- Heniriperes: La Poesie a fes les Almorvides et Almohades, p. 10.

١٨٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج١ ص ٢٥٦- ٢٥٧، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس، ج٣ ص ٢٦٢.

١٨٦- الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ص ١٩٩، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٧.
١٨٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٨٣،

Heniriperes: Op. Cit, p. 17.

١٨٨- الضبي: بغية الملتمس، ص ٤٨٨، ابن وحيه: المطرب ص ١٢٥، ابن الزبير: صلة الصلاة، ج٧ ص ١٧٧- ١٧٨، ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، ج٢ ص ٢٦٩، التجيبي: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٧٠، ص ٧٧.
١٨٩- انظر أشعار اليكي، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ج٢، ص ٢٦٧- ٢٦٨
فمن قوله يهجو أهل فاس:

قصدت جلة فاس	استرزق الله فيهم
فما تيسر منهم	دفعته لبنينهم

انظر أيضا ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج٢ ص ٢٦٩، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٥ ص ٣٥٧- ٣٥٨،

Heniripers: Op. Cit., p. 14.

١٩٠- مجهول: الاستبصار، ص ١٨٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ٨٠، وعن أشعار اليكي انظر ابن سعيد المغربي المصدر السابق، ج٢ ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

191- Heniripers: Op. Cit., p.13.

١٩٢- ابن القاضي المكناسي: ج١ ص ٨٠.
١٩٣- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلاة، ج٢ ص ٥٢٠، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٢٩١، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ج٢ ص ٣٤٢- ٣٥٣، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ج١ ص ٢٦٦.
١٩٤- ابن الآبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ص ١٢٣، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص ٢٦٩.
١٩٥- ابن وحيه: المطرب، ص ١٠٩.

- ١٩٦- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٥ ص٤٢٣.
- 197- Heniriperes: Op. Cit., p. 22 – 23.
- ١٩٨- ابن دحيه: المصدر السابق، ص٢٠٠. وعن أشعار ابن جوس. انظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٨٣، ابن القطان: نظم الجمان، ص١٣٤، ابن بحر التجيبى: زاد المسافر، ص٤٦.
- ١٩٩- ابن شاكرك. الكتبي: وفيات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥١، ج٢ ص١٨١، ابن الجزرى غاية النهاية، ج١ ص٥٨١ - ٥٨٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص٤٨١ - ٤٨٢، الأمير شكيب ارسلان: الحلل السندسية ج٢ ص٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٣١٥ - ٣١٦، عمر فروخ: المرجع السابق، ج٥ ص٥١٥.
- ٢٠٠- التادلى: التشوف، ص١٦٩، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٠، الكتانى: سلوة الأنفاس، ج٣ ص١٧٣ عبد الله كنون: أدب الفقهاء ص٩٤.
- ٢٠١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج٢ ص٥١٢ - ٥١٣.
- ٢٠٢- ابن سعيد المغربى: الغصون اليانة، ص٤٣، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٢ ص٥٣١، ابن القاضى المكناسى: جدوة الاقتباس، ج٢ ص٤٢٣، قدرى طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، القاهرة، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣ ص٣٧٧.
- ٢٠٣- ومن أبيات هذه الأرجوزة:
- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| على ثلاثة يدور الجبر | المال والأعداد ثم الجذر |
| فالمال كل عدد مربع | وجذره واحد تلك الأضلع |
| والعدد المطلق مالم ينتسب | للمال أو للجذر فافهم تصب |
| والجذر والشئ بمعنى واحد | كالقول فى لفظ أب وولد |
- انظر: ابن الياسمين: الأرجوزة اليسمانيه، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١١٢ / ج (٤) رياض، ورقة ٢٨، ٣٢.
- ٢٠٤- ابن سعيد المغربى: المصدر السابق، ص٤٩، محمد المنونى: العلوم الفنون والآداب ص١٨٣.
- ٢٠٥- تادالا: من بلاد المغرب، وهى مدينة قديمة أزلية فيها أثار الأول، بنى المرابطون فيها حصنا منيعا كان معمورا وفيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير

الخيرات والأرزاق، وأحاطت به القبائل من جميع الجهات انظر، الحميري:
الروض المعطار، ص ١٢٧.

٢٠٦- عبد الله كنون: ذكر مشاهير رجال المغرب، تطوان، مطبعة كريمادس، بدون
تاريخ، ص ٧-٩.

٢٠٧- ابن بحر التجيبي: زاد المسافر، ص ٤٩، محمد بن تاويت، محمد الصادق،
الأدب المغربي، ص ١٩٣، عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي،
تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ، ج ١ ص ١٠٠.

٢٠٨- ابن بحر التجيبي: المصدر السابق، ص ٤٩، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي،
ج ٥ ص ٥٩٠.

٢٠٩- وعن قصائد الجراوى فى مدح الخلفاء الموحدين انظر: ابن عذارى
المراكشى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٠-٧٢، ص ١٠٧، ٢٤٠-٢٤١،
٢٤٩-٢٥٠، ومن القصائد التى مدح بها الخليفة عبد المؤمن بن على بعد جوازه
للأندلس:

أعليت دين الواحد القهار	بالمشرقية والقنا والخطار
ورأى بك الإسلام قرة عينه	وغدت بك القراء دار قرار
وسلكت من طرق الهداية لاصبا	طوبى لمن يمشى على الآثار

انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٧٠-٧١.

٢١٠- السلاوى: الاستقصاء ج ١ ص ١٦٤.

٢١١- ابن دحيه: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٠٣، ابن سعيد المغربي:
الغصون اليانعة ج ١ ص ٩١-٩٢، ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة، ج ٢ ص ٦٥٩،
عبد الله كنون: أدب الفقهاء، ص ١٠٥، محمد المنونى: العلوم والآداب والفنون،
ص ١٧٢.

٢١٢- عبد الله كنون: الشاعر الأنيق أبو حفص عمر، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد
التاسع، ١٩٧٣ ص ٤٨.

٢١٣- وعن قصائد أبو حفص عمر: انظر: أبى بحر التجيبي: زاد المسافر، ص ١٠١،
ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٤٩٦، ٤٩٨، المقرئ التلمسانى:
أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ج ٢ ص ٣٦٢-٣٦٤.

٢١٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٩٨.

٢١٥- عمر فروخ: المرجع السابق، ج ٥ ص ٧١٤.

- ٢١٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص٣٤٨، وانظر باقى القصيدة، ص٤٥٣.
- ٢١٧- محمد بن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربى، ص٢٠٠-٢٠٣.
- ٢١٨- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخطار غرناطة، ج٣، ص٣٠٤-٣٠٥.
- ٢١٩- نفس المصدر السابق: ج٢ ص٣٢٤.
- ٢٢٠- ابن سعيد المغربى: الغصون اليبانة، ج١ ص٩٣.
- ٢٢١- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٨٢.
- ٢٢٢- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٢٣٦-٢٣٧.
- ٢٢٣- التادلى: التشوف، ص٧٣، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج٢ ص٥٥٢.
- ٢٢٤- عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص٢٥١-٢٥٤، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج١ ص٢٢٦، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية بالمغرب، ص٢٣١.
- ٢٢٥- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٤٨٧.
- ٢٢٦- ابن الزبير: صلة الصلة، ج٧ ص١٠١.
- ٢٢٧- ابن الزبير: المصدر السابق، ج٧ ص٤، ابن قنفذ: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، منشورات المكتب التجارى ١٩٧١، ص٢٨٨، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢، ص٥١٥، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٤٨٧، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٣٠٥.
- ٢٢٨- ابن الزبير: المصدر السابق، ج٧ ص١٤٩-١٥٠، ابن الآبار: التكملة للصلة، ج٢ ص٦٨١، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص٢٧٠-٢٧١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس ج٢ ص٤٣٠.
- ٢٢٩- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص٦٨٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص٤٧٠.
- ٢٣٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص٩٠.
- ٢٣١- ابن الآبار: المصدر السابق، ج٢ ص٧٤٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج٢ ص٥٠٠.
- ٢٣٢- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج١ ص١٠٨.
- ٢٣٣- الحسن السائح: المرجع السابق، ص٢٣١.
- ٢٣٤- ابن الجزرى: غاية النهاية، ج٢ ص١٢٢-١٢٣.

- ٢٣٥- ابن أبي ررع: المصدر السابق. ص ٢٤، ابن القاصي المكناسي حذوة الاقتباس. ج ١ ص ١١، ٢٤. وكان عبد الملك الوراق حيا عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م وقد نقل منه ابن أبي ررع في كتابه الانيس المطرب. كما نقل عنه الجرجاني في حبي هرة الاس. وابن القاضي المكناسي في حذوة الاقتباس وذكر عبد السلام بن سوده في كتابه "دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج ١ ص ٥٩. أن بعض أصدقاءه أخبره أنه رأى المقياس تاما في مجلد وسيط بيد بعض الطلبة بمكناس.
- ٢٣٦- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص ٦٦.
- ٢٣٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩.
- ٢٣٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧.
- ٢٣٩- المصدر السابق: ج ٢ ص ٥٥٥.
- ٢٤٠- السيوطي: بغية الوعاة، ص ١٠١.
- ٢٤١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١١٧، محمد المنوني المرجع السابق، ص ٦٧.
- ٢٤٢- المصدر السابق: ج ١ ص ٢٥٨، محمد المنوني: المصدر السابق ص ٦٧.
- ٢٤٣- المصدر السابق: ج ١ ص ٢٦٣، محمد المنوني: المصدر السابق ص ٦٨.
- ٢٤٤- ابن القاضي المكناسي: حذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٤٧١، محمد المنوني العلوم والآداب والفنون، ص ٦٨.
- ٢٤٥- المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٠.
- ٢٤٦- المصدر السابق: المصدر السابق: ج ١ ص ١١٨، محمد المنوني: المرجع السابق ص ٦٩.
- ٢٤٧- المصدر السابق: ج ١ ص ٣٩٦، المرجع السابق، ص ٦٨ - ٦٩.
- ٢٤٨- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٩٠.
- ٢٤٩- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٤٧٦.
- ٢٥٠- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ١ ص ١٩٥ - ٣٢١، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ٤٧٦.
- ٢٥١- التادلي: التشوف، ص ١٩٥، أحمد بن القاسم الهروي: المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى، ورقة ٥٠٤، ابن القاضي المكناسي حذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٥٦٤، عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، مكتبة محمد علي، بدون

تاريخ ومكان. ج ١ ص ١١٧ - ١١٨. إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج ١ ص ١٩٦.

٢٥٢- أحمد بن القاسم الهروي: المصدر السابق، ورقة ٦٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٦٤، جمال الدين الشيال: الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية، مجلة كلية الآداب بالإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص ١٥١.

٢٥٣- التادلي: المصدر السابق، ص ٧١، أحمد بن القاسم الهروي: المصدر السابق، ورقم ٢١٥، ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس، ورقة ١١ - ١٣ ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٥٨، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٦٩.

٢٥٤- التادلي: المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨، ابن عيشون الشراط: المصدر السابق، ورقة ١٣ - ١٤.

٢٥٥- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤١٤.

٢٥٦- التادلي: المصدر السابق، ص ١٤٨، ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص ١٢، ١٤، ابن القاسم الهروي: المصدر السابق ورقة ٢١٤ - ٢١٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٦٦، محمد جعفر الكتاني: المرجع السابق، ج ٣ ص ٧١، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج ١ ص ١٩٨.

٢٥٧- التادلي: المصدر السابق، ص ١٣٥ - ٣١٦، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج ١ ص ٣٢١.

٢٥٨- التادلي: المصدر السابق، ص ٣١٦ - ٣١٩، ابن قنفذ المصدر السابق، ص ١١ - ١٢، المقرئ: نفح الطيب، ج ٧ ص ١٣٦ - ١٣٧، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ أبو القاسم الهروي: المصدر السابق، ورقة ٦٩ - ٧٠.

٢٥٩- الشيخ عبد القادر الكيلاني: أو الجيلاني هو محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوست موسى بن أبي عبد الله يحيى الزاهد، ظهر كمعلم ومحدث منذ سنة ٥٢١ - ٦٥١ هـ، وكان صاحب رسالة كبيرة ودعوة سياسية، حيث اهتم بالإصلاح وتوجيه العباد، انظر عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ ص ١٠٤ - ١٠٥.

٢٦٠- المقرئ: المصدر السابق، ج ٧ ص ١٣٨ - ١٤٢، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص ١٠٨ - ١٠٩.

- ٢٦١- انخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي: نقله عن الأسبانية د/ حسن مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٥، ص ٣٧١ - ٣٧٣.
- ٢٦٢- ابن عربي: الفتوحات المكية، ج٤ ص ٧٦، اسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩، ص ٤١ - ٤٤.
- ٢٦٣- أحمد حامد عبد الكريم الاخميمي: المواهب السنية في المأثر الشاذلية، مصر، مكتبة الجندی، ١٩٦٩، ص ١٥، جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ١٥١ - ١٥٢، عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، ص ١٧٦.
- ٢٦٤- التادلي: التشوف، ص ٤٥٧، ٣٠٦.
- ٢٦٥- أبو القاسم الهروي: المصدر السابق، ورقة ٤٧، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.
- ٢٦٦- التادلي: المصدر السابق، ص ١٩٦ - ١٩٧، أبو القاسم الهروي: المصدر السابق، ورق ٦، وورقة ٤٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.
- ٢٦٧- المقرئ: نفح الطيب، ج ٧ ص ١٤٢، ابن مريم التلمساني المصدر السابق، ص ١٠٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٤٧٨ - ٤٧٩.
- ٢٦٨- التادلي: المصدر السابق، ص ١٩٥، ابن القاضي المكناسي جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٥٦٤، حسن على حسن: المرجع السابق ص ٤٧٩.
- ٢٦٩- المقرئ: المصدر السابق، ج ٥ ص ١٥٦، السلاوي الاستقصا، ج ١ ص ١٩١، عبد العزيز بن عبد الله: الفكر الصوفي والالتحالية بالمغرب، مجلّة البيئة، العدد السادس، ١٩٦٢، ص ٦٠ - ٦١.
- ٢٧٠- ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٩٩، محمد على أبوريان: تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون، مجلّة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨، ص ١١٨.
- ٢٧١- ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٠٧، محمد على أبوريان: المرجع السابق، ص ١١٩.
- ٢٧٢- عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلّة البحث العلمي، عدد ١١ - ١٢، عام ١٩٦٧، ص ١٦٨، محمد عادل عبد العزيز: أثر الأندلس الحضاري على المغرب في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، عام ١٩٨٦، ص ١٢٥.

- ٢٧٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٣١٠ - ٣١١.
- ٢٧٤- نفس المصدر السابق: ص ٣٨٥.
- ٢٧٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٥٦.
- ٢٧٦- نفس المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٧١.
- ٢٧٧- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٧٥، على الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٥٩.
- ٢٧٨- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص ٣٨٥.
- ٢٧٩- الشريف الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص ٥٠، العمري: وصف المغرب أيام السلطان ابن الحسن المريني، ص ١٣٩، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص ٢٣٨.
- ٢٨٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٦٤، الجزنائي: المصدر السابق، ص ٧٢، عبد العزيز بن عبد الله: الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، ص ٧١.
- ٢٨١- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٨٥.
- ٢٨٢- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول ص ٣٧٥ - ٣٧٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٨٣، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٧.
- ٢٨٣- يوجد بدار الكتب المصرية نسختين لسبط المارديني يشرح فيهما أرجوزة ابن الياسمين وهما بعنوان: "اللمعة الماردينية فلا شرح البسمانية" رقم ١٧٧، أ، ج / ٥٢، ٥٣، رياضة.
- ٢٨٤- ابن الهائم: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن شمس بن الهائم، توجد له بدار الكتب المصرية مخطوطة يشرح فيها أرجوزة ابن الياسمين بعنوان: "الدر الثمين في شرح أرجوزه ابن الياسمين"، رقم ١٧٧، أ، ج / ١ رياضة.
- كما توجد نسخة أخرى لشرح الأرجوزة البسمانية مجهولة المؤلف رقمها ١٧٧ أ ج / ٥٥ رياضة.
- ٢٨٥- ابن سعيد المغربي: الغصون الياضة، ج ١ ص ٤٣، ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ٢ ص ٤٢٣، قدرى طوقان: تراث العرب العلمي، ص ١٤٢، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٥٠٦، محمد المنوني: ابن الياسمين، ص ١٨٥، ١٨٦.

- ٢٨٦- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، ص ١٠٤، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص ٣٢٠.
- ٢٨٧- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢١.
- ٢٨٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٤٧١، محمد المنونى: نفس المرجع السابق، ص ١٠٤.
- ٢٨٩- من تأليف عبد العزيز عبد الله، الرباط، ١٩٦٠.
- ٢٩٠- عبد العزيز عبد الله: الفكر العلمى ومنهجية البحث عند علماء المغرب، ص ٥٩.
- ٢٩١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢١٧ - ٢١٨، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ١٢٣.
- ٢٩٢- مدينة شاطبة: مدينة جليلة بالأندلس، محصنة كريمة البقعة كثيرة الثمر طيبة الهواء تفرعت فيها علوم جمه، وكان أهلها أهل دراية وفهم ونباهة. عنها انظر، الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١٠٣، الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٣٧.
- ٢٩٣- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٠، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس ج ١ ص ٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص ٥٣.
- ٢٩٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥٦، محمد جعفر الكتانى: سلوة الأنفاس، ج ٣ ص ٢٦٢، عبد العزيز بن عبد الله: الطب والأطباء بالمغرب، ص ٣٠ - ٣١.
- ٢٩٥- ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول ص ١٨٥، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٧، محمد المنونى: المرجع السابق، ص ١٢٤.
- ٢٩٦- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأولى، ص ٢٥٦، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٧.
- ٢٩٧- ابن عبد الله المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول ص ٨٧ - ٩١.
- ٢٩٨- أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص ٤١٧ - ٤١٨، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٢٩٩- ابن العبرى: مختصر تاريخ الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠، ص ٤٢٣، أحمد عيسى: معجم الأطباء / ص ٥٥٦ - ٥٥٧، المنونى: المرجع السابق، ص ١٢٤، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ١ ص ٣٨٧.

٣٠٠- التادلي: التشوف، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، عبد العزيز ابن عبد الله: المرجع السابق، ص ٣٨.

٣٠١- عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص ٢١ - ٢٢.

٣٠٢- ابن شاعر الكتبي: وفيات الأعيان، ج ٢ ص ١٨١، ابن الجزري غاية النهاية، ج ١ ص ٥٨١ - ٥٨٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٢ - الأمير شكيف اسلان: الحلل السندسية، ج ٢ ص ٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص ٣١٥ - ٣١٦، محمد المنوني: المرجع السابق، ص ١٢١.

٣٠٣- المقدمة: ص ٣٦٠.

٣٠٤- عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص ٤٦٥.

٣٠٥- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٧.

٣٠٦- عبد العزيز عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ص ٣٦، محمد ابن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربي، ص ٥٧.

٣٠٧- الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص ٩٤.

٣٠٨- التادلي: التشوف، ص ٣١٧، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص ١٢.

٣٠٩- ابن القاضي المكناسي: جدوة الاقتباس، ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

٣١٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٦.

٣١١- مدينة بله: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس، بينها وبين مدينة قرطبة على طريق أشبيلية ما يقرب من مسيرة خمسة أيام أو أربعة وأربعون فرسخا، وهي مدينة برية بحرية حسنة متوسطة القدر لها سور منيع، ولها نهرياتي من ناحية الجبل، بها أسواق وتجارات وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال، وتعرف ليلة بالحمراء، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠، الحميري: الروض المعطار، ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

٣١٢- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٢ ص ٤.

٣١٣- المصدر السابق: ج ٢ ص ١٩٠.

٣١٤- نفس المصدر السابق: ج ٢ ص ١٨٧، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣٧ - ٥٣٨.

٣١٥- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص ١٨٤ - ١٨٥، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٩.

- ٣١٦- مدينة مالقة: بالأندلس على شاطئ البحر تقع بين الجزيرة الخضراء ومدينة المرية وهي مدينة عامرة أهلها كثيرة الديار، وهي من المدن القديمة التي عمرت حيث كثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عماراتها. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٤٣، الحميري: المصدر السابق، ص ٥١٧-٥١٨.
- ٣١٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٩٠.
- ٣١٨- ابن عبد الله المراكشي: المصدر السابق، السفر الخامس، ص ٥٣٢، السفر الخامس، القسم الثاني، ص ٤٧٥.
- ٣١٩- عباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١ ص ٣٤٠.
- ٣٢٠- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ٢ ص ٥٧٧، ج ٢، ص ٦٣٠.
- ٣٢١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠٩.
- ٣٢٢- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص ١٤٨.
- ٣٢٣- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٨١.
- ٣٢٤- مدينة شريش: من كور شدونه بالأندلس على مقربة من البحر المحيط، يوجد زرعها ويكثر ربيعها وهي مدينة حصينة متوسطة حسنة الجهات، أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين.
- انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٣٤٠.
- ٣٢٥- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص ٢٦٨-٢٧٠.
- ٣٢٦- الرعيني: برنامج شيوخ الرعيني، ص ٩٠-٩١.
- ٣٢٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٨٣.
- ٣٢٨- أشونة: كورة من استجه بالأندلس، بينها نصف يوم وحصن أشونة ممدن كثير السكان. الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠.
- ٣٢٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ٨٩-٩٠.
- ٣٣٠- مدينة شلب: مدينة بالأندلس تقع جنوب مدينة باجه، كما أن بينها وبين مدينة بطليموس ثلاث مراحل، وهي مدينة ذات بسائط فسيحة تقع في سهل من الأرض وعليها سور حصين، انظر الحميري: المصدر السابق، ص ٣٤٢.
- ٣٣١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٦٤-٥٦٥.

٣٣٢- مدينة حيان: مدينة بالأندلس، تقع في سفح جبل عال، بينها وبين مدينة يابسة عشرون ميلا، وهى مدينة توصف بكثرة الخصب، ورخص الأسعار، كما أنها تحتوى على قصية توصف بالحصانة. انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص ١٨٣.

٣٣٣- ابن عبد الله المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص ٤١٢ - ٤١٣.

٣٣٤- مدينة ألمرية: مدينة ساحلية بجنوب شرق الأندلس بناها الخليفة الأموى عبد الرحمن بن محمد الناصر عام ٣٤٤هـ / ٩٥٥ - ٩٥٦م لتكون مرقبا للساحل الجنوبي الشرقى للأندلس وقاعدة بحرية للأسطول الأموى، فهى مرسى الأندلس وقيسارته ودار صناعته، وتصل إليها المراكب من الشرق ومن الإسكندرية. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١٠١ - ١٠٢، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٨٣ - ١٨٤، محمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية، الإسكندرية: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١، ص ٢٦.

٣٣٥- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٦١٣ - ٦١٤.

٣٣٦- مدينة مرسية: بالأندلس، وهى قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وذلك عام ٢١٦هـ / ٨٣١ - ٨٣٢م، واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد، وتقع مرسية على نهر كبير يسقى جميعها مثل النيل فى مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، كما توجد بها معادن للفضة، ولها ريع عامر أهل وعليها وعلى ريعها أسوار متقنة والماء يشق ريعها. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

٣٣٧- ابن الزبير: المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٢١.

٣٣٨- حصن لبسه Labas تتوسط بين مدينة غرناطة ومدينة وادى آش، انظر: ابن صاحب الصلاة المن بالإمامة، ص ٢٤٦.

٣٣٩- ابن الزبير: المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٢١.

٣٤٠- السيوطى: بغية الوعاه، ج ٢ ص ٢٤٤.

٣٤١- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٣١، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٢٣.

٣٤٢- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٦٣.

٣٤٣- ابن الزبير: المصدر السابق، ج ٧ ص ١٤٨ - ١٤٩.

٣٤٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٥٠.

- ٣٤٥- السيوطي: المصدر السابق، ص ٨٥.
- ٣٤٦- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج ١ ص ١٦٨.
- ٣٤٧- ابن الزبير: صلة الصلة، ج ٧ ص ١٦٥ - ١٦٦.
- ٣٤٨- ابن الزبير: المصدر السابق ج ٧ ص ١٤٩ - ١٥٠.
- ٣٤٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٨٥ - ٤٨٦.
- ٣٥٠- نفس المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٤٤.
- ٣٥١- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤.
- ٣٥٢- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ٤٤٦.
- ٣٥٣- التادلي: التشوف، ص ١٣٥.
- ٣٥٤- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٣٠.
- ٣٥٥- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤.
- ٣٥٦- التادلي: المصدر السابق، ص ٧٠، ص ٣٣٨.
- ٣٥٧- ابن الآبار: المصدر السابق، ج ٢ ص ٦٩٨ - ٦٩٩.
- ٣٥٨- قلعة بني حماد: وتسمى قلعة أبي طويل أيضا، وبينها وبين مدينة المسيلة اثني عشر ميلا، يصفها الحميري بأنها كبيرة القطر كثيرة الخلق غزيرة الخير واسعة الأموال حسنة القصور والمسكن تقع في جبل صعب المرتقى، يدار عليها سور، وأعلى الجبل بسيط من الأرض، وبين هذه القلعة وبين مدينة بجاية مسيرة أربعة أيام، وتحضرت قلعة بني حماد عندما خربت القيروان حيث انتقل إليها كثير من أهل أفريقية حيث كانت القلعة مقصد التجار من العراق والحجاز والشام ومصر وسائر بلاد المغرب، انظر الحميري: الروض المعطار ص ٤٦٩ - ٤٧٠.
- ٣٥٩- التادلي: التشوف، ص ٧٢، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، ج ٢ ص ٧٠٠ - ٧٠١.
- ٣٦٠- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢ ص ٣٤٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ج ١ ص ١١٦.
- ٣٦١- تقي الدين المقرئ: المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ج ١ ص ٥١١.
- ٣٦٢- نفس المصدر السابق: ج ٦ ص ٤١٧ - ٤١٨.

- ٣٦٣- نفس المصدر: ج٦ ص ٤٠٤.
- ٣٦٤- ابن عبد الله محمد بن رشيد الفهرى: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبه، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١، ج٣، ص ١١، ابن الجزرى: غاية النهاية، ج١ ص ٢١٨.
- ٣٦٥- المقرئى: المصدر السابق، ج٦ ص ٤٢٣.
- ٣٦٦- جمال الدين الشيال: الصلات الثقافية بين الإسكندرية والمغرب، ص ١٥١ - ١٥٣، عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، ص ١٨٠ - ١٨١.
- ٣٦٧- ابتسام مرعى: العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى ص ٣٥٧ - ٣٥٨.
- ٣٦٨- ابن الجزرى: المصدر السابق، ج٢ ص ١٢٢ - ١٢٣، المقرئى: المصدر السابق، ج٥ ص ٥٦٥.

الخاتمة

تمخضت الدراسة عن عرض لتاريخ مدينة فاس السياسى والحضارى فى عصرى المرابطين والموحدين، ونعتقد أنه بفضل المادة التاريخية التى توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع وجميع شتاته.

وقد تناولت هذا الموضوع فى ضوء اعتبارين أساسيين، أحدهما يتعلق بالتطور السياسى الذى شهدته المدينة خلال هذين العصرين والثانى، التطور الحضارى الذى شهدته المدينة على الصعيد الاجتماعى والاقتصادى والثقافى.

فمن الناحية السياسية أدرك المرابطون أن مستقبل دولتهم يتوقف على السيطرة على شمال بلاد المغرب الأقصى، التى تمثل فاس مركز الثقل فيها، حيث أنها من المعاقل الحصينة بسبب قبضة القبائل الزناتية عليها، كما أنها تقع فى إقليم، إذا استطاع أن يسيطر عليه فاتح استطاع أن يسيطر على أقاليم المغرب الأقصى كله دون عناء، لذا مثلت فاس العقبة الكؤود فى تحقيق الأمل المرابطى، لذلك قرر المرابطون الاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

وباستيلاء المرابطين على فاس انتهى الصراع القبلى الذى كان يخيم على المدينة قرابة قرن ونصف من الزمان، وأصبحت إحدى مدن المرابطين الرئيسية، حيث عمل يوسف بن تاشفين على تحويلها إلى قاعدة عسكرية رئيسية لعمليات المرابطين سواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق نحو تازا وتلمسان وحتى الجزائر. أو أراد يوسف بن تاشفين إخضاع قبائل الريف، أو ذهب لفتح الأندلس، حيث قامت مدينة فاس بدورها الجهادى فى العمليات العسكرية التى خاضها المرابطون بالأندلس، لذلك اهتم المرابطون بفاس.

ولما قامت الدولة الموحدية أدرك الخليفة عبد المؤمن بن على، أن مدينة فاس من المواقع الحصينة والمعاقل المهمة التى تمثل قاعدة لانطلاق القوات المرابطية فى حربها ضد الموحدين، لذا عمل الموحدون على السيطرة عليها واتخاذها قاعدة تنطلق منها الجيوش الموحدية للدفاع أو للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس. فأدركوا أهمية الإسراع للسيطرة على فاس لضرب المؤسسة العسكرية الرئيسية للدولة المحتضرة، ليتسنى لهم فتح ما بقى من مدن المغرب، والتمكن من السيطرة على العاصمة المرابطية مراكش. فكان سقوط فاس فى يد الموحدين الضربة القاسمة لقوى الدولة المرابطية، فقد توالى بعدها سقوط باقى المدن المغربية، كما سقطت عاصمتهم عام ٥٤١هـ/١١٤٦م والتى بسقوطها زالت الدولة المرابطية.

وأدرك الموحدون أهمية فاس فى جعلها إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية، لاسيما لأعمالهم الحربية فى أفريقيا والأندلس، فاهتم الموحدون بها اهتماماً كبيراً. وبلغ من أهمية فاس فى هذا العصر أنه من الممكن أن ينوط إلى واليها الاستخلاف فى غياب الخليفة عن مراکش، كما كانت من الأهمية بمكان بحيث تعتمد الخلفاء الموحدون الإعراف إليها والإقامة بها لاستنفار قبائلها للجهاد معهم سواء بالأندلس أو أفريقيا، حيث قدم أهالى المدينة خير ما عندهم من مؤن لجيوش الموحدين، كما تابع الخلفاء بأنفسهم تفقد أحوال الرعية ومهمة القضاء على المفسدين من عمالها وولاتها الذين كانوا يستغلون مناصبهم فى إرهاب الرعية. كما كانت فاس من الأهمية بمكان حيث شهدت السفارات القادمة من الدول الأخرى، ورؤساء القبائل إلى الخلفاء الموحدين.

وكان لاستقرار الحياة السياسية بمدينة فاس فى هذين العصرين أثره على حياة سكان المدينة الذين كانوا يتكونون من عناصر مختلفة أوضحها البحث كما أوضح القبائل البربرية والعربية التى كانت تعيش بالمدينة فى هذين العصرين، ومدى اختلاط هذه القبائل ببعضها البعض، وأيضاً التنوع فى طبقات المجتمع الفاسى وطوائفه، حيث انقسم المجتمع إلى أربع طبقات رئيسية هى الطبقة الحاكمة التى مثلتها قبيلة لمتونة فى العهد المرابطى وكومية فى العصر الموحدى، وطبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة، وطبقة العامة وطبقة أهل الذمة من النصارى واليهود موضحاً أوضاعهم الاجتماعية كما أوضح البحث مكانة المرأة فى المجتمع الفاسى حيث شاركت فى الحياة العامة، وخرجت للتعليم والأخذ عن العلماء.

وقد أوضح البحث أيضاً الفوائد التى عادت على المجتمع الفاسى من اهتمام الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين بإنشاء المؤسسات الاجتماعية من فنادق وحمامات وبيمارستانات، ومدى العناية والرعاية التى تلقاها الفقراء بفاس من الصحاء والعلماء والأغنياء فى هذين العهدين. كما أوضح البحث بعض الاحتفالات والعادات التى شهدتها مدينة فاس فى هذين العصرين، وطعام أهل المدينة وزيتهم، وبعض مظاهر التسلية ووصف دور مدينة فاس.

ومع فترة الاستقرار السياسى والاجتماعى التى شهدتها فاس فى عهدى المرابطين والموحدين ازدهر النشاط الاقتصادى بها حيث حرص الأمراء المرابطون ثم الخلفاء الموحدون على نشر الأمن والنهوض بالمدينة فى شتى المجالات، وانصرف الأهالى إلى العمل والإنتاج، فعم الرخاء فى مجال الزراعة

كانت الدولة المرابطية هي المالكة لكثير من الأراضى بفاس، وورث الموحدون هذه الملكية، ولكنهم احترموا الملكيات الخاصة أيضاً. وقد نظمت الأراضى فى هذين العهدين حيث كان هناك ديوان لإدارة الأراضى بفاس له نظمه ومساعديه. وعمل المرابطون والموحدون على توفير المياه التى تتطلبها العمليات الزراعية وذلك بعده وسائل منها جلب مياه الأنهار والعيون أو حفر الآبار وعمل الخزانات وتوصيلها إلى البساتين بوسائل متعددة. ونتيجة الاهتمام بالرى توفرت المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وبقول لدرجة دفعت الدولتين المرابطية والموحدية إلى تنظيم عملية الاستفادة من هذه المحاصيل الزراعية بعمل مخازن لحفظها، حيث قامت هذه المخازن بدورها الفعال عندما تعرضت المدينة للمجاعات. وإلى جانب توافر المحاصيل الزراعية انتشرت زراعة الزيتون والقطن والكتان والحدائق والبساتين، حيث عملت الدولة الموحدية على التوسع فى مثل هذه الزراعات. ونتيجة للاهتمام بالزراعة توفرت الثروة الحيوانية بفاس فى هذين العصرين.

واهتم المرابطون والموحدون بالصناعة فى فاس حيث كان على رأس كل حرفة من الحرف المختلفة رئيساً يسمى الأمين كانت واجباته حل المشكلات بين أهل صنعته، ومساعدة الدولة فى كشف أساليب مكر الصناع وغشهم، ومراقبة الإنتاج وجودته، فصارت فاس فى هذين العهدين من المراكز الصناعية الهامة، حيث شهدت تقدماً صناعياً نتيجة لتوفر المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية وتوفر الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، وقد مثلت الحرف القاعدة الإنتاجية للمدينة، فقام الحرفيون بدور بارز فى تنشيط حياة المدينة الاقتصادية، وذلك بتحويل المواد الأولية الفلاحية والمعدنية والحيوانية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق.

وقد اشتهرت فاس بالصناعات النسيجية حيث بلغت هذه الصناعة أوج ازدهارها فى عهد الموحدين لدرجة بلغت مواضع الأطرزه المعدة للحياكة ٣٠٦٤ موضعاً، كما بلغ عدد الدور الخاصة بالغزل ١٤١ داراً، وتنوعت الملابس بين الكتانى والقطنى والصوفى والحربرى. وبذلك كان للمدينة حظاً كبيراً من صناعة النسيج فى المغرب الأقصى، ولا شك أن ذلك شارك بفاعلية فى تحريك واقتصادها. كما اشتهرت فاس بصناعة الورق، حيث كانت مركزاً لصناعته، وكان بها معامل كثيرة تنتج ورقاً جيداً، فكانت هذه الصناعة المادة الأصلية الفعالة فى نشر

الثقافة، كما فتحت هذه الصناعة لأهل فاس مهنة أخرى مثل حرفة التسفير أو التجليد وحرفة النسخ التي كان لها أثر كبير في الاحتفاظ بالعلوم الكثيرة المنسوخة. وشهدت المدينة تطورا في صناعة طحن الغلال حيث أنشأ الأهالي الإرجاء المائية والهوائية بإعداد كبيرة، وبلغت هذه الصناعة ذروتها في العصر الموحدى، حيث قامت عليها صناعة الخبز. كما ازدهرت صناعة الزيوت وأدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت إلى ازدهار صناعة الصابون، حيث كان بفاس ٤٧ دارا لصناعته.

كما شهدت فاس تقدما في الصناعات الخشبية وصناعة دبغ الجلود التي ارتبطت بها صناعة الصباغة، كما لوحظ التطور الكبير في الصناعات المعدنية في هذين العصرين، حيث تم كشف بعض المناطق التي تتوفر بها المعادن، والعمل على استخراجها والاستفادة منها، فقد استخدم الحديد والنحاس والرصاص في شتى المجالات المعمارية بالمدينة، كما تقدمت المدينة في الصناعات الزجاجية. وقد ساعد توفر المعادن بالمدينة إلى اتخاذها مقرا لسك العملة.

ولما كانت للصناعات الفخارية أهميتها لحاجة الناس إليها، خصص بالمدينة مكان خاص لهذه الصناعة، حتى أصبحت فاس في العصرين المرابطى والموحدى منطقة كبرى لإنتاج الفخار، حيث كان بها ١٨٨ معملا لصناعته، وقد أسهمت هذه الصناعة بدورها في حركة العمران التي شهدتها المدينة في هذين العصرين.

ومثلت الأسواق مركزا للنشاط التجارى بصورة ومراحل مختلفة، وقد اهتم المرابطون والموحدون بأسواق فاس وإصلاحها وزيادة فى خاناتها، كما اهتموا بتسهيل حركة المرور وتأمينها داخل هذه الأسواق. وقد أوضح البحث أنواع التعامل التجارى من البيع نقدا والبيع بالتقسيط والأجل، كما أبرز العملات المرابطية والموحدية التي كانت تتم بها عمليات التبادل التجارى وكذلك المكاييل والموازين.

وكان للاستقرار السياسى الذى شهدته فاس فى هذين العصرين أثره فى تنشيط حركة التجارة بها، ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، فازدهرت تجارتها مع مكناسة وسجلماسة ومراكش وصفرو ومقيلة القاط ومنطقة السوس الأقصى ومدينة دى وأغمات، فأرتبطت مع هذه المدن بعلاقات تجارية أوضحنا خلالها أهم الصادرات والواردات، والطرق التي ربطت بين فاس وهذه المدن. وقد كان لهذا أثره فى تنشيط حركة التجارة الخارجية فأصبحت

أسواق المدينة مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار، فارتبطت بعلاقات تجارية مع الأندلس التي توافد تجارها للاحتراف بالتجارة في هذه المدينة حيث كان يتم تصدير الأقمشة والألبسة الصوفية وأيضا الزيتون والزعفران والخوخ المجفف وقطع الجلود ونشطت أيضا الحركة التجارية بين فاس وبلاد السودان - جنوب الصحراء - وتنوعت السلع المتبادلة بينهما حيث كان يتم استيراد الذهب والرقيق من بلاد السودان، في حين يتم تصدير الثياب الحريرية والكتانية والمنسوجات والقمح وأدوات الزينة من عطور وأصداف وخرز وفخار وأدوات زخرفية وتحف معدنية وكتب من فاس إلى بلاد السودان، كما ارتبطت فاس بعلاقاتها التجارية مع بلاد المشرق. وكان لهذه الحركة التجارية أثرها في انتعاش الحياة الاقتصادية بمدينة فاس خلال هذين العصرين.

كما أوضح البحث أن الاستقرار السياسي والنهوض الاقتصادي كانا من أهم العوامل التي شجعت على نمو الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس في هذين العصرين، مما أثر بدوره في أن تذخر المدينة بالمؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب ومدارس درست فيها مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان من أهم العلوم النقلية في هذين العصرين علم القراءات والتجويد والتفسير، فأوضحت تطورها وأبرز العلماء الذين تصدوا لتدريسها، والكتب التي صنفت من قبل علماء فاس في هذه العلوم. وعلم الحديث الذي أوضح من خلاله كيف أن المرابطين اقتصر على كتب فروع مذهب الإمام مالك، ولم يعطوا العلم الحديث الاهتمام الذي كان يجب أن يناله، ولكن بالرغم من هذا ظهر بفاس في العصر المرابطي من تصدر لتدريس هذا العلم ونشره بين أهل فاس وأوضحت كيف أن علم الحديث ازدهر وعلا شأنه في العصر الموحدى حيث استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به لاسيما للمكانة التي أعطوها لطلاب علم الحديث في دولتهم. فأظهرت ألمع الشخصيات التي تصدرت لتدريس هذا العلم، والكتب التي ألفت فيه، والكتب التي كانت متداولة بين أيدي العلماء والدارسين متوصلا إلى أن مدينة فاس كانت مركزا هاما لتدريس علم الحديث في العصر الموحدى.

ثم تحدثت عن علم أصول الفقه، وبحثت من خلال المذهب الفقهي المرابطي، والمذهب الفقهي الموحدى، وبينت اختلاف المذهبين، حيث أصبحت المؤلفات التي دونها رفاق الإمام مالك تحتل المكانة الأولى في الدراسة بالقرويين ومساجد فاس الأخرى طيلة العهد المرابطي، فانتشرت بفاس كتب الأصول الفقهية

من العلوم الفرعية، وكان النفوذ كله لعلماء الفروع. أما الموحدون فقد كان المذهب الظاهري محبباً إليهم فبينت كيف أن ابن تومرت دعى إلى اتباع هذا المذهب لدرجة قام فيها الخلفاء الموحدون بحرق كتب الفروع المالكية، ومحو مذهب مالك وإزالته من المغرب، وحمل الناس على المذهب الظاهري. ومن خلال ذلك درست أشهر علماء الفقه المرابطي والموحدين بمدينة فاس، وأشهر الكتب التى ألفت فى هذا العلم، وأثر المذهبيين على الحركة الفكرية والعلمية بالمدينة.

وتحدثت عن علم اللغة العربية والنحو، وأهم الشخصيات التى تصدرت لتدريسهما، وأشهر كتب اللغة العربية والنحو التى كانت تدريس فى مؤسسات فاس التعليمية، كذلك أشهر كتب العلمين المذكورين التى صنف من قبل علماء المدينة. وتحدثت أيضاً عن الحياة الأدبية التى أقبل عليها الفاسيون بشكل واضح خلال العصر الموحدي، فتفق سوق الشعر بفاس الموحدية، ودرست من خلال ذلك أثر الحركة الأدبية بفاس الموحدية على نمو الحركة الفكرية والعلمية بالمدينة.

ودرست كذلك علم الكلام بمدينة فاس خلال هذين العصرين وموقف الدولتين وأهالى فاس من العلم المذكور، فوضحت كيف كان المرابطون غاية فى التشدد تجاه هذا العلم لدرجة أنهم أحرقوا كتب الإمام الغزالي، كما وضحت كيف كان الموحدون يشجعون هذا العلم ويعملون على نشره، دارسا لأهم الشخصيات التى قامت بتدريس هذا العلم بفاس فى العصر الموحدي وأهم الكتب التى ألفت فيه من قبل علماء المدينة.

كما درست علم التاريخ والتراجم والفهارس والوثائق والشروط، وأوضحت اهتمام أهل فاس بهذه العلوم، وأهم مؤلفاتهم فيها، وما وصل إلينا منها. وعلم التصوف، وأبرز علمائه الذين عاشوا بالمدينة وموقف حكام الدولتين المرابطية والموحدية من متصوفى فاس.

أما العلوم العقلية فدرست فيها علم الفلك والنجوم، وأبرزت من خلال ذلك موقف الحكام من العلم المذكور، والإنجازات العلمية التى قدمها العلماء فى هذا العلم، وترجمت لأشهرهم. وعلم الحساب والهندسة، واستنتجت أن الدولة الموحدية شجعت العلوم الحسابية، وتصديت لأشهر علماء الحساب فى مدينة فاس فى ذلك العهد.

كما درست علم الطب، وتحدثت عن مدى اهتمام أولى الأمر من المرابطين والموحدين بالطب والأطباء، وترجمت لأشهر الأطباء الذين كانت لهم شهرة طيبة بالمدينة، وأهم الكتب التي صنف في هذا العلم. ثم تحدثت عن علم الكيمياء وكيف أن من بين أهالي فاس من نبغ فيه، ونقله إلى الأندلس لدراسته هناك وختمت دراستي بالحديث عن الدور الذي قامت به مدينة فاس في نشر الثقافة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

- التادلي:

- (أحمد بن القاسم الهروي) المتوفى ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م.
- المعزى في أخبار ومناقب سيدى أبوعزى.
- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٢٤٩ تاريخ تيمور.
- ميكروفيلم رقم ٢٧٧٠٣.

- السيوطى:

- (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى) المتوفى ٩١١هـ / ١٥٠٥م.
- نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين.
- مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم ٥٥١.

- الشطبي:

- محمد الشطبي المغربي.
- الجمال في أخبار الزمان.
- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤١٦ تاريخ، ميكروفيلم رقم ١٤١٩٧.

- ابن عسك:

- فقهاء مالقة وأدبائها.
- مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، من المجموعة المصورة من الاسكوريال رقم ١٣١٢ أدب.

- ابن عيشون الشراط:

- (محمد بن محمد بن عيشون الشراط) ت ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م.
- الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس.
- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢ تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ١٣٣٦٦.

- العيني:

(بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى العيني) المتوفى ٨٥٥هـ /

١٤٥١م

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.

الجزء الثاني عشر، المتضمن أحداث ٥٢١ - ٥٧٨هـ.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣٤ / ل.

- مجهول:

- ذكر الملوك الإدارية.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٠٥٥

تنتهي أحداث هذا المخطوط بعام ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م

- مجهول:

- رسالة في ذكر من أسس فاس.

مخطوط بدار الكتب المصرية، ح ٩٧٣٢ ميكرو فيلم رقم ١٠٩٨٨

قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلي الجيلاني.

- مجهول:

قصة البلدين من أهل فاس.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٨٩٣ تاريخ.

ابن الياسمين:

(أبو محمد بن عبد الله بن حجاج) ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م

- الأرجوزة الیسمانیة

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٧٧ أ ج / ١١٢ (٤) رياضة

ثانيا: المصادر المطبوعة:

- ابن الآبار:

(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاة) ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م

- التكملة لكتاب الصلة.

ثلاثة أجزاء، نشر وتحقيق عزت العطار الحسيني، القاهرة مطبعة

الخانجي، ١٩٥٦.

- الحلة السیراء، جزءان، تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، دار

المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإيباري، القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
- المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفى، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥م.

- ابن الأثير:

- (أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)
- ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م.
- الكامل في التاريخ، الجزء الثامن، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨.

- الإدريسي:

- (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م.
- المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس.
- مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدين مطبعة بريل، ١٨٦٦م.
- وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، نشر هنرى بيرسى، الجزائر، ١٩٥٧.

- ابن إدريس التجيبى:

- (أبو بحر صفوان) ٥٦١ - ٥٩٨هـ / ١١٦٥ - ١٢٠١م
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر.
- تعليق عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربى، ١٩٧٠
- إسماعيل بن الأحمر: ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م
- بيوتات فاس الكبرى، أو ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.

- ابن بشكوال:

- (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ٤٩٤ - ٥٢٨هـ / ١١٠٠ - ١١٨٢م
- كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، جزءان. نشر عزت العطار الحسينى، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٥٥.

- البغدادى:

(صفى الدين عبد المؤمن بن الحق البغدادى) ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م.
- مرآة الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.
تحقيق على محمد البجاوى، دار الكتب العربية، ١٩٥٥.

- البكرى:

(أبو عبد الله البكرى) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب.
نشر دى سالن، الجزائر، ١٩١١.

- البساق:

(أبو بكر على الصنهاجى) توفى فى منتصف القرن السادس الهجرى.
- المقتبس من كتاب الأنساب فى معرفة الأصحاب.
تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.
- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد
الوهاب ابن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.

- التجيبى:

(القاسم بن يوسف السبتي) ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م
- برنامج التجيبى

تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١.

- الجرسفى:

(عمر بن عثمان بن العباس)
- رسالة فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، نشرها ليفى
بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥.

- الجزرى:

(شمس الدين محمد بن محمد الجزرى) ت
- غاية النهاية فى طبقات القراء، الجزء الأول، نشر برجستراير مصر،
مطبعة السعادة، ١٩٢٣.

- الجزنائى:

(على الجزنائى) من أهل القرن الثامن الهجرى.
- جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس.

- تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية ١٩٦٧.
- ابن الحاج:
- (أبو عبد الله محمد بن العبدري الفاسي) ت: ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م
- المدخل، ٤ أجزاء في مجلدين، القاهرة، دار الحديث ١٩٨١.
- الحميري:
- (محمد بن عبد المنعم الحميري) توفي في أواخر القرن التاسع الهجري.
- الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، مطابع هيد ليرغ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- ابن حوقل النصيب:
- (أبو القاسم محمد بن علي البغدادى النصيبى) ت: ٣٨٠هـ / ١٩٩٠م.
- صورة الأرض، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
- ابن حيان:
- (أبو مروان خلف بن حسين بن حيان القرطبي) ٣٧٧ - ٤٦٩هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس.
- تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣.
- ابن الخطيب:
- (لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م
- الإحاطة في أخبار غرناطة
- ٤ أجزاء تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي ج١
- الطبعة الثانية ١٩٧٣.
- ج٢ ١٩٧٤.
- ج٣ ١٩٧٥.
- ج٤ ١٩٧٧.
- أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال (تاريخ المغرب في العصر الوسيط) القسم الثالث، تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى، ومحمد إبراهيم الكتانى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤.

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله).

نشرها دكتور أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣.

- ابن الخطيب البغدادي:

(الحافظ أبي بكر أحمد بن علي البغدادي) ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م.

- تاريخ بغداد

المدينة المنورة، المكتبة السلفية، بدون تاريخ.

- ابن خلدون:

(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م.

- تاريخ ابن خلدون.

٧ أجزاء، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٨٢هـ

- ابن خلكان:

(شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨ - ١٩٦٩م

- ابن دحية:

(أبو الخطاب عمر بن حسن ت: ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م)

- المطرب من أشعار أهل المغرب.

تحقيق إبراهيم الإياري وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٤.

- الدمشقي:

(أبو الفضل جعفر بن علي)

- الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة الإعراض ورديها وغشوشها

المدلسين فيها.

مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ.

- ابن أبي دينار القيرواني:

(أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني) كان حيا ١١١٠هـ

- المؤنس في أخبـر أفريقيا وتونس.

تحقيق محمد شمام، تونس المكتبة العتيقة، مطبعة ٢٠ مارس الطبعة
الثالثة، ١٩٦٧.

- الذهبي:

(الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت: ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م
- سير أعلام النبلاء - ٢٣ جزء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت مؤسسة
الرسالة، ١٩٨٤.

- ابن رشيد الفهرى:

(أبو عبد الله محمد بن عمر السبتى) ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م
- ملء العيبة بما جمع بطول العتبه فى الوجهة الوجهية إلى الحرمين
مكة وطيبة،
الجزء الثالث، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، تونس، الشركة
التونسية للتوزيع، ١٩٨١.

- الرعيني:

(أبو الحسن على بن محمد الرعيني الاشيلي) ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م.
- برنامج شيوخ الرعيني.
تحقيق إبراهيم شيوخ، دمشق، مديرية إحياء التراث، ١٩٦٢.

- ابن الزبير:

(أبو جعفر أحمد بن الزبير) ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م
- صلة الصلة (ذيل للصلة بالشكوالية فى تراجم علماء الأندلس)
الجزء السابع، تعليق ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد الدراسات العليا
المغربية، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧.

- ابن أبى زرع:

(أبو الحسن على بن الله) ت (٧٤١هـ / ١٣٤٠م
- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار المغرب وتاريخ مدينة
فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.

- الزركشى:

(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشى)
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.
تحقيق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦.

- الزهرى:

(أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى) ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م.

- كتاب الجغرافيا.

تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، بدون تاريخ.

- ابن الزيات التادلى:

(أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلى) ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م

- التشوف إلى رجال التصوف.

نشر أودلف فور، الرباط، مطبوعات معهد الأبحاث العليا، ١٩٥٨

- السعدى:

(الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى) ١٠٦٦هـ /

١٦٥٥م

- تاريخ السودان.

مدينة أنجى، مطبعة بردين ١٨٩٨م.

- ابن سعيد المغربى:

(أبو الحسن على بن موسى) ٦١٠هـ / ٦٨٥هـ - ١٢١٣ - ١٢٨٦م

- الغصون الياضة فى شعراء المائة السابعة.

تحقيق إبراهيم الإيبارى، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.

- اختصار القدر المعلى فى التاريخ المحلى.

القاهرة، دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

- كتاب الجغرافيا

تحقيق إسماعيل العربى، بيروت، منشورات المكتب التجارى ١٩٧٠.

- بسط الأرض فى الطول والعرض

تحقق خوان قرنيط خينيس، تطوان، معهد مولاي الحسن ١٩٥٨

- المغرب فى حلى المغرب

جزءان، تحقيق شوقى ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠.

- السلفى: ت ٥٢٦هـ / ١١٨٠م

- أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السلفى)

تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣.

- السيوطي:

(جلال الدين السيوطي) ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م.

- طبقات المفسرين

طبعة طهران، ١٩٦٠.

- بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة.

تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤

- ابن شاعر الكتبي:

(محمد بن شاعر بن أحمد الكتبي) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م.

- وفيات الوفيات ج٢

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر مطبعة السعادة، ١٩٥١.

- الشعراني:

(عبد الوهاب الشعراني)

- الطبقات الكبرى.

جزءان في مجلد، مكتبة محمد علي صبح، بدون تاريخ.

- ابن صاحب الصلاة:

(عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم) كان حيا ٥٩٤هـ / ١١٩٨ م

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين

السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلس

للطباعة، ١٩٦٤.

- الضبي:

(أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضبي) ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣ م

- بغية الملتبس في رجال أهل الأندلس.

مجريط، مطبعة روكسي، ١٨٨٤ م.

- الطبري:

(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ٣١٠هـ / ٩٢٢ م

- تاريخ الرسل والملوك ج١

تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.

- أبو العباس الغبريني:

(أحمد بن أحمد بن عبد الله) ٧١٤هـ / ١٣١٤ م

-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة بيجاية
بيروت، منشورات لجنة التأليف، ١٩٦٩.

-ابن عبد الرؤوف:

(أحمد بن عبد الله) من أهل القرن السادس الهجري.
-رسالة في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة
والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي
للآثار الشرقية، ١٩٥٥.

-أبو عبد الله محمد الأندلسي:

(المعروف بالوزير السراج) ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م
-الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تونس ١٢٨٧هـ.

-ابن عبدون: من أهل القرن السادس الهجري.

(محمد بن أحمد بين عبدون التجيبي)
-رسالة ابن عبدون في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية نشرها
ليفى بروفنسال: القاهرة، مطبعة العهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥.

-ابن العبري:

(غريغوريوس أبى الفرح بن هارون) ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م - مختصر تاريخ
الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠م

-ابن عذارى المراكشي: ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م

-البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب.
الأجزاء ١ - ٤ تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة الطبعة
الثانية، ١٩٨٠.

الجزء الخامس - قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني
ومحمد بن تاويت وآخرون، الدار البيضاء، دار الثقافة ١٩٨٥.

-ابن عربي:

(محي الدين بن عربي) ت ٦٣٨هـ / ١٣٤٠م
-الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية، بيروت، دار صادر،
بدون تاريخ.

-العمري:

(ابن فضل الله العمري) ٧٠٠هـ / ٧٤٩هـ - ١٣٠١ - ١٣٤٩م

- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من مسالك
الأبصار في ممالك الأمصار، نشر محمد المنوني، الرباط، مجلة البحث
العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٦٤.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (قبائل العرب في القرنين السابع
والثامن الهجريين) دراسة وتحقيق دوريتا كرافلسكي، بيروت، المركز
الإسلامي للبحوث، ١٩٨٥.

- ابن غازي العثماني:

(أبو عبد الله محمد) ٨٤١ - ٩١٩ هـ / ١٤٣٢ - ١٥١٣ م
- الروض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون. الرباط، المطبعة الملكية،
١٩٦٤.

- الفتح بن خاقان:

(أبو نصر الفتح بن محمد القيس) ت: ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م
- قلائد العقبات في محاسن الأعيان.
القاهرة، ١٢٨٣ هـ.

- أبو الفداء:

(عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل)
- تقويم البلدان
باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠.

- ابن فرحون المالكي:

(إبراهيم بن علي اليعمرى) ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب.
جزءان، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة، دار التراث
للطباعة، ١٩٧٢.

- الفيروز آبادي:

القاموس المحيط، بيروت، دار صادر.

- ابن القاسم:

(محمد الأنصاري السبتي)
- اختصار الأخبار عما يثغر سبتة من سني الأخبار، تحقيق عبد الوهاب
بن منصور، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

- القاضي عياض:

(أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي) ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك. جزءان.
تحقيق دكتور أحمد بكير محمود، بيروت، منشورات مكتبة الحياة
١٩٦٧، المجلد الثاني، ج٤، منشورات مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

- ابن القاضي المكناسي:

(أبو العباس أحمد بن محمد) ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فاس.
جزءان، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣.

- ابن القطان:

(أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي) ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م
- جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان.
تحقيق دكتور محمود علي مكى، الرباط، منشورات مكتبة كلية
الآداب، جامعة محمد الخامس، بدون تاريخ.

- القلقشندی:

(أحمد بن علي) ت ٨٢٠هـ / ١٤١٧م.
- صبح الأعشى في صناعة الأنشا.
الجزء الخامس، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥م.
- مآثر الأناقة في معالم الخلافة.
تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية،
١٩٨٠.

- قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان.

تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣

- ابن القنفذ:

(أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني) ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م
- أنس الفقير وعز الحقير، نشره محمد الفاسي، أودلف فور، الرباط،
المركز الجاهلي للبحث العلمي، مطبوعة أكوان، ١٩٦٥م
- كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، منشورات المكتب
التجاري، ١٩٧١.

-ليفى بروفنسال:

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط،
مطبوعات معهد العلوم العليا، ١٩٤١.

-ليون الأفريقى:

(الحسن بن محمد الوزان) ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م.

-وصف أفريقيا.

ترجمة الدكتور/ عبد الرحمن حميدو/ الرياض، ١٩٧٨ - ١٩٧٩.

-مارمول كرفخال:

توفى آخر القرن الاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

-أفريقيا.

ثلاثة أجزاء، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنيير وآخرون،
الرباط، الجمعية المغربية للتأليف، مكتبة المعارف ١٩٨٤.

-مالك:

(الإمام مالك بن أنس) ت ١٦٢هـ / ٧٧٨م.

-الموطأ.

صحجه وأخرج أحاديثه، محمود فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء
الكتب العربية، ١٩٥١.

-مجهول:

-نبد تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى. منتخبه من كتاب
مفاخر البربر. لمؤرخ مجهول، ألفه ٧١٢هـ، تحقيق ليفى بروفنسال،
رباط الفتاح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.

-مجهول:

-كتاب الطبخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين.
تحقيق أويثنى ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،
المجلد التاسع والعاشر، ١٩٦١ - ١٩٦٢.

-مجهول:

-الاستبصار فى عجائب الأمصار.

لمؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري، نشر وتعليق د/
سعيد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية
١٩٥٨م.

-مجهول:

-جمع تواريخ فاس. طبع بمدينة بالروم، مطابع برنارد وبرزي، بدون
تاريخ.

-مجهول:

-الحلل الموشية في الأخبار المراكشية. لمؤلف مجهول من أهل
القرن الثامن الهجري. حققه د/ سهيل ذكرار، عبد القادر زمامه، الدار
البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩.

-محمد بن أبي بكر الرازي:

مختار الصحاح، القاهرة، دار المعارف.

-المراكشي:

(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري) ٦٣٤هـ
٧٠٣هـ / ١٢٣٦ - ١٣٠٣م.

-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. السفر الأول تحقيق محمد
بن شريفه، بيروت دار الثقافة. السفر الرابع والخامس، تحقيق د/
إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ.

-المراكشي:

(عبد الواحد المراكشي) ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م

-المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان،
القاهرة، ١٩٦٣.

-ابن مريم:

(أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بابن مريم) ت

-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر، مطبعة الثعالبية،
١٩٠٨.

-المقدسي:

(شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد) ت حوالي ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م

-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. لندن، مطبعة بريل، ١٩٠٦.

-المقريزي:

(تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م
-المقفى الكبير ٨ أجزاء تحقيق على البجاوى، القاهرة، ١٩٩٢.

-المقرى:

(شهاب الدين أحمد المقرى التلمسانى) ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣١م
-أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض. خمسة أجزاء ١ - ٣ تحقيق
مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٩.
-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ثمانية أجزاء. تحقيق
إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨.

-المعجم الوسيط:

إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣.

-النباهى:

(أبو الحسن بن عبد الله النباهى المالقى) كان حيا عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م
-١٣٩١م.
-تاريخ قضاة الأندلس، المسمى بكتاب "المرتبة العليا فيمن يستحق
القضاء والفتيا".
نشر وتحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة، دار الكتاب المصرى ١٩٤٨.

-النويرى:

(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م
-نهاية الأرب فى فنون الأدب. الجزء الرابع والعشرون، تحقيق حسين
نصار، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣.

-الونشريس:

(أحمد بن يحيى الونشريس) ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م
-المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والمغرب.
١٢ جزء، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف د/ محمد حجي، بيروت،
دار الغرب الإسلامى، ١٩٨١.

-ياقوت الحموى: ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩

-معجم البلدان، ثمانية أجزاء
طبعة بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

- ابن يوسف الحكيم:

(أبى الحسن على) من أهل القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر
الميلادى.

-الدوحة المشتبكة فى ضبط دار السكة.

تحقيق د. حسين مؤنس، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٠.

ثالثاً: المراجع العربية الحديثة والمعربة:

- الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وسنغى، جده، المجمع العلمى، ١٩٧٩.
- ابتسام مرعى (دكتور): العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى دار المعارف، ١٩٨٥.
- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جزآن، الدار البيضاء دار السلمى للنشر، ١٩٦٠.
- أحمد حامد الاخميمى: المواهب السنية فى المآثر الشاذلية، مصر، مكتبة الجندى، ١٩٦٩.
- أحمد شلبى (دكتور): تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، دار الكشف للنشر، ١٩٥٤ م.
- أحمد عيسى: معجم الأطباء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ م.
- أحمد محمد الطوخى (دكتور): القيساريات الإسلامية فى مصر والمغرب والأندلس، فصله من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢٨، عام ١٩٨١ م.
- مصر والأندلس، الإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة، ١٩٨٨.
- أحمد مختار العبادى (دكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس إسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ.
- إسماعيل العربى: دولة الإدارة، بيروت، دار المغرب الإسلامى ١٩٨٣.
- أسين بلاثيوس: ابن عربى حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوى، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩.
- أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، نقله عن الأسبانية د. حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ م.
- باذل دافدسن: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بدون تاريخ ومكان.
- بدرى محمد فهد: العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى، بغداد مطبعة الرشاد، ١٩٦٧.
- حسان عوض: جغرافية المدن المغربية، مطبوعات المركز الجامعى للبحث العلمى، بدون تاريخ.

- حسن أحمد محمود (دكتور): قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربى، بدون تاريخ.
- الحسن السائح: الحضارة الإسلامية بالمغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- حسن على حسن (دكتور):- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠.
- التعليم بالمغرب فى عهدى المرابطين والموحدين مستخرج من حوليات كلية دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٤.
- حسين محمد ربيع (دكتور): وثائق الجنيزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى، نشر ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، ج٢ الرياض، ١٩٧٩.
- حمدى عبد المنعم محمد (دكتور): تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المرابطين (دولة على بن يوسف) الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦.
- رضوان البارودى (دكتور): أضواء على المسيحية والمسيحيين فى المغرب فى العصر الإسلامى، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٩٠.
- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جزآن، ترجمة دكتور محمد صبحى ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦.
- فاس فى عصر بنى مرين، ترجمة الدكتور / نقولا زياده، بيروت، مؤسسة مرتكبين للطباعة، ١٩٦٧م.
- زاهر رياض (دكتور): الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الصحراء، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.
- سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): تاريخ المغرب العربى، الجزء الثانى، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
- محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والأندلس، بيروت، دار الأحد، ١٩٧٣.
- سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين فى المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

- سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٥.
- الساوى: (أحمد بن خالد الناصرى)، الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٥٠.
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ المغرب العربى فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
- السيد محمد بن على السنوسى: الدرر السنية فى أخبار السلاسة الإدريسية، ليبيا، مطبعة جامعة محمد السيد بن على السنوسى الطبعة الرابعة، ١٩٦٦.
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، بيروت، منشورات المكتب التجارى للطباعة، ١٩٧١.
- عامر النجار (دكتور): الطرق الصوفية فى مصر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
- عباس إبراهيم المراكشى: الإعلام فمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، فاس المطبعة الجديدة، ١٩٣٦.
- عبد الرحمن بدوى (دكتور): مذهب الإسلاميين، جا، بيروت، دار العلم ١٩٧٨.
- عبد الرحمن بن زيدان: اتحلاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، الرباط المطبعة الوطنية، ١٩٣٩ م.
- عبد الرحمن الفاسى: خطة الحسبة فى النظر والتطبيق والتدوين، الدار البيضاء، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ١٩٨٤.
- عبد السلام بن سوده: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٥.
- عبد الصمد كنون: جنى زهرة الآس فى شرح نظم عمل فاس، مصر، مطبعة الشروق، بدون تاريخ.
- عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلى للطباعة ١٩٥٧، الطب والأطباء بالمغرب، الرباط، ١٩٦٠.
- عبد القادر الصحراوى: جولات فى تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتب، بدون تاريخ.

- عبد الله على علام (دكتور): الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على، مصر، دار المعارف، ١٩٧١.
- عبد الله كنون: مدخل إلى تاريخ المغرب، تطوان، مطبعة الوحدة المغربية، ١٩٤٤.
- النبوغ المغربى فى الأدبى العربى، الجزء الأول، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ.
- التعاشيب، بدون تاريخ ومكان.
- ذكر مشاهير رجال المغرب، تطوان، مطبعة كريمادس، بدون تاريخ.
- أدب الفقهاء، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، بدون تاريخ.
- عبد الهادى التازى (دكتور): - أحد عشر قرنا فى جامعة القرويين، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٦٠.
- التاريخ الدبلوماسى للمغرب، المجلد الخامس عهد المرابطين، المجلد السادس، عهد الموحدين مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٧.
- جامع القرويين، جزءان، المجلد الأول، بيروت دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٢.
- عبد الواحد الإمبابى: الإسلام فى أفريقيا، من مجموعة الكتب الإسلامية، التى أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٣، السنة الثانية، ١٩٦٢.
- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨.
- عثمان الكعاك: مراكز الثقافة فى المغرب، القاهرة، ١٩٥٨.
- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، القاهرة، دار الشروق ١٩٨٣.
- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى. الجزء الخامس (الأدب فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين) بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢.
- قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، القاهرة، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣.

- قرية صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني حماد،
الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦.
- ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة،
القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١.
- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور: السيد عبد
العزيز سالم والأستاذ/ محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة،
مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.
- محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال، الرباط، مطبوعات المركز الجامعي للبحث
العلمي، ١٩٦٢.
- محمد بن تاويت: تاريخ سبته، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٢.
- محمد بن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربي، بيروت دار الكتاب اللبناني
للطباعة ١٩٦٠.
- محمد بن جعفر الكتاني: الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر خطب المغرب وتاريخ
مدينة فاس، فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء
والصلحاء بفاس، ثلاثة أجزاء، فاس، المطبعة الحجرية،
١٣١٥هـ.
- محمد الحبيب بن الخوجه: يهود المغرب العربي، القاهرة، مطبعة الجبالوى،
١٩٧٣.
- محمد بن الحسن الحجري: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ٤ أجزاء
تونس، مطبعة النهضة، بدون تاريخ.
- محمد ضياء الدين الريس (دكتور): الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية،
القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الرابعة ١٩٧٧.
- محمد عبد الرحيم غنمية: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان معهد مولاي
الحسن، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٣.
- محمد بن عبد السلام: تاريخ المغرب، الجزء الأول، تطوان، دار الطباعة المغربية،
الطبعة الثانية، ١٩٥٧.
- محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور): الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب
والأندلس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ.

-محمد عبد الهادى شعيرة (دكتور): المرابطون وتاريخهم السياسى، القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩.

-محمد على أبو ريان: تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨.

-محمد الفاسى: التعريف بالمغرب، مطبعة لجنة البيان المغربى، ١٩٦١.

-محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥.

-محمد منتصر الكنانى: فاس عاصمة الأدارسة، بيروت، دار إدريس للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

-محمد المنونى: -العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين بدون مكان وتاريخ.

-ركب الحاج المغربى، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٣.

-محمود إسماعيل (دكتور): مغربيات، فاس ١٩٧٧.

-مصطفى أبو ضيف (دكتور): أثر العرب فى تاريخ المغرب فى عصرى الموحدين وبنى مرين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢.

-هوبكنز: النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى، نقل عن الإنجليزية د/ أمين توفيق، تونس، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ.

-ولسيلي هايج: جداول مقارنة السنوات الهجرية بالسنيين الميلادية، نشره بالعربية عبد العزيز مصطفى المراغى، مطبعة الشروق، بدون تاريخ.

-يسرى الجوهري: شمال أفريقية، الإسكندرية، الهيئة العامة للتأليف، بدون تاريخ.

-يوسف أشباح: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، الجزء الأول، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٠.

رابعاً: الدوريات العلمية العربية:

-أحمد مختار العبادى (دكتور): الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.

-تيتوس يوركهارت: فاس، مقال منشور بكتاب المدينة الإسلامية، ترجمة محمد ثعلب، نشر هيئة اليونسكو، ١٩٨٣.

- جمال الدين الشيال (دكتور): الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد الخامس عشر، ١٩٦١.
- دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الخامس عشر.
- سامي الصقار: كتاب وصف أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثامن ١٩٨١.
- سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور بن يوسف الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢ - ١٩٥٣.
- سعيد إعراب: المقامة القاسية، مجلة البحث العلمي، الرباط جامعة محمد الخامس، العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥.
- سيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.
- شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٥١، ١٩٩٠ م.
- صباح إبراهيم: العناصر السكانية في مدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثامن، ١٩٨٤.
- عبد السلام بن سودع: بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا، مجلة البحث العلمي، الرباط، جامعة محمد الخامس، السنة الحادية عشر، العدد ٢٢ يناير أبريل ١٩٧٤، والعدد ٢٣ سنة ١٩٧٤.
- عبد العزيز بن عبد الله:- المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد ١ - ٢، سنة ١٩٥٨.
- معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى، مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، الجزء الأول، يناير ١٩٧٠.
- الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب، مجلة البيئة المغرب، السنة الأولى، العدد السادس، أكتوبر، ١٩٦٢.
- الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدار، العدد الثالث، السنة الخامسة، مارس ١٩٨٠.

-عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب في العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدى محمد بن عبد الله، العدد الثاني، سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦.

-عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس ١٩٨٠ - ١٩٨١.

-معالم وأعلام من فاس القديمة، مجلة البحث العلمي الرباط، السنة الخامسة، العدد ١٣، ١٩٦٨، السنة الرابعة، العدد ١٦، ١٩٧٠، والسنة الثانية عشر، العدد ٢٤ لسنة ١٩٧٥.

-اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.

-وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه بفاس، القديمة، مجلة البحث العلمي، العدد ٣١ أكتوبر ١٩٨٠.

-عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، الرباط العدد الثامن، السنة الثالثة، ١٩٦٦، والعدد ١١ - ١٢، السنة الرابعة، ١٩٦٧.

-عبد الله كنون: الشاعر الأنيق أبو حفص بن عمر، مجلة البيئة، السنة الأولى، العدد التاسع، يناير ١٩٦٣.

-ابن الياسمين، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، يناير ١٩٨٤.

-عثمان الكعك: الجامعات المغربية وأثرها في جامعات أوروبا، مجلة البحث العلمي، الرباط، جامعة محمد الخامس العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥.

-فنان عبد القادر: أسوار مدينة فاس أصالة أم حاجز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد ابن عبد الله، العدد رقم ١ سنة ١٩٨٥.

-محمد بن تاويت: سبتة الأسيرة، مجلة البحث العلمي، السنة الثالثة عشر، العدد ٢٥، يناير، يونيو ١٩٧٦.

-محمد توفيق بلبع (دكتور): المسجد والحياة الدينية في المدينة، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.

-محمد عبد الستار عثمان (دكتور): المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٣، سنة ١٩٨٨.

-محمد الفاسى: أصول الأعلام الجغرافية، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٦٢.

-محمد المنونى: تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب، مجلة البحث العلمى، السنة السادسة، العدد ١٤ - ١٥، يناير ١٩٦٩.

-الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمى، العدد ١٦ السنة السابعة، يناير ١٩٧٠.

-محمود على مكى (دكتور): وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩ - ١٩٦٠.

خامسا: الرسائل العلمية:

-أحمد إلياس حسن: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.

-سنوسى إبراهيم (دكتور): دور زناته بالمغرب من خروج الفاطميين حتى دخول دولة المرابطين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥.

-عيسى الديب: التجارة فى عصر المرابطين، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٠.

-محمد عادل عبد العزيز (دكتور): أثر الأندلس الحضارى على المغرب فى عهد دولتى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.

-محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهدى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.

-منى حسن أحمد محمود (دكتورة): الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى مراكش خلال عصر المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.

سادسا: المراجع الأجنبية:

- Abun Nasr (Gamal): History of The Magrib, Combridge, Secand edition, 1977.
- Davidson, Basil: The Africans anentry to cultural History, London, 1969.
- Georges Marcais: MaueI d'art Musulman, TomeI, Paris 1976.
- Georges Marcais: L' architecture Musulman D' accident, Paris, 1954.
- Goitein: Amediterranean Society, Voll III, London, 1971.
- Goitein: Jews and Arbas: Their contacts Through The ages, New York, 1955.
- Goitein: Stuidies in islmic History and Stutions, Brill, Leiden, 1968.
- Goluin., L.: Le Magrib Central al' epoque Deszirides, Paris, 1957.
- Harry, W. Hazard: The numismatic History of Late medieval north Agrica, New York, 1952.
- Henri Bassat et Levi Provecal: Cheua, une nécrapole Marenide, Paris, 1922.
- Heniri Peres: La Poesie afes Les Almoravides et Almohades, Hesperis, Tome XVIII, 1934.
- Heniri Terrasse: Histoire du Maroc des origintnes a' L' etbissement du Protectoret Francais, Case blanca, 1949.
- T. Spencer: History of islam in west Africa, Oxfrd University, Prees paper book, 1978.
- Lavoix: Catallogue des monnailes Muslmanes de la bibliotheque notionale Espagne et Abrique, Vol. 3, paris, 1891.

- Levi Provencal: Unrecuell De Lettres Officielles Almohdes
etude Diplomatique et Histarique Hesperis,
Annee 1941.
- Zweiter Band: Katalog Der Oreintalischen munzen, Berlin,
1902.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	مقدمة
١٩	دراسة لأهم المصادر
	الفصل الأول
	مدينة فاس منذ التأسيس حتى دخولها في
	طاعة المرابطين
٤٣	(١٩٢ - ٤٥٥ هـ / ٨٠٨ - ١٦٠٣ م)
٤٥	أولاً: تأسيس فاس على يد الإمام إدريس بن إدريس
٤٦	ثانياً: تخطيط المدينة
	ثالثاً: تاريخ مدينة فاس منذ إنشائها حتى محاولات المرابطين
	الاستيلاء عليها
٥٥	فاس في عصر الأدارسة
	الصراع بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية
٥٦	في المغرب حول فاس
٦٠	صراع القوى الداخلية للسيطرة على فاس
	الفصل الثاني
	الحياة السياسية بمدينة فاس في عصر المرابطين
	والموحدين
٨١	(٤٥٥ - ٦٦٨ هـ / ١٠٦٣ - ١٢٦٩ م)
٨٣	أولاً: الحياة السياسية بمدينة فاس في عصر المرابطين
٨٥	محاولات المرابطين لفتح فاس
٩٠	توحيد فاس وتنظيمها في عهد المرابطين
٩٢	الفتن والاضطرابات في فاس في عصر المرابطين
	ثانياً: الحياة السياسية بمدينة فاس في عصر الموحدين
٩٥	بداية الدولة الموحدية وصراعها مع المرابطين

٩٨	فتح الموحدين لمدينة فاس ٥٤٠هـ / ١٤٤٦م
١٠٤	فاس في عصر الموحدين
١١٤	محاولات بني مرين للسيطرة على فاس
	الفصل الثالث
	الحياة الاجتماعية بمدينة فاس في عصرى
١٥١	المرابطين والموحدين
١٥٣	أولاً: السكان:
١٥٣	البربر
١٥٧	العرب
١٦١	الأندلسيون
١٦٢	العنصر السوداني
١٦٢	ثانياً: طبقات المجتمع في مدينة فاس
١٦٢	الطبقة الحاكمة
١٦٣	طبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة
١٦٦	طبقة العامة (أصحاب المهن)
١٦٨	طبقة أهل الذمة
١٦٨	أ - النصارى
١٧٠	ب - اليهود
١٧١	ثالثاً: مكانة المرأة في المجتمع الفاسى
١٧٣	رابعاً: المؤسسات الاجتماعية بمدينة فاس
١٧٥	خامساً: الاحتفالات وطعام أهل المدينة وزعيمهم
١٧٧	طعام أهل فاس
١٧٨	زى أهل فاس
١٧٨	مظاهر التسلية
١٧٩	سادساً: أخلاق أهل المدينة ووصف دورهم

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في مصر

١٩٩	-----	المرابطين والموحدين
٢٠٢	-----	أولاً: الزراعة
٢٠٣	-----	الملكية الخاصة
٢٠٤	-----	الأحباس (الأوقاف)
٢٠٤	-----	الرى
٢٠٥	-----	الحاصلات الزراعية بمدينة فاس
٢٠٥	-----	- الحبوب الزراعية
٢٠٦	-----	- الزيتون
٢٠٧	-----	- القطن والكتان
٢٠٧	-----	- البساتين والحدائق
٢٠٩	-----	الثروة الحيوانية
٢٠٩	-----	ثانياً: الصناعة
٢١٠	-----	صناعة النسيج
٢١٢	-----	صناعة الورق
٢١٤	-----	طحن الغلال
٢١٤	-----	صناعة الزيوت والصابون
٢١٥	-----	صناعة ماء الورد
٢١٥	-----	الصناعات الخشبية
٢١٦	-----	صناعة دبغ الجلود
٢١٧	-----	الصناعات المعدنية
٢١٨	-----	صناعة السكة
٢٢٠	-----	الصناعات الفخارية
٢٢٠	-----	الصناعات الزجاجية
٢٢٠	-----	ثالثاً: التجارة:
٢٢٠	-----	سياسة الدولتين المرابطية والموحدية الضريبية

٢٢٤	----- الأسواق
٢٢٦	----- تنظيم الأسواق وإدارتها
٢٢٧	----- طرق التعامل فى الأسواق
٢٢٧	----- أ - العملة
٢٣٤	----- ب- المكاييل والموازين
٢٣٤	----- تجارة فاس الداخلية والخارجية
٢٣٤	----- أ - تجارة المدينة الداخلية
٢٣٦	----- ب- تجارة المدينة الخارجية
٢٣٦	----- العلاقات التجارية بين فاس والأندلس
٢٣٧	----- العلاقات التجارية بين فاس والسودان (جنوب الصحراء)
٢٣٨	----- العلاقات التجارية بين فاس والمشرق
	الفصل الخامس

الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس فى

٢٦٧	----- عصرى المرابطين والموحدين
٢٦٩	----- أولا: عوامل نمو الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس
٢٦٩	----- العامل السياسى
٢٦٩	----- العامل الاقتصادى
٢٦٩	----- الهجرة إلى فاس
٢٧٠	----- الرحلة العلمية لأبناء فاس إلى الأندلس والمشرق
٢٧١	----- إنشاء المكتبات العامة والخاصة
٢٧٢	----- المعلمون
٢٧٢	----- ثانيا: طرق التعليم بمدينة فاس فى عهدى المرابطين والموحدين
٢٧٢	----- طريقة التلقين أو التحفيظ
٢٧٣	----- طريقة السماع والقراءة
٢٧٣	----- ثالثا: المؤسسات العلمية بمدينة فاس
٢٧٣	----- المساجد
٢٧٥	----- المكتب أو الكتاب

٢٧٦	المدارس
٢٧٧	رابعاً: ميادين الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس
٢٧٨	العلوم العقلية
٢٧٨	١- علم القراءات والتجويد
٢٧٩	٢- علم التفسير
٢٨٠	٣- علم الحديث
٢٨٢	٤- علم الفقه وأصوله
٢٨٥	٥- علوم اللغة
٢٨٥	أ- علم اللغة العربية
٢٨٦	علم النحو
٢٨٧	الأدب
٢٨٨	الشعر
٢٩٣	٦- علم الكلام
٢٩٥	٧- علم التاريخ والتراجم
٢٩٦	٨- علم التصوف
٣٠٠	العلوم العقلية
٣٠٠	١- علم الفلك والهيئة
٣٠١	٢- علم الحساب والهندسة
٣٠٢	٣- علم الطب
٣٠٣	٤- علم الكيمياء
٣٠٤	خامساً: دور مدينة فاس في نشر الثقافة الإسلامية في المغرب
٣٣٩	الخاتمة:
٣٤٩	المصادر والمراجع: